النظرية السببيّة

في منظار ابن تيميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

النظريـة السبئيّـة

في منظار ابن تيميّة

دراسة نقدية في شخصية (ابن سبأ) ودوره المزعوم في الفتنة

الشيخ حسين المياحي

مركز الأبحاث العقائدية

إيران - قم المقدّسة - صفائية - ممتاز - رقم ٣٤
ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف : ٣٧٧٤٢٨٠٨ - ٣٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥) (٩٨ +)
فاكس : ٣٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥) (٩٨ +)
العراق - النجف الأشرف - شارع الرسول صلى الله عليه وآله
شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام
الهاتف: ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٩٦٤+)
ص — ب ٧٢٩
البريد الإلكتروني: info@aqaed.com
الموقع على الإنترنت: www.aqaed.com

اسم الكتاب: النظرية السبئية
المؤلف: الشيخ حسين المياحي
نشر الرافد
Isbn : 978 - 600 - 90981 - 7 6
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٣٥هـ

الإهداء

إلى يعسوب الدِّين...

وإمام المتَّقين... قائد الغُرِّ المحَجَّلِين...

وصيِّ رسولِ ربِّ العالمين...

أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام...

أهدي هذا الجهد المتواضع.

داعياً الله تعالى أن يجعله في صحيفة أعمالي، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

مقدّمة المركز

كتبها: الشيخ محمد الحسّون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، أبي القاسم محمدﷺ، وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين المعصومين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.

لا يخفى على المتابع لوسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة في أيامنا هذه، ما يتعرّض له أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام من هجوم شرس ووقح ومُبرمج، وفي أشكال وصور مختلفة: ابتداءً بإثارة الشُبه والطعون بعقائد هذا المذهب الحقّ، ومروراً بتشويه صور أعلامه ورموزه، وانتهاءً بالقتل على الهوية، وتهديم أماكن مقدّسة ومراقد شريفة لأولياء الله.

والعجيب ـ والعجائب جمّة ـ أنّ بعض المنتسبين لهذا المذهب المظلوم، بدؤوا بالعزف على هذا الوتر الخطير والحسّاس، وإثارة بعض التساؤلات العقدية المتعلّقة بمذهبنا؛ بحجّة إصلاح الموروث الروائي الضعيف ـ بزعمهم ـ وتنقية أحاديثنا من الإسرائيليات، التي دخلت في موروثنا الحديثي، الذي كان تارة بدون علم وقصد من الرواة، وتارة أُخرى بعلم وقصد منهم.

والذي يراجع هذه الشبهات والإشكالات المثارة ضدّ مذهبنا الحقّ، لا يجد فيها شيئاً جديداً، بل هو تكرار لما قاله الأوّلون، الذين نصبوا العداء لأهل بيت النبوّة، وأنكروا كلّ فضيلة لسيّد الموحدين وأمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام، وإن لم يمكنهم إنكار تلك الفضائل؛ لتواترها في مصادرهم الصحيحة، فإنّهم حاولوا التشكيك فيها، أو خلق فضائل ومناقب لأعلام المدرسة الأُخرى؛ من أجل تقليل هذه الفضائل بأنّها غير مختصة بأمير المؤمنينعليه السلام.

وكان لابن تيميّة السهم الأوفر في التصدّي لفضائل أهل البيتعليهم السلام؛ إذ يعدّ صاحب هذا المدرسة المنكرة لفضائلهمعليهم السلام، أو المشكّكة فيها، والمختلقة لفضائل

مزوّرة لرموز المدرسة الأُخرى.

ولم يكتف ابن تيمية بطعنه بأولياء الله، المنصوص على إمامتهم وخلافتهم من الباري عزّ وجلّ، بل طعن بأصل التشيّع ومنشئه، بأنّه من وضع ابن السوداء عبد الله بن سبأ.

عبد الله بن سبأ:

أكثر مصادر المسلمين عموماً ـ على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم ـ لم تذكرو لنا شيئاً عن أصل هذا الرجل وأسرته وتاريخه، فكلّها تذكره باسم: (عبد الله بن سبأ). ولا يُعلم أنّ (سبأ) هذا: هل هو اسم أبيه؟

أم أنّه نسبةً إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، الذي تُنسب إليه أكثر القبائل اليمنية؟

نعم، ذكر بعض الأعلام أنّه: عبد الله بن وهب السبائي، والظاهر أنّه خلط بين شخصيتين: عبد الله بن سبأ ـ الذي هو محلّ البحث ـ وعبد الله بن وهب الراسبي السبائي رئيس الخوارج، الذي قتل في النهروان، وذلك للتشابه بينهما في الاسم والنسب[1].

أمّا أمّه فمجهولة أيضاً؛ فلم تذكر لنا كتب التأريخ والأنساب اسمها ونسبها وقبيلتها، ومن أي مدينة هي.

وتسمية سيف بن عمر ابن سبأ بـ«ابن السوداء» إشارة إلى لونها، وليس فيه دلالة على قومها ونسبها.

والتأريخ وكتب الأنساب أيضاً لم تذكر لنا شيئاً عن زوجة عبد الله بن سبأ، وأبنائه وإخوته، وعمومته وأخواله.

نعم، في رواية مرسلة ضعيفة من طرقنا ـ لا يمكن التعويل عليها ـ تدلّ على وجود ولد لابن سبأ[2].

---

(١) انظر: أنساب الأشراف ٢: ٣٨٢، كتاب علي وبنوه لطه حسين: ٥١٩.

(٢) في اعتقادات الصدوق: ١٠٠، عن زرارة أنّه قال: قلت للصادق عليه السلام: إنّ رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض...

والمدينة التي ينتسب لها هذا الرجل -ابن سبأ -محل خلاف بين المؤرّخين ؛ فالأكثر ينسبه إلى اليمن من قبيلة سبأ[1]، وآخرون قالوا: إنّه حميري[2]، وهناك من نسبه إلى همدان[3].

ومنهم من قال: إنّه من يهود اليمن، ومنهم من نسبه إلى يهود الحيرة بالعراق[4]، وآخر نسبه إلى يهود الروم[5].

وكذلك لم نجد في المصادر من سجّل لنا زمان ومكان وفاته، أو شيئاً من ملابسات وفاته.

فكلّ هذا الاختلاف في حياته ، يؤيّد القول بأنّ ابن سبأ شخصيّة وهميّة، لا وجود حقيقيّ لها على الأرض، وربّما أطلقت على بعض أصحاب علي ابن أبي طالب الذين كانوا يؤمنون به ويدافعون عنه وينشروا أحاديثه.

وهناك رأي آخر تبنّاه بعض الباحثين، يذهب إلى وجود حقيقي وشخصي لهذا الرجل ؛ إذ ذكروا شيئاً من أُموره وشؤونه.

لكنّ الموجود بأيدي الباحثين من معلومات عنه، أكثرها تُنسب إلى سيف بن عمر ؛ إذ صرّح بأنّه كان رجلاً يهودياً أسوداً من اليمن، أسلم في أواخر خلافة عثمان، وصار يطوف بالبصرة والكوفة والحجاز والشام ومصر، يؤلّب الناس على عثمان، ويحرّض على خلعه، ويُظهر الطعن فيه وفي ولاته.

واستطاع بمكائده أن يغرّر بالناس وأن يجمع الأعوان والأنصار، وأن يبثّ دعاته في الأمصار لإثارة الفتنة التي أدّت في النهاية إلى قتل عثمان!

ويقال: إنّه استطاع أن يندس هو وأتباعه في أصحاب عليعليه السلام، ويتستّر بإظهار التشيّع لعلي وأهل بيتهعليهم السلام ؛ ليسلم من طائلة محاسبته هو وأتباعه على الضلوع في قتل عثمان.

---

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ١: ٢٢٢.

(٣) أنساب الأشراف، للبلاذري ٢: ٣٨٢.

(٤) الفرق بين الفرق، للبغدادي: ٢١٥.

(٥) عبد الله بن سبأ لسليمان العودة: ٤٠.

وكان يُظهر الطعن في أبي بكر وعمر، ويجهر بالقول برجعة النبي وأهل البيتعليهم السلام بعد الموت، وأنّ علياً وصيّ رسول اللهصلى الله عليه وآله، وأنّه دابة الأرض.

وقيل: إنّه غلا في علي وزعم: أنّه إله، وأنّ فيه الجزء الإلهي ، وأنّه في السحاب، وأنّ الرعد صوته... فاستتابهم عليعليه السلام ، فلم يتوبوا فأحرقهم بالنار.

وقيل: إنّ ابن عباس أو غيره شفّعوا في ابن سبأ، وقالوا: إنّه تاب، فأطلقه عليعليه السلام، ونفاه إلى المدائن، فمكث فيها حتى استشهد أمير المؤمنينعليه السلام، فلمّا بلغه ذلك قال: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرّة ما صدّقنا بموته، إنّه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه[1].

ابن تيمية:

أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر، ابن تيمية الحرّاني الدمشقي الحنبلي.

ولد يوم العاشر من ربيع الأوّل سنة ٦٦١هـ في حرّان[2].

لم يُعرف أصله ونسبه، أهو عربي أو لا؟ إذ لم يذكر المؤرّخون القبيلة التي تنتمي إليها أسرته.

ولا يوجد ما يدلّ على عروبته ؛ فلو كان عربياً لما تردّد هو أو أحد أفراد أُسرته ـ ومعظمهم من العلماء ـ في ذكر قبيلته، ولاسيّما أنّ الانتماء إلى قبيلة عربية كان يُعدّ في ذلك الوقت مفخرة وشكلاً من أشكال التميّز الاجتماعي!!

ولو كان ابن تيميّة عربياً، لما تردّد من كتب سيرته قديماً وحديثاً في الإشارة إلى ذلك، مع العلم أنّ الإشارة إلى الأصل العربي كان أمراً معهوداً في كتب التراجم القديمة ، حتى إذا

---

(١) انظر: عبد الله بن سبأ وأساطير أُخرى، للسيد العسكري، وآراء وأصداء حول عبد الله ابن سبأ وروايات سيف في الصحف السعودية، إعداد: كلّية أُصول الدين، وعبد الله بن سبأ دراسة وتحليل للشيخ علي آل محسن.

(٢) الوافي بالوفيات ٧: ١١ وفوات الوفيات ١: ١٢٤.

كان العَلم من سكان بلاد بعيدة جداً عن بلاد العرب.

ويرجّح الدكتور أحمد خليل في كتابه عن ابن تيميّة كونه كرديّاً ؛ لعدم ثبوت عروبته، وأنّ أُسرته تنتمي إلى منطقة كردية، وأنّ طباعه هي طباع معظم علماء الكرد، وأنّه ممّثل أصيل للعقل الكردي[1].

وعلى كلّ حال، لا يهمّنا أصل الرجل، عربيّاً كان أو كرديّاً، وإنّما ذكرناه لإصرار بعض أنصاره على عروبته.

وفي سنة ٦٦٧هـ أغار التتار على بلده ، ففرّت عائلته إلى دمشق، وهناك بدأ بالدرس على والده ـ الذي أسندت إليه مشيخة دار الحديث السكرية ، وأُفرد له كرسي التدريس بجامع دمشق ـ وحضر أيضاً على بعض مشايخ عصره وأساتذة الجامع الأُموي.

كان ابن تيميّة حادّ الطبع، حديد الذهن، قوي الحافظة، ولم يتزوّج إلى أن مات، وبقي هذا الأمر سراً من أسراره.

عُرف عن ابن تيميّة أنّه خالف علماء عصره في آرائه ونظرياته، خصوصاً ما يتعلّق بصفات الله تعالى، وذهابه إلى التجسيم، وتكلّم كثير من العلماء في ردّه وبطلان آرائه..

فعاش محناً كثيرة في حياته، بدأت عندما أرسل إليه أهل مدينة حماة السوريّة سنة ٦٩٨هـ رسالة يسألونه فيها عن الصفات التي وصف الله نفسه بها في القرآن الكريم، فأجابهم بـ(الرسالة الحموية)، التي خالف فيها الأشاعرة، وأقرّ بالتجسيم ، فتصدّى له العلماء بالردّ وأبطلوا عقيدته[2].

وفي سنة ٧٠٥هـ سجن بسبب اعتقاده أنّ الله فوق عرشه حقيقة ، وأنّه يتكلّم بصوت وحرف[3].

وفي سنة ٧٠٧هـ ضُيّق عليه وحُبس بالجب، إلى أن أُخرج من السجن بشفاعة أمير

---

(١) ابن تيمية حياته وعصره وآراؤه وفقهه: ١٨.

(٢) الوافي بالوفيات ٧: ١٥.

(٣) الدرر الكامنة ١: ١٧١، المختصر بأخبار البشر ٤: ٥٢.

آل فضل، وأُحضر إلى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء، فكُتب عليه محضر الاستتابة واعترافه بأخطائه[1].

وبعد خروجه من السجن عاد مجدّداً إلى مخالفة منهج علماء عصره ، فأفتى بحرمة الاستعانة بالنبيﷺ، فنقل إلى الإسكندرية[2].

وفي سنة ٧١٩هـ فرضوا عليه الإقامة الجبرية ومُنع من الفتيا، بسبب مسألة طلاق أفتى بها بما يخالف المذاهب المشهورة[3].

وفي سنة ٧٢٦هـ اعتقل بالقلعة بسبب فتواه بمنع شدّ الرحال لزيارة النبيﷺ، ولم يزل مسجوناً إلى أن مات سنة ٧٢٨هـ[4].

وقام علماء المذاهب الأربعة السنيّة منذ عصر ابن تيميّة حتّى يومنا هذا بالردّ على أفكاره وعقيدته الباطلة.. فمنهم من كفّره ، ومنهم من اتهمه بالابتداع ومخالفة الإجماع، والمكر والمراوغة، والتدليس، ومنهم من حمل عليه بأبشع الكلمات ووصفه بالعمى والجهل والضلال والخذلان، ومنهم من نسب إليه الخلل في العقل.

وإذا أردنا سرد كلّ كلماتهم لطال بنا المقام، وخرجنا عن المرام في هذه المقدّمة المختصرة، ومن أراد الاطلاع فعليه بما كتبه الأعلام في هذا المجال ، لكن نكتفي بذكر ما قاله ابن حجر العسقلاني عنه، إذ قال في «الدرر الكامنة»:

«ومن ثمّ نسب أصحابه إلى الغلو فيه، واقتضى له ذلك العُجب بنفسه حتّى زها على أبناء جنسه، واستشعر أنّه مجتهد ، فصار يردّ على صغير العلماء وكبيرهم، قديمهم وجديدهم، حتّى انتهى إلى عمر، فخطّأه في شيء، فبلغ ذلك الشيخ إبراهيم الرقي، فأنكر عليه، فذهب إليه واعتذر واستغفر، وقال في حقّ علي: أخطأ في سبعة عشر شيئاً...

---

(١) نهاية الإرب في فنون الأدب ٣٢: ١١٨.

(٢) البداية والنهاية ١٤: ٥٦.

(٣) البدر الطالع ١: ٦٩.

(٤) الدرر الكامنة ١: ١٧٤.

ومنهم من ينسبه إلى النفاق ؛ لقوله في علي ما تقدّم، ولقوله: إنّه كان مخذولاً حيثما توجّه، وإنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنّما قاتل للرئاسة لا للديانة، ولقوله: إنّه كان يحبّ الرئاسة، وأنّ عثمان كان يحبّ المال»[1].

وقال عنه في «لسان الميزان»: «لكنّه ردّ في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانّها ؛ لأنّه كان لاتساعه في الحفظ يتّكل على ما في صدره، والإنسان عامد للنسيان. وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدّته أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه»[2].

وقال في مخالفة العلماء لابن تيمية: «فمنهم من نسبه إلى التجسيم ؛ لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك كقوله: إنّ اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقة لله، وأنّه مستو على العرش بذاته.

فقيل له : يلزم من ذلك التحيّز والانقسام.

فقال: أنا لا أُسلّم أنّ التحيّز والانقسام من خواص الأجسام، فأُلزم بأنه يقول بتحيّز في ذات الله.

ومنهم من ينسبه إلى الزندقة ؛ لقوله: إنّ النبي صلى الله عليه وسلّم لا يُستغاث به، وإنّ في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلّم.

وكان أشدّ الناس عليه في ذلك: النور البكري ؛ فإنّه لما عقد له المجلس بسبب ذلك، قال بعض الحاضرين : يُعذر، فقال البكري: لا معنى لهذا القول ؛ فإنّه إن كان تنقيصاً يُقتل، وإن لم يكن تنقيصاً لا يُعذر.

ومنهم من ينسبه إلى النفاق ؛ لقوله في علي ما تقدّم. ولقوله: إنّه كان مخذولاً حيثما ما توجّه، وإنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنّما قاتل للرئاسة لا للديانة. ولقوله: إنّه كان يحبّ الرياسة ، وإنّ عثمان كان يحب المال.

ولقوله : أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعليّ أسلم صبياً، والصبي لا يصحّ إسلامه على قول .

---

(١) الدرر الكامنة ١ : ١٧٩ - ١٨١.

(٢) لسان الميزان ٦ : ٣١٩.

وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل: ومات ما نسبها من الثناء على... وقصة أبي العاص بن الربيع وما يؤخذ من مفهومها ؛ فإنّه شنع في ذلك، فألزموه بالنفاق ؛ لقولهﷺ: (لا يبغضك إلا منافق).

ونسبه قوم إلى أنّه يسعى في الإمامة الكبرى ؛ فإنّه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه، فكان ذلك مؤكّداً لطول سجنه، وله وقائع شهيرة. وكان إذا حوقق وأُلزم، يقول : لم أرد هذا إنما أردت كذا، فيذكر احتمالاً بعيداً»[1].

وقام مجموعة من أعلام المسلمين والباحثين ـ على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم من سنّة وشيعة ـ بكتابة كتب ورسائل خاصة في الردّ على ابن تيميّة، نذكر منها:

- إكمال السنّة في نقض منهاج السنّة، للشيخ سراج الدين الهندي وللسيد مهدي الكشوان.
- منهاج الشريعة في نقض منهاج السنّة، للسيّد مهدي القزويني.
- الإمامة الكبرى والخلافة العظمى، للسيّد محمد حسن القزويني.
- ردود على ابن تيمية، لأحمد بن محمد الشيرازي.
- خبر الجهة، لأحمد بن يحيى بن جبريل الشافعي.
- اعتراضات على ابن تيمية، لأحمد بن إبراهيم السروطي الحنفي.
- الجوهر المنظّم في زيارة القبر المعظم، لأحمد بن حجر الهيتمي.
- ردّ على ابن تيمية، لكمال الدين أحمد بن محمد الشيرازي.
- دفع شبهة من شبّه وتمرّد، لتقي الدين ابن أبي بكر الحصيني.
- المقالة المرضية في الرد على ابن تيمية، للأخناني.
- التحفة المختارة في الرد على من أنكر الزيارة، لتاج الدين الفاكهاني.
- البصائر لمنكري التوسّل بأهل المقابر، لحمد الله الداجوي

---

(١) الدرر الكامنة ١: ١٨٠ - ١٨٢.

- شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي.
- نجم المهتدي برجم المعتدي، للفخر بن المعلم القرشي.
- الردّ على ابن تيمية في الاعتقادات، لمحمد حميد الدين الحنفي الدمشقي الفرغاني.
- السيوف المشرفية لقطع أعناق القائلين بالحجّة والجسمية، لعلي بن محمد الميلي الجمالي التونسي المغربي المالكي.
- الردّ على ابن تيمية في مسألة الطلاق، لعيسى بن مسعود المنكلاتي المالكي.
- رسالة في مسألة الزيارة، لمحمد بن علي المازني.
- الدرّة المضيّة في الرد على ابن تيمية، لكمال الدين محمد بن علي الشافعي، المعروف بـ«ابن الزملكاني».
- والانصاف والانتصاف لأهل ا لحق من أهل الاعتساف، لأحد قدماء الإمامية لم يذكر اسمه.
- ردّ على الشيخ ابن تيمية، لنجم الدين بن أبي الدر البغدادي.
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للشيخ نعمان بن محمود الآلوسي البغدادي
- التوفيق الربّاني في الردّ على ابن تيمية الحرّاني، لناصح مشفوق.
- تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد، للشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي.
- السيف الصقيل، لقتي الدين السبكي أيضاً.
- وسيلة الإسلام، لابن قنفذ.
- الردّ على ابن تيمية في التجسيم والاستواء، للكلابي.
- فرقان القرآن، للقاضي العزاني.
- البراهين الساطعة في ردّ بعض البدع الشائعة، للقاضي العزامي.
- شمس الحقيقة، لأحمد علي بدر.
- مقدّمة الرسائل السبكية، لكمال أبو المنى.
- ابن تيمية ليس سلفياً، لمنصور محمد محمد عويس.
- شرح العقائد العضديّة، لجلال الدين محمد بن أسعد الدواني.

- ذخائر القصر، لمحمد بن علي بن طولون الحنفي.
- صلح الإخوان من أهل الإيمان، للخالدي.
- بيان الدين القيّم، للخالدي أيضاً.
- المنحة الوهبية للخالدي أيضاً.
- شواهد الحق، للنبهاني.
- الأنوار المحمدية، للنبهاني أيضاً.
- الرائية الصغرى، للنبهاني أيضاً.
- دراسات في منهاج السنّة، للسيّد علي الحسيني الميلاني.
- ابن تيمية حياته.. عقائده، لصائب عبد الحميد.
- من أقطاب الكذّابين أحمد بن تيمية الحراني، لمحمد الرضي الرضوي.
- رسالة في الردّ على ابن تيمية، للأخميني الشافعي، المعروف بـ«المصري».
- المقالات السنيّة في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، للشيخ عبد الله الهرري.

موقف ابن تيمية من الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام:

يُعدّ ابن تيميّة من المخالفين والمعانيد، بل من الناصبين العداء لعليّ بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام، فلم يدع كرامة ومنقبة لهم إلّا أنكرها، أو شكّك بها، أو قلّل من أهميتها بأنّها ليست من مختصاتهم بل شاركهم فيها آخرون..

قال الشيخ عبد الله الغماري في معرض ردّه على الشيخ الألباني: «وحاله في هذا كحال ابن تيمية، تطاول على الناس، فأكفر طائفة من العلماء، وبدّع طائفة أُخرى، ثم اعتنق هو بدعتين لا يوجد أقبح منهما:

إحداهما: قوله بقدم العالم، وهي بدعة كفرية ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

والأُخرى: انحرافه عن علي عليه السلام، ولذلك وسمه علماء عصره بالنفاق؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلّم لعلي: «لا يحبك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»[1].

---

(١) إرغام المبتدع الغبي: ٢٢.

وأمّا الكلمات التي أطلقها ابن تيمية في حقّ علي بن أبي طالبعليه السلام، والتي يظهر منها التنقيص جليّاً وواضحاً فكثيرة ، وإليك شذر منها:

١) طعنه في خلافة الإمام عليعليه السلام:

قال: «وأمّا عليّ، فلم يتّفق المسلمون على مبايعته، بل وقعت الفتنة تلك المدّة، وكان السيف في تلك المدّة مكفوفاً عن الكفّار مسلولاً على أهل الإسلام»(١).

وقال: «ولم يكن في خلافة علي للمؤمنين الرحمة التي كانت في زمن عمر وعثمان، بل كانوا يقتتلون ويتلاعنون، ولم يكن لهم على الكفّار سيف، بل الكفّار كانوا قد طمعوا فيهم، وأخذوا منهم أموالاً وبلاداً»(٢).

وقال أيضاً: «ومن ظنّ أنّ هؤلاء الاثني عشر هم الذين تعتقد الرافضة إمامتهم، فهو في غاية الجهل ؛ فإنّ هؤلاء ليس فيهم من كان له سيف إلّا علي بن أبي طالب، ومع هذا فلم يتمكّن في خلافته من غزو الكفّار، ولا فتح مدينة! ولا قتل كافراً! بل كان المسلمون قد اشتغل بعضهم بقتال بعض، حتى طمع فيهم الكفّار بالشرق والشام، من المشركين وأهل الكتاب، حتى يقال: إنّهم أخذوا بعض بلاد المسلمين، ... فأيّ عزّ للإسلام في هذا؟!»(٣).

وقال أيضاً طاعناً في خلافته: «فإنّ علياً قاتل على الولاية!! وقتل بسبب ذلك خلق كثير عظيم ، ولم يحصل في ولايته لا قتال للكفّار ولا فتح لبلادهم، ولا كان المسلمون في زيادة خير»(٤).

وقال: «فلم تصفُ له قلوب كثير منهم، ولا أمكنه هو قهرهم حتى يطيعوه، ولا اقتضى رأيه أن يكفّ عن القتال حتى ينظر ما يؤول إليه الأمر، بل اقتضى رأيه القتال ،

---

(١) منهاج السنّة ٤: ١٦١.

(٢) منهاج السنّة ٤: ٤٨٥.

(٣) منهاج السنّة ٨: ٢٤١.

(٤) منهاج السنّة ٦: ١٩١.

وظنّ أنّه به تحصل الطاعة والجماعة، فما زاد الأمر إلّا شدّة، وجانبه إلّا ضعفاً، وجانب من حاربه إلّا قوّة، والأُمّة إلّا افتراقاً»(١).

٢) جعل قتاله لأجل الملك لا الدين:

قال ابن تيمية: «وعلي يقاتل ليطاع، ويتصرّف في النفوس والأموال، فكيف يجعل هذا قتالاً على الدين؟»(٢).

وقال أيضاً: «ثم يقال لهؤلاء الرافضة : لو قالت لكم النواصب: علي قد استحلّ دماء المسلمين ، وقاتلهم بغير أمر الله ورسوله على رئاسته، وقد قال النبيﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)، وقال: (لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، فيكون علي كافراً لذلك!! لم تكن حجّتكم أقوى من حجّتهم ؛ لأنّ الأحاديث التي احتجّوا بها صحيحة!!

وأيضاً فيقولون: قتل النفوس فساد، فمن قتل النفوس على طاعته كان مريداً للعلوّ في الأرض والفساد، وهذا حال فرعون!! والله تعالى يقول: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٣)، فمن أراد العلوّ في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة.

وليس هذا كقتال الصدّيق للمرتدّين ومانعي الزكاة، فإنّ الصدّيق إنّما قاتلهم على طاعة الله ورسوله لا على طاعته، فإنّ الزكاة فرض عليهم، فقاتلهم على الإقرار بها وعلى أدائها، بخلاف من قاتل ليطاع هو»(٤).

٣) طعنه فيه وفي فضائله:

قال ابن تيمية: «إنّ الفضائل الثابتة في الأحاديث الصحيحة لأبي بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعلي، والأحاديث التي ذكرها هذا ، وذكر أنّها في الصحيح

---

(١) منهاج السنّة ٧: ٤٥٢.

(٢) منهاج السنّة ٨: ٣٢٩.

(٣) القصص ٢٨: ٨٣ .

(٤) منهاج السنّة ٤: ٤٩٩ – ٥٠٠.

عند الجمهور، وأنّهم نقلوها في المعتمد من قولهم وكتبهم، هو من أبين الكذب على علماء الجمهور ؛ فإنّ هذه الأحاديث التي ذكرها أكثرها كذب، أو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث..

والصحيح الذي فيها ليس فيه ما يدلّ على إمامة علي، ولا على فضيلته على أبي بكر وعمر، بل وليست من خصائصه، بل هي فضائل شاركه فيها غيره، بخلاف ما ثبت من فضائل أبي بكر وعمر، فإنّ كثيراً منها خصائص لهما، لاسيّما فضائل أبي بكر ؛ فإنّ عامّتها خصائص لم يشركه فيها غيره.

وأمّا ما ذكره من المطاعن، فلا يمكن أن يوجّه على الخلفاء الثلاثة من مطعن إلّا وجّه على علي ما هو مثله أو أعظم منه...

فإنّ علي رضي الله عنه لم ينزّهه المخالفون، بل القادحون في علي طوائف متعدّدة، وهم أفضل من القادحين في أبي بكر وعمر وعثمان.. والقادحون فيه أفضل من الغلاة فيه؛ فإنّ الخوارج متّفقون على كفره، وهم عند المسلمين كلّهم خير من الغلاة...

ومن المعلوم أنّ المنزّهين لهؤلاء أعظم وأكثر وأفضل ، وإنّ القادحين في علي حتّى بالكفر والفسوق والعصيان طوائف معروفة ، وهم أعلم من الرافضة وأدين...

والذين قدحوا في علي رضي الله عنه وجعلوه كافراً، أو ظالماً، ليس فيهم طائفة معروفة بالردّة عن الإسلام ، بخلاف الذين يمدحونه ويقدحون في الثلاثة...

بخلاف من يكفّر علياً ويلعنه من الخوارج ، وممّن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبني مروان وغيرهم ، فإنّ هؤلاء كانوا مقرّين بالإسلام وشرائعه ، يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ، ويحجّون البيت العتيق ، ويحرّمون ما حرّم الله ورسوله ، وليس فيهم كفر ظاهر ، بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم ، معظّمة عندهم ...

فمعلوم أنّ الذين قاتلوه ولعنوه وذمّوه من الصحابة والتابعين وغيرهم هم أعلم وأدين من الذين يتولّونه ويلعنون عثمان ، ولو تخلّى أهل السنّة عن موالاة علي رضي الله عنه وتحقيق إيمانه ووجوب موالاته لم يكن في المتولّين له من يقدر أن يقاوم المبغضين له من

الخوارج والأُموية والمروانية ؛ فإنّ هؤلاء طوائف كثيرة»[١] .

٤) طعنه في فاطمة عليها السلام واتهامها بالنفاق!!

قال ابن تيمية : « إنّ فاطمة رضي الله عنها إنّما عظم أذاها لما في ذلك من أذى أبيها، فإذا دار الأمر بين أذى أبيها وأذاها كان الاحتراز عن أذى أبيها أوجب ، وهذا حال أبي بكر وعمر ؛ فإنّهما احترزا عن أن يؤذيا أباها أو يريباه بشيء ، فإنّه عهد عهداً وأمر بأمر ، فخافا إن غيّرا عهده وأمره أن يغضب لمخالفة أمره وعهده ويتأذّى بذلك ، وكلّ عاقل يعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حكم بحكم وطلبت فاطمة أو غيرها ما يخالف ذلك الحكم ، كان مراعاة حكم النبيّ صلى الله عليه وآله أولى!! فإنّ طاعته واجبة ومعصيته محرّمة»[٢].

فصوّر فاطمة عليها السلام بأنّها تريد أن يحكم أبو بكر بغير حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، فرفض أبو بكر ذلك، فتأذت!!

وهذا معناه النفاق في فاطمة عليها السلام ـ أعاذنا الله من هذه ـ لأنّ الذين يريدون أن يحكم إليهم بخلاف حكم الله ورسوله هم المنافقون.

وهناك الكثير من المطاعن التي وجّهها ابن تيميّة إلى أهل البيت عليهم السلام وإلى علي عليه السلام، سواء من ناحية التنقيص فيه، أو تكذيب فضائله الثابتة له. ومن شاء راجع «منهاج السنّة» ليرى النصب فيه طافح، والتحامل على علي وأهل بيته عليهم السلام ظاهر.

ولم يكتف ابن تيميّة بطعنه بعلي وأهل بيته عليهم السلام، بل أعقبه بطعنه بأصل التشيّع، وأنّ منشأه من ابن السوداء عبد الله بن سبأ، وقد أكد على هذا المبنى كثيراً وأسّس عليه كافة طعونه بالمذهب الحق التي ذكرها في أغلب كتبه خصوصاً «منهاج السنّة» ؛ إذ

---

(١) منهاج السنّة ٥ / ٦ ــ ١٠ .

(٢) منهاج السنّة ٤ : ٢٥٣.

قال في أوله:

«إذا كان أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته علي أمير المؤمنين، فحرق منهم طائفة بالنار، وطلب قتل بعضهم ففرّوا من سيفه البتّار»(١).

وواصل ابن تيميّة كلامه فقال: «وقد روي هذا الكلام عنه ـ أي: الشعبي ـ مبسوطاً، ولكنّ الأظهر أنّ المبسوط من كلام غيره، كما روى أبو حفص بن شاهين في كتاب (اللطف في السُنّة) عن عبد الرحمن بن مالك بن مغوَل، عن أبيه، قال: قال الشعبي:

أُحذّركم أهل هذه الأهواء المضلّة، وشرّها: (الرافضة)، لم يدخلوا الإسلام رغبةً ولا رهبةً، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم ، قد حرّقهم عليّ رضي الله عنه ونفاهم إلى البلدان ، منهم عبد الله بن سبأ، يهودي من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار، نفاه إلى «خازر». وآية ذلك أنّ محنة الرافضة محنة اليهود.

قالت اليهود: لا يصلح الملك إلّا في آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلّا في ولد عليّ.

وقالت النصارى: لا جهاد في سبيل الله حتّى يخرج المسيح الدجّال وينزل سيف [سيّد] من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء.

واليهود يؤخّرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم...

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة...»(٢).

إلى آخر هذا الكلام الذي يعيده مرّة أُخرى في الصفحة السابعة، ومرة ثالثة في

---

(١) منهاج السنّة ١: ١١.

(٢) منهاج السنّة ١: ٢٣ – ٢٥.

الصفحة الثامنة.

ومن يراجع كتبه ورسائله يجدها مليئة بهذه الطعون الخبيثة، التي تدل على خبث ونصب قائلها لأهل بيت النبوة، وسيجد القارئ الكريم منها في الكتاب الذي نقدّم له هذه المقدّمة المتواضعة.

وقد تصدّى بعضُ أعلامنا وكتّابنا لابن تيميّة واتهامه الباطل بأنّ منشأ التشيّع هو من ابن سبأ اليهودي، والكتاب الذي بين يديك ـ أيّها القارئ الكريم ـ هو أحد هذه الردود العلمية عليه، الذي كتبه أخونا العزيز سماحة الشيخ حسين المياحي حفظه الله ورعاه ؛ فقد جمع بين دفتيه أقوالاً وردوداً جيدة، مضيفاً لها تعليقات وشروحاً لأحداث تاريخية مهمّة، تجعل القارئ اللبيب يقف على حقيقة عبد الله بن سبأ، وموقف ابن تيمية من النظرية السبئية الباطلة.

نسأل الله سبحانه وتعالى لأخينا المؤلّف مزيداً من التوفيق ، وأن يتحف المكتبة الإسلامية بأبحاث أُخرى ، يجيب فيها على الشبهات المثارة على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

محمّد الحسّون

٤ شوال / ١٤٣٤ هـ

البريد الإلكتروني muhammad@aqaed.com

الصفحة على الإنترنت www.aqaed.com / Muhammad

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد.

فإن من أبرز أسباب الإخفاق الفكري والمعرفي في تاريخ الإسلام، عدم انضباط الكثير من القراءات بالضوابط السليمة التي تجعل الأحكام والنتائج النهائية بمنأىً عن آفات التعصب والهوى، وهذا ما يجعل البحث العلمي الموضوعي نادراً جداً، لا تكاد تجده إلا بشق الأنفس.

وأبرز ما يجده المتصفح للتاريخ ـ بمعناه العام ـ أن الأحكام المسبقة هي الحاكمة والطاغية في ساحة التفاعل الفكري والثقافي. وتبعاً لذلك دفعت الأمة الإسلامية ـ ولا زالت ـ ثمناً باهضاً من كرامتها وعزتها ودماء أبنائها، وباتت اليوم في وضع لا تُحسد عليه، حيث تداعت عليها سائر الأمم، كتداعي الذئاب على الفريسة.

فبينا نجد القارة الأوربية تُوحِّد عملتها، وتعتصم بحبل (اليورو)، والدول

الكبرى التي كانت تتقاتل يوماً ما، تجتمع لتقتسم المصالح فيما بينها، نرى بالمقابل أن المسلمين يأبون أن يعتصموا بحبل الله تعالى كما أراد، ولا زالوا سائرين في منحدر وعر، وهاوية سحيقة، لا يعلم إلا الله مدى ما تؤول إليه أمورهم فيها.

فها أنت ترى المسلم يقدّم قتال أخيه على قتال عدوه، ويتشفّى بتقطيع أوصاله متقرِّباً بذلك إلى الله، ويعيث في بلاده فساداً لا يقاس به إفساد الآخرين من الأجانب، وما لم يستطع العدو أن يحققه في بلاد المسلمين في قرون متمادية، تمكن المسلم (بجدارة) من تحقيقه في سنوات.

وما ذلك آتٍ من فراغ، إنما هناك إرث تاريخي ثقيل، شابه الكثير من الألغام والمطبّات والعُقَد التي لها أول وليس لها آخر.

من هنا فإن سبيل الإصلاح لا بد أن يتم أولاً بتصحيح القراءة، وإيجاد الموازين والضوابط الموضوعية الكفيلة بتهذيب النتائج، وإعادة النظر فيها من جديد ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

ونحن اليوم أمام قراءتين بارزتين، هما الأساس والعمدة في رسم المسار الفكري والثقافي منذ زمن بعيد وحتى يومنا هذا:

١ـ القراءة الموجَّهة: وهي (المحسومة) النتائج مسبقاً، أو التي تضع أمام الباحث ضوابط صارمة وقوالب جاهزة، ليخرج بنتيجة هي أقرب لأن تكون حكماً مسبقاً منها إلى الاستنتاج الموضوعي.

وهذه القراءة كانت ولا زالت هي الطاغية في المشهد الفكري الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا، فإذا ما وجدت ما يخالف ذلك تجد أنه ولد بعسر، أو عملية (قيصرية).

٢ـ القراءة الموضوعية: وهي (المحسوبة) النتائج بدقة، حيث يبدأ الباحث من نقطة الاستفهام، أو ما يسمى بالمشكلة، أو محل النزاع، وهي المنطلق الأول للبحث، فيُحكّم الموازين العلمية، ويجتهد أن يكون بمنأىً عن التعصب والهوى وتأثير المسلّمات الذهنية، ويسعى أن يصل إلى النتيجة، فهي ضالته التي ينشد، وبغيته التي يريد.

والفرق بين القراءتين، أن الأولى لا تقبل المناقشة، وتخشى كل جديد، لأن من شأن ذلك أن ينسف المسلّمات الذهنية المتوارثة المأخوذة بالتقليد ومتابعة (السلف) وبالتالي تنكشف العورات ويفتضح الكذابون، وهذا ما يصرحون به بشكل واضح، وسوف نورد له بعض الأمثلة إن شاء الله تعالى.

كما أنها تسارع في التشكيك والاتهام والتشويه والافتراء كوسيلة دفاعية تستبق بها المناقشة والبحث، وتنقل المواجهة من ساحتها الحوارية الفعلية إلى ساحات أخرى بعيدة عن محور النزاع وجوهره، بل كثيراً ما تحولها إلى نزاعات شخصية.

وهذا أشبه بما يجري في زماننا هذا، حيث الأنظمة الشمولية التي لا تؤمن بالرأي المعارض، ولا تفكر يوماً بفتح القنوات الحوارية مع شعوبها، فهي غالباً ما تنقل المواجهة مع الصوت المعارض إلى ساحة التهمة والتشكيك، فتركّز في وسائل إعلامها على (العمالة للأجنبي) و (الغوغائية) لأنها من الأساس لا تريد التوقف في دائرة المطالب الشعبية والنظر إليها بموضوعية، خوفاً أن يكون ذلك بداية النهاية للنظام الحاكم.

وهو عين ما تجده في التيارات الفكرية الإسلامية من هذا النمط، إذ تهرب من ساحة الحوار ومواضع النزاع، إلى ساحات التشكيك والاتهام والدعاية

المضادة والتحذير من الآخر، وهو ما عانى منه شيعة أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص على مدى التاريخ.

ومما يميز هذه القراءة أيضاً، الشدّة والغلظة واللجوء للألفاظ النابية، فهي تدرك أن المنطق والحوار والحجّة والبرهان غير كافية للتحصين والدفاع، وتشعر في قرارة نفسها أن الآخر أنصع بياناً، وأمضى جناناً، وأقوى حجة، وهو ما تراه بوضوح في الحوارات الشهيرة بين العلامة الحلي والشيخ ابن تيميّة، فبينا تجد العلامة يستخدم الألفاظ المهذبة في مخاطبة الخصم، ترى أن المقابل لا يستمرئ ذلك، ويشعر أن هناك نقصاً كبيراً في حجته لا يمكن تعويضه إلا بالسباب وألفاظ الاستهجان والتقريع.

ومن معالم القراءة المذكورة، انتهاجها الانتقائية في التعاطي مع القضية الواحدة، ففي الوقت الذي تؤسس بوضوح لنظرية عدالة الصحابة مثلاً، وعدم جواز المساس بهم أجمعين، لا تتورع عن (لعن) الكثير منهم والانتقاص منهم تصريحاً أو تلميحاً. وسوف تجد في هذا البحث العديد من الشواهد لذلك، أبرزها اتهام أبي ذر، وعمار بن ياسر، وعبد الرحمن بن عديس البلوي وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم من الصحابة (بالتهوّد) أي التأثر برجل يهودي مزعوم، واتهام الخارجين على عثمان جميعاً بأنهم (ملعونون) على لسان النبي صلى الله عليه وآله مع أن فيهم العديد من الصحابة ممن بايع تحت الشجرة، أو ممن شهد بدراً.

وبالمحصلة النهائية تجعلك هذه القراءة مرتبكاً في تقويم سيرة الصحابة، إذ لا تتفق عدالتهم جميعاً من جهة، مع لعن النبي صلى الله عليه وآله لبعضهم ـ كما تقول القراءة ذاتها ـ من جهة أخرى.

ومن أمثلة الانتقائية المذكورة، أن من سب أحد الصحابة فهو كافر أو زنديق أو مبتدع، على اختلاف في التقويم، وقد سَبَّ الكثيرُ من الصحابة والتابعين وسائر الخلق عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، ومنهم معاوية ودولة بني أمية، فلا بد أن يسري عليهم هذا الميزان أيضاً، إلا أن هذه القراءة تتملص من ميزانها عندما يصل إلى علي عليه السلام وأهل بيته.

وهكذا حكموا بالردة على الخارجين على أبي بكر، ونعتوا الخارجين على عثمان بشتى النعوت، بل لعنوهم وتبرأوا منهم، لكنهم توقفوا في الخارجين على علي عليه السلام وجعلوهم مجتهدين، لهم أجرٌ في اجتهادهم، مع قتلهم عشرات الآلاف من المسلمين، وخروجهم على الخليفة الشرعي.

ومن أمثلة ذلك أيضاً أن هذه القراءة ترفض التعامل مع بعض المؤرخين، كالواقدي، وأبي مخنف، والكلبي، وغيرهم، استناداً لإفادات أهل الجرح والتعديل، فهؤلاء في نظرهم متهمون بالكذب، ولا يمكن قبول روايتهم. لكنها في الوقت نفسه تتشبث بهوس شديد، بروايات الكذاب سيف بن عمر، مع أن أهل الجرح والتعديل نصوا على نعته بالكذب والوضع والزندقة، وأنه يروي الموضوعات عن الأثبات، بل إن عبارات الجرح في سيف بمجموعها أبلغ بكثير مما هي عليه في الآخرين. واحتجوا لقبوله أنه (إخباري) وليس (محدثاً) والإخباري لا يخضع لموازين الجرح والتعديل.

فكيف استُخدم ميزان الجرح والتعديل مع سائر المؤرخين، فلما وصل إلى سيف (الكذاب) صار في دائرة الاستثناء؟ والحال أن من يجرؤ على سيد الخلق صلى الله عليه وآله بالكذب لا يمكن أن يُطمأنَّ إليه بالمطلق، فكيف يعقل أن يكذب على النبي صلى الله عليه وآله ولا يكذب على علي عليه السلام وشيعته؟

وهناك العشرات من الأمثلة التي تعسر على الحد والعد، بل إنك تجد في منهاج السنة نصاً صريحاً لابن تيميّة على كذب بعض الروايات وعدم صحتها، وفي الوقت نفسه تسليمه بها وقبولها، وهو ما يأتي في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

لذا من الطبيعي أن تكتشف في نتائج هذه القراءة العديد من نقاط الوهن والضعف والتناقض وإخفاء الحقائق وإعادة (المَنتجة) للصورة، وهكذا.

أما القراءة الموضوعية، فهي وإن لم تكن مضمونة النتائج مئة في المئة، ولا عصمة لها في البحث، إلا أن نسبة الخطأ فيها لا تقاس بسابقتها، من جهة، كما أنها تتوخى الحقيقة دائماً، وتسعى للعثور عليها من جهة أخرى، فإن أخطأتها فلا لوم عليها، **فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه.**

ومن مميزاتها أيضاً مرونتها الدائمة في تغيير النتائج لصالح الحقيقة إذا ما اكتشفت جديداً أو أدركت خللاً، وترى في ذلك عاملاً من عوامل قوة النتيجة وثباتها ودوامها، على العكس من القراءة الموجَّهة التي ترى ذلك تهديداً للنتيجة. فالقراءة الموضوعية لا تخشى جديداً، ولا ترفض إعادة النظر في النتائج.

من هنا نرى أن أصحاب القراءة الموضوعية يختلفون فيما بينهم في التقويم، بل إن المفكر الواحد قد يغير بعض آرائه أثناء مسيرته العلمية، إذ لا إصرار لديه إلا على الثوابت، وما أفرزته الموازين الموضوعية من نتائج. أما صاحب القراءة الموجَّهة (التقليدية) فيجترُّ يومياً ما ورثه عن (السلف) قبل مئات السنين، ويرى أن ذلك هو السنة التي لا يحيد عنها، ويجب أن

يعض عليها بالنواجذ، وقد يخالف النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ ولا يخالف قول فلان وفلان.

الجديد القديم في المواجهة:

بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ هذا البحث التاريخي ذو البعد العقَدي، الذي يتناول موضوعاً مهماً، اتخذ منحىً جدلياً، لا سيما في العقود الأخيرة بعد ظهور الشيعة للعلن كطائفة قوية فاعلة في الساحة العالمية، لها حضورها المتميز فكرياً وسياسياً واجتماعياً وإعلامياً، وتأثُّر الكثيرين بها، وإعجابهم بإنجازاتها، مما أدى إلى إثارة الحفائظ لدى الاتجاهات المختلفة، عقَدية كانت أم سياسية، وتَرتَّبَ على ذلك إنشاءُ المؤسسات التخصصية، وإقامة الفعاليات في مواجهتها، والحد من خطورتها وانتشارها.

ومما يميز تلك المؤسسات والفعاليات أنها (دعائية) بالدرجة الأولى وليست (فكرية) محضة، ومعنى ذلك أن هدفها الأول هو التشويه وإثارة العواطف والتهييج، أكثر من البحث العلمي وتوخي الحقيقة، ولا شك أن وراءها الكثير من الأصابع السياسية والمخابراتية الوافدة إلى بلاد المسلمين من خارج حدودها.

فليس من باب المصادفة أن تشترك الدعاية الأجنبية وبعض التيارات الإسلامية في منهج واحد لمواجهة التشيع، ولا يمكن أن نتصور التقاء (السياسي) مع (الديني) في مواجهة التشيع على أنه توافق غير مقصود، أو حدث صدفة، صحيح أن الدوافع والنوايا متعددة، والأدوات المنفذة كذلك، وكل منها يسعى لهدف، سياسي، أو اقتصادي، أو عقدي، لكنها تلتقي جميعاً في نهاية المطاف عند نقطة (المواجهة) مع الشيعة.

إلا أن الملفت للنظر أن خصوم الشيعة (التقليديين) من التيارات المتشددة، قد يقعون ضحية غيرهم، ويُستخدمون مراكب وجسوراً له، ينفّذون أهدافه دون أن يشعروا بذلك، فهم في نظرهم يدافعون عن (السنة) وينصرونها، ويسعون لتحصين المجتمع السني من الخطر الشيعي، إلا أن الحصيلة النهائية أنهم يفتحون لخدمة الآخر السياسي والثقافي والفكري الأجنبي، صفحة مهمة يعجز هو عن فتحها، فيقدمون له خدمة مجانية من حيث لا يشعرون. ولك أن تتصور برنامجاً تلفزيونياً يتعرّض لعقائد الشيعة يُبث من دولة اليهود المغتصبة، وآخر يبث من شاشة محسوبة على (أهل السنة والجماعة)، وأي منهما يكون تأثيره أكبر.

من هنا نعتقد أن الكثير من مواقع الانترنت والفضائيات التي تتسمى باسم (السنة) أو (الوهابية) أو غيرهم، إنما هي مواقع وفضائيات لا صلة لها بالإسلام، إلا أنها لا يمكنها إلا أن ترفع شعار الإسلام، وتدير الأمور بأصابعها الخفية، وتخرج بالنتائج والثمار، فيما يحترق المسلمون في بيوتهم ومساجدهم وحسينياتهم.

لذا كان لزاماً علينا أن نتعامل مع هذا الواقع، لا لدفع الخطر الدعائي عن التشيع فحسب، إنما لحفظ الدين الإسلامي عموماً، وفضح الأساليب الموروثة أو المبتكرة في مواجهته، وبيان ما فيها من خطر على الأمة، والحد من الخطر الأجنبي المركَّب الذي يظهر بلباس الدين ومسوح الإسلام.

ومن المفردات المهمة التي عنيت بها مؤسسات الدعاية، الأساس العقدي والفكري والمنهجي الذي انطلق منه التشيع، وظهور الشيعة تاريخياً، وأصلهم ومنشؤهم وتطورهم، وما إلى ذلك مما يتعلق بنقطة البدء

والانطلاق، وهو ما دعانا لكتابة هذا البحث، أملاً في كشف الحقيقة ودفع الشبهة وتضييق شقة الخلاف، وتقريب وجهات النظر.

الهدف العام للبحث:

قد يبدو للوهلة الأولى أن مثل هذه الموضوعات عفا عليها الزمن، وأصبحت من تراث الماضي، وأن الخوض فيها يعد من الترف الفكري، أو أنه يؤدي إلى إثارة النعرات وإيقاظها، ويزيد من الفرقة والتشتت. وهذه الرؤية ليست بعيدة عن الصواب إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الدافع السلبي للخوض في مثل تلك الأمور، أما إذا كان غير ذلك فالأمر مختلف تماماً.

وبيان ذلك أن البحث التاريخي ـ العقدي، إما أن يراد به إبعاد الآخر وتهميشه وتكفيره وإخراجه من دائرة الدين، فهذا مرفوض بلا شك، وممقوت شرعاً. أما إذا أريد به كشف الحقيقة وتصحيح الخطأ وإزالة اللبس من ذهن المسلم، خصوصاً فيما يتعلق بتصوره للمسلم الآخر، وبالتالي تضييق شقة الخلاف بين المسلمين، والتخلص من الآثار السلبية للماضي، والتحرر من قيود النظريات والتصورات الخاطئة التي تناقلها المسلمون عبر العصور، فهذا مما حثت عليه الشريعة، وتلقاه العقلاء بالقبول والرضا.

فالموضوع الذي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ لا يتعلق بقضية تاريخية منقطعة عن واقعنا اليوم، إنما يعد من الأمور الفاعلة سلبياً في تاريخنا قديماً وحديثاً، وقد كلف الأمة الإسلامية ـ ولا زال ـ الكثير من الضرائب، في دمائها وأعراضها ومصيرها وموقعها بين الأمم.

فقد أسس ابن تيميّة وأتباعه من السلفية، ومنهم محمد بن عبد

الوهـاب، حـركتهم الفكريـة علـى أسـاس هـذه الفكـرة، حيـث جعلـوا المزعـوم (عبـد الله بـن سـبأ) أصـل الـشيعة ومبـدأهم، ثـم نـسبوا جميـع عقائدهم إلى هذا اليهودي المزعوم، وتشبثوا به تشبثاً عجيباً، لا سيما في العقود الأخيرة، بل إنهم اعتبروا القول بخلاف ذلك خروجاً عـن الـسنة، وطعناً بابن تيميّة، وتسفيهاً له، ونسبة الجهل إليه، وهو ما صرح بـه بعـض الباحثين المعاصرين منهم، كما سيأتي.

وبنـاء علـى ذلـك فإننـا أمـام أسـاس ومحـور كبيـر مـن محـاور الفكـر التكفيري، يتمثل في نسبة ابن تيميّة شيعة أهـل البيـت عليهم السلام ليهـودي يـدعى عبد الله بن سبأ. بل إن هذه النظرية تفسر مقطعاً تاريخياً مهماً من تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء، هو الثورة على عثمان، واستخلاف علي عليه السلام.

ولا يخفى على اللبيب ما يترتب علـى تكفيـر هـذه الطائفـة الكبيـرة مـن المسلمين وإخراجها من الدين، من الآثار السلبية التي نشهدها بأم أعيننا كل يوم في شتى بقاع العالم.

لذا فإن البحث في الأساس الذي اعتمـده ابـن تيميّـة فـي تكفيـر الـشيعة، ومناقشته، يقودنـا بالنتيجـة إلـى الحقيقـة التـي نتوخاهـا، أيـاً كانـت، فإمـا أن يكـون الرجـل صـادقاً فـي دعـواه، فيلـزم أن نعيـد النظـر فـي عقائـد الـشيعة وأصولهم الفكرية وتصحيحها طبقاً لما يراه، لأن من يهدي إلى الحق أحـقُّ أن يُتّبع، وإما أن يكون مخطئاً في ذلك ـ وهو ليس بمعصوم ـ فيلزم أن يعيـد أتباعه النظر فيمـا قالـه شـيخهم، وأن يعملـوا مـن جديـد علـى تقريـب شـقة الخلاف بين المسلمين، أو أن يؤدوا الأمانة ويصرحوا بالحقيقة على الأقل.

فليس الهدف من ذلك إثارة الفتنة، إنما هـو سـعي لإطفائهـا، والحـد مـن

مخاطرها، وليكن ذلك على حساب ابن تيميّة أو غيره.

كما أنه يحفظ للأمة الإسلامية كرامتها وعزتها وسمعتها، وقدسية رموزها، لا سيما النبي الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وأجلاء الصحابة.

تقسيم البحث:

قسمنا هذا البحث إلى ستة فصول، وخاتمة:

ففي الفصل الأول: استعرضنا آراء ابن تيميّة في تأسيس الشيعة ونسبتهم إلى المدعو (ابن سبأ)، وبيّنا ما فيها من إرباك واضح وصورة ضبابية ينقض بعضها بعضاً، ويتهاوى بعضها إثر بعض.

أما الفصل الثاني: فخصصناه لاستعراض دعوى (عبد الله بن سبأ، أو ابن السوداء) تاريخياً، والمنشأ الأول لهذه الفكرة، وواضعها الأول، وهو سيف بن عمر التميمي، المتوفى في النصف الثاني من القرن الثاني. وتناولنا ذلك باستعراض مفصل مع التعليق والتحليل الضروريين.

فقد قسمنا روايات سيف الواردة في الطبري والذهبي والبلاذري، إلى أربعة أقسام رئيسة، وعلقنا عليها تعليقات هامشية ضرورية، أشرنا فيها لتراجم الكثير من الشخصيات، وبيان الكثير من الملاحظات الضرورية، وهي كما يلي:

القسم الأول: يختص بدعوى ظهور المدعو (ابن سبأ) وهجرته وتنقله بين الأقطار.

القسم الثاني: يختص بدعوى اشتراكه في الثورة على عثمان، وتأليبه

الأمصار عليه، وحثهم على الخروج عليه.

القسم الثالث: يتناول دوره المزعوم في استخلاف علي عليه السلام ، وعمدة تلك الروايات ومحورها النيل من شخصية علي عليه السلام بالدرجة الأولى، ثم من شيعته لاحقاً، وهم آنذاك من كبار الصحابة والتابعين، كعمار بن ياسر، وابن التيِّهان، وعلباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، ومالك الأشتر وغيرهم.

القسم الرابع: يتعلق بدوره المزعوم في إشعال معركة الجمل، وهي كسابقتها في المضمون، وهو النيل من علي عليه السلام وشيعته.

وأما الفصل الثالث: فخصصناه لدراسة مرويات سيف من جهة الأسناد والمتون، وبيَّنا ما فيها من ضعف وتهافت وتناقض، يجعل من وجود تلك الشخصية (مستحيلاً) وغير ممكن من الناحية الواقعية.

أما الفصل الرابع: فقد حاولنا فيه استنطاق التاريخ بشكل عام، في غير مرويات سيف بن عمر، علّنا نعثر على حقيقة هذه الشخصية المزعومة المثيرة للجدل، فلم نجد سوى ادعاءات لا تغني ولا تسمن من جوع.

وأما الفصل الخامس: فخصصناه للآثار السلبية المترتبة على تبنّي هذه النظرية، من حيث الترويج لليهود وقابلياتهم الخارقة المزعومة، وتعظيم شأنهم، والحط من قيمة الأمة الإسلامية، لا سيما في الصدر الأول للإسلام، وتكذيب نبيها الأعظم محمد صلى الله عليه وآله والطعن في رموز الأمة وصحابة النبي صلى الله عليه وآله وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الفصل السادس: فخصصناه للسبئيّة في عيون بعض الباحثين

المعاصرين، الذين تناولوا شخصية ابن سبأ سلباً أو إيجاباً، واستعرضنا نماذج من الدراسات الموجهة والموضوعية التي تناولت هـذا الموضـوع بالبحـث، وبيّنا ما فيها من مواطن الخلل أو القوة، في دراسة نقدية تحليلية جديدة.

أما الخاتمة فبيّنا فيها أبرز ما خلص إليه البحث، وهو أن (ابن سبأ) أقـرب إلى (علم الجنس) منه إلى (علم الشخص)، وأنه لم يكن شخصاً بعينه، إنمـا هو اسم أطلقه المناوئون للشيعة على مجموعة كبيرة من شيعة علـي عليه السلام أو الخارجين عنه، من أمثال عمار بن ياسر، أو عبـد الله بـن وهـب الراسـبي، أو عبد الله بن عمرو بن حرب، أو غيرهم، ثم تطور الأمر مع الزمن، حتى صاغ منه المخالفون لعلي عليه السلام علماً شخصياً، فأصبحت الصورة رهاناً بين علمين، دون تمييز بين (العلم الشخصي) و (العلم الجنسي).

وهذه النتيجة التي توصلنا إليها من خلال البحث، تجيب عن الكثيـر مـن التساؤلات حول وجوده أو عدمه، لأن البحث في الوجود أو العـدم مرحلـة لاحقة لتحديد الهوية، فإذا ثبت أنه يصدق على متعـدد، فـلا معنـى للـسؤال عن وجوده وعدمه، أو أنه مختلق أو حقيقي، لأنه لـيس شخـصاً واحـداً مـن الأساس، إنما هو اسم أطلق على مجموعة كبيرة من المسميات.

وسوف تجد في هذا البحث تفصيلاً دقيقاً، ودراسة شـاملة، تمـيط اللثـام عن تلك الحقيقة، وتكشف الستار عما كتبتـه الكثيـر مـن الأقـلام دون وازع من ضمير، ولا رعاية لأمانة، ولا خوفاً من حساب.

والحمد لله أولاً وآخراً.

حسين المياحي / شعبان ١٤٣٤هـ / حزيران ٢٠١٣ م .

الفصل الأوّل

ابن تيميّة ودعوى السبئيّة

- ابن تيميّة وأصل الشيعة
- ابن تيميّة والسبئيّة
- ابن تيميّة والتشيع لعلي عليه السلام
- خلاصة رأي ابن تيميّة
- الوهابية والسبئيّة
- خاتمة الفصل الأول

لا يخفى على القارئ الكريم ما لابن تيميّة من موقع علمي كبير في عيون أتباعه، فهو أساسهم والمنظّر الأول لهم، بل يعدُّ المؤسس الأول لما يسمى بالسلفية قديماً وحديثاً، وإليه تعود العديد من التيارات الفكرية، وإن اختلفت فيما بينها في بعض الرؤى والمواقف.

ومن أبرز أتباعه في العصور المتأخرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، رائد الحركة الوهابية في الجزيرة العربية.

ولابن تيميّة العديد من المؤلفات والكتب في شتى المجالات، لا سيما العقائد والتفسير والفقه، وقد تميز كثيراً بالرد على الفرق الإسلامية وغير الإسلامية، بأسلوبه الحادّ وعباراته القاسية، وممن رد عليهم الجهمية والشيعة والقدرية والمعتزلة وأهل الكلام والفلاسفة وغيرهم.

وقد أسس نظريته العقدية حول الشيعة على محور أساسي، هو نسبتهم إلى رجل يهودي يدعى (عبد الله بن سبأ)، وجعل ذلك منطلقاً لتفسير عقائدهم، وأجهد نفسه كثيراً في إيجاد الشَّبَه بينهم وبين اليهود في الكثير من الجزئيات، حتى في المأكل والمشرب.

ابن تيميّة وأصل الشيعة:

قبل البدء في استخلاص نظرية ابن تيميّة في هذا الشأن، لا بد من ذكر نماذج من أقواله:

١ـ قال في مجموع الفتاوى:

ولهذا ذكر العلماء[1] أن الرفض أساس الزندقة، وأن أول من ابتدع الرفض إنما كان منافقاً زنديقاً، وهو عبد الله بن سبأ[2].

٢ـ وقال في موضع آخر:

وكل شيعة علي الذين صحبوه، لا يُعرف عن أحد منهم أنه قدّمه على أبي بكر وعمر، لا في فقه ولا علم ولا غيرهما، بل كل شيعته الذين قاتلوا معه عدوه، كانوا مع سائر المسلمين، يقدمون أبا بكر وعمر، إلا من كان علي ينكر عليه ويذمه، مع قلّتهم في عهد علي وخمولهم، كانوا ثلاث طوائف:

طائفة غلت فيه، كالتي ادعت فيه الإلهية، وهؤلاء حرقهم علي بالنار.

وطائفة كانت تسب أبا بكر، وكان رأسهم عبد الله بن سبأ، فلما بلغ علياً

---

(١) تتكرر هذه العبارة كثيراً في مؤلفات ابن تيمية، بصيغ مختلفة ومضمون واحد، هو النسبة لأهل العلم، ليوحي للقارئ مسبقاً أن المسألة متفق عليها، أو أنها ضمن حدود الإجماع أو المشهور، وقد استُدرك عليه كثيراً، وظهر في الكثير من كلامه أنه عندما يذكر (أهل العلم) فلا يعني إلا نفسه، أو بعض الكذابين، كسيف بن عمر وأمثاله.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤: ١٠٢، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مطبوع بأمر الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، مطبعة الحكومة في مكة المكرمة، ١٣٨٩هـ.

ذلك طلب قتله فهرب منه.

وطائفة كانت تفضله على أبي بكر وعمر، قال: لا يبلغني عن أحد منكم أنه فضلني على أبي بكر وعمر، إلا جلدته حد المفتري[١].

٣ ـ وقال في المصدر ذاته:

وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علي، بدعوى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له[٢].

٤ ـ وقال في النبوات: وروي أنه بلغه أن ابن السوداء يسب أبا بكر وعمر فطلب قتله فهرب منه فأما قتله على السب، أو لأنه كان متهماً بالزندقة. **(وقيل) إنه هو الذي ابتدع بدعة الرافضة وأنه كان قصده إفساد دين الإسلام**[٣].

٥ ـ وفي مجموع الفتاوى أيضاً:

وأول من ابتدع القول بالعصمة لعلي، وبالنص عليه في الخلافة، هو رأس هؤلاء المنافقين، عبد الله بن سبأ، الذي كان يهودياً فأظهر الإسلام، وأراد فساد دين الإسلام، كما أفسد بولص دين النصارى[٤].

٦ ـ وقال فيه:

وهاتان الطائفتان (الخوارج والشيعة) حدثوا بعد مقتل عثمان...

---

(١) مجموع الفتاوى ٤: ٤٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٤: ٤٣٥.

(٣) النبوات، ابن تيمية: ١٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥ م.

(٤) مجموع الفتاوى ٤: ٥١٨.

وحدث في أيامه[١] الشيعة، لكن كانوا مختفين بقولهم، لا يُظهرونه لعلي وشيعته[٢]! بل كانوا ثلاث طوائف: طائفة تقول إنه إله، وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار، وخدَّ لهم أخاديد عند باب مسجد بني كندة، وقيل إنه أنشد:

لما رأيتُ الأمر أمراً منكراً   أجَّجْتُ ناري ودعوت قنبراً[٣]

والثانية السابّة، وكان قد بلغه عن أبي السوداء[٤] أنه كان يسب أبا بكر وعمر، فطلبه. قيل: إنه طلبه ليقتله، فهرب منه.

والثالثة المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر[٥].

وقال أيضاً: وكانت (الشيعة الأولى) لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان النزاع في علي وعثمان[٦].

٧ ـ وقال في المصدر ذاته:

والسبئيّة: نسبة إلى عبدالله بن سبأ، رأس الرافضة[٧].

---

(١) يعني علياً عليه السلام.

(٢) لا أدري ماذا يعني بالشيعة وشيعة علي؟ وكيف يمكن أن نحرر المصطلح استناداً لكلامه هذا؟ وسوف ترى الكثير من الخلط والتهافت عنده، بحيث لا يدري ما يقول.

(٣) سوف يأتي أن هذا الشعر قاله أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، وليس في حرق أحد من الناس. بل إن حادثة الإحراق أُلصقت بأمير المؤمنين عليه السلام ظلماً كما سيأتي.

(٤) كذا في النسخة المطبوعة، وإن كان الأمر كذلك فهو أحد الكُنى الجديدة لابن سبأ.

(٥) مجموع الفتاوى١٣: ٣٢ ـ ٣٣.

(٦) مجموع الفتاوى١٣: ٣٤.

(٧) مجموع الفتاوى ١٧: ٤٤٩.

٨ ـ وقال كذلك:

فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لا وجود له. وأصل من وضع ذلك لهم زنادقة، مثل رئيسهم الأول عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض، ووضع لهم أنّ النبي نص على علي بالخلافة، وأنه ظُلم ومنع حقه، وقال: إنه كان معصوماً[(١)].

٩ـ وقال أيضاً:

ومن هنا أدخل أهل النفاق في الإسلام ما أدخلوه، فإن الذي ابتدع دين الرافضة كان زنديقاً يهودياً، أظهر الإسلام وأبطن الكفر، ليحتال في إفساد دين المسلمين، كما احتال بولص في إفساد دين النصارى، سعى في الفتنة بين المسلمين حتى قتل عثمان... ثم إنه لما تفرقت الأمة ابتدع ما ادعاه في الإمامة من النص والعصمة، وأظهر التكلم في أبي بكر وعمر[(٢)].

١٠ـ وقال أيضاً:

وثبت عنه (علي عليه السلام) أنه حرق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية... وعنه أنه طلب عبد الله بن سبأ، لما بلغه أنه سب أبا بكر وعمر، ليقتله فهرب منه[(٣)].

وقال عن المفضلة: فهذه سنة أمير المؤمنين علي وغيره، قد أمر بعقوبة الشيعة، الأصناف الثلاثة، وأخفهم المفضلة، فأمر هو وعمر بجلدهم.

---

(١) مجموع الفتاوى٢٢: ٣٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى٢٧: ١٦١.

(٣) مجموع الفتاوى٢٨: ٤٧٤.

والغالية يُقتلون باتفاق المسلمين(١).

١١ـ وقال في المصدر ذاته:

وقد ذكر أهل العلم(٢)، أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام، كما فعل بولص النصراني، الذي كان يهودياً، في إفساد دين النصارى(٣).

وبعد أن قرَّر أن خروج الرافضة ومروقهم عن الدين أعظم وأكبر من خروج الخوارج، أفتى بقتلهم، فقال:

فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج، كالحرورية والرافضة ونحوهم، فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام أحمد، **والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم**(٤).

١٢ـ وذُكر أيضاً أن علي بن أبي طالب طلب أن يقتل عبد الله بن سبأ، أول الرافضة حتى هرب منه(٥). وجعل ذلك دليلاً على جواز قتل الرافضة.

١٣ـ وقال أيضاً:

فأوّل من ابتدع الرّفض كان منافقًا زنديقًا، يقال له: عبد اللّه بن سبأ، فأراد

---

(١) مجموع الفتاوى٢٨: ٤٧٤.

(٢) هذا هو ديدنه في النسبة إلى المجاهيل، ممن لا عين لهم ولا أثر.

(٣) مجموع الفتاوى٢٨: ٤٨٣.

(٤) مجموع الفتاوى٢٨: ٤٩٩.

(٥) مجموع الفتاوى٢٨: ٥٠٠.

بذلك إفساد دين المسلمين، كما فعل بولص صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى، حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بها دينهم، وكان يهودياً فأظهر النّصرانيّة نفاقًا، فقصد إفسادها. وكذلك كان ابن سبأ يهودياً فقصد ذلك، وسعى في الفتنة لقصد إفساد الملّة، فلم يتمكّن من ذلك[١].

١٤ـ وقال في مجموع الفتاوى أيضاً: ولما أحدثت البدع الشيعية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ردها، وكانت ثلاثة طوائف: غالية وسبابة ومفضلة، فأما الغالية فإنه حرقهم بالنار... وأما السبابة فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله فهرب منه إلى قرقيسيا، وكلّمه فيه[٢]، وكان عليٌّ يداري أمراءه، لأنه لم يكن متمكناً، ولم يكونوا يطيعونه في كل ما يأمرهم به[٣].

١٥ـ قال في منهاج السنة:

وأما السبابة الذين يسبون أبا بكر وعمر، فإن علياً لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه، وقيل إنه أراد قتله فهرب منه إلى أرض قرقيسيا[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥: ١٨٤.

(٢) في بعض النصوص أن الذي كلمه هو ابن عباس، وفي العبارة حذف واضح، لتجنب الإحراج، لأن ابن عباس كان من خيار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) مجموع الفتاوى٣٥: ١٨٤.

(٤) منهاج السنة١: ٣٠٧. تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

وقرقيسيا: بلدة على الفرات والخابور، بالقرب من الرقة، ولم أجد أحداً ذكر نفيه إليها إلا ابن تيمية.

١٦ـ وصرح في منهاجه أن الذي ابتدع مذهب (الرافضة) كان زنديقاً ملحداً عدواً لدين الإسلام وأهله، ولم يكن من أهل البدع المتأولين كالخوارج والقدرية[١].

١٧ـ وقال في منهاجه أيضاً:

والعلماء[٢] دائماً يذكرون أن الذي ابتدع الرفض كان زنديقاً ملحداً مقصوده إفساد دين الإسلام ... وهذا معروف عن ابن سبأ وأتباعه، وهو الذي ابتدع النص في علي وابتدع أنه معصوم[٣].

١٨ ـ وقال في منهاجه، في معرض الرد على العلامة الحلي:

الوجه الثامن أن يقال: قد علم (أهل العلم) أن أول ما ظهرت الشيعة الإمامية المدعية للنص في أواخر أيام الخلفاء الراشدين، وافترى ذلك عبدالله بن سبأ وطائفته الكذابون، فلم يكونوا موجودين قبل ذلك[٤].

١٩ ـ وقال في منهاجه أيضاً:

وكان عبد الله بن سبأ ـ شيخ الرافضة ـ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولص بدين النصارى، فأظهر النسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله،

---

(١) منهاج السنة ٤: ٣٦٣.

(٢) لاحظ هذه العبارة التي تتكرر كثيراً في كلامه، وهي من باب الإحالة على المجهول.

(٣) منهاج السنة ٧: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٤) منهاج السنة ٨: ٢٥١.

ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي، والنص عليه، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علياً فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا، وخبره معروف وقد ذكره (غير واحد من العلماء)(١).

هذه أبرز النماذج التي اخترناها من مؤلفاته الشهيرة المتداولة، وهناك الكثير من أمثالها، مما لا يتعدى في لفظه ودلالته ما ذُكر.

ومن هذه النماذج يتضح أن ابن تيميّة كوّنَ صورة مشوّشة عن تاريخ الشيعة في مخيلته، وأثبتها في تراثه، وأسس عليها لاحقاً الكثير من اللوازم في عقائد الشيعة.

لكن المحور الأساس، والمنطلق الذي تحرك على أساسه في تصويرهم وتقديمهم للقارئ، هو ما ادعاه من وجود رجل يهودي يدعى عبد الله بن سبأ، أو ابن السوداء.

ولكي تتضح الصورة أكثر في فكر ابن تيميّة، نأخذ بعض النماذج من عقائد الشيعة التي نسبها إليهم، مدعياً أن أصلها من اليهود.

على أنه كثيراً ما يخلط في استخدام الاصطلاحات والتعريفات، فتارة يعبر عن الشيعة بالرافضة، وتارة يعدُّ الرافضة طائفة من الشيعة، وأخرى يعبر عمن أسماهم (المفضلة) بأنهم رافضة، وهكذا، وتارة يجعل الشيعة غير شيعة علي، وتارة عينهم، وسوف ترى الكثير من التخبط والارتباك في هذا الشأن.

---

(١) منهاج السنة٨: ٤٧٩.

ابن تيمية وعقائد الشيعة:

يرى ابن تيميّة أن معتقدات الشيعة تعود في أصلها لليهود، بناءً على أن مؤسس هذه الطائفة من اليهود أولاً، ولوجود شبيه لها في عقائد اليهود ثانياً. وقد ذكر في الشواهد الماضية جملة منها نسبها إليهم، وبعضها يُعدّ الأصل والأساس في عقائدهم، ومن ذلك:

١ ـ القول بإمامة علي عليه السلام وأنه منصوص عليه.

٢ ـ القول بعصمته.

٣ ـ إظهار الغلو وادعاء الإلهية والنبوة له.

ثم أوغل في ذلك حتى جعل مشابهتهم لليهود تصل إلى أدق التفاصيل والجزئيات، حيث روى في منهاج السنة، عن عبد الرحمن بن مالك بن مِغْوَل[1] عن أبيه، عن الشعبي أنه قال:

أحذركم هذه الأهواء المضلة، وشرها الرافضة، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم، قد حرَّقهم علي رضي الله عنه بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ، يهوديّ من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر.

---

(١) وهو كذاب وضَّاع. روي عن مطين أنه قال: كان عبد الرحمن بن مالك بن مِغْوَل يكذب، وابنه أبو بهز السفر أكذب منه. قال أحمد والدارقطني: متروك، وقال أبو داود: كذّاب. وقال مرة: يضع الحديث. وقال النسائي وغيره: ليس بثقة. وقال ابن معين: قد رأيته وليس بثقة. وقال الإمام أحمد: مزقنا حديثه... إلخ. فهو من أقطاب الكذابين.

وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود:

قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله، حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء.

واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم ...

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة.

واليهود حرَّفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرَّفوا القرآن.

واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين، إنما يقولون: السّام عليكم، والسام الموت، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يأكلون الجرّي والمَرماهي والذناب[١] وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

---

(١) معناها غير واضح، واحتمل محقق الكتاب أنها: الذباب! أو الضِّباب (جمع ضَبّ) أو الزّمار.

واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة ...

واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مراراً شبه الركوع، وكذلك الرافضة.

واليهود تبغض جبريل، ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد صلى الله عليه و سلم[1].

وهكذا استرسل في موارد أخرى أشبهوا فيها النصارى، ثم فضل اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين.

كما روى من طرق أخرى عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول الكذاب، روايات مشابهة، فيها الكثير من أوجه الشبه بين (الرافضة) واليهود كما ادعى.

ومع أن الرواية الأولى تشهد على نفسها بالوضع، من جهة عبد الرحمن بن مالك بن مِغْوَل الكذاب الوضاع بشهادة علماء الرجال، ومن جهة لفظ (الرافضة) الذي يرى ابن تيميّة نفسه أنه ظهر أيام زيد بن علي (سنة ١٢٢هـ) وكانت وفاة الشعبي سنة ١٠٤هـ أي أن اصطلاح الرافضة لم يكن معروفاً أيام الشعبي، إلا أنه اعتمدها دليلاً على ما أورده، وعلق عليها قائلاً:

فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدّق بعضها بعضاً! وبعضها يزيد على بعض، لكن عبد الرحمن بن مالك بن

---

(١) منهاج السنة ١: ٢٣ ـ ٢٧.

مغول ضعيف(١) وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى(٢).

ثم وقف ابن تيميّة حائراً أمام انعدام الأدلة فقال: لكن لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام(٣).

ثم خرج من دائرة البحث هذه ليقول:

ومع أن الظاهر أن هذا الكلام إنما هو (نظم) عبد الرحمن بن مالك بن مغول و(تأليفه)! وقد سمع طرفاً منه عن الشعبي، وسواء كان هو (ألّفه)، أو (نظمه) لما رآه من أمور الشيعة في زمانه، ولما سمعه عنهم، أو لما سمع من أقوال أهل العلم فيهم، أو بعضه، أو مجموع الأمرين، أو بعضه لهذا، وبعضه لهذا، **فهذا الكلام (معروف بالدليل) لا يحتاج إلى نقل وإسناد**(٤).

وهكذا يضع ابن تيميّة نفسه وشهادته فوق مستوى الدليل، فيكاد يصرح أن هذه المرويات عن ابن مغول لا تصلح في مقام الاستدلال، لأنها (تأليف ونظم) من الراوي المذكور، وأن لفظ الرافضة ظهر بعد الشعبي بسنوات عديدة، إلا أنه مع ذلك يلتمس الأعذار لقبول الراوي الكذاب، ويسمي الوضع والكذب تأليفاً ونظماً، كل ذلك ليمرر ما يعتقده ويراه في الشيعة.

أقول: هذا كلام ابن تيميّة، ولنا أن نضعه في ميزان عبد الله بن المبارك الذي نُقل عنه، حيث قال: الإسناد عندي من الدِّين، ولولا الإسناد لقال

---

(١) بل كذاب وضاع متروك الحديث،كما رأيت من أقوال علماء الرجال.

(٢) ليته ذكر تلك الطرق المزعومة، بدل استشهاده بروايات الكذاب ابن مغول.

(٣) منهاج السنة١: ٣٤.

(٤) منهاج السنة١: ٣٦.

من شاء ما شاء[1].

ثم ذكر روايات أخرى بيّن فيها مشابهتهم اليهود حتى في الحركات والسكنات واللباس، وتحريم الأرنب والطحال واستحباب (السعفة الرطبة) مع الميت! وغير ذلك.

وخلاصة الأمر أن ابن تيميّة ارتكز في نقد عقائد الشيعة وأصولهم على نقطة مركزية واحدة هي (عبد الله بن سبأ اليهودي المزعوم).

ومن هنا يتبين لنا أهمية البحث في هذا الموضوع الشائك، إذ لو ثبت فعلاً أن هذا الرجل المزعوم كان (مؤسساً) لمذهب الشيعة، فلا بد من إعادة النظر في عقائد الشيعة كلها، وإعادتها إلى الإسلام. ولو ثبت خلاف ذلك وجب عودة الوهابيين وأتباع ابن تيميّة إلى رشدهم، والاعتراف بالخطأ الفادح الذي ارتكبه شيخهم بحق المسلمين جميعاً، وإعادة النظر في اتباعهم الكذابين.

وقبل أن ندخل في تفاصيل البحث، لا بد أن نقف قليلاً مع ابن تيميّة فيما أورده هو نفسه عن (عبد الله بن سبأ) ليتبين لنا منطلقاته الأولى التي اعتمدها في تبني هذه الشخصية.

ابن تيميّة والسبئيّة:

بالعودة للشواهد السابقة لا بد لنا من إبداء الملاحظات التالية على ما أورده ابن تيميّة فيها:

أ ـ كل ما استند إليه ابن تيمة في وجود ابن سبأ ودوره إنما هو (دعوى

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي٦: ١٦٤.

بلا دليل)، فلم يقدّم تحقيقاً علمياً ناضجاً عن وجود هذه الشخصية ودورها، بل لم يأت ولا بدليل واحد يمكن الركون إليه، سوى أنه يرسل ذلك إرسال المسلّمات، أو يصدّره بقوله: قيل: أول من أظهر ذلك...، أو: ورووا أنه أظهر أيضاً سب أبي بكر وعمر... أو: وقد ذكر أهل العلم... أو: والعلماء دائماً يذكرون... أو: قد علم أهل العلم... أو: وخبره معروف وقد ذكره غير واحد من العلماء.

فلم يذكر عالماً، ولا راوياً معتمداً، ولا أحداً من أهل العلم الذين نسب إليهم ذلك. فإن كانت الدعاوى تُقبل بلا دليل، فلا فرق إذن بين العالم والجاهل، لأن كلاً منهما يمكنه أن يدّعي ما يدعي. ولا فضل بعدُ للعلم ولا أثر.

اللهم إلا ما نقله عن الشعبي، وطريقه إليه عبد الرحمن بن مالك بن مغول، وما نقله في غير موضع عن الأشعري صاحب المقالات مرسلاً بلا سند.

ومن أغرب ما أورده ابن تيميّة في روايته عن الكذاب عبد الرحمن بن مالك بن مغول قوله: **فهذا الكلام معروف بالدليل، لا يحتاج إلى نقل وإسناد**. وبعبارة أخرى أن ادَّعاءه الأصل اليهودي للشيعة لا يحتاج إلى نقل وإسناد، لأن (الدليل) قائم عليه، فما هو الدليل في مثل هذا المقام يا ترى؟

فالمعروف أن إثبات الحدث التاريخي لا طريق له سوى النقل، ولا دليل لإثباته أو نفيه غير هذا، فلا يمكن البتٌّ في حادثة تاريخية باستخدام العقل أو الرياضيات مثلاً، فالبحث التاريخي يعتمد الوثيقة أولاً، إلا أن ابن تيميّة استغنى عن النقل والإسناد في هذا المقام، واعتبر دعواه المجردة من الدليل،

دليلاً على إثباتها. وهذا من أغرب الطرق في البحث العلمي، لا سيما في مجال الحديث والتاريخ.

وبناءً على ذلك فإن دعوى ابن تيميّة لا يمكن من الأساس قبولها والبناء عليها، لافتقارها للدليل، ولأنه صرح بنفسه أنها لا تحتاج إلى النقل والإسناد، في حين أنها لا تثبت إلا بالنقل والإسناد.

والحقيقة أن ابن تيميّة لم يجد نقلاً صحيحاً، ولا إسناداً معتبراً، ولم يعثر إلا على أكاذيب سيف، وعبد الرحمن بن مالك بن مغول وأشباههما من النواصب. وإلا فلا يمكن لأي باحث يحترم قلمه، وعقول الناس، ويخشى الله تعالى، أن يدّعي دعوى، ثم يقول: إنها لا تحتاج إلى نقل وإسناد.

ب ــ تناقضاته الفاحشة: بمراجعة سريعة لما أورده عن هذه الشخصية، تجد أن الصورة التي عرضها متناقضة ومتداخلة بشكل كبير، وليست واضحة له نفسه قبل غيره، وإليك أبرز ما وقع فيه من تناقض:

١ــ قسَّم ابن تيميّة القلة القليلة من الشيعة إلى ثلاث طوائف: الغالية، والسبابة، والمفضلة. وجعل ابن سبأ زعيم الفرقة الثانية (السبابة)، وقد استدعاه علي عليه السلام ليقتله لمّا بلغه أنه (يسب أبا بكر وعمر). وادعى في الوقت نفسه أنه المؤسس الأول للشيعة كلهم، لا الفرقة الثانية من الأقلية فحسب. فكيف يصح أن يكون مؤسس الطوائف الثلاث، وللشيعة كلها، ثم يُصنَّف على واحدة من الأقلية؟ فلو كان مؤسساً للأصل، لقلنا: لا مانع أن يُدَّعى أنه مغال، فيعاقَب على غلوه، وقد صرح ابن تيميّة بكونه مغالياً أيضاً. كما أنه لا مانعٌ أن يكون مفضّلاً لعلي على الشيخين، كيف وقد جهر بسبهما؟

وبعبارة مختصرة أن ابن تيميّة لم يوفَّق في إيجاد المكان المناسب لابن

سبأ، فتارة يرى أنه الأصل والمؤسس، وأخرى يرى أنه فرع من الأقلية، أي من فرع الفرع. فإن كان أصلاً فلا يصح نسبته إلى إحدى الفرق الثلاث، لأنه أصل في الجميع، وإن كان فرعاً فلا يصح اعتباره مؤسساً وأصلاً.

٢ ـ صرح ابن تيميّة أن علياً عليه السلام طلب ابن سبأ ليقتله؛ لأنه (يسبُّ أبا بكر وعمر)، فيما أحرق الغالين بالنار، وهذا يعني أنه لم يكن من الغالين، بل من السَّبَّابة، كما قرر هو نفسه في التصنيف الثلاثي السابق، ولو كان منهم لكانت تهمته (الغلو) وليس (السب)، ولما صحّ لعلي أن يتركه وقد أحرق أمثاله، اللهم إلا أن يُتَّهم علي عليه السلام أنه يداري أمراءه، من أمثال ابن عباس، وأن هؤلاء منعوه من قتله، وهو ما صرح بن تيمية، تأثراً بسيف بن عمر.

هذا يؤكد أن ابن سبأ ـ إن كان له وجود حقيقي على زعم ابن تيميّة ـ كان معروفاً بالسب، ولم يكن غالياً، كما لم يكن مؤسساً للتشيع.

٣ ـ بالرجوع إلى الفرق الثلاث نجد أن علياً عليه السلام اتخذ موقفاً متشدداً من الأولى والثانية حسب الزعم، فقد أحرق الأولى، وطلب ابن سبأ (وهو من السبابة) ليقتله فهرب، أما الفرقة الثالثة ـ وهم المفضلة ـ فلم يتخذ بحقهم أي إجراء، سوى أنه هدد بضربهم حد المفتري، أما في التطبيق فلم يذكر ابن تيميّة أنه جلد أحداً بهذه التهمة.

فهل تهاون معهم، وسكت عنهم، وهو الأُخيشن في ذات الله، الشديد في حدوده؟ أو أنهم امتنعوا بالكامل بعد التهديد؟ أو أنه أقرهم على فعلهم، فكان المؤسس الأول للتشيع وليس ابن سبأ؟

٤ ـ طبقاً لما أورده ابن تيميّة يبدو أن علياً عليه السلام تجاوز عن جميع سيئات ابن سبأ وجرائمه الكبرى المزعومة، من إثارة الفتنة، وقتل عثمان، والقول

بالوصية والرجعة والعصمة، بل القول بنبوته وإلهيته، وأنه كان زنديقاً ملحداً أراد إفساد الإسلام كما فعل بولص النصراني، كل ذلك لم يحرّك في علي ساكناً، ولم يعطه المبرر الكافي لاستدعائه وقتله، إلا أنه وجد المبرر في سبّ أبي بكر وعمر فقط، مما يعني أن هذا اليهودي كان يعمل ما يشاء، وما يحلو له، من كُفر وتأليه وعقائد فاسدة وهدم للإسلام، دون وازع أو رادع، ولو أنه سكت عن سب الشيخين لما كانت أفعاله تلك تستحق العقوبة في نظر علي.

وإن كان علي عليه السلام أحرق الغلاة لكفرهم، فعبد الله ابن سبأ أولى بذلك، لكفره من جهة، وحركته الإفسادية في المجتمع الإسلامي من جهة أخرى، فكيف يسكت عنه أمير المؤمنين عليه السلام حتى إذا سمع أنه يسب الشيخين انتفض ليقيم عليه الحد، وهو القتل؟!.

بعبارة أخرى: أن ابن تيميّة يرى أن الكفر والارتداد عن الدين وإثارة الفتنة وقتل عثمان وتفريق الصحابة وهدم الدين وإفساده، كل ذلك لا يستحق العقوبة، أما (سب الشيخين) فهو الخطيئة الكبرى التي لا يمكن السكوت عنها!.

٥ ـ تناقض ابن تيميّة في مصير ابن سبأ، فأخبر أنه هرب إلى المدائن، قال: وطائفة سبت أبا بكر، رأسهم عبد الله بن سبأ، فطلب علي قتله حتى هرب منه إلى المدائن[١]. وذكر في موضع آخر عن الشعبي أن علياً نفاه إلى ساباط[٢]. أي

---

(١) منهاج السنة٧: ٥١١.

(٢) منهاج السنة١: ٢٣.

أنه لم يقم عليه الحد، ولم يهرب، إنما نفاه نفياً. وذكر ثالثاً أنه هرب إلى قرقيسيا، وبينهما مسافة.

٦ ـ ذكر ابن تيميّة أن ابن سبأ هو مؤسس الشيعة، ثم ذكر في مواضع كثيرة أن (شيعة علي) كانوا يقدمون أبا بكر وعمر، إلا هذه الطوائف الثلاث، وهي قليلة.

قال فيما سبق: بل كل شيعته الذين قاتلوا معه عدوه كانوا مع سائر المسلمين، يقدمون أبا بكر وعمر، إلا من كان علي ينكر عليه ويذمه، مع قلّتهم في عهد علي، وخمولهم كانوا ثلاث طوائف.

وقال أيضاً: وحدث في أيامه الشيعة، لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي وشيعته! بل كانوا ثلاث طوائف.

فالشيعة بزعمه حدثت في أيام علي، وكانوا لا يظهرون كلامهم لعلي وشيعته! فكم شيعةً في هذه الأُحجية واللغز الغريب؟ وأي من الطائفتين أسسها ابن سبأ؟ أهم شيعة علي، أم شيعة أخرى؟

يصرح ابن تيميّة أن هناك طائفتين، كلاهما شيعة، فالأولى شيعة علي، وهم الأكثرية الساحقة، وشيعة أخرى تنقسم إلى ثلاث طوائف، غالية، وسابة، ومفضلة.

ثم إنه ذكر في موضع آخر أن علياً كان **يداري أمراءه، لأنه لم يكن متمكناً، ولم يكونوا يطيعونه في كل ما يأمرهم به.**

فهل كانوا أكثرية أم أقلية في جيش علي؟

وهنا يأتي السؤال الأهم: إلى أيٍّ من هاتين الفرقتين ينسب ابن تيميّة عقائد اليهود؟ وما الفرق بين (شيعة علي) وشيعة ابن سبأ المزعومين؟ وإن

كان شيعة علي يرون فيه ما يراه سائر المسلمين، ويفضلون عليه أبا بكر وعمر، فلماذا يُنعتون بالشيعة؟ ولماذا يحمِّلهم ابن تيميّة أوزار الأولين والآخرين كم سيأتي؟

من هنا نرى أن ابن تيميّة جعل الأكثرية الساحقة من الشيعة أتباع علي عليه السلام فيما كانت الأقلية المتشعبة إلى ثلاث طوائف، شيعة من نوع آخر.

كما يمكن إلحاق المفضلة بشيعة علي باعتبار أنه عليه السلام لم يتخذ منهم إجراءً حازماً، وترك لهم الخيار فيما يرون، سوى ما نسب إليه من تهديد.

وهكذا يتناقض ابن تيميّة مرة أخرى، ويتخبط في تحديد مصداق الشيعة، فتارة يكون المؤسس ابن سبأ، وتارة يكون وأتباعه طائفة من ثلاث طوائف تسمى السبابة، لأنهم يسبون الشيخين، وتارة تكون الفرق الثلاث أقلية في مقابل شيعة علي وهم الأكثر، وتارة يكونون أكثرية، وهكذا.

ابن تيميّة والتشيع لعلي:

مع أن شيخ الإسلام جعل أساس التشيع عبد الله بن سبأ، إلا أننا نجد في ثنايا كلامه ما لا يحصى من العبارات التي تصرح بنسبة التشيع لعلي عليه السلام بشكل صريح، وأنه كان رأس الشيعة وزعيمها، ومنها قوله السابق: بل كلّ شيعته الذين قاتلوا معه عدوه كانوا مع سائر المسلمين، يقدمون أبا بكر وعمر، إلا من كان علي ينكر عليه ويذمه.

وقوله أيضاً: وحدث في أيامه الشيعة، لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي (وشيعته)! بل كانوا ثلاث طوائف.

والمتتبع لكتابات ابن تيميّة يجد أنه كثيراً ما يصرح بهذا المعنى. لكنه مع ذلك يهاجم شيعة علي الذين لا يختلفون عن سائر المسلمين، حتى في

تقديم الشيخين وتفضيلهما عليه كما زعم. وإليك نماذج من ذلك:

١ـ قال في كتاب النبوات:

وتواتر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وهذا متفق عليه بين قدماء الشيعة، **وكلهم كانوا يفضلون أبا بكر وعمر، وإنما كان النزاع في علي وعثمان حين صار لهذا شيعة ولهذا شيعة**[١].

٢ ـ وقال في المصدر ذاته:

وكان كل من الشيعتين[٢] يذم الآخر بما برأه الله منه، فكان بعض شيعة عثمان يتكلمون في علي بالباطل، وبعض شيعة علي يتكلمون في عثمان بالباطل، **والشيعتان مع سائر الأمة متفقة على تقديم أبي بكر وعمر**[٣].

٣ ـ وقال في دقائق التفسير:

ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد يسمى من الشيعة، ولا تضاف الشيعة إلى أحد، لا عثمان ولا علي، ولا غيرهما. فلما قتل عثمان تفرق المسلمون، فمال قوم إلى عثمان، ومال قوم إلى علي، واقتتلت الطائفتان، وقتل حينئذ شيعة عثمان شيعة علي[٤].

---

(١) النبوات، ابن تيمية: ١٩٦.

(٢) شيعة علي وشيعة عثمان.

(٣) النبوات، ابن تيمية: ١٩٧.

(٤) دقائق التفسير٣، ابن تيمية: ٦٣. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، جمع وتقديم وتحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٤ ــ وقال في مجموع الفتاوى:

ولم يكن نزاع شيعة علي الذين صحبوه في تقديم أبي بكر وعمر، وثبت عن علي من وجوه كثيرة أنه قال: لا أوتى برجل يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري، وإنما كانوا يتنازعون في عثمان وعلي رضي الله عنهما[١].

٥ ــ وقال في منهاج السنة:

حتى أن (الشيعة الأولى) أصحاب علي، لم يكونوا يرتابون في تقديم أبي بكر وعمر عليه[٢].

٦ ــ وفي منهاج السنة أيضاً:

وأما الشيعة فهم دائماً مغلوبون مقهورون منهزمون، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها ظاهر... وقد ذاق منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الكاسات المرّة ما لا يعلمه إلا الله ... وقد كانوا يغشّونه، ويكاتبون من يحاربه، ويخونونه في الولايات والأموال، **هذا ولم يكونوا بعد صاروا رافضة، إنما سموا شيعة علي لما افترق الناس فرقتين فرقة شايعت أولياء عثمان وفرقة شايعت علياً رضي الله عنهما.**

فأولئك خيار الشيعة، وهم من شر الناس معاملة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وابنيه سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى٤: ٤٧٩.

(٢) منهاج السنة٢: ٧٢.

(٣) منهاج السنة٢: ٩٠ ـ ٩١.

٧ ــ وفيه كذلك:

وأما في حال ولاية علي، فقد كان رضي الله عنه من أكثر الناس لوماً لمن معه على قلة جهادهم ونكولهم عن القتال، فأين هؤلاء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم من هؤلاء الشيعة؟[١].

وقال أيضاً: ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد يسمى من الشيعة ولا تضاف الشيعة إلى أحد، لا عثمان ولا علي، ولا غيرهما، فلما قتل عثمان تفرق المسلمون، فمال قوم إلى عثمان ومال قوم إلى علي، واقتتلت الطائفتان وقتل حينئذ شيعة عثمان شيعة علي[٢].

٨ ــ وفيه كذلك:

وأيضاً فقد انتظمت السياسة لمعاوية ما لم تنتظم لعلي، فيلزم أن تكون رعية معاوية خيراً من رعية علي، ورعية معاوية شيعة عثمان، وفيهم النواصب المبغضون لعلي، فتكون شيعة عثمان والنواصب أفضل من شيعة علي، فيلزم على كل تقدير: إما أن يكون الثلاثة أفضل من علي، وإما أن تكون شيعة عثمان والنواصب أفضل من شيعة علي والروافض[٣].

٩ ــ وفي المنهاج أيضاً: وكان السلف متفقين على تقديمهما[٤] حتى شيعة علي رضي الله عنه[٥].

---

(١) منهاج السنة٢: ٩٤.

(٢) منهاج السنة٢: ٩٥.

(٣) منهاج السنة٥: ٤٦٦.

(٤) يعني أبا بكر وعمر.

(٥) منهاج السنة٦: ١٣٥.

١٠ ــ وفيه أيضاً:

وكل شيعة علي الذين صحبوه لا يعرف عن أحد منهم أنه قدّمه على أبي بكر و عمر، لا في فقه و لا علم و لا دين، **بل كل شيعته الذين قاتلوا معه كانوا مع سائر المسلمين متفقين على تقديم أبي بكر وعمر** إلا من كان ينكر عليه ويذمه، مع قلّتهم وحقارتهم وخمولهم. وهم ثلاث طوائف: طائفة غلت فيه وادعت فيه الإلهية، وهؤلاء حرّقهم بالنار، وطائفة سبت أبا بكر، رأسهم عبد الله بن سبأ، فطلب علي قتله حتى هرب منه إلى المدائن، وطائفة كانت تفضله، حتى قال: لا يبلغني عن أحدٍ أنه فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدّ المفتري(١).

خلاصة رأي ابن تيميّة:

يتضح من النصوص السابقة أن ابن تيميّة عرض صورة أخرى للشيعة تختلف تماماً عما تبناه فيما مضى من كونهم أتباع ابن سبأ، وملخص هذه الصورة ما يلي:

١ــ أن الشيعة فرقة مالت إلى علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان، ولم تكن معروفة قبل ذلك.

٢ــ أن قدماء الشيعة (الشيعة الأولى) كانوا يفضلون أبا بكر وعمر على علي، ولم يكونوا يرتابون في تقديمهما عليه، ولا يعرف عن أحد منهم أنه قدمه على أبي بكر وعمر. فلم يقولوا بالوصية ولا بالعصمة، لأنها تتناقض مع

---

(١) منهاج السنة٧: ٥١٠ ـ ٥١١.

تفضيل الشيخين عليه، كما هو واضح.

٣ ـ كانوا خيار الشيعة، ومع ذلك فهم من شر الناس معاملة لعلي وأبنائه.

٤ ـ كانوا هم الأغلبية الساحقة، فيما كانت الطوائف الثلاث (الغالية والسبابة والمفضلة) قليلة خاملة.

٥ ـ أن ابن تيميّة لا يفرق في تحامله على الشيعة بين من أسماهم (الرافضة) وبين (الشيعة الأولى، الذين صحبوا علياً).

هذه هي الصورة الجديدة التي عرضها (للشيعة الأولى) أو (قدماء الشيعة) كما أسماهم، وهي صورة مختلفة تماماً عما مضى من ادعائه أن ابن سبأ كان مؤسساً لها.

وبالمقارنة بين الصورتين نلاحظ الآتي:

١ ـ كان ابن سبأ مؤسساً في الصورة الأولى، أما في الثانية فلم يكن كذلك، إنما مال بعض الناس لعلي فصاروا له شيعة، ومال آخرون لعثمان، فكانوا شيعة له كذلك، فعلي عليه السلام هو الرأس في هذه الصورة وليس ابن سبأ، طبقاً لكلام ابن تيميّة .

٢ ـ كان ابن سبأ في الصورة الأولى يسب أبا بكر وعمر، أما الشيعة الأوائل ـ وهم الأغلبية الساحقة ـ فكانوا يفضلونهما على علي، مما يعني أن ابن سبأ لم يكن أصلهم وأساسهم، إذ لا يجتمع تفضيلهما مع سبهما.

٣ ـ تقتضي الصورة الأولى أن يكون الشيعة من اليهود في عقيدة الوصية والعصمة والغلو في علي، وما إلى ذلك مما ادعاه ابن تيميّة، فيما تقول الصورة الثانية: إنهم لا يختلفون عن سائر المسلمين، إلا باتباع علي

والقتال معه ومناصرته، وتفضيله على عثمان.

٤ ـ في الصورة الثانية يعبر عنهم بالشيعة الأولى، وقدماء الشيعة، وشيعة علي، وهم بهذه المواصفات يختلفون تماماً عما في الصورة الأولى، حيث أشار هناك إلى أن قدماء الشيعة كانوا أتباع ابن سبأ. فإن كان الشيعة الأوائل يفضلون الشيخين على علي، فمتى أسس ابن سبأ الشيعة الذين يفضلون علياً ويغالون فيه ويسبون الشيخين؟ إن كان بعد ذلك، فلا يصح أن يكون مؤسساً وقد وُجد الشيعة قبله، وإن كان قبل ذلك فكيف يؤسس لتفضيل الشيخين وهو يسبهما في الوقت نفسه؟

٥ ـ أشار في الصورة الأولى إلى أن التشيع كان سابقاً لمقتل عثمان، وأن ابن سبأ هو السبب في قتله، فيما يرى هنا أن التشيع حدث بعد مقتله.

٦ ـ إن الشيعة الأولى قبل أن يصبحوا (رافضة) مع كونهم من خيار الشيعة، وكانوا يفضلون الشيخين، ولم يكونوا من أتباع ابن سبأ الذي عُرف بسبهما والغلو في علي، إلا أنهم لم يسلموا من هجوم ابن تيميّة ونعتهم بشتى الأوصاف، مما يعني أن جريمتهم ليست التأثر باليهود واتّباع ابن سبأ، فقدامى الشيعة لا علاقة لهم لا بعبد الله بن سبأ ولا باليهود كما هو واضح من كلام ابن تيميّة، وجريرتهم الوحيدة هي تشيعهم لعلي عليه السلام فحسب.

٧ ـ يبدو واضحاً من بعض عباراته في الصورة الثانية أن قدامى الشيعة لم يكن بينهم أي أثر لأفكار ابن سبأ، لا في الوصية ولا في العصمة ولا في سب أبي بكر وعمر، بل إنهم متفقون على القول بتقديم الشيخين، وهذا يناقض ما ادعاه أولاً.

فقد صرح قائلاً: وهذا متفق عليه بين قدماء الشيعة وكلهم كانوا يفضلون أبا بكر وعمر.

وقال أيضاً: والشيعتان (شيعة عثمان وشيعة علي) مع سائر الأمة متفقة على تقديم أبي بكر وعمر.

وقال كذلك: وكان السلف متفقين على تقديمهما، حتى شيعة علي رضي الله عنه.

ولا يخفى أن القول بالإمامة والوصية، فضلاً عن الإلهية والنبوة، يتعارض تماماً مع تفضيل الشيخين.

ومن ثم يخلص ابن تيميّة إلى رأي جديد في تأسيس الشيعة هذا ملخصه:

أ ـ لم يكن هناك شيعة في زمن الخلفاء الثلاثة، فلما قتل عثمان، مال قوم لعلي فسموا شيعة، وهم (قدامى الشيعة، والشيعة الأولى) كما أسماهم، ولم يكن هؤلاء يختلفون عن سائر المسلمين في تفضيل الشيخين، وربما كانوا جميعاً على هذا الرأي. غاية ما في الأمر أنهم يفضلون علياً على عثمان.

ب ـ أن أولئك الشيعة الأوائل، **لم يكونوا بعد صاروا رافضة، إنما سموا (شيعة علي) لما افترق الناس فرقتين، فرقة شايعت أولياء عثمان، وفرقة شايعت علياً رضي الله عنهما، فأولئك خيار الشيعة، وهم مع ذلك من شر الناس معاملة لعلي بن أبي طالب.** فهم دائماً مغلوبون مقهورون منهزمون، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها ظاهر... فلا زهد عندهم ولا جهاد،

وقد ذاق منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الكاسات المرة ما لا يعلمه إلا الله ... وقد كانوا يغشونه ويكاتبون من يحاربه ويخونونه في الولايات والأموال.

ومن ثم ندرك أن الشيخ ابن تيميّة اتخذ ابن سبأ ذريعة للنيل من علي عليه السلام وأتباعه، فهو لا يفرق بين قدامى الشيعة والأكثرية الساحقة منهم، وبين فرقة صغيرة خاملة لا أثر لها،كان زعيمها يسب أبا بكر وعمر، حسب زعمه.

فإن كانت السبئيّة والتأثر باليهود ذريعة لمهاجمة (الرافضة) المتأثرين بابن سبأ، فلا بد من البحث عن أسباب مهاجمة (الشيعة الأولى، وقدماء الشيعة) الذين لا يختلفون عن سائر المسلمين إلا بتفضيل علي على عثمان.

خلاصة القول: أنه عرض رأيين متناقضين تماماً، أحدهما يصرح بالأصل السبئي للتشيع، والآخر بالأصل العلوي، وكلاهما عنده واحد.

وبما أن الأصل السبئي مصرَّح به في كتاباته، والأصل العلوي يطفو ويرسب بين السطور، فقد تشبّث الوهابيون بالأصل السبئي، وعدُّوه من معتقداتهم التي لا تقبل المناقشة، وأن إنكارها يعني الخروج عن (السنة والجماعة).

محنة ابن تيمية:

إذا كانت محنة الرافضة ـ كما يرى ـ هي مشابهة اليهود، فما هي محنة (شيخ الإسلام) في هذه التناقضات الفاحشة في تحديد مصداق التشيع وتعريف الشيعة؟

للجواب عن ذلك يلزمنا الرجوع إلى المواضع التي وردت فيها آراؤه حول ابن سبأ والسبئيّة، من كتبه المذكورة، لنرى سياق كلامه، وندرس كل فقرة في سياق النظرية التي أراد طرحها أو الفكرة التي أراد الرد عليها، ثم

نأخذ مجموع آرائه للمقارنة بينها.

فقد ابتلي شيخ الإسلام بأمر مهم، وهو خلافة من تقدم على أمير المؤمنين علي عليه السلام فليس له دليل على ذلك إلا دعوى (إجماع الأمة) المزعوم على تقديمهما وتفضيلهما على غيرهما من الصحابة، ومنهم علي عليه السلام.

وهذه القضية هي التي سببت له العديد من المشكلات والتقاطعات والتناقضات، بل أوقعته في متاهات لم يستطع الخروج منها.

ولتوضيح الأمر أكثر، لا بد أن نضع المخطط التالي في أذهاننا، كما كان في ذهن ابن تيميّة:

فالدليل عنده على خلافة أبي بكر، هو الإجماع ليس غير.

فتأتي الأسئلة لابن تيميّة، ليجيب عنها:

١ ــ لا إجماع على تقديم أبي بكر، فقد رفضه مجموعة من الصحابة، فسموا الرافضة.

فيجيب: لم يرفضه أحد منهم، إنما ظهرت الرافضة سنة ١٢٢هـ أيام زيد بن علي.

٢ــ ألم يكن هناك شيعة لعلي قاتلوا معه في حروبه، وهم الشيعة الأولى، أو قدامى الشيعة، كما تسميهم أنت، وفيهم الكثير من الصحابة؟

فيجيب: نعم، إلا أنهم كانوا جميعاً يفضلون أبا بكر وعمر.

وبهذه الإجابة يحفظ الإجماع على تفضيل الشيخين، ويخسر دعوى السبئيّة، لأن مقتضى تلك الدعوى هو القول بالوصية وتقديم علي، وأن الآخرين غصبوا الخلافة منه، وهذا خلاف الإجماع، فلا يجتمع القول بوصيته وتفضيل غيره عليه.

٣ ـ ثم يأتي السؤال لابن تيميّة: كيف يفضلونهما عليه وهم يقولون بالوصية؟ فيجيب: الوصية عقيدة يهودية طارئة، جاءهم بها ابن سبأ مؤسس الشيعة.

وهنا يكسب الدعوى السبئيّة ويخسر دعوى الإجماع على خلافة الشيخين، بمعنى أن السبئيين من قدامى الشيعة كانوا يقدمون علياً عليه السلام ويقولون بوصيته، وفيهم الكثير من الصحابة.

٤ ـ متى قال ابن سبأ بالوصية والرجعة وإمامة علي؟

فيجيب: قاله أيام عثمان، وتسبب بتأليب الناس عليه وقتله.

وبالنتيجة يكون ابن سبأ مؤسساً للشيعة في زمن عثمان، وكانوا يقولون بالوصية، لكنهم في الوقت نفسه يقدمون أبا بكر وعمر على علي.

ثم حاول أن يجد منفذاً خجولاً للخروج من التناقض فرأى أن الشيعة غير الرافضة، لأن الرافضة ظهروا بعد ثورة زيد. لكنهم في الوقت نفسه عين الشيعة والشيعة عين الرافضة، ولا فرق بينهما.

وجميع هؤلاء في رأيه، سواء من فضل الشيخين، أم فضل علياً على الشيخين، أم سب الشيخين، أم غالى في علي، مغلوبون مقهورون منهزمون، كانوا يغشُّون علياً، ويكاتبون من يحاربه، ويخونونه في الولايات والأموال، وكانوا شر الناس معاملة لعلي بن أبي طالب وابنيه سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان علي من أكثر الناس لوماً لهم على قلة جهادهم ونكولهم عن القتال، على حد تعبيره.

وخلاصة الأمر أن من شايع علياً، بغض النظر عما يرى ويعتقد، سواء فضّله على الشيخين، أم فضلهما عليه، أم سب الشيخين، أم غالى فيه، كلهم

سواء عند الشيخ ابن تيميّة.

إن محنة الشيخ ابن تيميّة أنه أراد تنقيح الإجماع على خلافة الشيخين، فاضطره ذلك إلى التخلص من الشيعة بالكامل، فنقل ظهورهم تاريخياً إلى زمن زيد بن علي، كي لا يكون قسم من الصحابة قد رفضوا أبا بكر، لأن رفضهم له يناقض دعوى الإجماع، فليس في زمن أبي بكر إلا الصحابة، وعدم مبايعة بعضهم يرد دعوى الإجماع.

ثم ابتلي بأمر آخر، وهو عدم الإجماع على تفضيلهما، لأن الشيعة في زمن علي قدموا علياً، فاضطر لإنكار ذلك، فادعى أن الجميع قدمهما، حتى الشيعة، وأن السبابة كانوا قلة قليلة جداً، وأن علياً طلب ابن سبأ ليقتله لأنه يسب أبا بكر وعمر.

ثم ابتلي بأمر آخر، وهو أن تفضيلهما على علي لا يتناسب مع القول بالوصية عند شيعته، فاضطر إلى نسبة الوصية لابن سبأ، ليجعله مؤسساً للشيعة بعد أن كان من الأقلية القليلة جداً.

وهكذا تتضح محنة (شيخ الإسلام)، التي جعلته يتخبط، لا يعي ما يقول، حتى أنه في بعض أقواله السابقة لم يجزم بتأسيس ابن سبأ للشيعة، فأورد رأيه بصيغة (قيل) كما في كتاب النبوات السابق.

هذه هي محنة ابن تيميّة التي ورثها عن غيره من النواصب الذين أخفوا نصبهم لعلي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وأظهروا العداوة لشيعتهم، واتهموهم بكل قبيح. فالتشيع لعلي عليه السلام يُعدّ في عُرفهم جريمة لا تغتفر.

ويمكن أن نقول بكل صراحة ووضوح: إن المحنة الكبرى هي الطعن في علي عليه السلام ومن شايعه وناصره، والانتصار لمعاوية وأهل الشام، ممن

قاتلوا علياً عليه السلام وولغوا في دماء أهل بيته عليهم السلام وشيعته على طول التاريخ، إلا أن الطعن الصريح بعلي وأهل البيت يكلف الكثير.

وهكذا يبقى علي عليه السلام غُصةً مرة في حلوق النواصب، ليس إلى لفظها أو استمرائها من سبيل.

الوهابية والسبئيّة:

لقد بنى الشيخ ابن تيميّة نظريته في خصوص الشيعة تأسيساً وفكراً، على شخصية عبد الله بن سبأ، وحذا حذوه من أعقبه من أتباعه، لا سيما السلفية المعاصرة من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، فقد تشبثوا بهذه النظرية، ودافعوا عنها بقوة، وكتبوا العديد من المؤلفات والدراسات.

ومما دعاهم لذلك، ثقتهم الكبيرة بشيخهم ابن تيميّة، وضرورة الحفاظ على شأنه ومنزلته، وأن أي خدش في نظرياته والتعرض لها قد يؤدي إلى إسقاطه من أعين الناس. وهكذا تحولت نظرياته وآراؤه إلى عقيدة يقاس عليها المنتسب (للسنة والجماعة)، فمن أنكر ابن سبأ والسبئيّة فليس من أهل السنة والجماعة، من جهة أنه يردّ على ابن تيميّة، والرادّ عليه خارج عن السنة والجماعة.

فمن الطبيعي جداً أن تجد الوهابية مجمعة على نظرية عبد الله بن سبأ، حتى بلغ تبنيها مستوى العقيدة، وإن لم يصرحوا بذلك. فلا يظننَّ أحدٌ أن أحد الوهابية سيتجرأ يوماً على مناقشتها والتخلي عنها، لأن ذلك يخرجه من (السنة والجماعة) حتماً.

وقد استنفروا ما لديهم من طاقات في العصور المتأخرة خصوصاً، بعد أن

صدرت دراسات كثيرة من الشرقيين والغربيين تشكك في وجود المزعوم عبد الله بن سبأ، أو تقطع بعدم وجوده، وهذا في نظر الوهابية خطر كبير عليهم، وعلى شيخهم ابن تيميّة، وهو ما صرح به العديد من كتّابهم، أو لمّحوا له.

ولكي نوفر الوقت والجهد على القارئ الكريم، نستعرض فيما يلي كلمتين صريحتين لاثنين من كبار مشايخهم، هما الدكتور سليمان بن حمد العودة، والدكتور حسن بن فهد الهويمل:

١ ـ **يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة**[١] في حوار أجرته معه جريدة المسلمون، وقد سئل عن سر التمسك بالنظرية السبئيّة، والمخاطر المترتبة على إنكارها:

«إن ما وراء إنكار وجود ابن سبأ والتشكيك في حقيقته، إنما يدركه الذين سبقوا الهلابي[٢] في طرحهم لهذه القضية، إذ إنهم أصحاب آراء ومذاهب جانحة[٣]، ويعرفون جيداً ماذا يترتب على هذا الإنكار.

أما الدكتور عبد العزيز الهلابي فإنني أجدها فرصة سانحة عبر جريدة

---

(١) أستاذ في قسم التاريخ بجامعة القصيم في المملكة العربية السعودية، له دراسة موسعة تحت عنوان: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سوف نأتي على مناقشتها في الفصل السادس من هذا الكتاب.

(٢) الدكتور عبد العزيز الهلابي، من المملكة العربية السعودية، وقد ذهب إلى أن ابن سبأ لا حقيقة له شخصاً ولا دوراً، وسوف يأتي الحديث عنه في الفصل السادس أيضاً.

(٣) أي أنهم ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة.

(المسلمون) التي تعهدت بإيصال كلمة الحق إلى أرجاء الأمة، لكي أذكّره أكثر من غيره، كما أذكّر تلميذه الذي يسير على مذهبه حسن المالكي[١]، **أذكّرهم جميعاً بخطورة هذه الطروحات، لما تفرزه من خلفيات قد تغيب عن أذهان البعض، وفوق ذلك أن هذه الآراء فيها تسفيه لآراء السابقين واتهام لهم بالسطحية والغفلة عن تحقيق ما ينقلون من نصوص وتعميق ما يطرحون من آراء. ففي هذا الرأي نسف لكتب بأكملها تعد من مفردات كتب التراث، ويعتمد عليها في النقل والتوثيق من قرون متطاولة، فكتاب منهاج السنّة ـ مثلاً ـ لشيخ الإسلام ابن تيميّة، ينطلق من اعتبار عبد الله بن سبأ أصل الرافضة، فهو أول من قال بالوصية والرجعة وغيرها من معتقدات، وإنكار هذه الشخصية أو التشكيك فيها تشكيك في الكتاب كله، ونسف له من أصوله، بل ربما تجاوز الأمر ذلك إلى التشكيك في أصول الرافضة، وتاريخ نشأتهم**».

ثم استعرض بعضاً من آراء الشيخ حسن بن فرحان المالكي قائلاً:

«...فقد نقد وشكّك في بعض كتب أهل السنة والجماعة ومؤلفيها التي تعرض فيها أصحابها للزيدية والشيعة **ككتاب منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيميّة** (رحمه الله) فقد قال عنه:

---

(١) الشيخ حسن بن فرحان المالكي، باحث كبير من المملكة العربية السعودية، ذهب إلى إنكار دور ابن سبأ في الفتنة جملة وتفصيلاً، وأن كل ما فيه كان من الموضوعات، وأما عبد الله بن سبأ (شخصاً) فلا زال عنده قيد الدراسة، ولم يقطع بكونه موجوداً أو مختلقاً.

(قد ذكرت كتاب منهاج السنة لابن تيميّة ضمن هذه الكتب التي تفتقد التحقيق ويقلدها المؤرخون، بلا محاكمة للنصوص... وكيف تقنع المتعصب له بالأخطاء الظاهرة الموجودة في كتبه)؟

انظر هذا في كتابه نحو إنقاذ التأريخ ص ٣٥، ٣٦. وهكذا نقده لمحب الدين الخطيب مؤلف كتاب: الخطوط العريضة في الشيعة، واستدراكه (بزعمه) على فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ حفظه الله ـ في كتاب (بيعة علي) ص١٢٣، وغيرهم.

وفي المقابل: أثنى على بعض المؤلفين وكتبهم التي تطعن في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، (ككتاب: الخلافة والملك) للمودودي، انظر نحو إنقاذ التأريخ ص ٣٧، **أو الكتب التي تجعل عبد الله بن سبأ اليمني، اليهودي أسطورة! كثنائه على الدراسة التي تولاها عبد العزيز الهلابي، ومرتضى العسكري الشيعي!** انظر كتابه نحو إنقاذ التأريخ ص ٥٥، وكذلك تبجيله لبعض كتب أذناب المستشرقين كطه حسين»[1].

ولا نريد أن نسترسل في التعليق على ما قال، سوى أنه بيّن بشكل واضح أن جميع الدراسات الوهابية، المتعلقة بعبد الله بن سبأ، لا بد أن تذهب باتجاه إثبات حقيقته المزعومة، لأن إنكاره والقول باختلاقه يعد نسفاً لكتب بأكملها، وعلى رأسها منهاج السنة.

وبذلك يربط الوهابيون برباط وثيق بين عبد الله بن سبأ وشيخ الإسلام

---

(١) جريدة المسلمون السعودية في عددها ٦٥٤، الجمعة ١٢ ربيع الآخر ١٤١٦هـ.

عندهم، ويعتبرون النظرية السبئيّة معركة وجود أو عدم لأصل مذهبهم، المتمثل بشيخهم ابن تيميّة ومن تبعه لاحقاً.

٢ ـ **أما الدكتور حسن بن فهد الهويمل**، فيقول معلقاً على ما كتب الهلابي والمالكي:

« ويأتي الدكتور الهلابي، ومن بعده حسن المالكي، مع تيار المتشددين، المنكرين لوجود هذه الشخصية، ومع قراءتي لما كتبا، ووقوفي على الجهد المبذول في التقصي، إلا أنني لا أطمئن لما ذهبا إليه، ولا أرتاح له، **لأن في نسف هذه الشخصية نسفاً لأشياء كبيرة، وتفريغ لكتب تراثية لكبار العلماء من أمثال شيخ الإسلام ابن تيميّة وابن حجر والذهبي وغيرهما، فابن سبأ، أو ابن السوداء، يشكل مذهباً عقدياً، ويشكل مواقف أخرى لو تداعت لكنا أمام زلزلة تمس بنايات كثيرة»**[(١)].

ولا نريد أن نعلق أيضاً على ذلك سوى أن نقول: لقد ربط الوهابيون وجودهم بوجود ابن سبأ، واعتبروه ركناً ركيناً، لو تداعى أحدث زلزلة تمس بنايات كثيرة، وأدى إلى تسفيه آراء ابن تيميّة وأمثاله، والحكم عليهم بالسطحية والغفلة عن تحقيق ما ينقلون، ونسف كتب بأكملها من أمثال منهاج السنة. والأكثر من ذلك أنه يؤدي إلى إعادة النظر في أصول الرافضة وتاريخ نشأتهم، فهذا ركن آخر قامت عليه الوهابية، وهو استعداء الشيعة والتحريض

---

(١) جريدة الرياض، ٤ ربيع الأول ١٤١٨هـ. وهو منشور أيضاً في كتاب آراء وأصداء حول عبد الله بن سبأ: ١٢.

عليهم بذريعة أصولهم اليهودية، فإن ثبت العكس لزم عدّهم من المسلمين، وهو ما يخشاه الوهابيون، الذين أقاموا مذهبهم على التكفير.

خاتمة الفصل الأول:

إلى هنا يتبين لنا مجموعة من المحاور الأساسية والنتائج المهمة التي قادنا لها البحث، وهي كما يلي:

١ ـ ليس هناك تعريف محدد للشيعة عند ابن تيميّة، فيما يتعلق بأصولهم العقدية، ومنشئهم التاريخي، وقد تبنى نظريتين يشوبهما الكثير من التداخل والخلط، بل التناقض والتعارض:

النظرية الأولى: أن مؤسس الشيعة هو عبد الله بن سبأ اليهودي، وأن هناك ثلاث فرق منهم، غلاة وسبابة ومفضلة، إلا أنه مع ذلك لم يُحط خبراً بهويته وانتمائه، فتارة يجعله مؤسساً للفرق الثلاث جميعاً، وثالثاً يصنفه مع السبابة فقط، وأخرى مع السبابة والغالية معاً، والأمر الوحيد الذي أكّده أن ابن سبأ دخل الإسلام لإفساده من خلال التشيع، فوضع الإمامة والعصمة والرجعة وغيرها.

النظرية الثانية: أن أصل الشيعة لم يكن بسبب عبد الله بن سبأ، إنما كان بسبب الاختلاف الذي حدث بين الصحابة بعد مقتل عثمان، حيث مال بعض المسلمين إلى علي فسموا شيعة علي، وكان هؤلاء هم (الشيعة الأولى) و (قدامى الشيعة)، وهم لا يختلفون عن سائر المسلمين، فكانوا يفضلون أبا بكر وعمر، ويقدمونهما على علي، فليس في معتقداتهم غلو فيه ولا قول بعصمته وإمامته .

إلا أنه مع ذلك لا يتورع عن النيل من الشيعة بقطع النظر عن أصلهم ونشئهم.

٢ ـ يرى ابن تيميّة أن لفظ الرافضة لم يعرف إلا بعد ثورة زيد بن علي سنة ١٢٢هـ، وأن الشيعة طيلة هذه الفترة كانوا على تفضيل أبي بكر وعمر، ولو لم يكونوا كذلك لسموا بالرافضة قبل هذا التاريخ، سوى بعض الشواذ منهم الذين لاحقهم علي وعاقبهم وشدد عليهم، وهو ما يؤكد النظرية الثانية في نشوئهم.

٣ ـ اعتمد الوهابيون النظرية الأولى فقط، وتشبثوا بها، واستماتوا في الدفاع عنها، ثم ربطوا مذهبهم برمته بها، بحيث أصبحت من معتقداتهم التي يلزم التمسك بها حفاظاً على ابن تيميّة ومنهاجه، أو ما يرون أنه مذهب (أهل السنة والجماعة).

من هنا يكتسب هذا البحث أهميته العلمية، حيث أصبح ابن سبأ هذا (بيضة القبان) في مصير الأمة، فإما أن يجعلها تعيش الفرقة أبد الدهر، وإما أن يصحح في أذهان أبنائها ما كان من خطأ في نظر بعضهم لبعض.

وسوف تجد ـ عزيزي القارئ ـ في الفصول الآتية بحثاً مفصلاً يتناول هذه القضية الجدلية وفق الموازين العلمية، ليتبين لك الحق في حينه إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

جذور الدعوى السبئيّة

- *دعوى ابن سبأ والسبئيّة*
- *تصنيف مرويات سيف بن عمر*

دعوى ابن سبأ والسبئيّة:

لا شك أن لخصوم الشيعة، ومنهم ابن تيميّة والوهابية، أساليبهم وأدواتهم الخاصة لمواجهتهم، وهم ليسوا بدعاً من سائر الفرق، فما من فرقة في هذه الأمة إلا وتحاول التأسيس والتنظير لما تراه حقاً.

إلا أن الخروج بتلك الأساليب عن دائرة الحراك الفكري المضبوط بضوابط التديّن أولاً، ومنها مراعاة الحرمة، واتّباع الحق، وخوف الله تعالى في كل كلمة، وضوابط العلم ثانياً، في مراعاة الأمانة في النقل، والدقة في الطرح، وتجنب المسبقات الذهنية، إلى دائرة التهاتر والتجني واللف والدوران، بل حتى التحريض والتهييج العاطفي أحياناً، هو المرفوض الذي لا يقره شرع ولا عقل.

وما نحن بصدده الآن يندرج في إطار القسم الثاني من الأساليب، أي أن دعوى الانتساب لابن سبأ صارت عبر التاريخ ذريعة للتشنيع على الشيعة وتشويه صورتهم، ولو أنها بقيت في إطار البحث الموضوعي النزيه البعيد عن الدعاية والتشهير لكان الأمر هيناً، ولكانت نتائج البحوث متقاربة إلى حد ما.

ومع ذلك كله فلا سبيل أمامنا إلا البحث والتحقيق، فلا الدعاية، ولا تشويه الآخر، ولا الكذب عليه واتهامه، كفيلة بإحقاق الحق، لأنها ليست

من سبل الحق ولا من أدواته.

والسؤال الذي يتبادر الآن لذهن القارئ الكريم، بعد أن لمس الاهتمام البالغ من ابن تيميّة والوهابية بهذه النظرية هو: من هو عبد الله بن سبأ هذا؟ هل كان له وجود حقيقي؟ وهل كان له دور فاعل في تاريخ الأمة الإسلامية بحيث استطاع أن يفعل فيها ما يفعل؟ وهل انطلق ابن تيميّة من فراغ فكتب ما كتب ورأى ما رأى؟

هذه هي الأسئلة التي يجب أن تكون منطلقنا في هذا البحث. وبناء على ذلك لا بد أن يكون بحثنا في محورين أساسيين:

الأول: البحث في وجود عبد الله بن سبأ بالصورة (الملحمية) التي يعرضها ابن تيميّة والوهابية، المتمثلة بحركته الإفسادية، ودوره الكبير في تمزيق الأمة،وقتل عثمان، وتأسيس الشيعة.

الثاني: البحث في وجوده شخصاً فقط، أي أنه هل كان موجوداً كفرد من سائر الناس، ولم تكن له يد فيما نسب إليه، أو أنه لا وجود له أصلاً، وبالتالي ينتفي دوره من الأساس؟.

وتكمن أهمية البحث في المحورين في كون المحور الثاني لا دخل له كثيراً في الجدل والإثارة، أي أن وجود ابن سبأ مجرداً عن دور يذكر، أو عدم وجوده، لا يقدم في الأمر شيئاً ولا يؤخر، فعلى فرض أنه موجود، فإنه لا يختلف عن سائر اليهود الذين دخلوا الإسلام، سواء كان مستقيماً في إسلامه أم منافقاً أم زنديقاً، فما أكثر هؤلاء، منذ ظهور الإسلام وحتى يومنا هذا، إنما الكلام في أثره ودوره، وهو ما نبدأ به أولاً إن شاء الله تعالى.

هذه هي المحاور الرئيسة التي نسلط الضوء من خلالها على هذه الدعوى، لنكون في النهاية على بينة من الأمر.

الأصل التاريخي لدعوى السبئية:

لكي نكون على دراية تامة، ووضوح في الرؤية، لا بد أن نفصل بين البحثين المذكورين، فنبدأ أولاً بالبحث عن عبد الله بن سبأ (الملحمي) صاحب الدور المزعوم في تأسيس الشيعة وتمزيق الأمة وإفسادها، لتمييزه عن الآخر الذي لا دور له. وإنما أسميناه ملحمياً لأن قصته أقرب إلى ملاحم الشعوب القديمة التي تنسب لأبطال الحروب البطولات الخارقة، كما في إلياذة هوميروس، وملحمة جلجامش وغيرهما، وسوف ترى أن هذا الوصف ينطبق تماماً على هذه الشخصية القصصية العجيبة.

وعند الرجوع للمصادر التاريخية نجد أن أقدم المصادر التي ذكرت ابن سبأ (الملحمي) هو تاريخ الطبري (٣١٢ هـ) وقد أخذ ذلك عن راوٍ وحيد يدعى (**سيف بن عمر التميمي الكوفي**) الذي عاش في بدايات القرن الثاني الهجري، وتوفي في حدود سنة ١٨٠ هـ. وهو معروف بالكذب والوضع عند علماء الرجال، بل إنه كان متهماً في دينه. وسوف يأتي حاله بالتفصيل إن شاء الله.

لقد ألف سيف بن عمر كتابين في التاريخ، هما: الفتوح والردة، والجمل ومسير عائشة وعلي. ويعدّ الكتاب الثاني المصدر التاريخي الوحيد الذي أورد (الملحمة السبئيّة) بتفاصيل كثيرة متشعبة، وقد اعتمد الطبري هذين الكتابين، كما اعتمد غيرهما، في كتابه المعروف بتاريخ الأمم والملوك، ونقل روايات سيف بحذافيرها دون الإشارة إلى المصدر.

أما المؤرخون الآخرون، كابن عساكر، والذهبي، وابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وغيرهم ممن جاء بعد الطبري، فلم يتجاوزوا سيف بن عمر، إما بأخذهم عن الطبري في الأعم الأغلب، أو بطرق أخرى عن سيف. فهناك رواة آخرون، انفردوا بنزر يسير من الروايات التي لم ترد في الطبري، إلا أنها مروية عن سيف أيضاً.

وخلاصة الأمر أن الراوي الوحيد لملحمة عبد الله بن سبأ هو سيف بن عمر التميمي الكوفي الذي سوف يتبين لك حاله من خلال البحث.

ولكي تتضح الصورة أمامنا بشكل أكبر، فقد جمعنا أكثر تلك الروايات كما وردت في تاريخ الطبري وغيره، وقمنا بتصنيفها موضوعياً، ثم درسناها دراسة متأنية، وهو ما سوف تقرأه فيما يأتي من البحوث.

تصنيف مرويات سيف

بعد أن جمعنا روايات سيف بن عمر التميمي، وجدنا أنها تنقسم من حيث الموضوع إلى أربعة أصناف: يتعلق الصنف الأول منها بمبدأ السبئيّة ومراحلها الأولى. أما الثاني فيدور حول ما نسب إليها من إثارة الفتنة وقتل عثمان، فيما يتناول الصنف الثالث دورها المدعى في استخلاف علي عليه السلام. أما الصنف الأخير فيستعرض أثرها في معركة الجمل.

الصنف الأول: السبئية المزعومة في مراحلها الأولى

أورد سيف بن عمر ثلاث روايات أساسية، بذر فيها بذرة ابن سبأ، وأشار إلى بعض أفكاره وعقائده المفترضة، وكيف بدأ دعوته العقدية، وأثر في شخصيتين إسلاميتين كبيرتين، هما أبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وكيف

ثبّت له أساساً في مصر دون غيرها من البلدان، لينسب الفتنة بعد ذلك له، باعتبار أن السائرين لعثمان كانوا من مصر بشكل رئيسي، وقد صوره أنه شخصية سياسية أيضاً، بتحريضه الناس على ولاة عثمان، بل شخصية عسكرية يقود الجيوش والكتائب، وبالتالي يكون جامعاً لأوصاف العباقرة من الرجال.

وإليك عزيزي القارئ هذه الروايات الثلاث:

الرواية الأولى:

قال الطبري في أحداث سنة ٣٠: وفي هذه السنة (أعني سنة ٣٠) كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذُكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أمورٌ كثيرة، كرهت ذكر أكثره(١).

فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب إليّ بها السَّرِي، **يذكر أن شعيباً حدّثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي** قال:

---

(١) هذه إحدى المحطات المهمة التي تستحق التوقف في تاريخ الإسلام، إذ يفترض أن تكون وظيفة المؤرخ هي التوثيق المجرد ليس إلا، دون تدخل منه، أما الطبري فيصرح هنا أنه يتدخل بما يحب ويكره، فلا يوثّق إلا ما يتفق مع ميوله. إذ يصرح بما لا يقبل التأويل، أنه في هذه الروايات أُموي الهوى، يعرض جانباً من الصورة وليس الصورة الحقيقية، وينقل لأجيال الأمة ما يراه (العاذرون معاوية)، وهم ليسوا بأقل من الطبري في ميولهم وأهوائهم. وسوف ترى أنه حشد العديد من الروايات في الدور المفترض لعبد الله بن سبأ، وكلها عن سيف بن عمر الذي لا يتورع عن الكذب والافتراء والتعرض لصحابة النبي صلى الله عليه وآله بما لا يتناسب وشأنهم.

لما ورد ابنُ السوداء[١] الشام لقي أبا ذر[٢] فقال: يا أبا ذر، ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله؟ ألا إن كان كل شيءٍ لله، كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذر فقال: ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟ قال: يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره؟ قال: فلا تقله، قال: فإني لا أقول: إنه ليس لله، ولكن سأقول: مال المسلمين.

---

(١) بدأ سيف رواياته هذه بتعبير (ابن السوداء)، ثم ذكر فيها بعد (ابن سبأ)، وأتبعه بقوله: (كانت أمه سوداء)، ليكوّن القارئ صورة ذهنية مسبقة عن شخص واحد هو عبد الله بن سبأ، أو ابن السوداء، فكلاهما عنده واحد.

وسوف ترى لاحقاً أن كل من جاء بعد سيف بن عمر من المؤرخين أو المؤلفين، أخذ هذا الربط بين الاسمين منه. وإلا فلا رابط بينهما إطلاقاً.

وهذا ما دعا بعض الباحثين، ومنهم الأستاذ كامل مصطفى الشيبي، والدكتور علي الوردي، وغيرهما، إلى اعتبار عمار بن ياسر هو ابن سبأ، وهو ابن السوداء ليس غير، فهو يماني من قوم سبأ، وكل يَماني يطلق عليه سَبئي وسَبائي، كيمني ويماني، وزناً ومعنىً، إلا أنه أُلبس لباساً آخر، وكُني عنه بكنية تجعل المؤرخ يتحرك بحرية لينال منه، لئلا يتعرض لسهام النقد بدعوى (عدالة الصحابة)، إذ لا أحد ينكر صحبة عمار بن ياسر وقربه من النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) هذه أولى الشخصيات الإسلامية المهمة من كبار الصحابة (تتهوّد) أي تتبنى أفكار اليهودي المفترض عبد الله بن سبأ طبقاً لدعوى سيف. والغريب أن يعجز ابن سبأ عن خداع أهل الشام جميعاً، ويتمكن من خداع الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، ليمرر من خلاله مؤامرته المزعومة في إفساد الإسلام.

قال: وأتى ابنُ السوداء أبا الدرداء[1]، فقال له: من أنت؟ أظنك والله

---

(١) هو عويمر بن عامر (وقيل: ابن زيد) الخزرجي الأنصاري، اشتهر بكنيته، وكان قد توفي سنة ٣٢هـ في الشام. وقد عارض معاوية في أكل الربا، حيث باع معاوية سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فعارضه أبو الدرداء، وقال له: لا أساكنك بأرض أنت بها، واشتكاه إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن لا تبع ذلك إلا مثلاً بمثل، وزناً بوزن.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: قال أبو مسهر: لا أعلم أحداً نزل دمشق من أصحاب رسول الله ﷺ غير أبي الدرداء وبلال مؤذن رسول الله ﷺ وواثلة بن الأسقع، ومعاوية، قال: ولو نزلها أحد سواهم ما سقط علينا. الاستيعاب، لابن عبد البر٣: ١٢٢٨، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

وأضاف ابن عبد البر في المصدر السابق: ومات أبو الدرداء رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين بدمشق، وقيل سنة إحدى وثلاثين. وقال الباجي (٤٧٤هـ) في التعديل والتجريح: مات أبو الدرداء بالشام سنة اثنتين وثلاثين. التجريح والتعديل للباجي٣: ١١٦٥.

وذكر ابن سعد في طبقاته روايتين، إحداهما سنة ٣٢هـ والأخرى ٣١هـ. طبقات ابن سعد ٧: ٣٩٣. وقالت بعض المصادر أنه مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، أي في أواخر سنة ٣٢هـ. وروى ابن عبد البر في الاستيعاب، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض، فلا ألفين ما نوزعت في أحدكم، فأقول: هذا مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك. فقال للنبي ﷺ: ادع الله تعالى أن لا يجعلني منهم، قال: لستَ منهم، فمات قبل قتل عثمان رضي الله عنه بسنتين. الاستيعاب، لابن عبد البر٣: ١٢٢٩.

ثم قال ابن عبد البر في المصدر ذاته: وقالت طائفة من أهل الأخبار إنه مات بعد صفين سنة ثمان أو تسع وثلاثين. والأكثر والأشهر والأصح عند أهل الحديث أنه توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه.

وهكذا تكاد المصادر التاريخية تقطع أن تكون وفاته سنة ٣٢هـ وبعضها يقول: سنة ٣١.

والسؤال هنا: على كلا الفرضين في وفاة أبي الدرداء، فإنه لم يلتق عبد الله بن سبأ، ولا رآه، لأنه أُخرج من البصرة سنة ٣٣هـ أي بعد وفاة أبي الدرداء كما سيأتي.

يهودياً![1]. فأتى عبادة بن الصامت[2]، فتعلق به فأتى به معاوية، فقال: هذا

---

(١) لم تكن هناك مقدمات أو علامات واضحة تجعل أبا الدرداء يظنه يهودياً، فهو مسلم في الظاهر، والقضية المطروحة للتحريض على معاوية ـ طبقاً لدعوى سيف بن عمر ـ كانت قضية مالية تتعلق بالعدالة في توزيع الثروة، وهذا مبدأ إسلامي منصوص عليه في القرآن الكريم، وليست من الفكر اليهودي في شيء. إلا أن المؤرخ يصرّ على ذلك؛ لأن شخصيته المتخيَّلة هي الأساس في القصة كلها، ولأن صفة اليهودية تثير الحفيظة والشك والريبة، باعتبار أنهم يسعون دائماً للإطاحة بالإسلام.

ثم كيف يسوغ لأبي الدرداء أن يقول لامرئ مسلم في ظاهره: أظنك والله يهودياً، مع أنه ليس أول يهودي دخل الإسلام؟

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري السلمي، يكنى أبا الوليد، ممن شهد البيعة الأولى والثانية والثالثة، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وأحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، ثم وجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، ومات بها ودفن بالبيت المقدس، وقبره بها معروف إلى اليوم.

وذكر ابن عبد البر قولاً آخر في موضع قبره، وهو الرملة من أرض فلسطين. ونقل قول الأوزاعي: أول من تولى قضاء فلسطين عبادة بن الصامت، وكان معاوية قد خالفه في شيء أنكره عليه عبادة في الصرف، فأغلظ له معاوية في القول، فقال له عبادة: لا أساكنك بأرض واحدة أبداً، ورحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره فقال: ارجع إلى مكانك، فقبح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمرة لك على عبادة. راجع: الاستيعاب، لابن عبد البر ٢: ٨٠٨.

فعبادة لم ينزل دمشق أبداً، وقد مر بنا قول ابن مسهر: لا أعلم أحداً نزل دمشق من أصحاب رسول الله ﷺ غير أبي الدرداء وبلال مؤذن رسول الله ﷺ وواثلة بن الأسقع، ومعاوية، قال: ولو نزلها أحد سواهم ما سقط علينا. الاستيعاب، لابن عبد البر ٣: ١٢٢٨.

ومن جهة أخرى كان عبادة نفسه على خلاف شديد مع معاوية، بحيث أدى به ذلك إلى أن يخرج من الشام كلها، وأن يُدخل الخليفة عمر في الخلاف، فكيف عاد واصطلح ⇦

والله الذي بعث عليك أبا ذر[١].

وقام أبو ذر بالشام، وجعل يقول: يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء، بشّر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكان من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم[٢]. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه

معه وصار ناصحاً ومدافعاً عنه؟.

ومن جهة ثالثة: كيف يعقل أن يثور عبادة بن الصامت لأكل الربا، وهي من الفروع، ولا يثور لحركة ابن سبأ، وهي تطعن في صميم العقيدة؟.

ومن جهة رابعة: إن سيف بن عمر صور ابن سبأ أنه رجل على قدر كبير من الذكاء والحنكة والتخطيط والدهاء، فكيف يأتي به عبادة إلى معاوية بهذه الطريقة التي لا يرضاها حتى السذج من الناس؟ وهل كان لدى عبادة قوة تنفيذية من الشرطة والحرس والمسلحين؟ أو أنه تعلق به فطاوعه ابن سبأ؟

ومن جهة خامسة: دونكم كتب التراجم، التي عنيت بتراجم الصحابة، ومنهم عبادة بن الصامت، وقد ذكرت قصة اعتراضه على معاوية في أكل الربا، فهل تجدون فيها ذكراً للقائه ابن سبأ واقتياده لمعاوية صاغراً؟

(١) لم يذكر سيف بن عمر ماذا فعل معاوية مع هذا الداعية اليهودي الذي يفسد عليه الأمور، وقد أمسك به وعرفه ولم يعد خافياً يعمل في السر؟ فإن كان الصحابي أبو ذر يستحق العقوبة والتأديب والإعادة مرة أخرى للمدينة، لينفى منها إلى الربذة، فهذا (اليهودي) أولى بالتأديب والنفي على الأقل.

(٢) تجنب سيف بن عمر هنا أن يذكر النص القرآني في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]. فقد أراد أن يوجه ذهن القارئ بعيداً عن النظرية القرآنية في التصرف بالمال، وإسلامية الفكرة التي يتبناها أبو ذر، وفسح المجال أمام ادعائه بسبئيتها وأصلها اليهودي، ليأخذ ذلك الادعاء محله في نفوس وعقول المتلقين.

على الأغنياء، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس. فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر قد أعضل بي، وقد كان من أمره كيت وكيت[١]، فكتب إليه عثمان: إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها، فلم يبق إلا أن تثب، فلا تنكأ القرح، وجهز أبا ذر إليّ، وابعث معه دليلاً، وزوده وارفق به، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت، فإنما تمسك ما استمسكت.

فبعث بأبي ذر ومعه دليل، فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع[٢]، قال: بشّر أهل المدينة بغارة شعواء[٣]، وحرب مذكار[٤]. ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذر، ما لأهل الشام يشكون ذَرَبَك[٥] ؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال: مال الله، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً. فقال: يا أبا ذر، عليَّ أن أقضي ما علي، وآخذ ما على الرعية، ولا أجبرهم على الزهد، وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد. قال: فتأذن لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدار. فقال: أوَتستبدل بها إلا شراً منها ؟ قال: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً. قال: فانفذ لما أمرك به.

---

(١) لو كانت هناك حقيقة لتأثره بابن سبأ، لما سكت معاوية في شكواه لعثمان، ولذكر له ذلك في أول الكلام، ولماذا يخفي ذلك عن عثمان؟ أم أنه تواطأ مع اليهودي المزعوم، وداهنه كما داهن غيره من اليهود.

(٢) جبل معروف في المدينة المنورة.

(٣) فاشية، متفرقة، ممتدة.

(٤) أي ذات أهوال، من قولهم: فلاة مذكار، أي لا يسلكها إلا الذكور من الرجال.

(٥) أي: يشكون حدة لسانك، أو فساد لسانك وبذاءته، وكثرة حديثك عن الفساد المالي للسلطة. والذَّرِبُ: الحادُّ من كل شيء.

قال: فخرج حتى نزل الربذة، فخطَّ بها مسجداً، وأقطعه عثمان صِرْمةً[١] من الإبل، وأعطاه مملوكين، وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتدَّ أعرابياً، ففعل[٢].

هذه بدايات القصة مع السبئيّة، وتتلخص في رجل يهودي يدخل الإسلام فيبث أفكاراً جديدة يطرحها سيف بن عمر بهدوء ورفق، ويستميل بعض الرؤوس من الصحابة، وتتبلور لديه فئة مؤثرة تستطيع التأثير في المعادلة الإسلامية بشكل كبير، ومن أبرز المتأثرين بهذه الجماعة أبو ذر، وسوف يلحقه عمار، ثم يتبعهم خلق كثير من الصحابة والتابعين والقراء وأخيار الأمة.

ومن المهم هنا أن نسأل: ما الذي أخرج أبا ذر أولاً من المدينة وقد عاش فيها مع رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ؟ وما الذي جاء به للشام؟

هذا ما أخفاه سيف منذ البداية، ليلقي بالتبعة على ابن سبأ المزعوم. فالحقيقة أن ما ادعاه سيف من نقمة أبي ذر على معاوية حدث قبل ذلك في المدينة مع عثمان، وكان ذلك سبب إخراجه منها ونفيه إلى الشام[٣].

---

(١) أي مجموعة صغيرة منها.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٣٣٦. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: وأعلم أن الذي عليه أكثر أرباب السيرة، وعلماء الأخبار والنقل، أن عثمان نفى أبا ذر أولاً إلى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام .

أصل هذه الواقعة، أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال، واختص زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشّر الكافرين بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ**

⇦

الرواية الثانية:

قال الطبري في أحداث سنة ٣٣ هـ، في ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سيَّر(١) من أهل البصرة إلى الشأم:

وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُوْنَهَا فِي سَبِيْلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ﴾، فرُفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت. ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه: أن انته عما بلغني عنك، فقال أبو ذر: أوَينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى، وعيب من ترك أمر الله تعالى؟ فوالله لئن أُرضي الله بسخط عثمان، أحبّ إليَّ، وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان.

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه، فتصابر وتماسك، إلى أن قال عثمان يوماً، والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يا بن اليهوديين، أتعلّمنا ديننا! فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، الحق بالشام. فأخرجه إليها.

فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردها عليه.

ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر: يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف.

وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والله إني لأرى حقاً يُطفأ، وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذباً، وأَثَرةً بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

قال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة. شرح النهج، للمعتزلي٨: ٢٥٧.

(١) يسمى التسيير في الاصطلاحات المعاصرة اليوم: النفي، أو الإبعاد، أو التهجير، بحسب الأحوال والأفراد.

مما كتب به إلي السَّري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: لما مضى من إمارة ابن عامر[١] ثلاث سنين، بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حُكَيم بن جَبَلَة[٢]، وكان حكيم بن جبلة رجلاً

(١) الأُموي، ابن خال عثمان، وهو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، ولّاه عثمان البصرة وبلاد فارس سنة ٢٩هـ وهو ابن أربع وعشرين سنة، وولاه معاوية البصرة ثم عزله. توفي سنة ٥٩هـ. راجع ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر٣: ٩٣١.

(٢) (حُكَيم أو حَكيم): العبد الصالح، من سادات عبد القيس، وزهاد ربيعة ونساكها، أدرك النبي صلى الله عليه وآله. قتل في البصرة في موقعة الجمل الصغرى في سبعين من الصلحاء. وذلك بعد غدر طلحة والزبير بأهل البصرة. وملخص الخبر: أن عثمان بن حنيف منعهم من دخول البصرة، وقاتلهم، ثم اتفقوا على كف القتال حتى يأتي علي. فلما جن الليل، أقبل أصحاب طلحة فقتلوا حرس عثمان بن حنيف ودخلوا عليه، فنتفوا لحيته وجفون عينيه، ولم يقتلوه، لأن أخاه كان والياً لعلي على المدينة، فخافوا أن يقتل أقارب طلحة والزبير، ثم سجنوه، ونهبوا بيت المال. فسمع حكيم بن جبلة بما جرى لعثمان بن حنيف، وخزان بيت المال وغيرهم، فخرج في ثلاثمائة من عبد القيس وكان سيدهم، فاقتتلوا، فقتل هو وبعض أبنائه وإخوته.

قال فيه ابن الأثير في أسد الغابة٢: ٤٠: وكان رجلاً صالحاً له دين، مطاعاً في قومه، وهو الذي بعثه عثمان على السند. ثم ذكر قصة مقتلة، وأنه ما رؤي أشجع منه. ثم نقل كلام أبي عبيدة، معمر بن المثنى في حكيم بن جبلة: ليس يُعرف في جاهلية ولا إسلام رجل فعل مثل فعله. انتهى. يعني ما ذكره من شجاعته في تلك المعركة.

وقال عنه الذهبي: الأمير، أحد الأشراف الأبطال، كان ذا دين وتألُّه، أمّره عثمان على السند مدة، ثم نزل البصرة، وكان أحد الذين ثاروا في فتنة عثمان. راجع: سير أعلام النبلاء، للذهبي٢: ٣٢٢. و ٣: ٥٣١. الاستيعاب لابن عبد البر١: ٣٦٦. أسد الغابة، لابن الأثير٢: ٤٠.

وانظر بعد ذلك كيف يصفه سيف بن عمر أنه (لصّ)، وأن ابن عامر حبسه، وسوف ⇦

لصّاً[(١)]، إذا قفل الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة، ويتنكر لهم، ويفسد في الأرض، ويصيب ما شاء ثم يرجع، فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان، فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله، فلا يخرجنَّ من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً، فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها.

فلما قدم ابن السوداء نزل عليه، واجتمع إليه نفر، فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرِّح، فقبلوا منه واستعظموه[(٢)]، وأرسل إليه ابن عامر فسأله: ما أنت؟ فأخبره أنه **رجلٌ من أهل الكتاب، رغب في الإسلام، ورغب في جوارك**، فقال: ما يبلغني ذلك، اخرج عني[(٣)]، فخرج حتى أتى الكوفة

تسمع الكثير من سيف في الطعن على الصحابة والتابعين، ولعله اتُّهم بالزندقة لجرأته وتطاوله وافترائه على أمثال هؤلاء، وبعضهم من خيار الصحابة.

(١) وقد قرأت آراء المؤرخين ومنهم الذهبي في حكيم بن جبلة، وأنه كان من الأشراف، ذا دين وتأله، وقول ابن الأثير: إنه رجل صالح مطاع في قومه. بل أجمع المؤرخون على صلاحه، لكن جريرته الوحيدة أنه خالف عثمان، وناصر علياً عليه السلام فصار لصاً.

ومن العجيب أيضاً أن هذا الراوي اتهم زيد بن صوحان بالسرقة كما سيأتي، ليكون أصحاب علي عليه السلام مجموعة من اللصوص وقطاع الطرق والمتأثرين باليهود.

وقد أراد سيف هنا أن يبين أثر ابن سبأ في حكيم بن جبلة، ليقول: إن حكيماً كان من السبئيين أيضاً.

(٢) ماذا طرح لهم؟ وما سرُّ استعظامهم لما طرح؟ هذا ما لم يصرح به سيف وبقي طي الكتمان.

(٣) يدّعي سيف بن عمر أن عبد الله بن عامر أخرج ابن سبأ من البصرة واكتفى بإخراجه، مع أنه أحسّ بخطره على الإسلام، وإلا لماذا أخرجه؟ في حين أن عثمان كان ينكّل بمن

⇦

فأخرج منها، فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم[1].

الرواية الثالثة:

قال الطبري في تاريخه في أحداث سنة ٣٥هـ: فيما كتب به إليَّ **السَّرِي، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي** قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء[2]، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل

هو دون ذلك، كما فعل مع أبان بن حمران، الذي ادُّعي أنه تزوج امرأة في عدتها، فنكّل به عثمان، وأخرجه إلى البصرة، ثم أخرجه ابن عامر إلى المنفى التقليدي لعثمان في الشام. كما سيّر ابنُ عامر، عامرَ بن عبد القيس إلى الشام، وهو رجل صالح زاهد، وقد كتب به إلى عثمان، فكيف يَدَعُ هذا اليهودي يخرج سالماً دون أن يخبر عثمان بخبره على الأقل، وهو يرى خطره الشديد على الدين وتأثيره الكبير في الناس حسب الزعم؟

(١) تاريخ الطبري٣: ٣٦٨.

(٢) هذه المعلومة عن أمه ليست للتندّر والفكاهة، إنما أقحمت هنا للربط بينه وبين (ابن السوداء) السابق ذكره، وإلا فإنّ معرفة الراوي بلون الأم فقط دون معرفة النسب من جهة الأب، يثير الشك والاستغراب منذ البداية.

ثم إن هذه المعلومة مقحمة بوضوح في هذا الخبر الذي يفترض أن يكون تاريخياً محضاً، فلون أمه لا دخل له في القصة لا من قريب ولا من بعيد، إنما أراد سيف أن يتخلص من اسم ابن سبأ الموهوم، فيربطه بشخصية أقرب للحقيقة هي (ابن السوداء) فهناك بعض الصحابة كان يكنى بابن السوداء، ومنهم عمار بن ياسر.

وقد كانت العرب في الجاهلية إذا أرادت انتقاص رجل عيرته بأمه، بأي صفة يرونها عاراً، ومنها كونها سوداء.

جاء في صحيح البخاري عن أبي ذر قال: إني ساببت رجلاً فعيرتُه بأمه، فقال لي النبي ﷺ: يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية. وفي صحيح مسلم: وكانت أمه

⇦

في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم.

فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشأم، **فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشأم**[1]! فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذّب بأن محمداً يرجع[2]،

أعجمية فعيرته بأمه. قال ابن حجر في شرح حديث البخاري: (قوله فعيرته بأمه) أي نسبته إلى العار، زاد في الأدب: وكانت أمه أعجمية فنلت منها، وفي رواية: قلت له: يا بن السوداء.

وقد قيل في المسبوب: إنه بلال بن رباح، وكانت أمه نوبية تدعى حمامة كما في مقدمة فتح الباري.

وممن كانت أمه أمةً سوداء عمار بن ياسر، ولا يخفى على أحد موقفه المعارض لعثمان، وسوف يكفينا سيف بن عمر مؤنة ذلك، ويبين لنا موقف عمار من عثمان وحكومته.

(١) لماذا الشام دون غيرها؟ هل أن ذلك لكون الحاكم معاوية، والمحكومين ملائكة؟ أو أنهم بلغوا من الحصانة في الدين والعقيدة والفكر مبلغاً لم تصل إليه سائر المناطق، حتى مدينة رسول الله صَلَّىٰلَلَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ؟

من هنا تشم الرائحة الأموية في هذه الروايات، ابتداء من (العاذرين معاوية) ومروراً بسائر روايات سيف.

(٢) موضوع الرجعة يحتاج إلى وقفة طويلة لسنا بصددها الآن، طلباً للاختصار، لكننا نشير إلى أهم ما نحتاجه في تعريفها وفهمها:

فمن ناحية الوقوع الفعلي صرح القرآن الكريم برجوع بعض الناس ـ بل حتى الأحياء الأخرى ـ إلى الحياة الدنيا بعد الموت، ومنهم عزير، الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه، وكذلك حماره. ومنهم صاحب بني إسرائيل الذي ضربوه ببعض البقرة فعادت إليه الحياة. ومن ذلك أيضاً طيور إبراهيم الأربعة التي قطّعهن ثم دعاهن فأتينه سعياً. وغير ذلك من الأمثلة، وما ذلك على الله بعزيز.

أما من الناحية النظرية فليس هناك مانع عقلي ولا نقلي من عودة الكائن الحي للحياة ⇦

وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلى مَعَادٍ﴾ فمحمد أحق بالرجوع من عيسى.

قال: فقُبل ذلك عنه، وَوَضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها[1].

بعد موته، لأنه صورة من صور الإيمان بالمعاد، غاية ما في الأمر أن هناك من يعود للآخرة، وهناك من يعود للدنيا، وكل ذلك متعلق بقدرة الله تعالى على الإماتة والإحياء. وهناك العديد من الشواهد على ذلك أيضاً.

أما عن وقوعها مستقبلاً فهو ممكن أيضاً، أشارت إليه بعض الآيات الشريفة، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾. فهذا الحشر ليس يوم القيامة الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾. والمحشورون يوم القيامة من المكذِّبين والمصدقين، وليس فوجاً من المكذبين فقط كما ذكرت الآية الأولى.

أما القول بالرجعة في تاريخ المسلمين، فيعود إلى زمن وفاة النبي ﷺ **وأول من جهر بها عمر بن الخطاب بقوله: إن رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل مات، والله ليرجعَنَّ رسول الله، فليقطعَنَّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه قد مات.** وروي عنه أنه قال: من قال إنه مات، علوت رأسه بسيفي هذا، وإنما ارتفع إلى السماء.

وبالتالي فإن إنكار الرجعة إجمالاً، نظرياً أو عملياً، تكذيب للقرآن، غاية ما في الأمر هي تحديد من سيرجع في الدنيا فعلاً، وهو موضع الخلاف. فلا معنى من الأساس لنسبة هذه الفكرة لليهود، وهي صريحة في القرآن الكريم بما لا يقبل الشك، والبحث فيها له محل آخر غير هذا.

(١) وكأن أهل مصر ـ كما يزعم سيف ـ مجموعة صغيرة من السذّج أو الأطفال، يتلقون العقائد المنحرفة بيسر وسهولة، لا ينظرون فيها، ولا يرجعون إلى كتاب ولا سنة، فلم يكونوا مثل أهل الشام الأموية المحصنة فكرياً بفضل سيده معاوية!.

ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد.

ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء.

ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووثب على وصي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتناول أمر الأمة.

ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانهضوا في هذا الأمر فحرِّكوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم[1]، وأظهِرُوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس،

---

(١) نسبة الحركة في مصر والتأليب على عثمان لعبد الله بن سبأ في تلك السنة (٣٥هـ) أمر باطل تاريخياً من أساسه، لأنه حدث قبل ذلك بسنوات طويلة بقيادة عمرو بن العاص، الذي لا يشك أحد في دهائه وقدرته في التأثير، وحرصه على المال والدنيا والملك، فلا ابن سبأ ولا العشرات مثله يستطيعون أن يفعلوا معشار ما فعل، بما له من مكر ودهاء وحيلة وجرأة على كل مقدس، وامتداد قبلي، وتاريخ يمكّنه توظيفه بدعوى الصحبة للنبي صلى الله عليه وآله وغيرها.

ففي سنة ٢٥هـ أو ٢٧هـ، أي في السنوات الأولى لتولي عثمان الخلافة، عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر، وقد كان وليها من أيام عمر، وولى بدله عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو أخو عثمان من الرضاعة، فنقم عمرو على الخليفة، وراح يؤلب الناس عليه، واعتزل الأمر، واستقر في فلسطين داعياً للتغيير، فلما بلغه مقتل عثمان قال مفتخراً: إني إذا نكأت قرحةً أدميتها.

قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٠: ٢٧٠، في حوادث سنة ٣٥ ما نصه:

ففيها مقتل عثمان، وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر، ولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص، مقهورين معه، لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء في خليفة

⇦

ولا أمير، فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم، ويولي عليهم من هو ألين منه.

فلم يزل ذلك دأبهم، حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة، وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سرح. ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة، فوقع بينهما، حتى كان بينهما كلام قبيح. فأرسل عثمان، فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر، خراجها وحربها وصلاتها، وبعث إلى عمرو يقول له: لا خير لك في المقام عند من يكرهك، فأقدم إليّ.

فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة **وفي نفسه من عثمان أمر عظيم وشرٌّ كبير**، فكلّمه فيما كان من أمره بنفس، وتقاولا في ذلك، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على عثمان، وأنه كان أعز منه، فقال له عثمان: دع هذا فإنه من أمر الجاهلية.

وجعل عمرو بن العاص يؤلّب الناس على عثمان، وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قدمنا، وينقمون عليه في عزله جماعة من عِلْية الصحابة وتوليته من دونهم، أو من لا يصلح عندهم للولاية.

وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد عمرو بن العاص، واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب، وفتحه بلاد البربر والأندلس وأفريقية.

ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلّبون الناس على حربه والإنكار عليه، وكان عظم ذلك مُسنداً إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، حتى استنفرا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب لينكروا على عثمان. فساروا إليها تحت أربع رفاق، وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعبد الرحمن بن عُديس البلوي، وكنانة بن بشر التيجي، وسودان بن حمران السكوني، وأقبل معهم محمد بن أبي بكر، وأقام بمصر محمد بن أبي حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء.

فالثورة على عثمان، من تأسيس عمرو بن عاص، ومشاركة الكثير من الصحابة وأبنائهم، أما (ابن السوداء) أو (ابن سبأ) فهي أسماء يحشرها المؤرخ حين يحتاج إليها في تبييض بعض الوجوه، أو تشويه بعضها.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب٣: ٩١٩: عن صالح بن الوجيه قال: في سنة خمس وعشرين انتقضت الإسكندرية، فافتتحها عمرو بن العاص، وقتل المقاتلة وسبى الذرية،

⇦

فأمر عثمان برد السبي الذين سبوا من القرى إلى مواضعهم، للعهد الذي كان لهم، ولم يصح عنده نقضهم، وعزل عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، **وكان ذلك بدء الشر بين عثمان وعمرو بن العاص**.

وقال أيضاً في ترجمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح: فلما ولاه عثمان، وعزل عنها عمرو بن العاص، جعل عمرو بن العاص يطعن على عثمان أيضاً، ويؤلب عليه، ويسعى في إفساد أمره، فلما بلغه قتل عثمان، وكان معتزلاً بفلسطين قال: إني إذا نكأت قرحةً أدميتها. راجع أيضاً: الوافي بالوفيات للصفدي١٧ : ١٠١.

وقال الثقفي، وابن عبد البر في ترجمة محمد بن أبي حذيفة: وكان محمد بن أبي حذيفة أشد الناس تأليباً على عثمان، وكذلك كان عمرو بن العاص مذ عزله عن مصر، يعمل حيله في التأليب والطعن على عثمان.

الغارات، للثقفي٢: ٧٤٩. الاستيعاب، لابن عبد البر٣: ١٣٦٩.

وذكر ابن حجر في الإصابة نقلاً عن الواقدي: أن عثمان لما عزل عمرو بن العاص عن مصر، قدم المدينة فجعل يطعن على عثمان. الإصابة، لابن حجر٦: ٢٤.

وذكر ابن الأثير في الكامل٣: ١٩٣ في حوادث سنة ٣٥ قال: فلما خطب الناس (يعني عثمان) قال له عمرو بن العاص: اتق الله يا عثمان، فإنك قد ركبت أموراً وركبناها معك، فتب إلى الله نتب، فناداه عثمان: وإنك هنا يابن النابغة؟! قَمِلَتْ والله جبّتُك منذ عزلتك عن العمل.

وهذه الرواية وغيرها تؤكد أنه لم يكن في مصر أيام الأحداث، وأنه كان معزولاً عن مصر، لا كما سوف يدّعي سيف بعد قليل خلافاً للتاريخ الصحيح.

وروى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج٢: ٢٤٣ عن شيخه أبي جعفر الإسكافي قال: كان عمرو بن العاص ممن يحرض على عثمان ويغري به، وقد خطب عثمان يوماً في آخر خلافته... ثم ذكر ما نقلناه عن ابن الأثير.

وروى البلاذري في أنساب الأشراف: ٢٨٢، في علة انحراف عمرو بن العاص عن عثمان واتصاله بمعاوية قال: وحدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الوارث بن محرر، قال: بلغني أن عمرو بن العاص لما عزله عثمان بن عفان عن مصر، قال

⇦

له: يا أبا عبد الله، أعلمت أن اللقاح بمصر درّت بعدك ألبانها ؟ فقال: لأنكم أعْجَفْتم أولادها. فكان كلاماً غليظاً. فلما تكلم الناس في أمره أتاه فقال: لقد ركبت بالناس النهابير، فأخلص التوبة وراجع الحق. فقال له: وأنت أيضاً يا بن النويبغة تؤلب عليّ؟! لئن عزلتك عن مصر، لا ترى لي طاعتك ؟

فخرج إلى فلسطين، فنزل ضيعة له بها يقال لها عجلان، وبها له قصر، فكان يحرض الناس على عثمان، حتى الرعاة، فلما بلغه أنه محصور قال: العير يضرط والمكواة في النار. ثم بلغه قتله فقال: أنا أبو عبد الله، إني إذا حككت قرحة أدميتها (أو قال: نكأتها). ثم دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فقال لهما: ما تريان ؟ فقال له عبد الله: قد سلم دينك وعرضك إلى اليوم، فاقعد بمكانك...

وعن أبي جعفر الإسكافي المعتزلي قال: كان عمرو بن العاص شديد التحريض والتأليب على عثمان، وكان يقول: والله إن كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان، فضلاً عن الرؤساء والوجوه. فلما سعر الشر بالمدينة، خرج إلى منزله بفلسطين. شرح نهج البلاغة٢: ١٤٤.

وفي أسد الغابة لابن الأثير٤: ١١٧ في ترجمة عمرو بن العاص قال: ثم سيّره عمر في جيش إلى مصر فافتتحها، ولم يزل والياً عليها إلى أن مات عمر، فأمّره عليها عثمان أربع سنين أو نحوها، ثم عزله عنها واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فاعتزل عمرو بفلسطين، وكان يأتي المدينة أحياناً، وكان يطعن على عثمان.

أما حبه للمال والسلطة والدنيا فلا كلام فيه. قال الذهبي في ترجمته: وكان من رجال قريش رأياً ودهاءً ... والله يغفر له ويعفو عنه، ولولا حبه للدنيا، ودخوله في أمور لصلح للخلافة، فإن له سابقة ليست لمعاوية... إلخ. وقال أيضاً: ثم أعطاه معاوية الإقليم (مصر) وأطلق له مغله ست سنين لكونه قام بنصره، فلم يل مصر من جهة معاوية إلا سنتين ونيفاً، ولقد خلف من الذهب قناطير مقنطرة. سير أعلام النبلاء، للذهبي٣: ٥٨.

وقال الزركلي: ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية على مصر سنة ٣٨هـ وأطلق له خراجها ست سنين، فجمع أموالاً طائلة. الأعلام، للزركلي٥: ٧٩.

وأخبار عمرو بن العاص ومساوئه كثيرة، وكذا نسبه وسيرة أبيه في محاربة النبي صلى الله عليه وآله

⇦

وادعوهم إلى هذا الأمر.

فبثَّ دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم[1]، ويكاتبهم إخوانُهم بمثل ذلك، ويكتب أهلُ كلِّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى

وسيرته في مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام.

وخير من وصفه بعبارات موجزة أبو جعفر الإسكافي المعتزلي حيث قال: وما زال عمرو بن العاص ملحداً، ما تردد قط في الإلحاد والزندقة، وكان مثله معاوية. شرح النهج، لابن أبي الحديد٢: ٦٥.

وخلاصة الأمر أن الطعن على عثمان في مصر وفلسطين وغيرهما من الأمصار، كان منذ سنين قبل ابن سبأ المزعوم، وليس ابن العاص وحده كان يطعن ويؤلب ويحرض، إنما كان الكثير من الصحابة كذلك، وهذا ما يكذّب ما ادعاه سيف في مضمون كلامه أن الطعن على عثمان بدأ سنة ٣٥ بتأثير ابن سبأ المزعوم.

وهذا أحد الأدلة الجلية على كذب واختلاق سيف دعوى ابن سبأ، لأن وجود عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومعاوية وابن أبي سرح، وأمثالهم من أهل الكيد والمكر والدهاء والطمع والسعي الحثيث وراء السلطة والإمارة، يرفض أساساً فكرة اليهودي الواحد الذي تتغلب حيلته عليهم، وتلغي وجودهم من خريطة المنافسين، فما عسى يهودي مغمور أن يكون ندّاً لابن العاص صاحب التاريخ الأسود في المكائد والشر؟!

(١) من هنا بدأ ابن سبأ (المفترض) يتحول من شخصية عقدية فكرية، إلى شخصية سياسية، تؤلب الناس على عثمان وولاته، وهذا هو حال السلطة في تشويه المعارضة على مر العصور، وإلا فإن عيوب الولاة لا تحتاج إلى يهودي يدلهم عليها، لأنها أوضح من الشمس في رابعة النهار.

تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعةً، (وهم يريدون غير ما يُظهرون، ويسرون غير ما يبدون)[١]، فيقول أهلُ كلِّ مصرٍ: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء (إلا أهل المدينة) فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس.

قالوا: فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإنا قد أتانا، وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم، قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليَّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار، حتى يرجعوا إليك بأخبارهم.

فدعا **محمد بن مسلمة**[٢] فأرسله إلى الكوفة، وأرسل **أسامة بن زيد** إلى

---

(١) ولم يطلع على نواياهم وأسرارهم وخبايا نفوسهم إلا سيف بن عمر، ولم يقل لنا من أين استقى هذه المعلومة الخطيرة المتعلقة بالنوايا والقلوب، اللهم إلا أن يريد أمراً آخر لم نطلع عليه بعد.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه النصوص لا تعدّ نصوصاً تاريخية أصلاً، ولا قيمة لها من هذه الناحية، لأن وظيفة المؤرخ أن يسرد الحدث ويرويه موثَّقاً بالوثائق، أما إذا تدخّل فيه وحلله، فلا يعد مؤرخاً، إنما هو (مُحلِّل ذو غرض) يعرض الجانب الشخصي الخاص به، ويطبع الحدث بطابعه.

(٢) وهو من الصحابة الذين اعتزلوا القتال بعد مقتل عثمان، ولم يبايع علياً عليه السلام ولم يشهد الجمل ولا صفين مع أحد الطرفين. نزل في المدينة وتوفي فيها سنة ٤٦هـ. ولم أجد أحداً غير سيف ذكر أنه خرج من المدينة أيام عثمان، إنما دخلها أيام عمر، حيث بعثه إلى عمرو بن العاص ليقاسمه ماله، وكان قد بلغه عن الولاة ما لم يكن يرضاه من التصرف في الأموال، فكتب إليه كتاباً شديد اللهجة جاء فيه: أما بعد فإنكم معشر العمال قعدتم

⇦

البصرة، وأرسل **عمار بن ياسر** إلى مصر، وأرسل **عبد الله بن عمر** إلى الشأم، وفرَّق رجالاً سواهم(١)، فرجعوا جميعاً قبل عمار(٢)، فقالوا: أيها الناس، **ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم**(٣).

على عيون الأموال، فجبيتم الحرام، وأكلتم الحرام، وأورثتم الحرام... إلخ. فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم القرشي المصري: ٢٥٨. دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد الحجيري، ١٩٩٦م.

(١) لم أجد في أخبار هؤلاء أنهم ذهبوا إلى البلدان المذكورة، لا سيما عمار بن ياسر، الذي كان على خلاف شديد مع عثمان.

(٢) وهكذا تكتسب السبئية قوة إضافية ـ طبقاً لما رواه سيف ـ باستمالتها عمار بن ياسر، وتذهب نظرية عدالة الصحابة أدراج الرياح، فكيف يمكن هنا أن نقول بعدالة عمار وقد (تهوّد) وتبع ابن سبأ كما سيأتي؟!

(٣) أراد سيف هنا أن يغلق باب الطعن على عثمان بسبب ولاته، وأن يجعل الأهداف الحقيقية للثورة تحركاً يهودياً مضاداً، فينفي أن تكون هناك مبررات معقولة للثورة غير التخريب والإفساد، وهو ما يفعله الحكام الذين اتخذوا من التدخل الأجنبي ذرائع في قمع الشعوب. ولكن يبقى السؤال: من أين أتت الأخبار لعثمان بفساد الولاة؟ فلا بد من وجود أشخاص بعينهم نقلوا تلك الأخبار أولاً حتى وصلت إلى عثمان، سيما أنها بلغت من الذروة بحيث دعت عثمان للتحقق من الأمر بنفسه كما زعم سيف. ومن المنطقي أن يواصل عثمان معالجة الأمر بمتابعة الناقلين الأوائل، للوصول إلى المصدر الذي بث الإشاعات المفترضة، فإرسال الرسل لا يجدي نفعاً ما لم يعالج أصل المشكلة. وسوف يتبين لك أن المشكلة تفاقمت فعلاً فيما بعد، وأدت إلى قتل عثمان. فإما أن عثمان لم يحسن التعامل مع هذه القضية، وإما أن تكون روايات سيف باطلة من أساسها، وأن هناك واقعاً حقيقياً فرض نفسه وأدى إلى الثورة.

واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل، **فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح**[١] **يخبرهم أن عماراً قد استماله قومٌ بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء**[٢]**، وخالد بن ملجم**[٣]**، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر**[٤].

وهذه الأسماء الأربعة الأخيرة لا تجد لها أثراً إلا في روايات سيف أو من جاء بعده.

الصنف الثاني ـ دور السبئيّة المزعوم في قتل عثمان

في هذه المرحلة يختفي البطل (ابن سبأ) كلياً، ليبدأ فصلٌ جديد، وهو انتقاض الأطراف على عثمان بسبب التحريض على الولاة، وحركة عثمان ـ كما يزعم سيف ـ في استرضاء الناس وحل المشكلات وإقامة العدل، ومتابعة الولاة ومحاسبتهم، والبدء بإصلاحات كبيرة، ثم يظهر السبئيون من جديد ومعهم (ابن السوداء) بدور مغاير لما كان عليه، فهو مستشار كبير

---

(١) وكان هو الوالي على مصر أيام الأحداث، وليس عمرو بن العاص.

(٢) هذا هو الموقع المناسب لما ذكره في صدر روايته، وهو أن أم عبد الله بن سبأ كانت سوداء، فجمع هنا بين الرجلين ليكونا شخصاً واحداً.

(٣) لا وجود له في التاريخ وتراجم الرجال، واحتمال بعض الكتاب المعاصرين أنه عبد الرحمن بن ملجم في غير محله، لأن الأخير مشهور لا يخفى على عامة الناس، فكيف بمن يكتب التاريخ؟. ولو تنزلنا قليلاً وقلنا: إن سيف بن عمر خلط بين الرجلين، فهذا يردّ قول الذهبي فيه أنه (كان إخبارياً عارفاً). وقول ابن حجر أنه (عمدة في التاريخ) فإن كانت هذه معرفته بأشهر الأسماء، فما ظنك بغيرها؟!.

(٤) تاريخ الطبري٣: ٣٧٩.

ومحرك، وليس قائداً، إنما القيادة بيد الصحابة والجيش من المصريين والكوفيين والبصريين، فكانت القيادات القبلية، والرؤوس من الصحابة والتابعين، تقود الحركة الانقلابية على عثمان، وتتلقى الرأي والمشورة من غرفة عمليات (ابن سبأ) وهذا ما يظهر جلياً من متابعتنا لمرويات سيف التالية:

الرواية الأولى:

وهي عن الذهبي في تاريخ الإسلام بالنص التالي:

وقال سيف بن عمر، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال: لما خرج ابن السوداء إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرة، وعلى كنانة بن حمران[١] مرة، وانقطع إلى الغافقي، فسحبه الغافقي فكلمه، وأطاف به خالد بن ملجم، وعبد الله بن رزين[٢]، وأشباه لهم، فصرف لهم القول، فلم يجدهم يجيبون إلى الوصية[٣]، فقال: عليكم بباب العرب وحجرهم، ولسنا من رجاله، فأروه أنكم تزرعون، ولا تزرعوا العام شيئاً حتى تنكسر مصر، فتشكوه إلى عثمان فيعزله عنكم، ونسأل من هو أضعف منه ونخلو بما نريد[٤]، نظهر الأمر

---

(١) مر قبل قليل أن اسمه سودان بن حمران، وليس كنانة بن حمران.

(٢) وهو من رجال سيف، ولا وجود له في كتب التراجم.

(٣) هذه المعلومة الجديدة متناقضة تماماً مع ما قبلها، فقد ذكر فيما مضى أن المصريين استجابوا بسرعة فائقة، فيما يذكر هنا أنهم توقفوا ولم يستجيبوا.

ثم ما علاقة الدعوة للوصية هنا؟ فهل أن إثارة المصريين اقتصادياً يجعلهم يؤمنون بها؟

(٤) لا أظن أن أحداً يحترم عقله، يصدّق مثل هذه الخطة البائسة، فهل كان الفلاحون في مصر كلها بيد ابن سبأ يصرفهم كيف يشاء، فيأمرهم أن لا يزرعوا، فستجيبوا له على حساب أقواتهم وأرزاقهم؟ ولو كانوا كذلك لاستمعوا لرأيه في الوصية، إذ

⇦

بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان أسرعهم إلى ذلك محمد بن أبي حذيفة، وهو ابن خال معاوية ...

قال : ففعلوا ما أمرهم به ابن السوداء. ثم إنهم خرجوا ومن شاء الله منهم، فشكوا عَمراً واستعفوا منه، وكلما نهنه عثمان عن عمرو قوماً وسكتهم انبعث آخرون بشيء آخر(١)، وكلهم يطلب عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فقال لهم عثمان: أما عمرو فسننزعه عنكم ونقره على الحرب(٢)، ثم ولى ابن أبي

لا يكلفهم شيئاً من أرزاقهم.

ولو كانت الحال هكذا فما دور الأمير؟ وما هي مسؤوليته؟

لقد كذب سيف في هذه الرواية كذبة مركبة من كذبتين، فقد ادعى أنهم تآمروا على عمرو بن العاص ـ كما سيأتي في روايته ـ وهو لم يكن في مصر أصلاً كما رأيت في ترجمته السابقة، إنما كان عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح. وكذب في نسبة تخذيل ابن السوداء للمزارعين، وأن الفلاحين المصريين كانوا يأتمرون بأمره.

والحقيقة أن هناك أمراً أراد سيف أن يخفيه ويدفعه بهذه الكذبة المركبة، وهو سرقة عمرو بن العاص لبيت المال، واختلافه مع عثمان لهذا السبب، لا لغيره كما زعم البعض، وقد عرّض به عثمان بعد ذلك وجرى بينهما كلام غليظ كما مر، قال له عثمان: أعلمت أن اللقاح بمصر درّت بعدك ألبانها ؟ فقال: لأنكم أعجفتم أولادها. فكان كلاماً غليظاً.

ومن البديهي أن يبحث سيف عما يبيض صفحة ابن العاص، تثميناً لموقفه المساند لمعاوية في مقابل علي.

(١) لا يمكن أن يصدق أحد أن عمرو بن العاص (مسكين) لهذه الدرجة، فلا يستطيع الخروج من هكذا مؤامرة بحيله ودهائه، فقد اشتهر بدهائه ومكره إلى حد بعيد، وكان يعد من دهاة العرب في زمانه.

(٢) وهذه كذبة أخرى أقبح من سابقاتها، لأن عزل عمرو بن العاص كان قبل هذا التاريخ بثمان سنين، ولا أدري كيف تخطت هذه الكذبة رقابة المؤرخين؟ فقد ذكر

⇦

سرح خراجهم، وترك عمراً على الصلاة، فمشى في ذلك سودان، وكنانة بن بشر، وخارجة، فيما بين عبد الله بن سعد، وعمرو بن العاص، وأغروا بينهما حتى تكاتبا على قدر ما أبلغوا كل واحد. وكتبا إلى عثمان.

فكتب ابن أبي سرح: إن خراجي لا يستقيم ما دام عمرو على الصلاة. وخرجوا فصدقوه واستعفوا من عمرو، وسألوا ابن أبي سرح ، فكتب عثمان إلى عمرو: إنه لا خير لك في صحبة من يكرهك، فأقبل. ثم جمع مصر لابن أبي سرح[1].

وقبل الذهبي ذكر ابن عساكر رواية شبيهة لها في تاريخه، وهي عن سيف أيضاً، إلا أنه لم يذكر المؤامرة المذكورة في تحريض الفلاحين، وهذا نصها:

سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: لما قدم ابن السوداء مصر عجمهم واستخلاهم واستخلوه، وعرض لهم بالكفر فأبعدوه... فطعن على عمرو بن العاص، وقال: ما باله أكثركم عطاءً ورزقاً...إلخ[2].

الذهبي نفسه في أحداث سنة ٢٥هـ أن عثمان عزل ابن العاص عن ولاية مصر واستعمل ابن أبي سرح، ثم قال: والصحيح أن ذلك في سنة سبع وعشرين. راجع: تاريخ الإسلام، للذهبي٣: ٣١٢.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي٣: ٤٣٤. وهذا يقتضي أن جمع مصر لابن أبي سرح كان سنة ٣٥هـ في سنة دخول ابن السوداء إليها، وأن العزل والتولية كان مكيدة من ابن السوداء، وهو مخالف لما أجمع عليه سائر المؤرخين من أن العزل والتولية حدث قبل ذلك بستّ سنين أو أكثر. إلا أن سيف بن عمر جعل الأحداث متزامنة مع بعضها لتكتمل الصورة التي أرادها.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر٢٩: ٦.

أي أنه بدأ بالتحريض على ابن العاص مباشرة، ولم يلجأ لتحريض الفلاحين.

الرواية الثانية:

في تاريخ الطبري: كتب إليّ السري عن شعيب عن سيف، عن محمد وطلحة وعطية قالوا:

كتب عثمان إلى أهل الأمصار:

أما بعد فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم[١]، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يُرفع عليَّ شيء، ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم. وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يشتمون، وآخرون يضربون، فيا من ضرب سراً، وشتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليوافِ الموسم، فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا، فإن الله يجزي المتصدقين.

فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان، وقالوا: إنّ الأمة لَتمخّض بشرّ[٢].

---

(١) أي أنه فرض عليهم المجيء إلى مكة في موسم الحج.

(٢) أي شرٍّ يريده سيف هنا، وقد عاد المبعوثون وليس في جعبتهم سوى أن الأمور طبيعية جداً، فلم ينكروا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم؟. فإن كان الأعلام والعوام لا ينكرون شيئاً، فأي أمة تمخض بشر؟ وهل الأمة إلا الأعلام والعوام؟

وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه[١]، عبد الله بن عامر[٢]، ومعاوية، وعبد الله بن سعد[٣]، وأدخل معهم في المشورة سعيداً[٤]

---

(١) من هنا تبدأ المحاسبة المفترضة للعمال، وبرنامج الإصلاح السياسي الذي افترضه سيف للخليفة الثالث، إلا أن هذا البرنامج لم يكن سوى دعاية إعلامية أراد منها سيف تبرئة الولاة، وحصر أسباب الثورة بالسبئية المزعومة.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، أخو عثمان من الرضاعة، كان أشد الناس على رسول الله ﷺ قبل الفتح، وقد أهدر دمه في فتح مكة، فتشفع فيه عثمان. وكان قبل ذلك أسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتدّ عن الإسلام، وخرج من المدينة إلى مكة، والتحق بالمشركين، وكان يقول لهم: إني كنت أصرّف محمداً حيث أريد، كان يملي عليَّ عزيزٌ حكيم، فأقول: أو عليمٌ حكيم، فيقول: نعم، كلٌّ صواب.

وبعد ارتداده والتحاقه بمشركي مكة وشى بعمار بن ياسر وجماعة، فأخذوهم وعذبوهم حتى أظهروا الكفر، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيْمَانِ**﴾.

وقد نعته القرآن الكريم بالكفر صراحةً، ففيه نزل قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرَاً**﴾. وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبَاً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ**﴾. ولّاه عثمان على مصر سنة ٢٥هـ، ومات بالرملة سنة ٥٩هـ.

قال ابن الأثير في أسد الغابة: فلما استعمله عثمان على مصر وعزل عنها عمراً (يعني ابن العاص) جعل عمرو يطعن على عثمان، ويؤلّب عليه، ويسعى في إفساد أمره.

تجد ترجمة ابن أبي سرح في طبقات ابن سعد٧: ٤٩٦. وفي أسد الغابة لابن الأثير٣: ١٧٣. سير أعلام النبلاء للذهبي٣: ٣٤. الإصابة، لابن حجر١: ٥٦٢. وغيرها من المصادر.

(٤) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي، والي عثمان على الكوفة، خلفاً للوليد بن عقبة بن أبي معيط الفاسق. قُتل أبوه مشركاً يوم بدر، قتله علي بن أبي طالب.

⇦

وعمراً[(١)]، فقال: ويحكم، ما هذه الشكاية؟ وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم، وما يعصب هذا إلا بي[(٢)].

فقالوا له: ألم تبعث؟ ألم نرجع إليك الخبر عن القوم؟ ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء؟ لا والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء، وما هي إلا إذاعة لا يحل

ولما ولاه عثمان الكوفة قدمها شاباً مترفاً ليست له سابقة، فقال: لا أصعد المنبر حتى يطهر، فأمر به فغسل. فصعد في أول خطبة له، وتكلم بكلام انتقص فيه أهل الكوفة، ونسبهم للشقاق والخلاف، فقال: إنما هذا السواد بستان لأغيلمة من قريش. فشكوه إلى عثمان فقال: كلما رأى أحدكم من أميره جفوة أرادنا أن نعزله؟!

وبعد عودته من المدينة إلى الكوفة بعد هذا المؤتمر الذي ذكره سيف، أضرَّ بأهلها إضراراً شديداً. فكان مما فعله أنه ضرب هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (المعروف بالمرقال) وأحرق داره.

راجع ترجمته مفصلة في طبقات ابن سعد٥: ٣٣.

(١) عمرو بن العاص، مر ذكره وترجمته. وقد أقحمه سيف هنا، مع أنه لم يكن على وفاق مع عثمان ـ بسبب عزله من ولاية مصر، وكان من المؤلبين عليه ـ لأنه أراد تبرئته من ذلك، ليده البيضاء على الأمويين، وموقفه التالي في مناهضة علي عليه السلام.

(٢) الملاحظ هنا أنك تجد تناقضاً واضحاً في هذه القصة، فمن جهة أن الإشاعة والإذاعة انتشرت حتى وصلت إلى عثمان في المدينة، وأن الأمة تمخض بشر، ومن جهة أخرى أن (لجنة تقصي الحقائق) التي أرسلها عثمان لم تقدّم في تقريرها شيئاً إلا الخير، ولم ينكروا شيئاً بحسب المدعى، بل إن أعلام المسلمين وعامتهم كانوا على خير كما هو المدعى. اللهم إلا أن يقال: إن تلك اللجنة كذبت على عثمان وغشته، بل كذب عليه الولاة فيما يأتي، وهم معاوية وابن أبي سرح وعبد الله بن عامر.

الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها[١].

قال: فأشيروا علي، فقال سعيد بن العاص: **هذا أمر مصنوع يصنع في السر**[٢]، **فيلقى به غير ذي المعرفة، فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم.** قال: فما دواء ذلك؟ قال: **طلب هؤلاء القوم، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم.**

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم، إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم.

قال معاوية: قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما. قال: فما الرأي؟ قال حسن الأدب[٣].

---

(١) الملفت للنظر هنا أن الخليفة الثالث يستطلع الأمر من المدَّعى عليهم، فهم الخصم والحكم في آن واحد، ولم نعهد يوماً أن متهماً أقر على نفسه بالذنب، لا سيما الولاة والعمال. وهذه من السقطات التي لم يوفق فيها سيف، وكان الأجدر به أن يأتي في قصته المصنوعة هذه، بشهود يشهدون لهم بالصلاح.

(٢) صحيح أن الإشاعة يمكن أن تصنع بالسر، ولكن هل تذاع (بالسرِّ) أيضاً؟ فللإشاعة صانع وأدوات نشر، فإن لم تتمكن السلطة من ضبط الصانع، فلا شك أنها يمكن أن تتعامل مع من يذيعها وينشرها.

(٣) لم يشتكِ معاوية من (ابن سبأ) الذي أتاه به عبادة بن الصامت، وعرّفه أنه رأس الفتنة، وأثار عليه أبا ذر، ثم الطبقة الإرستقراطية حسب الزعم. ولعل سيفاً حرص على أن يكون بطل القصة في هذه المرحلة (يعمل في السر والخفاء) وأنى له ذلك وقد كشف أمره سابقاً لمعاوية؟ وبالتالي يكون معاوية هو الوالي الوحيد الذي يعرف رأس الفتنة المزعوم، ولم يخبر به عثمان. والسر في ذلك أن سيف بن عمر أراد أن يجعل الشام ⇦

قال: فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لنت لهم، وتراخيت عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين، إنَّ الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعاً اللين.

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به عليَّ قد سمعت، ولكل أمر باب يؤتى منه... ووالله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها. **كفكفوا الناس، وهَبوا لهم حقوقهم، واغتفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله، فلا تدهنوا فيها**[1].

فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه.

ولما استقل عثمان رجز الحادي:

قد علمت ضوامر المطيّ   وضمرات عوج القسي

بمنأىً عن الفتنة، ويعصبها برأس المصريين والبصريين والكوفيين وسائر أهل الأمصار. فنسي ما ذكره سابقاً من تفاقم الأوضاع في الشام، ثم ادعى هنا أنها هادئة مستقرة، وكل شيء فيها على ما يرام. وصدق من قال: إن ذاكرة الكذاب ضعيفة.

(١) يظهر من كلام الولاة السابق وكلام عثمان الأخير أن هناك مشكلة حقيقية كبيرة، وليست إشاعة وإذاعة، ومعظم الأمر يدور حول المال والحقوق العامة والحريات الشخصية. لذا تجد في ثنايا كلام عثمان ـ إن صحت النسبة إليه ـ إقراراً واضحاً بوجود المشكلة، من خلال العلاج الذي اقترحه، فالعلاج لم يكن (مواجهة إشاعة) بقدر ما هو تغيير في السياسات العامة.

أن الأميـــر بعـــده علـــيّ وفـي الزبيـر خلـف رضـي
وطلحـة الحـامي لهـا ولـي[١]

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان: **الأمير والله بعده صاحب البغلة، وأشار إلى معاوية**[٢].

كعب الأحبار السبئي:

ونقف هنا في محطة مهمة يتخطاها التاريخ بهدوء، ويتغاضى عنها الباحثون عمداً أو سهواً، وهي (**بشارة كعب الأحبار لمعاوية بالخلافة بعد عثمان**).

فمن المؤكد أن كعباً لا يعلم الغيب، إنما هو من علم أهل الكتاب، وقد حصل ذلك منه في الماضي مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حين أخبره أنه مقتول بعد ثلاث، وراح يعدّ الأيام عليه حتى بلغت ساعة الصفر.

وإن وجدنا من الباحثين من يشير بأصابع الاتهام لكعب بالمشاركة في قتل عمر، فإننا لا نرى من يشير إلى دوره في الفتنة، ومن أين علم أن معاوية سيكون الخليفة؟ ﴿أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْدَاً﴾[٣].

---

(١) في هذه الأبيات من الضعف والركاكة ومخالفة قواعد اللغة وأساليب البلاغة ما لا يخفى على أهل الحس والذوق العربي. ثم كيف يمكن للراجز أن يتجرأ فيقول ذلك في حياة عثمان، ويتنبأ بما يحدث بعده بمرأىً ومسمع منه ؟ لكنه التمهيد (التوراتي اليهودي) لإمارة معاوية كما ترى في إخبار كعب الأحبار.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٣٧٩ ـ ٣٨١.

(٣) مريم: ٧٨.

وقد روي عن كعب الأحبار أنه أخبر عن ملك النبي ﷺ وأنه يكون بالشام، وأنه في التوراة. قال: **ويكون ملكه بالشام**[١]!

وقال: إني وجدت في كتاب الله تعالى المنزل في التوراة، أن الشام كنز الله في أرضه، وبها كنز الله تعالى من عباده[٢].

وأراد عمر العراق فقال له كعب: **أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من العراق**[٣]**، فإنها أرض المكر، وأرض السحر، وبها تسعة أعشار الشر، وبها كلُّ داء عُضال، وبها كل شيطان مارد**[٤].

وروي عنه أنه قال: **لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية**[٥].

فإذا كانت التوراة قد عينت معاوية خليفة ومَلكاً في الشام، فهذا يعني أنه منصّب من الله في كتب اليهود، وهو الخليفة بعد عثمان. ومع ذلك تجد من يدّعي أن (ابن سبأ) جاء بعقيدة الوصية من اليهود.

---

(١) سنن الدارمي١: ٦.

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر١: ١٢١.

(٣) يمثل العراق في نظر الأمويين وأتباعهم، التشيع لعلي عليه السلام وإن لم يكن كله من الشيعة، ومن هنا تجد الموقف المتشدد لهم من أهل العراق على مر العصور، ونعتهم بكل قبيح، وهذه إحدى الشواهد على التأسيس اليهودي للفكر الأموي. ومن المؤسف أن تنتقل العدوى لغير الأمويين، في النَّيل من العراق وتاريخه في الولاء لأهل البيت عليهم السلام ﴿وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعَاً﴾.

(٤) تاريخ دمشق، لابن عساكر١: ١٢١.

(٥) تاريخ دمشق، ابن عساكر٥٩: ١٧٦. سير أعلام النبلاء، للذهبي٣: ١٥٣.

فهل كان كعب الأحبار هو (ابن سبأ الحقيقي) الذي عمل تلك الدسائس كلها، أو أن هناك أمراً آخر؟

ومن الملاحظ أيضاً أن تنبُّؤات كعب (التوراتية) غالباً ما تتعلق بالأمور الحساسة للدولة من السلطة والحكم، فقد تنبأ بمقتل عمر، ومشاركة محمد بن أبي حذيفة في الثورة على عثمان، وبالخليفة التالي بعد عثمان وهو معاوية، وأن مُلك النبي سيكون بالشام، وهلم جرا.

يقول الطبري في رواية أخرى في السياق ذاته:

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن بدر بن الخليل بن عثمان بن قطبة الأسدي عن رجل من بني أسد! قال: **ما زال معاوية يطمع فيها بعد مقدمه على عثمان، حين جمعهم فاجتمعوا إليه بالموسم، ثم ارتحل،** فحدا به الراجز:

إن الأمير بعده علي   وفي الزبير خلفٌ رضي

قال كعب: **كذبتَ، صاحبُ الشهباء بعده، يعني معاوية.** فأُخبر معاوية فسأله عن الذي بلغه قال: **نعم، أنت الأمير بعده،** ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذّب بحديثي هذا، **فوقعت في نفس معاوية**[1].

ثم يروي الطبري رواية أخرى عن سيف يُظهر فيها السبئيّة من جديد، وهم تيار مؤثر وفاعل ومنظم، وليس شخصاً واحداً ينظّر للخروج على عثمان، وهي الرواية التالية:

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٣٨١.

الرواية الثالثة:

وهي عن سيف بالسند السابق قال: وقد كان (أهل مصر) كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجابهم، أن يثوروا خلاف أمرائهم، واتّعدوا يوماً حيث شخص أمراؤهم، فلم يستقم ذلك لأحد منهم، ولم ينهض إلا أهل الكوفة، فإن يزيد بن قيس الأرحبي(١) ثار فيها، واجتمع إليه أصحابه، وعلى الحرب يومئذٍ القعقاع بن عمرو(٢)، فأتاه فأحاط الناس

(١) من خيار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، له إدراك، وكان رئيساً كبيراً في قومه. اشترك في حروب علي عليه السلام الثلاثة، وكان له في صفين مواقف مشهودة، وولاه علي عليه السلام شرطته، ثم ولاه إصفهان والري وهمذان. وكان واحداً ممن بعثهم أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية قبيل اشتعال حرب صفين. وهو ـ بحسب تصنيف سيف والمدرسة الأموية ـ أحد العناصر السبئية.

وقد ورد في كتاب الدعاء للطبراني: ٥٧٢، عن مسروق عن عائشة أنها قالت: ما فعل يزيد بن قيس الأرحبي لعنه الله؟ فقلت: مات، قالت: أستغفر الله وأتوب إليه. فقلت: فيم لعنته، وفيم استغفرت؟ قالت: لعنته لأنه كان نمّاماً بيني وبين علي، وكذب عليّ ما لم أقل، واستغفرتُ الله وتبت إليه لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى أن نسب أمواتنا.

وجاء في رواية أخرى في المصدر ذاته، أنها لم تذكر سبب لعنها له.

وقد صح من طريق ابن مسعود قول النبي صلى الله عليه وآله: ليس المؤمن بطعّان ولا بلعان ولا الفاحش البذيء. مسند أحمد١: ٤٠٥.

وفي حديث عائشة، أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وآله فلعنت بعيراً لها، فأمر به النبي صلى الله عليه وآله أن يُرَدّ، وقال: لا يصحبني شيءٌ ملعون. مسند أحمد٦: ٧٢.

(٢) وهو من مختلقات سيف وأساطيره، رجل لا أثر له في تراجم الصحابة ولا غيرهم، إلا ما رووه عن سيف. قال ابن عبد البر في الاستيعاب٢: ٧٨٤، في ترجمة عاصم بن عمرو ⇦

بهم وناشدوهم، فقال يزيد للقعقاع: ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء؟ فوالله إني لسامع مطيع، وإني للازم لجماعتي... واجتمع الناس على أبي موسى، وأقره عثمان رضى الله تعالى عنه.

ولما رجع الأمراء **لم يكن للسبائية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة، لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس ولتحقق عليه.** فتوافوا بالمدينة.

وأرسل عثمان رجلين مخزومياً وزهرياً[(١)] فقال: انظرا ما يريدون، واعلما علمهم، وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب، فاصطبرا للحق ولم يضطغنا،

التميمي: أخو القعقاع بن عمرو، أدرك النبي ﷺ فيما ذكر سيف بن عمر، ولا يصح لهما عند أهل الحديث صحبة ولا لقاء ولا رواية والله أعلم.

وقال أيضاً عند ذكر اسمه: القعقاع بن عمرو التميمي، قال: شهدت وفاة النبي ﷺ فيما رواه سيف بن عمر، عن عمرو بن تميم عن أبيه عنه.

قال ابن أبي حاتم: وسيف متروك الحديث، فبطل ما جاء من ذلك. الاستيعاب، لابن عبد البر٣: ١٢٨٤.

(١) بحسب (سيناريو) سيف أن عثمان بعث إلى الأمصار لجنة من الصحابة المعروفين لتقصي الحقائق، يوم كانت الأمور في حدود الإشاعة والإذاعة، ولكن عندما أصبحت الأمور واضحة، والمشكلة كبيرة جداً، والتحرك ظاهراً للعيان، بعث رجلين مجهولين مغمورين. فأين ذهب المئات من الصحابة من مشاوريه وأعوانه؟ اللهم إلا أن يقال: إن هؤلاء (جواسيس وعيون) وهو أمر معقول، ولكن يأتي الإشكال الآخر: كيف وثق السبئيون برجلين مجهولين مع ما أحيط به ابن سبأ من هالة كبيرة في الدهاء والمكر؟

فلما رأوهما باثوهما، وأخبروهما بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة؟ قالوا: ثلاثة نفر، فقالا: هل إلا ؟ قالوا: لا، قالا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم، فنزعم لهم أنا قررناه بها فلم يخرج منها، ولم يتب، ثم نخرج كأنا حجاج، حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه وكانت إياها[١].

فرجعا إلى عثمان بالخبر، فضحك! وقال: اللهم سلّم هؤلاء! فإنك إن لم تسلمهم شقوا[٢].

قال الطبري: **ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف، وأبى المسلمون إلا قتلهم، وأبى إلا تركهم**، فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوهم

---

(١) وهذه من سقطات سيف وتناقضاته الكبيرة التي لم يلتفت إليها أيضاً، وما أكثر تناقضاته العجيبة، أو لأن حبل الكذب قصير، فقد قرر أولاً أنهم كانوا يتحركون بسرية تامة، ثم صرح هنا أنهم نشروا غسيلهم بالكامل، وأفشوا سرهم لرجلين لا يعرفونهما وليسا من أتباعهم، بل أفصحوا حتى عن نواياهم وخفاياهم بطريقة أقرب إلى التحقيق الجنائي، وهو ما لا يقبله عقل في أي تحرك سري غير معلن الهدف كما هو مفترض. وبالتالي لا يصدق أن هؤلاء السذج الثرثارين، يستطيعون إخفاء مخططهم وخداع الصحابة والسيطرة على الأمور بشكل سحري.

(٢) العجب من سيف وهو يدعي أن الخليفة ـ وهو رأس الهرم في الدولة، والمسؤول الأول في الأمة ـ يرى الخطر بعينيه يتهدد الدولة من أناس يحيكون الدسائس والمكائد فيضحك، ثم يدعو لهم! وهل هذه طريقة للضحك أو مصيبة؟ فهل صدّق سيف أكذوبته هذه قبل أن يبثها للأجيال؟! أليس من واجب الخليفة أن يحمي أمن الدولة من هؤلاء الذين أفصحوا ـ بحسب الزعم ـ عن مخططاتهم في إثارة الفتنة؟ بل إنه زعم أن عثمان دافع عنهم، ومنع المسلمين من قتلهم كما يأتي في تتمة الرواية.

مع الحجاج كالحجاج، فتكاتبوا، وقالوا: موعدكم ضواحي المدينة في شوال، حتى إذا دخل شوال من سنة اثنتي عشرة[1] ضربوا كالحجاج فنزلوا قرب المدينة.

الرواية الرابعة:

في تاريخ الإسلام للذهبي: وقال سيف، عن مبشر[2]، وسهل بن يوسف[3]، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: قدم عمار بن ياسر من مصر، وأبي شاكّ، فبلغه، فبعثني إليه أدعوه، فقام معي وعليه عمامة وسخة

---

(١) أي من خلافة عثمان، وهي سنة ٣٥هـ.

(٢) مبشر بن الفضيل، مجهول بالنقل عن سعد بن أبي وقاص، إسناده لا يصح. ضعفاء العقيلي٤: ٢٣٦. وقال الذهبي وابن حجر: شيخ لسيف لا يُدرى من هو. ميزان الاعتدال٣: ٤٣٤. لسان الميزان٥: ١٣.

ولم أجد له ترجمة في كتب الرجال المعتبرة، ولا غير المعتبرة عند أهل السنة، سوى ما رأيت. ولم يرد عنه في كتبهم سوى حديث واحد رواه سيف أيضاً في ذم عمار بن ياسر والانتقاص منه، وهو في ضعفاء العقيلي، وسوف يأتي لاحقاً. وقد عدّه العلامة العسكري من مختلقات سيف أيضاً، وما أكثر مختلقاته.

(٣) مجهول، عدّه العلامة العسكري في معالم المدرستين من مخترعات سيف.

وورد في فيض القدير للمناوي١: ٦١٠: سهل وأبوه مجهولان.

وفي الاستيعاب لابن عبد البر٢: ٦٦٧، في ترجمة سهل بن مالك: يقال فيه: إنه من الأنصار (يعني سهل بن مالك) ولا يصح، وفي أسناد حديثه مجهولون وضعفاء غير معروفين، يدور على سهل بن يوسف بن سهل عن أبيه عن جده، وكلهم لا يعرف. وفي لسان الميزان لابن حجر٣: ١٢٢: سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري، مجهول الحال، قال ابن عبد البر: لا يعرف ولا أبوه.

وجبة فراء[١]. فلما دخل على سعد قال له: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنت فينا لمن أهل الخير، فما الذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين[٢] والتأليب على أمير المؤمنين! أمعك عقلك أم لا؟. فأهوى عمار على عمامته وغضب فنزعها، وقال: خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه، فقال سعد: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويحك، حين كبرت سنك، ورق عظمك، ونفد عمرك، **خلعتَ ربقة الإسلام من عنقك وخرجت من الدين عرياناً**[٣]؟ فقام عمار مغضباً مولياً وهو يقول: أعوذ بربي من فتنة سعد، فقال سعد: ﴿أَلَا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، اللهم زد عثمان بعفوه وحلمه عندك درجات.

حتى خرج عمار من الباب، فأقبل عليّ سعد يبكي حتى أخضل لحيته، وقال: من يأمن الفتنة يا بني، **لا يخرجنَّ** منك ما سمعت منه، **فإنه من**

---

(١) لم أجد لذلك الوصف تفسيراً سوى أنه يدخل في الحط من شخصية عمار والتنفير منه.

(٢) لاحظ الجرأة على رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فقد قال في عمار: ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار. رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير٣: ٢٠٧، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣: ٩١، عن أبي سعيد الخدري. وفي لفظ البخاري: عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار. وقال: إن عماراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. تخريج الأحاديث والآثار٢: ٢٤٦.

هذا هو عمار في ميزان النبوة، أما في ميزان الفئة الباغية فهو مفسد، ليس معه عقله، أدركته دلهة الكبر، فخرج من الإسلام عرياناً، لا لشيء إلا لأنه عارض السلطة. وبالتالي تنقلب الموازين النبوية عند سيف وأمثاله من الحزب الأموي، فيكون الداعي إلى الله والجنة مفسداً، والداعي إلى الشيطان والنار مصلحاً.

(٣) معارضة السلطة تعني الخروج من ربقة الدين والإسلام.

الأمانة، وإني أكره أن يتعلق به الناس عليه يتناولونه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الحق مع عمار ما لم تغلب عليه دَلْهة الكِبَر**(١)، فقد دله وخرف(٢).

وهكذا تكتمل الصورة عند سيف، ليسهل عليه بعد ذلك أن يصرّف الأحداث كيف يشاء، بعد أن برأ ساحة عثمان وولاته، وأدخل في شخوص القصة عناصر جديدة، أبرزها الصحابي الجليل عمار بن ياسر، وانتقص من قدره إلى حدّ بعيد، ليُدخل بعد ذلك صحابة وتابعين ورؤساء قبائل وأعياناً، من أمثال الصحابي عبد الرحمن بن عُديس البَلَوي، وهو من أصحاب بيعة الشجرة، ليتناول بعد حين علي بن أبي طالب وأبناءه وأتباعه وأنصاره وشيعته، فيكون الأمر (فتنة) وليس (ثورة) وهذا ما تراه في الرواية التالية:

---

(١) الدَّلَهُ: ذهاب العقل من همٍّ أو مرض أو عشق أو غيره، أي أنه (يهجر). وبمقتضى ادّعاء سيف أن محمد بن سعد خالف أمر أبيه، وخان الأمانة، حيث أوصاه بالكتمان.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي٣: ٤٣٤. وهذا الحديث أيضاً من موضوعات سيف والأمويين، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وراوي الحديث المذكور هو شعيب بن إبراهيم الكوفي، عن سيف بن عمر، وكما مر معك فإن مبشر بن الفضيل مجهول بالنقل عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، إسناده لا يصح. راجع ضعفاء العقيلي٤: ٢٣٦. وهكذا يبالغ سيف بن عمر بالحط من شخصية عمار، وينسب ذلك إلى الصحابي المعروف سعد بن أبي وقاص.

والغريب من الحلبي في سيرته أنه عدّ هذا الحديث من أعلام النبوة، مع إقرار العلماء بوضعه، فلا أدري أهو الجهل أو النصب؟! ألم يقل رسول الله ﷺ لعمار: تقتلك الفئة الباغية؟ فلم لا يُعد هذا الحديث من أعلام النبوة مع صحته؟ راجع: السيرة الحلبية٢: ٢٦٥.

الرواية الخامسة:

وهي في الطبري أيضاً، قال: كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما كان في شوال سنة ٣٥ خرج أهل مصر في أربع رفاق، على أربعة أمراء، المقلل يقول ستمئة، والمكثر يقول ألف، على الرفاق: **عبد الرحمن بن عديس البلوى**[1]،

---

(١) من كبار الصحابة، ومن أهل بيعة الشجرة، قال ابن سعد في الطبقات٧: ٥٠٩: عبد الرحمن بن عديس البلوي، ممن صحب النبي (صلى الله عليه وسلم) وسمع منه، وكان فيمن رحل إلى عثمان حين حصر حتى قتل، وكان رأساً فيهم.

وقال ابن ماكولا في الإكمال٦: ١٥٠: عبد الرحمن بن عديس بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن هميم بن ذهل بن هُنى بن بَلى بن عمرو، بايع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحت الشجرة، وشهد فتح مصر، واختط بها، وكان أحد فرسان بَلى بمصر، وهو فيمن سار إلى عثمان رضي الله عنه، قتل سنة ست وثلاثين بفلسطين.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة٣: ٣٠٩: له صحبة، وشهد بيعة الرضوان، وبايع فيها، وكان أمير الجيش القادمين من مصر لحصر عثمان بن عفان رضي الله عنه لما قتلوه. وقال أيضاً: كان ابن عديس ممن اخذه معاوية في الرهن، فسجنهم بفلسطين فهربوا من السجن فأتبعوا حتى أدركوا، فأدرك فارسٌ منهم ابن عديس، فقال له ابن عديس: ويحك! اتق الله في دمي، فإني من أصحاب الشجرة، فقال: الشجر بالخليل كثير! فقتله سنة ست وثلاثين.

وفي الاستيعاب لابن عبد البر٢: ٨٤٠: عبد الرحمن بن عديس البلوي، مصري شهد الحديبية، ذكر أسد بن موسى عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب قال: كان عبد الرحمن بن عديس البلوي ممن بايع تحت الشجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال أبو عمر: هو كان الأمير على الجيش القادمين من مصر إلى المدينة الذين حصروا عثمان وقتلوه.

⇦

وكنانة بن بشر الليثي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي[1]، ولم يجترئوا أن

وقد أخفيت هذه الشخصية الفذة، وأُبعدت عن الأضواء، وأثيرت حولها الشبهات، مع أنه من كبار الصحابة، فقد رووا عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: يخرج أناس يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة، يُقتلون بجبل لبنان أو بجبل الخليل. قال ابن لهيعة: فقتل ابن عديس بجبل لبنان أو بجبل الخليل.

رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه بكر بن سهل وهو مقارب الحال وقد ضعف، وبقية رجاله حديثهم حسن أو صحيح.

ونعته بعضهم أنه إمام فتنة، ففي صحيح البخاري، باب إمامة المفتون١: ١٧٠: عن عبيد الله بن عدي بن خيار، أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور، فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما ترى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج. فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم.

وقد نقل شراح البخاري عن ابن وضاح أنه قال في إمام الفتنة: إنه عبد الرحمن بن عديس. قال ابن حجر في فتح الباري٢: ١٥٩: (قوله إمام فتنة) أي رئيس فتنة، واختلف في المشار إليه بذلك، فقيل: هو عبد الرحمن بن عديس البلوي، أحد رؤوس المصريين الذين حصروا عثمان، قاله ابن وضاح فيما نقله عنه ابن عبد البر وغيره.

وفي مقدمة فتح الباري لابن حجر: ٢٥٨: المراد بإمام الفتنة المذكور عبد الرحمن بن عديس البلوي.

وبهذا تكون نظرية عدالة الصحابة (انتقائيةً) لا تشمل إلا عدداً قليلاً منهم، ولعل مَلء الأجواء بالضجيج حول دعوى التعرض للصحابة، يراد من ورائه تمرير الطعن بالكثير منهم، من أمثال أبي ذر وعمار وابن عديس وعمرو بن الحمق وغيرهم.

(١) وقد خالف سيف بن عمر غيره في تسمية قائد الجيش، فقد رووا أنه عبد الرحمن بن عديس البلوي، فيما ذكر سيف أنه الغافقي العكي، ولعله من مختلقاته أيضاً، إذ لا توجد

⇦

يُعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، وإنما خرجوا الحجاج **ومعهم ابن السوداء**[(١)].

وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق. وعلى الرفاق:

ـ زيد بن صوحان العبدي[(٢)].

له ترجمة في كتب الرجال. كما تجنب ذكر الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي، وسوف يأتي أنه من رؤوس السائرين إلى عثمان، حتى غلب اسمه على الجيش، فكان يقال: جيش عمرو بن الحمق.

راجع: طبقات ابن سعد٣: ٦٥. و ٦: ٢٥. وقد قتله معاوية بالجزيرة من أرض العراق، وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام.

(١) لا شك أن أساس القصة بُني على ابن السوداء، أو ابن سبأ، فلا يمكن إلا أن يكون معهم، في هذا الفصل المثير من المشهد، وإلا فإن الصورة لا تكتمل لدى المتلقي، فلما لم يجد سيف بن عمر مكاناً مناسباً في قيادة الجيش، جعله (معهم)، ولو لتقديم (العلف) لخيولهم!.

(٢) الصحابي الجليل زيد بن صُوحان العبدي، من قبيلة عبد القيس الشهيرة، فاضلٌ ديِّنٌ سيدٌ في قومه هو وإخوته، أسلم في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وكان من أبرز أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد قُطعت يده يوم جلولاء أو نهاوند، وقيل في القادسية، في قتال المشركين من الفرس، واستشهد مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الجمل، وكانت بيده راية عبد القيس.

وقد رووا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه قال: من سرَّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان. وقد قال قبل استشهاده: لا تغسلوا عني دماً، ولا تنزعوا عني ثوباً إلا الخفين، وارمسوني في الأرض رمساً، فإني رجل محاجٌّ (مخاصم).

وكان عثمان قد نفاه إلى الشام بعد نصيحة قدمها له قائلاً: يا أمير المؤمنين، مِلتَ فمالت أمتك، اعتدل تعتدل أمتك، ثلاث مرات. قال عثمان: أسامعٌ مطيعٌ أنت؟ قال: نعم، قال: الحَقْ بالشام.

⇦

ـ والأشتر النخعي[(١)].

وكان عمر بن الخطاب يجله ويحترمه، فقد روي أنه وطّأ لزيد بن صوحان راحلته، وقال: هكذا فاصنعوا بزيد.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء٣: ٥٢٥ في ترجمة زيد: كان من العلماء العباد. ذكروه في كتب معرفة الصحابة، ولا صحبة له. قال: وذكر بعضهم أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وذكر الذهبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً أخبر فيه عن حال زيد، وأنه تقطع يده في سبيل الله، ثم يتبع آخر جسده أوله.

راجع ترجمته في تاريخ بغداد٨: ٤٤١. التاريخ الكبير للبخاري٣: ٣٩٧. سير أعلام النبلاء للذهبي٣: ٥٢٦. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر٢: ٥٣٢. الأعلام للزركلي٣: ٥٩. الاستيعاب لابن عبد البر٢: ٥٥٦. وغيرها.

ومن قبائح سيف أنه نسب (السرقة) لهذا المجاهد العظيم، وأحد أبطال الفتوحات، كما نسبها لحكيم بن جبلة العبدي. فقد أورد الطبري٣: ٤٩٨، عن سيف بن عمر، أن شَبَث بن رَبعي (أحد قتلة الحسين) قال لزيد بن صوحان: سرقتَ بجلولاء فقطعك الله!. كما حاول في غير موضع أن يشير إلى أنه قطع بسبب السرقة.

هذه هي العناصر السبئية المفترضة، التي يظهر بشكل واضح أن بينهم العديد من الصحابة الأجلاء.

(١) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، وما أدراك ما مالك! وهل يُجهل مثل مالك؟! أحد الأشراف والأبطال المذكورين، فارسٌ، شاعرٌ، سيدٌ في قومه، كان شهماً مطاعاً ذا فصاحة وبلاغة. شهد معركة اليرموك، وقَتل أبرز الفرسان الروم ويدعى (هامان)، وشُترت عينه في تلك المعركة، فسُمي الأشتر. وهو من أقرب أصحاب علي عليه السلام إليه، وأخلصهم له، شهد معه مشاهده كلها سامعاً مطيعاً مقتحماً للأهوال. قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: شهد صفين مع علي، وتميز يومئذٍ، وكاد أن يهزم معاوية، فحمل عليه أصحاب علي لما رأوا مصاحف جند الشام على الأسنة يدعون إلى كتاب الله، وما أمكنه مخالفة علي، فكفّ. انتهى.

⇦

ـوزياد بن النضر الحارثي(١).

استشهد مسموماً بدسيسة من معاوية وهو في طريقه إلى مصر والياً عليها، وعهد علي عليه السلام إليه مشهور، يُعدّ أبرز وثيقة تأريخية عند المسلمين في حقوق الإنسان ونظام السياسة والحكم.

قال فيه علي عليه السلام عند استشهاده: **يرحم الله مالكاً، فقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله**.

وهو المؤمن بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال لأبي ذر، وهو في مجلس مع جماعة من الصحابة: **ليموتَنَّ رجل منكم بفلاة من الأرض، تشهده عصابة من المؤمنين**». فشهده عند موته الأشتر وجماعة، كلهم يمان. وهو ما رواه أحمد في مسنده ٥: ١٥٥، والضحاك في الآحاد والمثاني٢: ٢٣٠. وابن حبان في صحيحه١٥: ٦٠. وابن عبد البر في الاستيعاب١: ٢٥٤.

قال أبو ذر لامرأته وقد حضرته الوفاة وهو بالربذة، وقد ذكر لها الحديث: فكلّ من كان منهم في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية، ولم يبق منهم غيري، وقد أصبحت في الفلاة أموت، فراقبي الطريق، فإنك سوف ترين ما أقول لك، وإني والله ما كذبت ولا كذبت. وأمرها أن تراقب الطريق، فبينا هي كذلك إذ هي بالقوم، فبشرهم أبو ذر قائلاً: أبشروا، أنتم النفر الذين قال فيكم رسول الله ما قال.

راجع: طبقات ابن سعد٦: ٢١٣. سير أعلام النبلاء للذهبي٤: ٣٤، الاستيعاب لابن عبد البر١: ٢٥٣-٢٥٤، وأسد الغابة ١: ٣٠٢. سير أعلام النبلاء للذهبي٢: ٧٧. وغيرها.

(١) له إدراك، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ولاه على مقدمة جيشه عند مسيره إلى صفين، وكانوا اثني عشر ألفاً من مذحج والأشعريين، وأوصاه بوصية من أروع وصاياه في التعبئة العسكرية والاستطلاع الحربي، قال له عليه السلام: **اعلم أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا خرجت من بلادك، ودنوت من عدوك فلا تسأم من توجيه الطلائع في كل ناحية، وفي بعض الشعاب والشجر والخَمَر** (ما واراك من الشجر والجبال ونحوها) **في كل جانب، حتى لا يغيركم عدوكم، ويكون لهم كمين، ولا تسيّر الكتائب والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلا تعبية**... إلخ. فقال زياد بن النضر: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظاً

⇦

ـ وعبد الله بن الأصم[1]**، أحد بني عامر بن صعصعة.**

وعددهم كعدد أهل مصر، وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم.

وخرج أهل البصرة في أربع رفاق، وعلى الرفاق **حكيم بن جبلة العبدي**[2]**، وذَرِيح بن عباد العبدي**[3]**، وبشر بن شريح**[4]**، الحطم بن ضبيعة القيسي، وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفي**[5]**، وعددهم كعدد أهل مصر، وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي**[6]، سوى

لوصيتك، مؤدباً بأدبك، يرى الرشد في نفاذ أمرك، والغي في تضييع عهدك. وهو ممن بعثه أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج. راجع: شرح النهج٣: ١٩٢ و ٨ : ٤٥. الأخبار الطوال، للدينوري: ١٤٦، ١٦٦. أعيان الشيعة ٧: ٨٥. وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٢١. وغيرها.

(١) لم أجد له ترجمة مستقلة في كتب التراجم والسير، إلا أن هناك ذكراً لبعض أبنائه الذين يروون عن أخيه يزيد بن الأصم.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) من أعيان أهل البصرة، استشهد في معركة الجمل الصغرى، مع حكيم بن جبلة العبدي.

(٤) من أعيان أهل البصرة أيضاً، من عبد القيس.

(٥) أبو مريم الحنفي، واسمه إياس بن ضبيح، من الطبقة الأولى من التابعين، من أصحاب عمر بن الخطاب، وكان قبل ذلك من أصحاب مسيلمة، وهو الذي قتل زيد بن الخطاب يوم اليمامة، ثم تاب وحسن إسلامه، وولي قضاء البصرة بعد عمران بن حصين في زمن عمر بن الخطاب. قالوا: توفي بسنبيل ناحية الأهواز.

أنظر ترجمته في طبقات ابن سعد٧: ٩١.

(٦) وهو من الصحابة. قال ابن الأثير في أسد الغابة١ : ٣٩٦: ذكره الطبري فقال: إن الهرمزان الفارسي صاحب خوزستان، كفر ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثف جمعه، فكتب سلمى ومن معه بذلك إلى عتبة بن غزوان، فكتب عتبة إلى عمر بن

⇦

من تلاحق بهم من الناس.

فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير(١).

فخرجوا وهم على الخروج جميع، وفي الناس شتى، لا يشك كل

الخطاب، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمدّ المسلمين بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّره على القتال على ما غلب عليه، فاقتتل المسلمون والهرمزان، فانهزم الهرمزان، وفتح حرقوص سوق الأهواز، ونزل بها، وله أثر كبير في قتال الهرمزان.

وبقي حرقوص إلى أيام علي عليه السلام وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج. انتهى.

وفي الإصابة لابن حجر ٢: ٤٤، له ذكر في فتوح العراق. وقد قتل حرقوص في النهروان مع الخوارج.

(١) هذا غير دقيق، لا يساعد عليه النقل ولا القرائن، بل إنه يتعارض مع سابقه كثيراً من جهات عديدة، فمن يراجع قيادات جيش الكوفة لا يشك في ولائهم لعلي بن أبي طالب، كيف، وعلى رأسهم أمثال زيد بن صوحان ومالك الأشتر وأمثالهما؟ ولا يبعد أن يكون سيف بن عمر قد رسم من هذه النقطة خريطة التفرق والتشتت عن علي عليه السلام ليقول بعد ذلك: إن الإجماع على خلافته لم يتحقق، وهو ما سوف تراه رأي العين.

ومن جهة أخرى لا يمكن الجمع بين دعوة ابن سبأ لوصية علي عليه السلام وتفرق أتباعه فيه إلى ثلاث فرق مختلفة، فمقتضى الدعوة للوصية أن يختار الجميع علياً دون غيره، لأنه هو الوصي في نظرهم.

ولكن ينبغي هنا أن نثير السؤال التالي: إذا كان السبئيون بهذا التقسيم الثلاثي بين علي وطلحة والزبير، فكيف اجتمعوا أخيراً في صفِّ عليٍّ وحده فصاروا (شيعة)؟ وأين ذهب الراغبون في طلحة والزبير؟ ولماذا يكون الأثر اليهودي في هذه الجبهة دون غيرها؟

فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الأُخريين ...

وقال الطبري نقلاً عن سيف بن عمر: فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت[1] عليه حُلّة أفواف[2]، معتم بشقيقة حمراء يمانية، متقلد السيف، ليس عليه قميص[3]، وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فالحسن جالس عند عثمان، وعلي عند أحجار الزيت، فسلم عليه المصريون وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: **لقد علم (الصالحون) أن جيش ذي المروة[4] وذي خُشُب[5] ملعونون على لسان محمد[6] (صلى الله عليه وسلم) فارجعوا لا صحبكم الله، قالوا: نعم، فانصرفوا من عنده على ذلك.**

---

(١) موضع في داخل المدينة.

(٢) قطن.

(٣) في الأعم الأغلب يلجأ الكذابون لمثل هذه التفاصيل الدخيلة التي لا صلة لها بأصل الحدث.

(٤) موضع بين ذي خشب ووادي القرى.

(٥) وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة.

(٦) لقد شهد الجميع لسيف بن عمر أنه يضع الحديث ويكذب، فلا تتعجب من نسبة هذا لرسول الله ﷺ فقد تفنن بذلك حتى نال أبرز شهادة في الكذب والوضع من علماء الرجال، بل اتهم بالزندقة كما سيأتي في الحديث عن شخصيته المثيرة. وهذا اللعن الذي ذكره يشمل جميع من ألّب على عثمان، أو عارضه من الصحابة وغيرهم، ولم يختص بالقتلة فقط كما هو واضح. ولا أدري كيف يقبل منه لعن الصحابة بهذا الشكل الفاضح؟! وكيف ينسب للنبي أنه يلعن الصحابة؟

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي، وقد أرسل ابنيه إلى عثمان، فسلم البصريون عليه، وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: **لقد علم (المؤمنون) أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص**[١] **ملعونون على لسان محمد (صلى الله عليه وسلم).**

وأتى الكوفيون الزبير، وهو في جماعة أخرى، وقد سرح ابنه عبد الله إلى عثمان، فسلموا عليه وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم، وقال: **لقد علم (المسلمون) أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد (صلى الله عليه وسلم)**[٢].

فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون، فانفشُّوا[٣] عن ذي خشب والأعوص حتى انتهوا إلى عساكرهم، وهي ثلاث مراحل، كي يفترق أهل المدينة، ثم يكروا راجعين.

---

(١) موضع قرب المدينة.

(٢) مما عده المحققون في مجال التاريخ من علامات الوضع، هذه التوافقات في الإفادة، بحيث تشابه كلام الثلاثة في الرد، حتى في ألفاظه، (علم الصالحون، علم المؤمنون، علم المسلمون، أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون...). بل اتفق الثلاثة في كونهم خارج المدينة، وأن كل واحد منهم بعث ولده إلى عثمان، مما يدل على أن الواضع تصور الحادثة تصوراً، وهو في مكان هادئ مستقرّ، ولم يكن لها واقع من الأساس.

ثم إنني لا أجد تفسيراً مقنعاً لخروج الثلاثة بعيداً عن عثمان، وإرسال أولادهم، فإن كان الرجل في خطر داهم، فهم أولى بالدفاع عنه، وإن لم يكن كذلك فلا معنى لإرسال أولادهم من الأساس.

(٣) انتشروا وتفرقوا. أو أنفشوا: أي تركوا إبلهم ترعى ليلاً.

فافترق أهل المدينة لخروجهم، فلما بلغ القوم عساكرهم، كروا بهم فبغتوهم، فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم، وأحاطوا بعثمان، وقالوا: من كف يده فهو آمن[1]، وصلى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم، ولم يمنعوا أحداً من كلام.

فأتاهم الناس فكلموهم، وفيهم عليّ، فقال: ما ردَّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا. وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك، وقال الكوفيون والبصريون فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً، كأنما كانوا على ميعاد.

فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أُبرم بالمدينة، **قالوا: فضعوه على ما شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا. وهو في ذلك يصلي بهم وهم يصلون خلفه**، ويغشى من شاء عثمان، **وهم في**

---

(١) يبدو لي ـ وربما للقارئ الكريم أيضاً ـ أن هناك فجوة كبيرة لا تتناسب مع سياق الحدث، حيث ذكر المؤرخ سيف، أنهم دخلوا المدينة وسيطروا على الأوضاع، وصلى عثمان بالناس أياماً، في حين أنه لا بد أن تكون هناك الكثير من الأحداث وردود الأفعال، سواء من عثمان ومناصريه، أم من سائر الناس، أم غير ذلك، إلا أنها طويت (بجرة قلم) كما يقال.

ثم إن هذه الصورة التي نقلها سيف بن عمر، توحي بأن التحرك كان شعبياً بداعي التغيير فقط، ولم تكن لدى الثوار نية في قتل عثمان أو إفساد الإسلام وفرض اليهودية من خلال نظرية الوصية، وإلا لما تركوا عثمان يروح ويغدو مخلّى السرب، آمن الجانب، يصلي بالناس، ويمارس شؤون الحكم، والمدينة كلها تحت سيطرتهم. فلو كانت هناك مؤامرة حقيقية ـ كما يدعي سيف وأتباعه ـ فإن قمة نجاحها كان في السيطرة على المدينة، عاصمة الإسلام، فلماذا أحجموا عن قتل عثمان، وتركوا الأمر إلى حين آخر؟

عينه أدق من التراب(١). وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام، وكانوا زمراً بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، فبلغ عن الله ما أمره به، ثم مضى وقد قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه، فيه حلاله وحرامه وبيان الأمور التي قدر، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة ولا ملأ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى

---

(١) أي أنه كان لا يبالي ولا يعبأ بهم.

(٢) هذا تناقض صارخ من سيف، فعثمان الذي لم يكن يبالي بهم، وهم في عينه أدق من التراب، يكتب إلى الأمصار يستمدهم، وبجواره المئات من الصحابة الذين لم يحركوا ساكناً.

وقد حاول المؤرخون إيجاد المبررات لعدم نهوض الصحابة مع عثمان والدفاع عنه، منها أن عثمان لم يُرد الفتنة، بل إنه أمر الصحابة بعدم التعرض لهم، وقد مر معك قول سيف بن عمر فيما سبق: فرجعا إلى عثمان بالخبر فضحك، وقال: اللهم سلّم هؤلاء، فإنك إن لم تسلمهم شقوا. وقوله أيضاً: ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف، وأبى المسلمون إلا قتلهم، وأبى إلا تركهم، وأنهم كانوا في عينه أدق من التراب. ثم عاد هنا ليؤكد خلاف ذلك تماماً، وهو أن عثمان يستمد النصرة من خارج المدينة، بمعنى أن المدينة، بمن فيها من الصحابة، لم تُرد الدفاع عنه، إن لم تكن وقفت مع الثوار، فلا يعقل أن يستمد النصرة من خارجها ويمنع من فيها من الدفاع عنه.

ثم إن كان عثمان منع الصحابة من التعرض (للسبئيين) دفعاً للفتنة، فإن استقدام النصرة والمدد من خارج المدينة أشد فتنة من ذلك.

عن ملأ منهم ومن الناس على غير طلب مني ولا محبة، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلف.

فلما انتهت الأمور، وانتكث الشر بأهله، بدت ضغائن وأهواء، على غير إجرام ولا تِرَة فيما مضى، إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين[1]، وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عز وجل جرأة حتى

---

(١) يفصح الخليفة الثالث هنا عن أمر في غاية الأهمية، ولا أدري كيف مرت هذه الداهية في روايات سيف مع أنها قاصمة الظهر.

فالخليفة يصرح ـ بما لا يقبل الشك ـ أن القضية ليست وليدة الساعة، وليس لابن سبأ فيها ناقة ولا جمل، إنما هي منذ سنين، وأن هناك ضغائن وأهواء قديمة بدت بالظهور. فكيف ينسجم تصريح عثمان هذا مع كون الحركة كانت سنة ٣٥هـ في مصر على يد ابن سبأ المزعوم؟ ثم هل كانت شكواه من مجموعة قليلة من الأوباش والقتلة ـ كما يصورهم التاريخ ـ أو أنها من مراكز قوى كبيرة وفاعلة في أوساط أعيان الصحابة والتابعين؟

إن عثمان يشير بقوله: وثابت إليهم الأعراب، إلى أن هناك قيادات فاعلة وكبيرة من وسط الصحابة، ثم انضمت إليهم الأعراب بعد ذلك.

ثم أين ابن سبأ والسبئية في وثيقة عثمان التاريخية إن كان لذلك أثر؟ هل كان عثمان يعلم أم لا؟ أوليس قد أُخبر أن عماراً استماله السبئيون في مصر بحسب الزعم؟ وهل كتم عنه معاوية ما عرفه عن ابن سبأ؟

إن هذه الوثيقة التاريخية التي نسبت إلى عثمان تردّ بشكل واضح مزاعم المؤامرة اليهودية (السبئية) فلم يشر فيها عثمان ولو إشارة ضعيفة لرأس الحركة المزعوم، فيما صرح بما لا يقبل الشك أنها حركة شعبية لها مطالب محددة، وفيها من كبار الصحابة وعيونها، ممن يحمل الأضغان والأحقاد القديمة.

أغاروا علينا في جوار رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، وحرمه وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب، أو من غزانا بأحد، إلا ما يظهرون، **فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق**[١].

فأتى الكتاب أهل الأمصار، **فخرجوا على الصعبة والذلول.**

فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري.

وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن خديج السكوني.

وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو[٢]. وكان المحضضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة[٣] عقبة بن عمرو، وعبد الله بن أبي أوفى، وحنظلة بن الربيع التميمي[٤] **في أمثالهم من أصحاب النبي** (صلى الله عليه وآله). وكان المحضضين بالكوفة من التابعين[٥] أصحاب عبد الله مسروق بن

---

(١) وهذا أمر وارد ومعقول، فيما إذا تصورنا المسألة أنها ثورة عارمة اشترك فيها جل الصحابة وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وغيرهم، حتى بلغ الحال بعثمان أنه لم يجد ناصراً في مدينة النبي ﷺ فاستنجد بسائر الأمصار، أما أن يَمنع الصحابة من نصره دفعاً للفتنة، ثم يستدعي جنداً من سائر الأمصار لدخول المدينة ومقاتلة الثوار، فهذا ما لا يقبله الواقع، ولا المنطق، ولا العقل، لأن معنى ذلك أن عثمان كان يريد القتال الدفاعي، وفي والوقت ذاته ينهى عنه.

(٢) ذهب الكثير من الباحثين إلى أنه شخصية مختلقة لا واقع لها بالمرة.

(٣) العبارة من الطبري، وهي غير واضحة، وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير، وتاريخ ابن خلدون: وقام بالكوفة نفرٌ يحضون على إعانة أهل المدينة، وهو الأقرب.

(٤) ممن قتله الأمويون في وقعة الحرة، أيام يزيد بن معاوية.

(٥) في الكامل، وتاريخ ابن خلدون: ومن التابعين.

الأجدع، والأسود بن يزيد[١]، وشريح بن الحارث[٢]، وعبد الله بن عكيم[٣]، في أمثالهم، يسيرون فيها ويطوفون على مجالسها يقولون: **يا أيها الناس، إن الكلام اليوم وليس به غداً، وإن النظر يحسن اليوم ويقبح غداً، وإن القتال يحل اليوم ويحرم غداً، انهضوا إلى خليفتكم وعصمة أمركم.**

وقام بالبصرة عمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، **في أمثالهم من أصحاب النبي**[٤] (صلى الله عليه وسلم) يقولون مثل ذلك. ومن

---

(١) هو وسابقه منحرفان عن علي عليه السلام.

(٢) المعروف بشريح القاضي، وهو مشهور.

(٣) كان من المعارضين لعثمان، وروي عنه أنه قال: لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان، فقيل له: يا أبا معبد، وأعنت على دمه؟ قال: إني أعد ذكر مساويه عوناً على دمه. الطبقات، لابن سعد٦: ١١٥. سير أعلام النبلاء للذهبي٣: ٥١٢. التاريخ الكبير، للبخاري١: ٣٢.

وهذه هي الدقة والأمانة في روايات سيف، حيث عدّ هذا الرجل من مناصري عثمان، وهو من معارضيه المعينين على دمه.

(٤) من الملاحظ أن سيفاً اجتهد كثيراً في حشد أسماء الصحابة والتابعين فيمن استجاب من الأمصار لنصرة عثمان، وصرح بكونهم من الصحابة أو التابعين، مع أن الكثير منهم لم يكن كذلك، ولم يخرج لعثمان، بل إن بعضهم كان في قبره منذ أمد. لكنه في التعامل مع الثائرين، يجتهد في تحريف أسمائهم، أو إبعادها عن المشهد، أو يسكت عن الإشارة لصحبتهم، أو يقلل من شأنهم، كما فعل مع عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وأبي ذر الغفاري وعبد الرحمن بن عديس ومحمد بن أبي بكر وغيرهم. كل ذلك ليلقي في ذهن القارئ أن الصحابة كلهم كانوا مع عثمان، أما الثوار فهم ثلة من الأعراب، وإن وجد فيهم بعض الصحابة فهم (متهوّدون سبئيون)، أو مصابون في عقولهم، أو ما إلى ذلك.

التابعين كعب بن سور، وهرم بن حيان العبدي[١]، وأشباه لهما يقولون ذلك.

وقام بالشام عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء[٢]، وأبو أمامة، **في أمثالهم من أصحاب النبي** (صلى الله عليه وسلم) يقولون مثل ذلك، ومن التابعين شريك بن خباشة النميري، وأبو مسلم الخولاني[٣]، وعبد الرحمن بن غنم[٤]، بمثل ذلك.

وقام بمصر خارجة[٥] في أشباه له. وقد كان بعض المحضضين قد شهد قدومهم، فلما رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك، وقاموا فيهم... إلخ.

---

(١) توفي في خلافة عثمان في حدود سنة ٢٦هـ أو بعدها بقليل، قبل تلك الأحداث بمدة، وهو من الزهاد الثمانية، ومن أصحاب أويس القرني، وكلاهما من أصحاب علي عليه السلام. إلا أن سيفاً استدعاه من قبره لنصرة عثمان، كما استدعى عبادة بن الصامت وأبا الدرداء وكلاهما مات قبل هذا التاريخ.

(٢) كلاهما توفي قبل الأحداث المذكورة، فقد توفي أبو الدرداء سنة ٣٢هـ وتوفي عبادة سنة ٣٤هـ، فيما كانت الأحداث سنة ٣٥هـ كما ذكرنا.

(٣) من المنحرفين عن علي، روي عنه أنه قال: يا أهل المدينة، كنتم بين قاتل وخاذل. أي لعثمان. مما يدل على موقف الصحابة الواضح من عثمان.

(٤) من التابعين، وكان يميل إلى علي عليه السلام كما يبدو من تاريخه، وقد نصح شرحبيل بن السمط ببيعة علي عليه السلام فلم ينتصح. مات سنة ٧٨هـ.

(٥) هو خارجة بن حذافة، الذي قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين انتدبوا لقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، فكان الخارجي يريد قتل ابن العاص فظنه هو، فلما عرف قال: أردت عمراً، وأراد الله خارجة.

وفي ذلك يقول ابن عبدون المغربي من قصيدة طويلة رثى بها ملوك بني الأفطس:

وأجزرَتْ سيفَ أشقاها أبا حسنٍ ... وأمكنت من حسينٍ راحِتَي شمرِ

فليتها إذ فدت عمراً بخارجةٍ ... فدت علياً بمن شاءت من البشرِ

ويضيف الطبري في الرواية ذاتها نقلاً عن سيف: وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في الثلاثة نفر فإنهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وعمار بن ياسر[١].

ثم ذكر أن أربعة من الصحابة فقط أرادوا القتال دفاعاً عن عثمان فمنعهم.

الرواية السادسة:

وهي في الطبري أيضاً: كتب إليّ السّري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: صلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً، ثم إنهم منعوه الصلاة، فصلى بالناس أميرهم الغافقي[٢] **دان له المصريون والكوفيون والبصريون**، وتفرق أهل المدينة في حيطانهم[٣]، ولزموا بيوتهم، لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٣٨٥.

(٢) يصر سيف بن عمر على إبعاد الصحابة عن المشهد المعارض، وقد مر سابقاً في ترجمة عبد الرحمن بن عديس أنه هو الذي صلى بالناس، وماذا قال شراح البخاري في إمام الفتنة، لكن سيفاً يصر على الغافقي الذي لا يعرفه أحد، ولا توجد له سيرة في كتب الرجال والتاريخ، في حين أنه ـ كما زعم سيف ـ تأمّر على البصريين والكوفيين والمصريين، بمن فيهم من خيار الصحابة والتابعين وشيوخ القبائل وأصحاب التاريخ والمواقف في الفتوحات. ولكن من السهل على سيف أن يذكر أياً كان ليضعه حيث شاء.

(٣) أي: بساتينهم.

يمتنع به من رهق القوم، وكان الحصار أربعين يوماً، وفيهن كان القتل، ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفّون[١].

هذه أبرز روايات سيف في دور السبئيّة في التأليب على عثمان وحصره وقتله. وقد تدرج بشكل هادئ قبل ضجيج المعارك، وقعقعة السيوف، والحراك السياسي، والاعتراض على عثمان وولاته، فألّف قصة ظريفة في ظل الحدث الرئيس، ليستنتج منها القارئ لاحقاً أن الحدث الرئيس لم يكن يتجاوز تلك القصة، باعتبار أن مُطلِق الشرارة الأولى في كل ذلك إنما هو (عبد الله بن سبأ) أو (ابن السوداء) المزعوم.

الصنف الثالث: دورهم المزعوم في استخلاف علي عليه السلام

وهذا هو المشهد الثالث من القصة السبئيّة كما يرويها سيف بن عمر، ويتمحور حول بيعة علي عليه السلام ودورهم فيها، وقد غاب هنا عبد الله بن سبأ شخصاً، وبقي الدور لأتباعه وحزبه المفترض.

وإليك بعض الشواهد من هذا الفصل الجديد من (ملحمة) ابن سبأ :

الرواية الأولى:

في تاريخ الطبري: وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان (رضي الله عنه) جمعوا أهل المدينة[٢] فوجدوا سعداً والزبير

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٣٩٠.

(٢) يعني السبئية، أو قتلة عثمان من المصريين.

خارجين، ووجدوا طلحة في حائط له، ووجدوا بني أمية قد هربوا، إلا من لم يطق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أول من خرج، وتبعهم مروان، وتتابع على ذلك من تتابع.

فلما اجتمع لهم أهل المدينة، قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبع. فقال الجمهور علي بن أبي طالب نحن به راضون[1].

الرواية الثانية:

قال الطبري: كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا: فقالوا لهم[2]: **دونكم يا أهل المدينة، فقد أجّلناكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا، لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً، فغشي الناس علياً[3] فقالوا: نبايعك، فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به من ذوي**

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٤٥٥. وبهذا تكون خلافة علي عليه السلام بتوجيه من السبئية لا باختيار الصحابة، وأنها حصلت بلا إكراه حسب مزاعم سيف هنا، فكانت السبئية أشبه بقادة الانقلاب العسكري، والصحابة بمثابة السلطة السياسية التي تختار الخليفة وفق الدستور، وليس هناك أيّ فرض للوصية التي دعا لها السبئيون بحسب الزعم.

(٢) أي قتلة عثمان من المصريين.

(٣) بدأ سيف من هذه النقطة يقطف ثمار ما غرسه طيلة الروايات السابقة، وهو النيل من علي عليه السلام والحط من خلافته، والطعن فيها، بل سلب الشرعية منها. فقد صرح هنا أن استخلافه كان بالإكراه، فيما ذكر قبل قليل أن الجمهور اختار علي بن أبي طالب طوعاً لا كرهاً.

ولا ندري، كيف يؤسس ابن سبأ للوصية وإمامة علي عليه السلام ثم يهدد بقتله؟!

القربى[1]! فقال علي: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول.

فقالوا: ننشدك الله، ألا ترى ما نرى؟ ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجبتكم لما أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم[2].

ثم افترقوا على ذلك واتَّعدوا الغد، وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت، فبعث البصريون إلى الزبير بصرياً، وقالوا: **احذر لا تحابه، وكان رسولهم حكيم بن جبلة العبدي في نفر، فجاؤوا به يحدونه[3] بالسيف. وإلى طلحة كوفياً[4]، وقالوا له: احذر لا تحابه، فبعثوا الأشتر في نفر، فجاؤوا به يحدونه بالسيف، وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل**

---

(١) ماذا يعني بذوي القربى هنا؟ هل هم أتباع ابن سبأ من الأعراب وجيش المصريين أو غيرهم من أعيان الصحابة؟.

(٢) ويبدو من اشتراطه عليهم تلك الشروط أنهم مختارون، وليسوا مكرهين، كما يدعي سيف، فلا معنى للاشتراط على المكرَه الذي لا يملك من أمره شيئاً. كما أن اختيارهم علياً عليه السلام طوعاً يتضح من إصرارهم عليه، وتذكيره بالمسؤولية، وأنهم رأوا بذلك دفع الفتنة وحفظ الدين، فكيف ينسجم هذا مع الإكراه؟.

(٣) أي: يسوقونه.

(٤) أي أنهم بعثوا لكل منهما رجلاً من الحزب المخالف له.

المدينة[1]، وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً لأهل مصر، وحشوة فيهم، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً.

فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد، وجاء علي حتى صعد المنبر فقال: يا أيها الناس، عن ملأ وإذن، إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد. فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس.

وجاء القوم بطلحة، فقالوا: بايع، فقال: إني إنما أبايع كرهاً، فبايع ـ وكان به شلل ـ أول الناس، وفي الناس رجل يعتاف[2]، فنظر من بعيد، فلما رأى طلحة أول من بايع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أول يد بايعت أمير المؤمنين يد شلاء، لا يتم هذا الأمر.

ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع. وفي الزبير اختلاف. ثم جيء

---

(١) وهكذا يضرب سيف ضربته التالية ليضع الأشتر (السبئي) في رأس المشهد، وهو يأتي بالزبير مرغماً على البيعة. لكن السؤال الذي ترك جوابه دفيناً هو: هل رضي علي عليه السلام ببيعة هؤلاء وهم يساقون إليه سوقاً تحت حد السيف؟ وهل أنه كان متواطئاً مع السبئيين أيضاً؟

لقد تخطى سيف هذا السؤال المهم عمداً، ليلقي في روع القارئ من وراء السطور أن علياً عليه السلام لا بيعة له ولا خلافة صحيحة. ثم إنه وضع حجر الأساس لما يأتي من الأحداث، في خروج الزبير وطلحة على علي، لئلا يقال: إن في عنقيهما بيعة، وسوف ترى كيف أن سيفاً هذا يستخدم هذه المعلومة فيما بعد لإيجاد عذر لطلحة والزبير.

(٢) يتكهّن، أو يتنبأ، وهو من العيافة، أي زجر الطير للتفاؤل أو التشاؤم بأصواتها وأسمائها.

بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل، فبايعهم، ثم قام العامة فبايعوا(١).

الرواية الثالثة:

قال الطبري: كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن أبي زهير الأزدي عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال: **لما قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع الناس على علي، ذهب الأشتر فجاء بطلحة فقال له: دعني أنظر ما يصنع الناس، فلم يدعه، وجاء به يتله تلاً عنيفاً**(٢) **وصعد المنبر فبايع**(٣).

الرواية الرابعة:

قال الطبري: (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن الحارث الوالبي قال: **جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع،**

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٤٥٦. وهذه من أعظم الدواهي التي قذفها سيف في خلافة علي عليه السلام حيث أشار بكل وضوح إلى أن بيعة الخاصة كانت على كره منهم، بل بإكراه من السبئية، أما العامة فتبعوا الخاصة في ذلك. ومن هنا تعرف السر في قبول رواية سيف عند الحزب الأموي، بل يمكنك أن تعرف مواقف النواصب من خلال تعاملهم مع رواية سيف، حيث قبلوها وتشبثوا بها مع أنهم صرحوا بكذبه، بدعوى أنه كذاب (في الحديث النبوي فقط) وهذا لا يمنع من قبول روايته في التاريخ، كل ذلك إنما يحصل: بغضاً لأبي تراب.

(٢) وهذا بمرأى ومسمع من أمير المؤمنين عليه السلام فهل بعد هذا من شك في النصب والعداوة لعلي عليه السلام؟!

(٣) تاريخ الطبري٣: ٤٥٧.

فكان الزبير يقول: جاءني لصٌّ من لصوص عبد القيس، فبايعت واللُّجُّ[١] **على عنقي**[٢].

الرواية الخامسة:

قال الطبري أيضاً: وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: **ولما أراد علي الذهاب إلى بيته قالت السبائية:**

خُذها إليك واحذَرَنْ أبا حَسَنْ إنّا نمرُّ الأمرَ إمرارَ الرَّسَنْ
صولة أقوام كأسداد السفن بمَشرفيات كغُدران اللبنْ
ونطعن الملك بلين كالشَّطَن حتى يمرنَ على غير عننْ

واجتمع إلى علي بعدما دخل، طلحة والزبير في عدة من الصحابة، فقالوا: يا علي، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود[٣] وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل، وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: **يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم**[٤]**! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم**

---

(١) أي: السيف. وهذه تهمة جديدة لحكيم بن جبلة باللصوصية، وهو من سادات عبد القيس، ومن خيرة الصالحين والعبّاد، كما مرّ. ولا يخفى عليك اختلاف هذه الرواية عن سابقتها في كون الأشتر هو الذي جاء بالزبير، وليس حكيم بن جبلة.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٤٥٧.

(٣) كيف اشترطوا ذلك وقد بايعوا مكرهين مرغمين بحسب الزعم ؟

(٤) لا مانع عند سيف أن يكون علي عليه السلام مملوكاً لرعية سوء من القتلة والملعونين على لسان النبي صلى الله عليه وآله، ويكونون هم السادة. وقد تسرب هذا النص حتى لمروياتنا مع الأسف.

يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريـدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله...

واشتد[١] على قريش[٢]، وحال بينهم وبين الخروج على حالها[٣]، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية. وتفرق القوم، وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار، لترك هذا إلى ما قال علي أمثل، وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخره، **ووالله إن علياً لمستغنٍ برأيه وأمره عنا، ولا نراه إلا سيكون على قريش أشد من غيره**، فذكر ذلك لعلي، فقام فحمد الله وأثنى عليه، وذكر فضلهم، وحاجته إليهم، ونظره لهم، وقيامه دونهم، وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك، والأجر من الله عز وجل عليه، ونادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، **فتذامرت السبائية والأعراب، وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء**[٤].

الرواية السادسة:

الطبري: ولما دخلت سنة ٣٦ فرّق علي عماله، فيما كتب إلي السري،

---

(١) أي علي عليه السلام.

(٢) لا معنى لاشتداد علي عليه السلام على قريش، إن كانت الأحداث تجري وفقاً للسيناريو السبئي الذي رسمه سيف، فهل كانت قريش من السبئية ليشتد عليها ؟ أليس المعقول أن يكون شديداً على السبئية المزعومة لا على أبناء عمومته ؟ أليس الأولى أن يشتد بقريش لا عليها، لتكون له عوناً في مثل تلك الظروف الحساسة ؟.

(٣) هكذا في الطبري، وفي الكامل لابن الأثير: وحال بينهم وبين الخروج، وتركها على حالها.

(٤) تاريخ الطبري٣: ٤٥٨.

عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: بعث علي عماله على الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام[(١)]...

حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، دعا معاوية برجل من بني عبس، ثم أحد بني رواحة، يدعى قبيصة، فدفع إليه طوماراً[(٢)] مختوماً، عنوانه: من معاوية إلى علي. فقال: إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار، ثم أوصاه بما يقول، وسرح رسول علي، وخرجا فقدما المدينة في ربيع الأول لغرته.

فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره، وخرج الناس ينظرون إليه، فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض، ومضى حتى يدخل على علي، فدفع إليه الطومار، ففض خاتمه، فلم يجد في جوفه كتابة، فقال

---

(١) تعتبر هذه البادرة من علي عليه السلام من أوضح الأدلة على عدم صلاحية الولاة المعتمدين من قبل عثمان، وأن ما أثير حولهم من كلام، وما بلغ عثمان من سوء سيرتهم، لم يكن إشاعة أو إذاعة، إنما كان أمراً واقعاً يستحق المعالجة الجذرية بعزلهم والتخلص منهم، وهو ما قام به علي عليه السلام . وقد ذكر سيف بن عمر صراحةً أن السبب الرئيس للثورة كان الشكوى من الولاة، ودفعَ ذلك عنهم بأنه كان بتدبير من ابن سبأ وحزبه. اللهم إلا أن يقال: إن علياً عليه السلام كان (سبئياً) يسعى في تحقيق أهداف ابن سبأ اليهودي، وهذا ليس بعيداً من النواصب، من أمثال سيف وأشباهه، الذين نسجوا كل هذه القصة للنيل من علي أولاً، ثم من شيعته تبعاً.

(٢) أي: صحيفة.

للرسول ما وراءك؟ قال: آمن أنا؟ قال: نعم، إن الرسل آمنة لا تقتل، قال: ورائي أني تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود، قال: ممن؟ **قال: من خيط نفسك**[١]! وتركت ستين ألف شيخ يبكى تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق، فقال: منّي يطلبون دم عثمان؟! **ألست موتوراً كترة عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان**[٢] **إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً أصابه، اخرج. قال: وأنا آمن؟ قال وأنت آمن.**

فخرج العبسي، **وصاحت السبائية قالوا: هذا الكلب، هذا وافد الكلاب، اقتلوه، فنادى: يا آل مضر، يا آل قيس، الخيل والنبل، إني أحلف بالله جل اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصي، فانظروا كم الفحولة والركاب...**[٣].

---

(١) هل يبقى لدى القارئ الكريم شك بعد هذا أن الهدف الأول من كل ما سطرته تلك الأقلام هو أمير المؤمنين علي عليه السلام ؟ وأن من كتب هذا السيناريو، ومن تابعه عليه كان من النواصب بامتياز ؟ وهل اطلع ابن تيمية وأتباعه على هذه الوثائق قبل أن يتبنّوا تلك النظرية السقيمة والأسطورة اللئيمة ؟ فإن لم يكن هذا نصباً لعلي عليه السلام فما هو النصب إذن؟

ألم يذكر سيف بن عمر أن قضية ابن سبأ كانت واضحة لمعاوية؟ فكيف يُطالَب علي بدم عثمان وهو المدافع عنه بشهادة سيف؟ هل كان علي يعمل في السر مع السبئية المزعومة، أو أن القصة من أولها إلى آخرها أكاذيب واختلاقات نسجتها أقلام النواصب؟

(٢) صدق علي عليه السلام وافتضح سيف، فإن قتلة عثمان أضحوا في مكة هاربين، يُعدّون العُدة للانقضاض عليه وعلى شيعته. وأمير المؤمنين عليه السلام يعني ما يقول.

(٣) تاريخ الطبري٣: ٤٦٢.

الرواية السابعة:

الطبري: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة فأذن لهما، فلحقا بمكة، وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأي علي في معاوية وانتقاضه، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة، أيجسر عليه أو ينكل عنه؟

وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه، ودعاه إلى القعود وترك الناس(١)، فدسُّوا إليه زياد بن حنظلة التميمي، وكان منقطعاً إلى علي، فدخل عليه، فجلس إليه ساعة، **ثم قال له علي: يا زياد، تيسر، فقال: لأي شيء؟ فقال: تغزو الشأم**، فقال زياد: الأناة والرفق أمثل، فقال :

ومن لا يصانع في أمورٍ كثيرة
يضرَّس بأنيابٍ ويوطأ بمنسمِ

فتمثل علي وكأنه لا يريده:

متى تجمع القلبَ الذكي وصارماً
وأنفاً حمياً تجتنبك المظالمُ

---

(١) كثيراً ما تقوّل هؤلاء على سبط رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنه نهى أباه عن الخروج، أو عن قتال معاوية، أو ما إلى ذلك من التخرصات، إلا أن المتتبع لذلك يدرك أن في النفوس شيئاً تريد قوله لعلي عَلَيْهِالسَّلَامُ فلا تجد الجرأة الكافية، فتعمد إلى الإمام الحسن عَلَيْهِالسَّلَامُ باعتبار أنه صار رمز (الصلح) فيما بعد، فتتقوّل عليه ما تريد قوله لعلي، لتوجه من خلاله رسالة إلى أبيه عَلَيْهِالسَّلَامُ تلومه فيها على الكثير من قراراته.

فخرج زياد على الناس، والناس ينتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: السيف يا قوم، فعرفوا ما هو فاعل.

ودعا علي محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء، وولى عبد الله بن عباس ميمنته، وعمر بن أبي سلمة، أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ولاه ميسرته، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح، ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح، فجعله على مقدمته، واستخلف على المدينة قُثم بن عباس[1]، **ولم يولِّ ممن خرج على عثمان أحداً.**

وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام، وإلى عثمان بن حنيف، وإلى أبي موسى مثل ذلك، **وأقبل على التهيُّؤ والتجهز، وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة**، وقال: **إن الله عز وجل بعث رسولاً هادياً مهدياً، بكتاب ناطق، وأمر قائم واضح، لا يهلك عنه إلا هالك، وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات، إلا من حفظ الله، وإن في سلطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتكم، غير ملوية (ملومة) ولا مستكره بها، والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأزر الأمر إليها، انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يفرقون جماعتكم**[2]**، لعل الله يصلح بكم ما**

---

(١) سوف يأتي أنه استخلف تمام بن العباس، وليس قثم بن العباس.

(٢) وهكذا يضع أمير المؤمنين عليه السلام يده على الجرح، ويحرك بوصلة الأمة في الاتجاه الصحيح، ويدعو إلى قتال من فرّق الجماعة، فالتشخيص الجديد للخطر يأتي على لسان أمير المؤمنين ⇦

أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم .

فبينا هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتمام على خلاف، فقام فيهم بذلك فقال: **إن الله عز وجل جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة، وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة، فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل، ألا وإنّ طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تمالؤوا على سخط إمارتي**[1]، **(ودعوا الناس إلى الإصلاح)**[2]، **وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، وأكف إن كفوا، وأقتصر على ما بلغني عنهم.**

ثم أتاه أنهم يريدون البصرة، لمشاهدة الناس والإصلاح، فتعبّأ للخروج إليهم، وقال: **إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين، وما كان عليهم في**

عليه السلام وهو أن الأولوية الآن لقتال معاوية وأتباعه، وبهذا ينسف الراوي (سيف) كل ما بناه سابقاً من أن أصل الفتنة من السبئية المختلقة، وأنهم يملكون علياً ولا يملكهم، وهذه من أعظم سقطات سيف وتناقضاته التي لا تنتهي في هذه الروايات الهزيلة. فها هو علي عليه السلام يملك قراره، ويفرق عماله في الأمصار، ويتخذ أخطر قرار عرفه القادة، وهو قرار الحرب، مما يعني أنه مالك وليس مملوكاً كما قال سيف. أما ابن سبأ والسبئية فلم يكن لها وجود إلا في مخيلة سيف ومن تابعه على ذلك فيما بعد.

(١) ليس هناك أوضح من هذا التصريح الخطير لعلي بن أبي طالب كما رواه سيف بن عمر، فالسبب في خروجهم عليه أنهم اجتمعوا وتمالؤوا على بغضه وكره إمارته، وعدم الرضا بها، لا أنهم خرجوا للطلب بدم عثمان.

(٢) أيَّ إصلاح يريدون؟ هل هو محاربة علي وسخط إمارته؟ إنها عبارة مقحمة لتبييض وجوه الخارجين عليه، وتعليق تبعات ما حدث على شماعة السبئية. ثم كيف يرى علي أنهم يريدون الإصلاح فلا يستجيب لهم؟

المقام فينا مؤونة ولا إكراه[١].

فاشتد على أهل المدينة الأمر، فتثاقلوا، فبعث إلى عبد الله بن عمر كميلاً النخعي، فجاء به، فقال: انهض معي، فقال: أنا مع أهل المدينة، إنما أنا رجل منهم، وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم لا أفارقهم، فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد. قال فأعطني زعيماً بألا تخرج، قال: ولا أعطيك زعيماً، قال: **لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني، دعوه فأنا به زعيم**.

فرجع عبد الله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر[٢].

الصنف الرابع: دورهم في وقعة الجمل

يبرز في هذه المجموعة الأخيرة من الروايات، دور السبئيّة المفترض في الإيقاع بين الطرفين المجتمعين في البصرة، وتلقي باللائمة على الطرف الثالث (السبئيّة)، دون التعرض لأصل القضية وأساسها، وهو الخروج على علي،

---

(١) هل تصدق أخي القارئ أن المتحدث لا زال سيف بن عمر؟ هل رأيت كيف انتقض فتله، وانحلت عرى رواياته وأخباره؟ ها هو الآن يقدم صورة جديدة مغايرة لما كان، فعلي بن أبي طالب يرى أن الخطر الكبير الذي يداهم الأمة في تلك اللحظة يأتي من جهة هؤلاء الثلاثة المتجهين نحو البصرة، ومن معاوية في الشام، وأنه عازم على أن يفقأ عين الفتنة، وكلمة (الإصلاح) التي أقحمها الراوي ليس لها قيمة ولا صحة، ﴿**وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُوْرَهُ**﴾.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٤٦٥.

وتجييش الجيوش من مكة باتجاه البصرة، وتغفل تصريح علي عليه السلام أن طلحة والزبير وأم المؤمنين تمالؤوا على سخط إمارته، وقد أعد العدة بنفسه، وخرج إليهم، وهو يرى أنهم إن خرجوا عليه انقطع نظام الإسلام، وقد فعلوا ذلك. وإليك نماذج من تلك الروايات، وكلها عن سيف بن عمر ليس غير.

الرواية الأولى:

الطبري: كتب إليّ السَّري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: ولما رأى من أهل المدينة ما رأى لم يرض طاعتهم، حتى يكون معها نصرته، قام فيهم وجمع إليه وجوه أهل المدينة، وقال: **إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله، فقد رأيتم عواقب قضاء الله عز وجل على من مضى منكم، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم**[١]، **فأجابه رجلان من أعلام الأنصار**[٢] **أبو الهيثم بن التَّيِّهان، وهو بدريّ،**

---

(١) هذا هو التصريح الثاني من علي عليه السلام أن الخروج إليهم كان نصرة لله تعالى.

(٢) من الطريف أن سيف بن عمر سوف يذكر لاحقاً غير هذين، كالقعقاع بن عمرو، الذي نص على صحبته، وجعله وسيطاً بين علي وجيش الخارجين عليه قبل نشوب معركة الجمل، وقد خالف سيف أصحاب التاريخ والسير في أن جُلّ الصحابة كان مع علي عليه السلام إلا أن النهج الأموي في روايات سيف ومن تابعه، يجعل علياً وحيداً فريداً، لم يبايعه أحد من الصحابة طوعاً، ولم يستجب له في نهضته إلا صحابيان من الأنصار، ثم يحذف خزيمة بن ثابت، ويجعل بدله خزيمة آخر مختلقاً، وهكذا تكون بيعة علي عليه السلام غير شرعية ولا تامة، وهو ما يريده الأمويون، وبطلُ دسائسهم (سيف بن عمر).

وخزيمة بن ثابت[١] وليس بذي الشهادتين[٢]، مات ذو الشهادتين في زمن عثمان رضي الله عنه[٣].

---

(١) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأنصاري، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين، يكنى أبا عمارة، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح، استشهد في صفين مع علي عليه السلام سنة ٣٧هـ. وقد نص علماء الحديث والتاريخ ـ ما عدا سيف ـ ومنهم شعبة بن الحجاج، والزهري، أن خزيمة بن ثابت أحد البدريين الذين شهدوا صفين مع علي.

راجع في ترجمته، ومن نص على شهادته في صفين المصادر التالية: الاستيعاب، لابن عبد البر٢: ٤٤٨. الطبقات الكبرى لابن سعد٤: ٣٨١. العلل للإمام أحمد بن حنبل١: ٢٨٧. التاريخ الكبير للبخاري١: ١٠٣. أسد الغابة لابن الأثير٢: ١١٤. تهذيب الكمال للمزي٨: ٢٤٤. ولم أجد من ذكر وفاته في أيام عثمان سوى سيف.

(٢) قال ابن حجر نقلاً عن الخطيب البغدادي في الموضح: أجمع علماء السير أن ذا الشهادتين قتل بصفين مع علي، وليس سيف بحجة إذا خالف. الإصابة٢: ٢٤١.

فهو ذو الشهادتين الأنصاري ليس غير، لكن سيف بن عمر يحاول كعادته إفراغ ساحة علي من الصحابة، وهذا هو ديدنه في جميع رواياته، وسوف نذكر في مناسبة أخرى أن جل الصحابة كان مع علي عليه السلام ولم يخالفه إلا القليل، وهو ما يتناسب مع واقع الخلافة الراشدة التي يقول بها جميع أهل السنة، فلا يعقل أن يكون معه الأقل، ويخالفه الأكثر، ثم يكون خليفة شرعياً.

(٣) تاريخ الطبري٣: ٤٦٦. وقد رد هذا الكلام الخطيب البغدادي في الموضح على ما نقله عنه ابن حجر في الإصابة عند ذكره خزيمة (المختلَق): هكذا أورده من طريق سيف صاحب الفتوح عن محمد بن عبيد الله عن الحكم، وقد وهاه الخطيب في الموضح وقال: أجمع علماء السير أن ذا الشهادتين قتل بصفين مع علي، وليس سيف ⇦

ثم ألحقها برواية أخرى تؤكد أنه ليس بذي الشهادتين:

قال الطبري: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد، عن عبيد الله، عن الحكم قال: قيل له: أشهد خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الجمل؟ فقال: ليس به، ولكنه غيره من الأنصار[١]، مات ذو الشهادتين في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه[٢].

ثم ذكر روايات أخرى عن سيف في تثاقل الناس عن النهوض مع علي عليه السلام. وأن الذين خرجوا معه من المدينة كانوا سبعمائة رجل فقط، وهم من الكوفيين والبصريين، أما أهل المدينة فلم يقم معه سوى اثنين فقط.

قال: بلغ علياً الخبر وهو بالمدينة باجتماعهم على الخروج إلى البصرة... وخرج علي يبادرهم في تعبيته التي كان يعبي بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل، وهو يرجو أن يدركهم[٣].

يريد أن يقول: لم ينهض مع علي إلا قتلة عثمان من البصريين والكوفيين الذين قدموا إليها أيام الحصار، أما المهاجرون والأنصار فلم

بحجة إذا خالف. ثم قال: وجزم الخطيب البغدادي بأنه ليس في الصحابة من يسمى خزيمة واسم أبيه ثابت سوى ذي الشهادتين. الإصابة لابن حجر ٢: ٢٤١.

(١) لم يزعم هذا سوى سيف بن عمر، فالجميع على أن ذا الشهادتين كان مع علي في حروبه، وأنه استشهد في صفين.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٤.

ينهض منهم سوى اثنين، فجيش علي كلهم سبئيّة، وعلي عليه السلام قائد السبئيّة وأميرهم!.

ولكنه فيما بعد، عند ذكره الهجوم على البصرة في وقعة الجمل الصغرى، ذكر مقتل قتلة عثمان، ومنهم حكيم بن جبلة العبدي، قبل بلوغ علي البصرة، مما يعني أنهم لم يكونوا مع علي عليه السلام في المدينة.

الرواية الثانية:

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن الأغر، قال: **لما اجتمع إلى مكة بنو أمية، ويعلى بن منية، وطلحة، والزبير، ائتمروا أمرهم، وأجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان، وقتال السبائية، حتى يثأروا وينتقموا**[1].

فأمرتهم عائشة (رضى الله تعالى) عنها بالخروج إلى المدينة، واجتمع القوم على البصرة، وردوها عن رأيها، وقال لها طلحة والزبير: **إنا نأتي أرضاً قد أضيعت وصارت إلى علي**[2] **وقد أجبرنا علي على**

(١) هذا أول الغيث في إيجاد المبررات لقتال علي عليه السلام وشيعته، فبعد أن طعن سيف بشرعية خلافته، وأنها لم يحصل فيها أدنى درجات الإجماع، وأنها بترتيب من السبئية، انتقل للجانب الآخر ليجد المبررات الكافيه لمناوئيه في الخروج ونكث البيعة.

(٢) ويرجع سيف لتناقضاته التي لا تنقضي، فهذا في الحقيقة هو السبب الرئيس في الخلاف، فلا دم عثمان ولا السبئية ولا الإصلاح، كل ما في الأمر أن الخلافة آلت إلى علي عليه السلام وقد بايعوا ثم نكثوا.

⇦

بيعته[1]**، وهم محتجون علينا بذلك وتاركو أمرنا! إلا أن تخرجي فتأمري بمثل ما أمرت بمكة ثم ترجعي**[2].

الرواية الثالثة:

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: جاء علياً الخبر عن طلحة والزبير وأم المؤمنين، فأمَّر على المدينة تمام بن العباس، وبعث إلى مكة قثم بن العباس، **وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق، وأراد أن يعترضهم، فاستبان له بالربذة أن قد فاتوه**، وجاءه بالخبر عطاء بن رئاب مولى الحارث بن حزن[3].

وهكذا نسي سيف حال السبئيّة وتحكمهم في الأمور، وصار ينسب

وفيه دليل أن خروجهما مع أم المؤمنين عائشة لم يكن بهدف الإصلاح كما لا يخفى، إنما للسيطرة على البصرة بعد أن أضيعت المدينة وصارت إلى علي.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام في سياق روايات سيف، أن أحداً من معارضي علي عليه السلام لم يرد له تصريحٌ واحد باسم (عبد الله بن سبأ) أو (السبئية)، وكل ما أورده في هذا الشأن كان من تعبيراته هو.

(١) وهذا ـ على فرض صدوره منهما حقاً ـ كذب صريح، وتقوُّلٌ على سيد المسلمين، وأمير المؤمنين عليه السلام لأنه لم يجبر أحداً على البيعة، وقد امتنع البعض عن بيعته كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن سلام (كان من أحبار اليهود من أهل اليمن، ثم أسلم) ومحمد بن مسلمة، وغيرهم، فلم يجبرهم على البيعة.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٤٧٢.

(٣) تاريخ الطبري٣: ٤٧٣.

الحوادث لعلي عليه السلام ويضعها في سياقها الطبيعي، فهو يجهز الجيوش، ويعزم على ملاحقتهم وأخذهم. ويستمر السياق الطبيعي للحدث، حتى يحين موعد الصلح المزعوم، أو قبله بقليل، ليعود علي عليه السلام من جديد مغلوباً على أمره، ليس له من الأمر إلا ما يفعله السبئيون.

وهذه من السقطات القاتلة في ملحمة سيف، التي لم يوفق لها بالشكل المطلوب، كما لم يوفق في ملحمته هذه كلها.

ثم عاد الطبري إلى حديث سيف في مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، ونشوب معركة الجمل الأولى (الصغرى)، بين معسكر عائشة ومعسكر عثمان بن حنيف والي علي على البصرة.

ومن البديهي هنا أن لا يكون للسبئيّة دور في هذا القتال طبقاً لمرويات سيف، لأن السبئيّة كانوا في جيش علي المتجه من المدينة نحو البصرة، فجهد سيف أن لا يكون لهم دور هنا. كما أن الدماء التي أريقت في تلك المعركة كانت باجتهاد من أم المؤمنين وطلحة والزبير. وهكذا تمكن معسكر عائشة من السيطرة على بيت مال البصرة وحرسها وكل ما فيها[1].

ويستمر في نسبة الأحداث وأسبابها إلى علي عليه السلام وأنه كان صاحب القرار والأمر والنهي، ولم يكن مغلوباً على أمره أو (مملوكاً) كما زعم قبل ذلك.

---

(١) راجع روايات سيف بهذا الصدد في تاريخ الطبري٣: ٤٨٣ ـ ٤٨٥.

الرواية الرابعة:

قال الطبري: مما كتب به إليّ السري، أن شعيباً حدثه، قال: حدثنا سيف عن عبيدة بن معتب، عن يزيد الضخم، قال: لما أتى علياً الخبر وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق، **خرج يبادر، وهو يرجو أن يدركهم ويردهم، فلما انتهى إلى الربذة أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا، فأقام بالربذة أياماً، وأتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة، فسري بذلك عنه، وقال: إن أهل الكوفة أشد إليّ حباً**[1] **وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم**[2].

ثم يبعث عليٌّ رسله إلى أهل الكوفة يدعوهم لنصرة دين الله.

ويصل سيف إلى هذا المقطع من (ملحمته) ليستدعي بطل القصة من جديد، ويعطي الدور ثانية للسبئيّة التي اختفى دورها منذ خروج علي عليه السلام من المدينة، وبذلك يمهد لمعركة الجمل الكبرى، ملقياً باللائمة على (السبئيّة) ومُظهراً علياً مرة أخرى بموقف (الضعيف) الذي لا يملك من الأمر شيئاً، كما كان حاله عند البيعة. ولنتتبع رواياته:

الرواية الخامسة:

قال الطبري: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة (بإسنادهما) قالا: لما نزل عليٌّ ذا قار، أرسل ابن عباس والأشتر، بعد

---

(١) وهذا تناقض آخر من تناقضات سيف بن عمر، فقد ذكر في مسير الخارجين على عثمان، أن أهل الكوفة كانوا يشتهون الزبير، إلا أنه يروي هنا أنهم أشد حباً لعلي، وهو واقع الحال الذي ثبت عملياً بانحيازهم لجيشه.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٤٩٢. راجع في ذلك أيضاً: ٣: ٤٩٥ـ ٥٠٦.

محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، وأرسل الحسن بن علي وعماراً بعد ابن عباس والأشتر...

وكان علي ظاعناً ملازماً للجماعة، فكانوا أربعة آلاف، فكان رؤساء الجماعة: القعقاع بن عمرو، **وسعد بن مالك**[١]، **وهند بن عمرو**[٢]، **والهيثم بن شهاب**[٣]، **وكان رؤساء النُّفَّار: زيد بن صُوحان، والأشتر مالك بن**

---

(١) وهو مشترك بين اثنين، أحدهما سعد بن أبي وقاص، وهذا لم يبايع علياً قط، والآخر أبو سعيد الخدري الأنصاري، الصحابي المعروف، وهو من أهل بدر. وقد ذكر سيف أنه لم ينهض مع علي من الأنصار سوى أبي الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت. فإما أن تكون روايته السابقة غير صحيحة، وإما أن يكون سعد بن مالك هذا رجلاً آخر غيرهما، ولم أجد في كتب التراجم سوى هذين.

وفي بعض النسخ (سعر) بن مالك بدلاً من سعد، وهو سعر بن مالك العبسي، ولم أجد في تاريخه أنه كان قائداً مرموقاً، سوى ما ورد عن سيف أيضاً، أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن سَرِّح هاشم بن عتبة إلى جلولاء، واجعل على مقدمته سعر بن مالك. وفي رواية أخرى في تاريخ الطبري عن سيف: واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى ميمنته سعر بن مالك.

والخلاصة: أن سيف بن عمر ذكر الاسم دون أن يفصل بينه وبين غيره، لأسباب غير معروفة، ولا يخفى على اللبيب أنه كثيراً ما يتجنب ذكر الصحابة في جيش علي عليه السلام لا سيما البدريين منهم، ليسلب منه شرعية الخلافة كما يظن. وقد رأيت الآن أنه ردَّ دعواه الأولى في خلو جيش علي من الصحابة إلا رجلين من الأنصار فقط.

(٢) هند بن عمرو الجملي المرادي، تابعي، من خيرة أصحاب علي عليه السلام استشهد يوم الجمل.

(٣) السلمي الكوفي، من التابعين، يروي عن عبد الله بن مسعود.

الحارث، وعدي بن حاتم[(١)]، والمسيب بن نجبة[(٢)]، ويزيد بن قيس[(٣)]، ومعهم أتباعهم، وأمثال لهم ليسوا دونهم ...

فلما نزلوا على ذي قار، دعا القعقاع بن عمرو، فأرسله إلى أهل البصرة وقال له: القَ هذين الرجلين يا ابن الحنظلية ـ وكان القعقاع من أصحاب

---

(١) عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، الجواد بن الجواد، فهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل، صحابي شهير، يكنى أبا طريف، كان سيداً شريفاً في قومه، خطيباً حاضر الجواب، فاضلاً كريماً. أسلم في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ووفد عليه، وشهد فتح العراق، كما شهد مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الجمل، وفقئت عينه يومئذٍ، ثم شهد صفين، وكان فيها على طي، ثم النهروان، وتوفي في الكوفة أيام المختار، وهو ابن مائة وعشرين سنة. راجع: الاستيعاب لابن عبد البر٣: ١٠٥٧. سير أعلام النبلاء للذهبي٣: ١٦٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر٤: ٣٨٨.

ومن المفارقات العجيبة ـ وما أعجب مفارقات سيف! ـ أنه ذكر عدي بن حاتم في أخبار الردة، وأنه منع قومه من الالتحاق بأهل الردة، ووصفه بقوله: **فكان خير مولود ولد في أرض طيء، وأعظمه عليهم بركة.**

راجع: تاريخ الطبري٢: ٤٨٣. عبد الله بن سبأ للدكتور عبد العزيز الهلابي: ٣٥.

وهكذا تظهر أسماء الصحابة واحداً بعد الآخر على لسان سيف الذي حاول جاهداً إخفاءهم وإبعادهم عن علي.

(٢) المسيب بن نَجَبَة الفزاري، من أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قتل في عين الوردة مع سليمان بن صُرَد الخزاعي في ثورة التوابين.

(٣) يزيد بن قيس الأرحبي الهمداني، له إدراك، كان مع علي في حروبه الثلاث، وولاه شرطته، ثم ولاه الري وهمدان وإصفهان. توفي سنة ٧٤هـ.

النبي (صلى الله عليه وسلم)[١] ـ فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الفرقة. وقال له: كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي، اجتهدنا الرأي، وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي. قال: أنت لها.

فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها، فسلم عليها وقال: أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاحٌ بين الناس! قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد، فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان، قال فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح[٢]، فوالله لئن عرفناه

---

(١) عبارة للتأكيد، أوردها سيف هنا لإثبات هوية القعقاع المزعوم، وهو من مختلقاته التي ملأ بها كتب التاريخ. وقد أثبت العلامة السيد العسكري (رحمه الله) أن القعقاع من مختلقات سيف التاريخية وموضوعاته.

(٢) إنها كلمة تلجلج في صدر سيف، ولم نشأ أن نعلق عليها حتى خرجت من فمه، فما من صاحب دعوى أو حركة، بل حتى السارق ومحترف الجريمة، إلا ويدعي أن هدفه الإصلاح، فالحكام الظلمة، والطغاة المردة، والدكتاتوريات الحديثة، كلها تدعي الإصلاح، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَ**﴾.

فكلمة الإصلاح الجميلة البراقة يمكن تفسيرها بشتى الصور والتفسيرات، فهؤلاء الثلاثة يريدون الإصلاح على طريقتهم الخاصة، وهي تنحية علي عليه السلام عن منصبه، وإزاحته بالقوة، وهذا أمر مشروع في عرف سيف بن عمر وأمثاله، لأنه (اجتهاد)، أما

⇦

لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا: قتلة عثمان رضي الله عنه، فإن هذا إن تُرك كان تركاً للقرآن، وإن عُمل به كان إحياء للقرآن.

فقال: **قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمئة إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ...**

فقالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول: هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير، وتباشير رحمة، ودرك بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه، كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر، وبعثة الله في هذه الأمة هزاهزها، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تعرضونا للبلاء، ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم ...

فقالوا: نعم، إذاً قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع، **فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر .**

فرجع إلى علي فأخبره، فأعجبه ذلك، **وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه.**

مطالبات الخارجين على عثمان بتنحيته بالتي هي أحسن، فكانت خروجاً عن الدين وليست إصلاحاً.

فالسؤال المطروح من القعقاع ـ بغض النظر عن وجود هذه الشخصية من عدمه، وبغض النظر عن صحة الرواية ـ سؤال منطقي جداً، لا بد أن يطرحه المرء على نفسه قبل غيره.

وأقبلت وفود البصرة نحو علي حين نزل بذي قار، فجاءت وفود تميم وبكر، قبل رجوع القعقاع، لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة، وعلى أي حال نهضوا إليهم، وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح، ولا يخطر لهم قتال على بال[١].

وهكذا يرجع القعقاع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد اتفق مع القوم على أن يتفقوا مع علي عليه السلام، وهو أمر غريب في هذه المفاوضات، فالثلاثة (طلحة والزبير وعائشة) تركوا الأمر معلقاً على رأي علي، كما يزعم سيف، والحال أن الرسول منذ البداية كان يحمل تفويضاً من علي عليه السلام في إجراء الصلح.

الرواية السادسة:

قال الطبري: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لما جاءت وفود أهل البصرة إلى الكوفة، ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم، جمع علي الناس، ثم قام على الغرائر[٢]، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، وصلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) وذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة، وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم الذي يليه، ثم

---

(١) الطبري٣: ٥٠٢.

(٢) جمع الغرارة، وهي كيس يوضع فيه الحنطة أو التبن أو غيره، وهي هنا للحنطة المحمولة مع الجيش.

الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة، وأرادوا ردّ الأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره ومصيب ما أراد. **ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان رضي الله عنه بشيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم**(١).

فاجتمع نفرٌ، منهم عِلباء بن الهيثم(٢) **وعَديّ بن حاتم**(٣)**، وسالم بن**

(١) خطبة علي هذه كانت بعد معركة الجمل الصغرى كما نقله سيف وغيره، فقد قَتل أصحاب الجمل في تلك المعركة ستمائة من أهل البصرة، منهم حكيم بن جبلة العبدي وغيره، ونهبوا بيت المال، وضربوا عثمان بن حنيف الأنصاري عامل علي عليه السلام على البصرة، فلما بلغه الخبر قام على الغرائر وخطب، إلا أن سيف بن عمر حرف خطبته واستبدل بها خطبة أخرى.

ومما يؤكد هذا إيعاز علي عليه السلام لجيشه بالتحرك، وهذا لا معنى له إذا كانت الأمور تجري باتجاه الصلح، وكان يمكنه التوافق معهم وهو في محله من الربذة، بأن يتفقوا على مبايعته، وتسليم البصرة له، والعودة من حيث أتوا. وكل هذا يمكن أن يتم من خلال الرسل، أما تحريك الجيش الجرار باتجاه البصرة، ودخولها، فلا يتناسب مع الصلح إطلاقاً.

(٢) علباء بن الهيثم بن جرير السدوسي، سيد ربيعة، صحابي من الشجعان الفصحاء، ومن سادة العرب، أبوه من الرؤساء الذين حاربوا كسرى في وقعة ذي قار، أدرك الجاهلية، ثم أسلم، وشهد الفتوح في عهد عمر، وكان على ميمنة علي يوم الجمل، وهم ربيعة البصرة والكوفة، وقد استشهد فيها. قال خير الدين الزركلي في الأعلام٤: ٢٤٧: وسكن الكوفة، وكان سيداً بها، وهو أول من دعا فيها إلى علي بن أبي طالب. راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر٥: ١٠٤. الأنساب للسمعاني١: ٤٥.

(٣) صحابي، مرت ترجمته.

ثعلبة العبسي[(١)]، **وشريح بن أوفى بن ضبيعة**[(٢)]، **والأشتر، في عدة ممن سار إلى عثمان ورضي بسير من سار، وجامعهم المصريون، ابن السوداء، وخالد بن ملجم**، وتشاوروا، فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله علي، وهو أبصر الناس بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، **ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم**[(٣)] فكيف به إذا شام القوم وشاموه[(٤)] وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم؟ أنتم والله ترادون، وما أنتم بأنجى من شيء.

فقال الأشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، **وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم**[(٥)]، ورأي الناس فينا والله واحد، وأن يصطلحوا وعلي

---

(١) لم أعثر له على ذكر إلا في روايات سيف. وفي بعض المصادر: القيسي وليس العبسي.

(٢) كان من شيعة علي عليه السلام يوم الجمل، وقد قيل: إنه قتل محمد بن طلحة بن عبيد الله، المعروف بالسجاد، وله أبيات مشهورة في ذلك، منها قوله:

يذكرني حاميم والرمح شاجرٌ فهلا تلا حاميم قبل التقدمِ

(٣) أي أن جيش علي عليه السلام عبارة عن أغلبية ساحقة (وهم قتلة عثمان من السبئية المزعومة) وقليل غيرهم، وبالتالي فلا معنى لقول لعلي عليه السلام: ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان رضي الله عنه بشيء من أمور الناس، فإن كان ذلك حقاً، فلا يبقى مع علي أحد يعوّل عليه.

(٤) يقال: شام البرقَ، إذا نظر إليه أين يقصد وأين يمطر. أي إذا لمحهم ولمحوه.

(٥) وهذه إحدى سقطات سيف وفضائحه المكشوفة، حيث ذكر فيما مضى من رواياته أن موقف علي عليه السلام من قتلة عثمان كان واضحاً معلناً ولم يكن سراً، فكيف خفي ذلك على الأشتر؟ اللهم إلا أن يكون علي عليه السلام ممالئاً لهم، ومتواطئاً معهم، فتكون هذه من دواهي سيف في النيل من علي عليه السلام.

فعلى دمائنا، فهلموا فلنتواثب على علي فنلحقه بعثمان، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون.

فقال عبد الله بن السوداء: بئس الرأي رأيت، **أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسمائة، أو نحو من ستمئة، وهذا ابن الحنظلية[(١)] وأصحابه في خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً، فارقاً على ظلعك.**

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم ودعوهم، فإنْ قلُّوا كان أقوى لعدوهم عليهم، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به وامتنعوا من الناس.

فقال ابن السوداء: **بئس ما رأيت، ودّ والله الناس أنكم على جديلة[(٢)]، ولم تكونوا مع أقوام براء، ولو كان ذلك الذي تقول لتخطفكم كل شيء.**

فقال عدي بن حاتم: والله ما رضيت ولا كرهت، ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله في خوض الحديث، فأما إذا وقع ما وقع، ونزل من الناس بهذه المنزلة، فإن لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً، فإن أقدمتم أقدمنا، وإن أمسكتم أحجمنا.

فقال ابن السوداء: أحسنت.

---

(١) ويعني به القعقاع بن عمرو المزعوم.

(٢) الجديلة: الناحية، أي ودَّ الناس أنكم منفصلون عن علي ليقاتلوكم.

وقال سالم بن ثعلبة: من كان أراد بما أتى الدنيا، فإني لم أرد ذلك، والله لئن لقيتهم غداً، لا أرجع إلى بيتي، ولئن طال بقائي إذا أنا لاقيتهم لا يزد على جزر جزور، وأحلف بالله أنكم لتفرقون السيف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف.

فقال ابن السوداء: قد قال قولاً.

وقال شريح بن أوفى: أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا، ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره، فإنا عند الناس بشرِّ المنازل، فلا أدري ما الناس صانعون غداً إذا ما هم التقوا؟.

وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم، إن عِزَّكم في خلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون.

فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون(١).

وهكذا يفسر سيف بن عمر تلك الأحداث بنظرية المؤامرة، فيسرد للقارئ كيف أن هذه المجموعة ظهرت فجأةً يقودها (ابن السوداء) لتتآمر

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٥٠٦ ـ ٥١٠.

ولا شك أن سيف بن عمر كان حاضراً ذلك (المؤتمر السري) الذي لم يشعر به الناس، فاطلع على كل ما دار من حديث وتخطيط للمعركة. ولا شك أن ابن سبأ سحر هؤلاء الأفذاذ من الصحابة أو التابعين، فأخذوا عنه بلا تردد، كما أخذ عنه أهل مصر وعمار وأبو ذر قبل ذلك!.

على علي عليه السلام وتفسد الصلح المزعوم.

الرواية السابعة:

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا:

... فخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزابوقة[١]، في موضع قرية الأرزاق، فنزلت مضر جميعاً وهم لا يشكّون في الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً، وهم لا يشكّون في الصلح، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم، وهم لا يشكّون في الصلح، وعائشة في الحُدَّان[٢] والناس في الزابوقة على رؤسائهم هؤلاء، وهم ثلاثون ألفاً ...

وخرج أمير المؤمنين فيمن معه وهم عشرون ألفاً، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار، **وعبد القيس على ثلاثة رؤساء: جذيمة وبكر على ابن الجارود، والعمور على عبد الله بن السوداء**[٣]،

---

(١) موضع قريب من البصرة، كانت فيه معركة الجمل الصغرى، بين حكيم بن جبلة العبدي وأنصاره، وجيش الزبير وطلحة وعائشة، بعد أن غدروا بوالي علي على البصرة، عثمان بن حنيف.

(٢) أحد أحياء البصرة القديمة، ينسب إلى بني حُدَّان، وهم من الأزد.

(٣) هذه المعلومة تستحق التوقف كثيراً، ولم أجد من الباحثين من وقف عندها إلا الدكتور عبد العزيز الهلابي، حيث يظهر عبد الله بن السوداء هنا (ابن سبأ المزعوم) وهو يقود قبيلة العمور، وهي بطن من عبد القيس، اليمانية الأصل، سكنت البصرة وشرق الجزيرة العربية، ونسبها كما يلي: عبد القيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

أما السبئيون فيعود نسبهم إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ووفق العرف ⇦

وأهل هجر على ابن الأشج، وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار، وعلى دنور بن علي الزُّط(١) والسيابجة(٢).

وقدم علي ذا قار في عشرة آلاف، وانضم إليه عشرة آلاف(٣).

الرواية الثامنة:

قال الطبري نقلاً عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: فلما نزل الناس واطمأنوا، خرج علي، وخرج طلحة والزبير، فتواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا

القبلي يكون قائد القبيلة منهم، بل من رؤسائهم وشجعانهم، فكيف تسند العمور القيسية العدنانية قيادتها إلى ابن سبأ، وهو سبئي قحطاني؟ سيما أن العدنانية والقحطانية لم يكونوا على وئام طوال تاريخهم!.

وكيف يرضى العربي أن يكون قائد قبيلته مجهول النسب، غير معروف الأصل، بل يهودي مغمور؟

ثم كيف تسند له هذه المهمة القيادية وقد أمر أمير المؤمنين عليه السلام أن لا يتحرك معه من اشترك في دم عثمان وأعان عليه كما ذكر سيف سابقاً؟

وهل لا يزال ابن سبأ المزعوم معلوماً لعلي عليه السلام أو مجهولاً؟

إنه الآن من قيادات جيشه في تلك الظروف الحساسة ـ بحسب الزعم ـ فهل كان علي عليه السلام (سبئياً) أيضاً وفق التصنيف والتوصيف الناصبي؟

(١) جنس من السودان والهنود.

(٢) وهم قوم صالحون، أوكل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام حراسة بيت المال في البصرة، فهاجمهم أصحاب الجمل بعد أن أعطوهم الأمان، فقتلوا منهم، وأسروا، ثم جلبوا الأسرى فقتلوهم صبراً، وهم أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً!.

(٣) تاريخ الطبري٣: ٥١٦ ـ ٥١٧. وبالتالي فقد خرج من المدينة بسبعمائة رجل، ودخل ذا قار بعشرة آلاف، ثم انضم إليه عشرة آلاف، كل ذلك من سيف بن عمر لإبعاد المهاجرين والأنصار والبدريين من جيش علي.

فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب، حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع، وأنه لا يدرك، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، وطلحة والزبير إلى عسكرهما(١).

الرواية التاسعة:

قال الطبري نقلاً عن السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: ... فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية(٢) من الذي أشرفوا عليه، والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا، وركبوا ما ركبوا، **وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في**

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٥١٧.

ولم يذكر سيف بن عمر كيف اصطلحوا؟ وما هي بنود الصلح؟ هل على قتل قتلة عثمان؟ أو على رجوع الأمور إلى ما كانت عليه، وضياع تلك الدماء والأموال التي أريقت وانتهبت عند مهاجمة البصرة؟ أو على إعادة النظر في بيعة علي؟ ثم كيف حدث الصلح بهذه السرعة وتفاهم الثلاثة في وقت قصير، ولم يستطيعوا أن يتفاهموا قبل ذلك حتى بلغت الأمور إلى هذا الحد؟

لكنك ـ أيها القارئ اللبيب ـ من متابعتك روايات سيف، تدرك أن هذا الرجل كثيراً ما يمهد لكذبته قبل إلقائها، وهو هنا يمهد لتحميل السبئية المزعومة نتائج ما يحصل فيما بعد.

(٢) أية عافية وقد قتل أكثر من ستمئة رجل من الأبرياء في معركة الجمل الصغرى، وذُبح العشرات منهم ذبح النعاج، وانتهب بيت المال، وهتكت الحرمات؟

السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر[١].

فغدوا مع الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً، وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربعيهم إلى ربعيهم، ويمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة، يعبِّئُها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وثبتا في القلب، وقالا[٢]: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: **قد علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة، وأنه لن يطاوعنا.**

ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضعوا رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا، قال ذاك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا فرددناهم من حيث جاؤوا، فوجدنا القوم على رجل فركبونا، وثار الناس. وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، **ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى**

---

(١) ولم يعرف بمشاوراتهم (السرية) واتفاقهم على إنشاب الحرب، سوى سيف بن عمر، لأنه عفريت من الجن كشخصيته المزعومة (ابن سبأ). فإن كانت المشاورات على تلك الدرجة من السرية التي لم يتمكن حتى علي عليه السلام وأصحابه من الاطلاع عليها، فكيف وصلت إلى سيف بن عمر؟!

(٢) في المصدر: فقال، والتصحيح من الكامل في التاريخ لابن الأثير٣: ٢٤٢.

يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة، وانهما لن يطاوعانا. والسبائية لا تفتر إنشاباً[١].

ونادى علي في الناس: أيها الناس، كفُّوا فلا شيء. فكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتتلوا حتى يبدأوا، يطلبون بذلك الحجة ويستحقون على الآخرين، وألا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا، فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادوا فيما بينهما[٢].

ويستمر مسلسل الأحداث، ويتسارع، ويستعر أوار المعركة، فتلجأ أم المؤمنين عائشة للقرآن، فيجابهها السبئيون برشق السهام، وقتل حامل القرآن، على ما زعم سيف، وهو ما نجده في الرواية التالية:

الرواية العاشرة:

قال الطبري بالإسناد المتقدم عن سيف عن شيوخه:

---

(١) قال الدكتور الهلابي وهو يتوقف عند هذه العبارات: والانتحال واضح في هذه الرواية، فهل من المعقول أنهم لم يكونوا يفكرون بطريقة واحدة فحسب، بل إن عباراتهم كانت واحدة أيضاً؟ فمن سمع طلحة والزبير؟ ومن سمع علياً؟ أليس الأقرب إلى الصواب أن مثل هذه الأقوال قد صاغها مؤلف متأخر قبع في مكان هادئ ليكتبها، وقد يكون بينه وبين الأحداث قرنٌ أو أكثر. عبد الله بن سبأ، للدكتور الهلابي: ٣٨.

أقول: وهذا كثير في روايات سيف كما مرّ وما سيأتي، فقد ذُكر مثل ذلك في رد علي وطلحة والزبير على من طلبوهم للبيعة. راجع الرواية الخامسة، من الصنف الثاني من روايات سيف.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٥١٨.

...فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة، فلما رأوا الجمل أطافت به مضر عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا، وعادوا إلى أمر جديد، ووقفت ربيعة البصرة، منهم ميمنة، ومنهم ميسرة، وقالت عائشة: حلّ يا كعب عن البعير، وتقدم بكتاب الله عز وجل، فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً[(١)] **وأقبل القوم وأمامهم السَّبائية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعليٌّ من خلفهم يزعهم[(٢)] ويأبَونَ إلا إقداماً**[(٣)].

فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً فقتلوه، ورموا عائشة في هودجها، فجعلت تنادى: يا بني، البقية البقية، ويعلو صوتها كثرة: الله الله، اذكروا الله عز وجل والحساب، فيأبون إلا إقداماً، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وأقبلت تدعو، وضج أهل

---

(١) أنظر كيف يستخدم سيف المصحف للتأثير في العواطف واستدرار الغيرة على المقدسات، سلباً أو إيجاباً، وهو منهج إعلامي معروف قديماً وحديثاً، فلا زلنا نسمع اليوم ونرى في وسائل الإعلام أن فلاناً من الناس أحرق المصحف، أو أن طائرة قصفت موقعاً فاحترق المصحف، أو أن فلاناً من الملوك أو الحكام يقرأ القرآن ويعتني به، ويطبعه بحلة قشيبة.

ولعل هذا مما تقوّله سيف على أم المؤمنين عائشة ليصل منه إلى أهداف عديدة، منها الربط بين هذا وبين ما حدث في صفين من قبل الأمويين، وأن ما فعلوه كانت له سابقة. ومنها إظهار علي بمظهر المتجرئ على القرآن والدماء، فلا يقيم وزناً للمقدسات، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

(٢) يكفّهم ويحبسهم.

(٣) وعاد علي عليه السلام كما وصفه أول الأمر، يملكه السبئيون ولا يملكهم.

البصرة بالدعاء، وسمع علي بن أبي طالب الدعاء فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل يدعو ويقول: اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم[1].

ثم يسترسل سيف في وصف تفاصيل المعركة وأراجيزها وأبطالها وما وقع فيها من القتلى، على عادته في تصوير الملاحم.

ومن الطريف أن يروي عن أم المؤمنين عائشة خلاف ما ادعاه من دور السبئيّة في المعركة، حيث حصل بينها وبين عمّار مشادّة كلامية، تُظهر فيها سخطها الشديد وامتعاظها من النصر الذي حققه علي عليه السلام وأتباعه، وهو ما نقرأه في الرواية التالية:

الرواية الحادية عشرة:

قال الطبري: كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا:

أمر علي نفراً بحمل الهودج من بين القتلى، وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث أنزلاه عن ظهر البعير فوضعاه إلى جنب البعير.

فأقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه نفر، فأدخل يده فيه، فقالت: من هذا ؟ قال: أخوك البَرّ، قالت: عَقوق. قال عمار بن ياسر: كيف رأيتِ ضربَ بنيك اليوم يا أمه ؟ قالت: من أنت ؟ قال: أنا ابنك البار عمار،

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٥٢٢ ـ ٥٢٤.

قالت: لست لك بأم(١)! قال: بلى، وإنْ كرهتِ.

قالت: فخرتم أن ظفرتم؟ وأتيتم مثل ما نقمتم؟ هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه(٢).

وأبرزوها بهودجها من القتلى، ووضعوها ليس قربها أحد، وكأن هودجها فرخ مُقضب مما فيه من النبل ... فانتهى إليها علي فقال: أي أمه! يغفر الله لنا ولكم، قالت: غفر الله لنا ولكم(٣).

وقال الطبري: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن حكيم بن شريك، عن أبيه عن جده قال:

انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار، فقطع الأنساع(٤) عن الهودج واحتملاه، فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال: أخوك محمد، فقالت: مُذَمَّم!

---

(١) لأنها أم المؤمنين، وعمار ليس مؤمناً ـ طبقاً لرواية سيف ـ وقد خرج من الإسلام عرياناً!.

(٢) تقول لعمار ومن وراءه من جيش علي: لا فخر لكم بهذا النصر، لأنكم نقمتم على عثمان ظلمه، وأنتم اليوم ظالمون مثله، ومن هذه سيرته فلن يظفر.

ولا أدري من تخاطب أم المؤمنين عائشة بهذا الكلام غير عمار وأخيها محمد وجيش علي؟ وأين هي عن ابن السوداء والسبئية المزعومة إن كانت موجودة حقاً؟ فإن كان خطابها لعمار وأمثاله فلا معنى للسبئية هنا، إلا أن يكون عمار منهم، فكيف يرضى ابن تيمية وأتباعه أن يكون الصحابة تبعاً لليهود السبئية؟

(٣) ولجميع المؤمنين، وضاعت تلك الدماء هدراً بزعم سيف بن عمر، فلا حساب ولا عتاب ولا وخز من ضمير. وهكذا يصور سيف تلك الكارثة بأنها أشبه ما تكون بجلسة في مقهى أو مجلس ينادي فيه الناس بعضهم: صبحكم الله بالخير، وغفر الله لنا ولكم!.

(٤) جمع النِّسع: سَيرٌ يُنسَجُ عريضاً يُشد به الرحال.

قال: يا أخية، هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت من ذاك؟ قال: فمن إذاً؟ الضُّلّال؟ قالت: بل الهداة. وانتهى إليها علي فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لك، قالت: ولك.

ويقول أيضاً بالسند المذكور: وقتل من بني عدي يومئذٍ سبعون شيخاً كلهم قد قرأ القرآن، سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن.

وقالت عائشة رضي الله عنها: **ما زلت أرجو النصر حتى خفيت أصوات بني عدى**[1].

ثم ينسى سيف كل ما ذكره أولاً، فيروي أن علياً عليه السلام صرح ـ بما لا يقبل الشك ـ بتحمله مسؤولية ما حصل، بمعنى أنه رأى الحق والإصلاح في ذلك، وقد فقأ عين الفتنة، وقطع دابرها، وهو ما تجده في الرواية التالية:

الرواية الثانية عشرة:

قال الطبري: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: **وكتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة**، حين كتب في أمرها وهو يومئذٍ بمكة:

من عبد الله علي أمير المؤمنين: أما بعد، فإنا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخُرَيبة، فناء من أفنية البصرة، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين، وقُتل منا ومنهم قتلى كثيرة، وأصيب ممن أصيب منا، ثمامة بن المثنى، وهند بن عمرو، وعلباء بن الهيثم، وسيحان وزيد ابنا

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٥٤٣.

صوحان، ومحدوج[1].

وكتب عبد الله بن رافع، وكان الرسول زفر بن قيس، إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة[2].

وهكذا اكتملت الصورة عند سيف، واختفى عبد الله بن سبأ من جديد، لأن سيفاً اختفى، فحيثما وجدت سيف بن عمر وجدت ابن سبأ، وحيثما افتقدت الأول اختفى الثاني، فلم نعد نرَى لابن سبأ دوراً بعد معركة الجمل، لا في رواية سيف، ولا في غيره، مع أن الظروف والأحوال الجديدة في صفين يفترض أن تكون مناسبة بشكل أكبر.

هذه هي قصة عبد الله بن سبأ والسبئيّة كما عرضتها روايات سيف، وكما ذكرنا سابقاً، فإن المصدر الوحيد لها هو هذا الراوي الكذاب الوضاع الذي لم يحظ حتى باليسير من التوثيق من علماء الرجال.

ولا يخفى على القارئ العزيز أننا أدمجنا بعض الروايات المتناسبة من حيث الموضوع. فعند ذكر الرواية المعنية، قد نذكر روايات أخرى في سياقها باعتبار اشتراكهما في الموضوع، أو أنها مكملة لبعضها.

---

(١) كذا في المصدر. ولا يخفى على القارئ اللبيب أن علياً عليه السلام يذكر علباء بن الهيثم بقوله: منا، وقد عده سيف بن عمر قبل ذلك من رؤوس السبئية الذين اجتمعوا قبيل المعركة، وتآمروا على قتل علي عليه السلام أو إنشاب القتال بين الفريقين.

(٢) تاريخ الطبري٣: ٥٤٥.

الفصل الثالث

دراسة نقدية لمرويات سيف بن عمر

- *أسناد روايات سيف*
- *سيف في ميزان الجرح والتعديل*
- *محاولة الدفاع عن سيف*
- *مراتب الجرح والتعديل*
- *موقع سيف من مراتب الجرح*
- *مرويات سيف في ميزان النقد*
- *خلاصة تناقضات سيف*

قبل الحكم على ما ورد في الروايات المذكورة لا بد من إخضاعها للبحث والمناقشة، سواء على مستوى السند، وفق منهج الجرح والتعديل، أم على مستوى المتن، باستقرائها ومقارنتها مع بعضها، وملاحظة ما فيها من تضارب وتضاد ومعلومات خاطئة وما إلى ذلك، وقد أشرنا إجمالاً إلى بعض من ذلك في تعليقنا عليها، ونبدأ أولاً بالأسناد.

أسناد روايات سيف:

قبل دراسة معطيات الروايات المذكورة، لا بد أن نقف عند راويين أساسيين، هما عمدة النقل الذي شاع في التاريخ حول دور المزعوم ابن سبأ، واللذان أخذ عنهما الطبري ومن تبعه، جميع الروايات بهذا الخصوص، وهما طريقه الوحيد إلى سيف بن عمر، أعني بذلك (السَّري) و (شعيب) ثم نبحث عن سيف بن عمر نفسه، ثم عن بعض شيوخه الذين أخذ عنهم. أما الروايات المرسلة فلا مجال لمناقشتها هنا لافتقارها للسند، وسوف ندرس متونها لاحقاً:

١. السَّري:

أول ما يواجهك في الروايات المذكورة أن الطبري يعتمد راوية واحداً كتب إليه بكل ما قرأت، بقضّه وقضيضه، وهو (السّري)، إلا أنه اكتفى بلقبه

دون اسمه واسم أبيه، لذا صعب الحكم عليه ابتداءً.

من هنا نكون مضطرين للبحث في كتب الرجال والتاريخ والحديث وغيرها عما هو مظنة للعثور على الشخص المعني.

وبالعودة إلى تلك المصادر، نجد أن هناك ثلاثة أسماء لرواة بهذا الاسم:

أـ السري بن يحيى بن إياس بن حرملة، أبو الهيثم الشيباني البصري، المتوفى سنة ١٦٧هـ أو ١٦٩هـ. روى عن الحسن، وثابت، ومالك بن دينار، وعبد الكريم بن رشيد[1]. وهو ثقة عند علماء الرجال. فإذا علمت أن الطبري ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠ ، فيكون السري بن يحيى المذكور قد توفي قبل الطبري بسبع وخمسين عاماً، أو خمس وخمسين، فلا يكون هو المعنيّ في طريق الروايات المذكورة.

إلا أنك مع ذلك تجد اسمه يتردد في بعض روايات الطبري عن سيف، فيقول: كتب إلي السري (بن يحيى)، عن شعيب عن سيف، فما السر في ذلك؟

الجواب عن ذلك: إما أنه التدليس وإيهام القارئ بوثاقة الراوي، أو أنه جهل، حيث صُرف المعنى للأشهر، أو أنه خطأ من النُّسّاخ. ومن البعيد جداً، بل من غير المقبول والمعقول أن يكون هذا من الطبري نفسه.

ب ـ السّريّ بن إسماعيل الهمداني الكوفي، ابن عمّ الشعبي، وهو متروك الحديث[2].

---

(١) راجع: الجرح والتعديل ابن أبي حاتم الرازي ٤: ٢٨٣. الثقات، لابن حبان ٦: ٤٢٧.

(٢) تقريب التهذيب، لابن حجر ١: ٣٤١.

ورد عن أحمد بن حنبل أنه قال: ترك الناس حديثه. وقال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء[١]. وقال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، وكان ابن معين شديد الحمل عليه[٢]. وقال البخاري: قال يحيى بن قطان: استبان له كذبه في مجلس[٣].

وبكلمة واحدة: لم يوثّقه أحد من علماء الرجال. وهو ممن أدركهم الطبري، فيحتمل بشكل كبير أنه أخذ عنه ما أخذ.

ج ـ السري بن عاصم بن سهل، أبو عاصم الهمداني: قال عنه عبد الرحمن بن خراش: كذاب[٤]. ووهاه ابن عَدي وقال: يسرق الحديث[٥]، وقال ابن حبان: كان ببغداد يسرق الحديث ويرفع الموقوفات[٦]، لا يحل الاحتجاج به[٧]. وقد ينسب إلى جده[٨]. قال الذهبي: ومن مصائبه أنه أتى

---

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر٣: ٣٩٩. راجع أيضاً: ضعفاء العقيلي٢: ١٧٧.

(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر٣: ٣٩٩.

(٣) الضعفاء الصغير، للبخاري: ٥٩. ضعفاء العقيلي٢: ١٧٦.

(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي١٩: ١٥٠.

(٥) ميزان الاعتدال، للذهبي٢: ١١٧.

(٦) الحديث الموقوف عند ابن حزم: ما لم يبلغ به إلى النبي ﷺ. وعند النووي: ما أضيف إلى الصحابي قولاً له أو فعلاً، متصلاً كان أو منقطعاً. ويسمى عند أهل الحديث (أثراً).

والحديث المرفوع: ما أضيف إلى رسول الله ﷺ قولاً له أو فعلاً. أو: ما أخبر به الصحابي عن رسول الله ﷺ. (ما أسنده راويه إلى رسول الله).

(٧) كتاب المجروحين، لابن حبان١: ٣٥٥.

(٨) ميزان الاعتدال، للذهبي٢: ١١٧.

بحديث متنه: رأيت حول العرش وردة مكتوب فيها: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق(١).

وقد رجح العلامة الأميني في الغديرأن يكون الأخير، ولعل ذلك لسببين:

١ ـ أنه أدرك الطبري ردحاً طويلاً من الزمن يقرب من ثلاثين سنة، فقد توفي سنة ٢٥٨هـ

٢ـ قول الذهبي: وقد ينسب إلى جده، أي أنه قد يقال: السري بن يحيى، نسبة إلى جده، وعندئذٍ يرتفع الإشكال السابق في نقل الطبري عنه بهذه النسبة.

وعلى كلا التقديرين، يدور الراوي بين اثنين، كلاهما كذاب، ولا فائدة بعدُ ولا ثمرة من تعيين أحدهما.

والمثير هنا أن روايات تاريخ الطبري المذكورة، تشترك جميعاً في قول الطبري: (كتب إليَّ السَّري) وهذا نادر في عرف أهل الحديث والتاريخ، فالغالب أن يقال: (حدثني) أو (حدثنا) أو (قرأت على) أو (وجدت في كتاب) إلا أن هذه الروايات كما تشترك في الراوي، فإنها تشترك بقوله: (كتب إليّ السري)، مما يشير إلى أنها كانت مكتوبة للطبري حصراً، أو أن الطبري كان يكتب التاريخ (بالمراسلة)، فلا يبعد أن تكون هناك جهة ما، كتبت كل ما ورد في هذا الشأن، وتسترت بهذا الاسم المستعار. والله أعلم.

---

(١) ميزان الاعتدال، للذهبي٢: ١١٧.

٢. شعيب:

هو شعيب بن إبراهيم الكوفي، وهو مجهول: قال فيه عبد الله بن عدي في الكامل: وشعيب بن إبراهيم هذا له أحاديث وأخبار، وهو ليس بذلك المعروف... وفيه بعض النكرة، لأن في أخباره وأحاديثه ما فيه **تحامل على السلف**[١]. وقال الذهبي: راوية كتب سيف عنه، فيه جهالة[٢]. وقال ابن حجر: وله أحاديث وأخبار، وفيه بعض النكرة، **وفيها ما فيه تحامل على السلف**[٣].

هذا هو الراوي الثاني في الروايات التي ذكرناها عن سيف، وهو كما علمت: مجهول، فيه تحامل على السلف.

٣. سيف بن عمر:

التميمي الأسيدي الكوفي، وهو البطل الرئيسي في هذه الأسناد، وواضع الكثير من البلايا في التاريخ الإسلامي. كان له كتابان: الفتوح والردة، والجمل ومسير عائشة وعلي.

وقد اختلق في التاريخ الكثير من الأسماء من الصحابة والأماكن والأيام والوقائع. فمن الصحابة: سعير، والهزهاز، وأطّ، وحميضة، وغيرهم، وأسماء الكثير من التابعين أيضاً، ووضع الأحاديث والأخبار على لسانهم.

---

(١) الكامل، لابن عدي٤: ٤.

(٢) ميزان الاعتدال، للذهبي٢: ٢٧٥. لسان الميزان لابن حجر٣: ١٤٥.

(٣) لسان الميزان، لابن حجر٣: ١٤٥.

وقد أخذ عنه المؤرخون دون تمحيص. وأول من أخذ عنه الطبري، ثم ابن الأثير وابن عساكر وغيرهم. وهو كوفي الأصل، اشتهر في بغداد، وتوفي فيها بعيد سنة ١٧٠هـ، وعلى الأرجح أنه توفي سنة ١٨٠هـ.

نقل عنه الطبري كثيراً في تاريخه، واعتبره بعض المستشرقين مثل فلهاوزن وكاتياني **أقل دقة من سائر المؤرخين، وأكثر تفصيلاً.**

قال فيه الحفاظ وأئمة الجرح والتعديل : إنه ضعيف ، متروك ، ساقط ، وضّاع، عامة حديثه منكر، يروي الموضوعات عن الأثبات، كان يضع الحديث، واتهم بالزندقة .

سيف في ميزان الجرح والتعديل :

إليك عزيزي القارئ جانباً مما قاله علماء وأئمة الجرح والتعديل في هذا الراوي المؤرخ الملفت للنظر:

١ ـ قال يحيى بن معين (ت : ٢٣٣هـ)) : «ضعيف الحديث، فلس خير منه»[(١)].

٢ ـ وقال أبو داود (ت : ٢٧٥ هـ) : « ليس بشيء»[(٢)].

٣ ـ وقال النسائي صاحب الصحيح (ت : ٣٠٣ هـ) : « ضعيف»[(٣)].

---

(١) الموضوعات، لابن الجوزي٢: ٣٠.

(٢) تهذيب الكمال، للمزي١٢: ٣٢٦. سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود، سليمان بن الأشعث السجستاني١: ٢١٤.

(٣) كتاب الضعفاء والمتروكين، للنسائي: ١٨٧.

٤ ـ وقال العقيلي (ت ٣٢٢) عند ذكره حديثاً رواه: «لا يتابع عليه، ولا على كثير من حديثه»[١].

٥ ـ ونقل ابن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧ هـ) عن بعض أهل العلم قوله: «متروك الحديث»[٢].

٦ ـ وقال ابن حبان (ت : ٣٥٤ هـ) : «يروي الموضوعات عن الأثبات، اتهم بالزندقة»[٣] ، وروى عن ابن نمير قال: « سيف الضبي: تميمي، وكان جميع يقول: حدثني رجل من بني تميم، وكان سيف يضع الحديث، وكان قد اتهم بالزندقة»[٤] .

٧ ـ وقال ابن عدي (ت : ٣٦٥ هـ) : «ضعيف ، بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها»[٥].

٨ ـ وقال الحاكم (ت : ٤٠٥ هـ) : «اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط»[٦].

٩ ـ قال أبو نعيم الإصبهاني (ت: ٤٣٥): «متهم في دينه، مرميٌّ بالزندقة،

---

(١) ضعفاء العقيلي، العقيلي٢: ١٧٥.

(٢) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي٤: ٢٧٨. راجع أيضاً: تهذيب الكمال للمزي١٢: ٣٢٦.

(٣) كتاب المجروحين، لابن حبان١: ٣٤٥.

(٤) كتاب المجروحين، لابن حبان١: ٣٤٥.

(٥) الكامل، لابن عدي٣: ٤٣٦.

(٦) تهذيب التهذيب، لابن حجر٤: ٢٦٠.

ساقط الحديث، لا شيء»[(١)] .

١٠ ـ وهاه الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣ هـ) كما في ترجمة خزيمة (غير ذي الشهادتين من الإصابة)[(٢)] .

١١ ـ ونقل ابن عبد البر (ت : ٤٦٣ هـ) عن أبي حيان أنه قال فيه : «سيف متروك، وإنما ذكرنا حديثه للمعرفة» ولم يعقب ابن عبد البر على هذا الحديث شيئاً .

١٢ ـ وقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) عند ذكره حديث: (شرار أمتي معلموها): هذا حديث موضوع بلا شك، وفيه جماعة مجروحون، وأشدهم في ذلك سيف وسعد (بن طريف) فكلاهما متهم بوضع الحديث[(٣)].

وقال أيضاً في ذكر حديث آخر: هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه مجهولون وضعفاء، وأقبحهم حالاً سيف[(٤)].

١٣ـ وقال فيه الذهبي (٧٤٨): «يروي عن هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر وجابر الجعفي، **وخلق كثير من المجهولين، كان إخبارياً عارفاً**»[(٥)]. وقال أيضاً: «كان جميع يقول: حدثني رجل من بني تميم، وكان سيف يضع الحديث، وقد اتهم بالزندقة»[(٦)].

---

(١) كتاب الضعفاء، لأبي نعيم الإصبهاني: ٩١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر٢: ٢٤١.

(٣) الموضوعات، لابن الجوزي١: ٢٢٣.

(٤) الموضوعات، لابن الجوزي٢: ٣٠.

(٥) ميزان الاعتدال، للذهبي٢: ٢٥٥.

(٦) ميزان الاعتدال، للذهبي٢: ٢٥٦.

١٤ـ وقال ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ): «**ضعيف الحديث عمدة في التاريخ**»[(١)].

هذا إذن حال سيف بن عمر، الراوي الوحيد الفريد لملحمة عبد الله بن سبأ، ودوره في أحداث قتل عثمان، ومعركة الجمل.

ومن الملاحظ هنا أن علماء الرجال وصفوه بأبلغ درجات الجرح، وهي الكذب والوضع، أضف إلى ذلك اتهامه في دينه وأنه زنديق.

محاولة الدفاع عن سيف:

حاول بعض الباحثين الدفاع عن سيف بن عمر وتبرير كذبه، مستخدماً قول الذهبي السابق: «**كان إخبارياً عارفاً**»، وقول ابن حجر: «**عمدة في التاريخ**»، وأوهموا أن الرجل مختلَف فيه.

والسر في ذلك، أن غير المتخصص لا يدرك معاني عبارات الجرح والتعديل، فيتصور أن عبارات الجرح خفيفة مثلاً، أو أن عبارات الذهبي وابن حجر تعدّ من عبارت التعديل والتوثيق، مع أن الرجلين جرحاه بشكل واضح من حيث الحديث.

ولكي تتضح الصورة أكثر، لا بد أن نعود إلى أئمة الجرح والتعديل ونتعرف عباراتهم التي يطلقونها بإزاء الرواة.

لقد وضع علماء هذا الفن، للجرح والتعديل مراتب، وهذه المراتب، وإن اختلفت من أحدهم للآخر في بعض الخصوصيات الجزئية، إلا أنها تتفق في الأصول الرئيسة، وإليك أبرزها:

---

(١) تقريب التهذيب١: ٤٠٨.

مراتب الجرح والتعديل

أ. عند ابن حجر (٨٥٢):

جعل ابن حجر مراتب الجرح والتعديل اثنتي عشرة مرتبة[١] وكما يلي:

١ ـ الصحابة.

٢ ـ من أُكّدَ مدحُه، إما بأفْعَل، كأوثق الناس، أو بتكرير الصفة لفظاً، كثقة ثقة، أو معنىً، كثقة حافظ.

٣ ـ من أفرد بصفة: كثقة أو متقن أو ثبت أو عدل.

٤ ـ من قصر عن الدرجة الثالثة قليلاً، وإليه الإشارة بصدوق أو لا بأس به، أو ليس به بأس.

٥ ـ من قصر عن الدرجة الرابعة قليلاً، وإليه الإشارة بصدوق سيئ الحفظ، أو صدوق يهم، أو له أوهام، أو يخطئ، أو تغير بآخره. ويلتحق بذلك من رمي بنوع من البدعة، كالتشيع والقدر والنصب والإرجاء والتجهم، مع بيان الداعية من غيره.

٦ ـ من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ: (مقبول) فيتابع وإلا (فلين الحديث).

٧ ـ من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثّق، وإليه الإشارة بلفظ (مستور، أو مجهول الحال).

٨ ـ من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر، ووجد فيه إطلاق الضعف، ولو لم

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر ١: ٢٥.

يفسَّر، وإليه الإشارة بلفظ ضعيف.

٩ ـ من لم يرو عنه غير واحد، ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ مجهول.

١٠ ـ من لم يوثَّق البتة، وضعف مع ذلك بقادح، وإليه الإشارة بمتروك، أو متروك الحديث.

١١ ـ من اتهم بالكذب.

١٢ ـ من أطلق عليه اسم الكذب والوضع.

ب. عند أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧):

أما الرازي في الجرح والتعديل، فقد صنف طبقات الرواة ـ بعد أن ذكر الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين ـ إلى أربع مراتب، فيكون المجموع الكلي ثمان[1].

قال الرازي في الجرح والتعديل، في ذكر مراتب الرواة:

١ ـ فمنهم الثبت الحافظ الورع المتقن الجهبذ الناقد للحديث، فهذا الذي لا يختلف فيه، ويعتمد على جرحه وتعديله، ويحتج بحديثه وكلامه في الرجال.

٢ ـ ومنهم العدل في نفسه، الثبت في روايته، الصدوق في نقله، الورع في دينه، الحافظ لحديثه، المتقن فيه، فذلك العدل الذي يحتج بحديثه ويوثق في نفسه.

٣ ـ ومنهم الصدوق الورع الثبت الذي يهم أحياناً ، وقد قبله الجهابذة

---

(١) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي١ : ٧.

النقاد، فهذا يحتج بحديثه.

٤ ـ ومنهم الصدوق الورع المغفل الغالب عليه الوهم والخطأ والغلط والسهو، فهذا يكتب من حديثه الترغيب والترهيب والزهد والآداب، ولا يحتج بحديثه في الحلال والحرام.

٥ ـ وخامس قد ألصق نفسه بهم، ودسّها بينهم، ممن ليس من أهل الصدق والأمانة، ومن قد ظهر للنقاد العلماء بالرجال أولي المعرفة منهم، الكذب، **فهذا يترك حديثه، ويطرح روايته.**

وقال في موضع آخر من كتابه[1]: ووجدت الألفاظ في الجرح والتعديل على مراتب شتى:

١ ـ فإذا قيل للواحد: إنه ثقة، أو متقن ثبت، فهو ممن يُحتج بحديثه.

٢ ـ وإذا قيل له: إنه صدوق، أو محله الصدق، أو لا بأس به، فهو ممن يُكتب حديثه، ويُنظر فيه، وهي المنزلة الثانية.

٣ ـ وإذا قيل: شيخ، فهو بالمنزلة الثالثة، يُكتب حديثه ويُنظر فيه، إلا أنه دون الثانية.

٤ ـ وإذا قيل: صالح الحديث، فإنه يكتب حديثه للاعتبار.

ثم ذكر مراتب التجريح، فقال:

١ ـ وإذا أجابوا في الرجل بليِّن الحديث، فهو ممن يُكتب حديثه ويُنظر فيه اعتباراً.

---

(١) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي ٢: ٣٧.

٢ ـ وإذا قالوا: ليس بقوي، فهو بمنزلة الأولى في كتبة حديثه، إلا أنه دونه.

٣ ـ وإذا قالوا: **ضعيف الحديث**، فهو دون الثاني، لا يطرح حديثه، بل يُعتبر به.

٤ ـ وإذا قالوا: **متروك الحديث**، أو ذاهب الحديث، أو كذاب، فهو ساقط الحديث، لا يُكتب حديثه، وهي المنزلة الرابعة.

ج ـ عند ابن حبان (٣٥٤):

ذكر ابن حبان في كتاب المجروحين عشرين نوعاً من أنواع جرح الضعفاء. قال: قال أبو حاتم: فأما الجرح في الضعفاء فهو على عشرين نوعاً، يجب على كل منتحل للسنن، طالب لها، باحث عنها أن يعرفها، لئلا يطلق على كل إنسان إلا ما فيه، ولا يقول عليه فوق ما يعلم منه[1]:

ومن هؤلاء الذين ذكرهم: الزنادقة[2] الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، كانوا يدخلون المدن، ويتشبهون بأهل العلم، ويضعون الحديث على العلماء، ويروون عنهم، ليوقعوا الشك والريب في قلوبهم.

---

(١) كتاب المجروحين، ابن حبان ١: ٦٢، نقلناها باختصار.

(٢) وقد استخدمت السلطات الحاكمة هذه الفئة سلاحاً ذا أغراض متعددة، فقد وظفوهم باتجاه وضع الأحاديث الداعمة للحاكم وسلطانه، كما استخدموا الزندقة ذريعة لتصفية الخصوم، فكم من المعارضين السياسيين، أو ممن أرادت السلطة إبعادهم عن المشهد العام، قتلوا بذريعة الزندقة. كما وظفوها في التضييق على العلماء وإشغالهم بغربلة الحديث والنزاعات الجانبية، إلى غير ذلك من المكائد والأغراض.

ولا شك أن هذه الأوصاف وأمثالها تنطبق على سيف وأشياعه.

وممن ذكرهم أيضاً الوضّاع بأصنافهم وأسبابهم ودوافعهم: فمنهم من يضع الحديث على العلماء الثقات، بدافع الحث على الخير والزجر عن المعاصي.

ومنهم من يضع على رسول الله ﷺ. ومنهم من يضع الحديث عند الحوادث يحدث للملوك وغيرهم في الوقت دون الوقت[١]. ومنهم الصالح الغافل[٢]. ومنهم الثقات المختلطون في آخر أعمارهم. ومنهم من يجيب عن كل ما سئل، فلا يتورع إن كان من حديثه أو من حديث غيره، فلا يبالي أن يتلقن ما لقن[٣]. ومنهم من يكذب ولا يعلم أنه يكذب، إذ العلم

---

(١) كما في غياث بن إبراهيم، حيث دخل على المهدي العباسي، وكان المهدي يشتري الحمام ويشتهيها كثيراً ويلعب بها، فقيل له: حدث أمير المؤمنين، فقال: حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال: لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح! فأضاف لفظة (جناح) للحديث لإيجاد المبرر والذريعة للخليفة، فأمر له المهدي ببدرة، فلما قام من عنده، أخبر جلساءه أنه كذاب على رسول الله ﷺ، ثم أمر بذبح الحمام على ما قيل.

وذكر ابن حبان طريقة أخرى، عن سعد بن ظريف الإسكاف، وقد جاءه ابنه يبكي وقد ضربه المعلم، فقال: أما والله لأخزينهم، حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: معلمو صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة ليتيم، وأغلظهم على المسكين.

(٢) ذكر ابن حبان في المجروحين، عن يحيى بن سعيد القطان قال: لم نجد الصالحين أكذب منهم في الحديث. وعن وكيع بن الجراح وقد سئل عن وهب بن إسماعيل فقال: ذاك رجل صالح، وللحديث رجال.

(٣) مما ذكره ابن حبان عن هؤلاء، أن يحيى بن حسان قال: جاء قومٌ ومعهم جزء فقالوا: سمعناه من ابن لهيعة، فنظرت فيه فإذا ليس فيه حديث واحد من حديث ابن لهيعة، فقمت فجلست إلى ابن لهيعة فقلت: أي شيء ذا الكتاب الذي حدثت به؟ ليس ها هنا في

⇦

ليس من صناعته. ومنهم من يقلب الأخبار ويسوي الأسانيد. ومنهم من ابتلي بابن سوء أو وَرّاق سوء، كانوا يضعون له الحديث، ثم يوهمونه أنه من حديثه وإملائه[(١)]. ومنهم من ابتلي بذلك، فلما تبين له لم يرجع[(٢)]. ومنهم المعلن بالفسق، وإن كان صدوقاً في روايته. ومنهم المدلس عمن لم يره. **ومنهم القصاص الذين كانوا يضعون الحديث في قصصهم ويروونها عن الثقات**[(٣)].

الكتاب حديث من حديثك، ولا سمعتها أنت قط. قال: ما أصنع بهم؟ يجيئون بكتاب فيقولون: هذا من حديثك، فأحدثهم به.

(١) ومنهم سفيان بن وكيع بن الجراح، كان له ورّاق يقال له قرطمة، يدخل عليه الحديث.

(٢) قال ابن حبان: وهذا من قلة الديانة والمبالاة بما هو مجروح في فعله.

(٣) وقد ابتلي الثقات والمشاهير بهذه الظاهرة على مدى التاريخ، فقد ذكر ابن حبان في كتاب المجروحين شواهد من هؤلاء، وإليك ما ذكر:

الأول: عن جعفر بن أبي عثمان الطيالسي قال: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قائم فقال:

حدثنا أحمد بن حنبل، ويحيى ابن معين قالا: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من قال لا إله إلا الله يخلق من كل كلمة منها طير منقاره من ذهب وريشه من مرجان. وأخذ في قصة نحو عشرين ورقة. فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى إلى أحمد، فقال: أنت حدثت بهذا؟ فقال: والله ما سمعت به قط إلا الساعة.

قال: فسكتوا جميعاً حتى فرغ من قصصه وأخذ قطاعه (دراهمه)، ثم قعد ينظر بقيتها، فقال له يحيى بن معين بيده أن تعال، فجاء متوهماً لنوال (عطاء) غيره فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، قال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإن كان لا

⇦

بد والكذب فعلى غيرنا. فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، ما علمته إلا الساعة. فقال له يحيى: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأن ليس في الدنيا يحيى وأحمد غيركما. كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. قال: فوضع أحمد بن حنبل كمه على وجهه وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما.

الثاني: قال ابن حبان: قال أبو حاتم: وقد دخلت تاجران (مدينة بين الرقة وحران) فحضرت مسجد الجامع، فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال:

حدثنا أبو خليفة، حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من قضى لمسلم حاجة فعل الله له كذا، وذكر كلاماً طويلاً، فلما فرغ من كلامه دعوته، فقلت: من أين أنت؟ فقال: من أهل بردعة، قلت: دخلت البصرة؟ قال: لا، قلت: رأيت أبا خليفة؟ قال: لا، قلت: فكيف تروي عنه وأنت لم تره؟ فقال: إن المناقشة معنا من قلة المروءة، أنا أحفظ هذا الإسناد الواحد، فكلما سمعت حديثاً ضممته إلى هذا الإسناد فرويت. فقمت وتركته.

الثالث: أخبرنا محمد بن المنذر، حدثنا محمد بن إدريس، قال: حدثنا مؤمل بن إهاب قال: قام رجل يحدث، ويزيد بن هارون قاعد، فجعل يسأل الناس، فلم يُعط، فقال:

حدثنا يزيد بن هارون عن شريك عن مغيرة عن إبراهيم قال: إذا سأل السائل ثلاثة فلم يعط فكبِّر عليهم ثلاثاً، وجعل يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ثم مرَّ. فذكرنا ليزيد بن هارون، فقال: أكذب علي الخبيث؟ ما سمعت بهذا قط.

قال: وقام سائل فجعل يقول: حدثنا يزيد بن هارون عن ذئب بن أبي ذئب، فضحك يزيد بن هارون، فلما قمنا تبعناه فقلنا له: ويحك، ليس اسمه ذئب، إنما هو محمد بن عبد الرحمن فقال: إذا كان أبوه اسمه أبو ذئب، فأي شيء كان ابنه إلا ذئب؟

الرابع: أخبرنا مكحول ببيروت، حدثنا أبو الحسن الرهاوي، قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: ما رأيت أحداً قط أكذب من أبي سعيد المدائني، وكان حسن القصص، حسن النغمة، وكنت يوماً عنده إذ قال: حدثنا ابن أبي ذئب، عن مسروق بن الأجدع ـ

⇦

وأنا أبكى عند قصصه ـ فالتفتُّ إلى إنسان إلى جانبي، فقلت: ويحك، هذا يكذب، فقال: أي لحية! قعودك عنده تبكي وأنت تعلم أنه يكذب، إيش.

الخامس: أخبرنا محمد بن عمر بن محمد الهمداني، حدثنا أبو يحيى المستملي، حدثنا أبو جعفر الجوزجاني، قال: حدثني أبو عبد الله البصري قال: أتيت إسحاق بن راهويه، فسألته شيئاً، فقال: صنع الله لك. فقلت: لم أسألك صنع الله، إنما سألتك صدقة. قال: لطف الله لك، فقلت: لم أسألك لطف الله إنما سألتك صدقة. قال: فغضب، وقال: أيها الرجل، الصدقة لا تحل لك، قلت: ولم، يرحمك الله؟ قال: لأن جريراً حدثنا عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا تحل صدقة لغني ولا لذي مرة سوي، وأنت قوي ذو مرة سوي.

قال: فقلت: ترفّقْ يرحمك الله، فإنَّ معي حديثاً في كراهية العمل، فقال إسحاق. وما هو؟ فقلت: حدثني ابن عبد الله الصادق الناطق، عن اقتبير عن بتناخ، عن يازماز عن سيماء الصغير، عن سيماء الكبير، عن عجيف بن عنبسة، عن زعلمج ابن عم أمير المؤمنين أنه قال: العمل شؤم وتركه خير، تقعد تهنى خير من أن تعمل تقنى. فقلنا: لا إله إلا الله.

قال: فضحك إسحاق وذهب غضبه، وقال: زدنا من هذا الحديث. فقلت: وحدثني أبو عبد الله الصادق الناطق بإسناده عن عجيف، فقال: قعد زعلج يوماً في جلسائه، فقال: أخبروني بأعقل الناس، فأخبر كل واحد منهم بما عنده، فقال لهم: لم تصيبوا، فقالوا له: فأخبرنا بأعقل الناس عندك قال: أعقل الناس الذي لا يعمل، لأن من العمل يجيء التعب، ومن التعب يجيء المرض، ومن المرض يجيء الموت، ومن عمل فقد أعان على نفسه، وقال الله تبارك وتعالى: لا تقتلوا أنفسكم.

قال إسحاق: زدنا من حديثك، قال: وحدثني أبو عبد الله الصادق الناطق بإسناده عن زعلج قال: من أطعم أخاه تمراً غفر الله له عدد النوى، ومن أطعم أخاه هريسة غفر الله له مثل الكنيسة، ومن أطعم أخاه جبناً غفر الله له ألف ذنب، قال: فضحك إسحاق، وأمر

⇦

د. عند الذهبي (٧٤٨هـ):

ذكر الذهبي مراتب التعديل كما يلي[1]:

١ ـ أعلى العبارات في الرواة المقبولين: ثبت حجة، وثبت حافظ، وثقة متقن، وثقة ثقة.

٢ ـ ثم ثقة صدوق، ولا بأس به، وليس به بأس.

٣ ـ ثم محله الصدق، وجيد الحديث، وصالح الحديث، وشيخ وسط، وشيخ حسن الحديث، وصدوق إن شاء الله، وصويلح، ونحو ذلك.

أما عبارات الجرح فذكرها كما يلي، قال:

١ ـ وأردى عبارات الجرح: **دجال كذاب، أو وضاع يضع الحديث.**

٢ ـ ثم متهم بالكذب، ومتفق على تركه.

٣ ـ ثم متروك ليس بثقة، وسكتوا عنه، وذاهب الحديث ، وفيه نظر، وهالك، وساقط.

٤ ـ ثم واهٍ بمرة، وليس بشيء، وضعيف جداً، وضعفوه، وضعيف، وواه ،

له بدرهمين ورغيفين وعودين.

كتاب المجروحين، ابن حبان١ : ٨٧.

فإن كان هؤلاء يضعون الأحاديث ويستخفّون بها ويسخرون منها بهذه الطريقة، من أجل دراهم معدودة، فما ظنك بأموال تغدق على أمثالهم من الوضاعين الذين عاشوا وماتوا على فتات موائد السلاطين من بني أمية وبني العباس من أمثال سيف بن عمر وعبد الرحمن بن مالك بن مغول وأضرابهم؟.

(١) ميزان الاعتدال، للذهبي١ : ٤.

ومنكر الحديث، ونحو ذلك.

٥ ـ ثم يضعف، وفيه ضعف، وقد ضعف، ليس بالقوي، ليس بحجة، ليس بذاك، يعرف وينكر، فيه مقال، تكلم فيه، لين، سيئ الحفظ، لا يحتج به، اختلف فيه، صدوق لكنه مبتدع، ونحو ذلك من العبارات التي تدل بوضعها على اطّراح الراوي بالأصالة، أو على ضعفه، أو على التوقف فيه، أو على جواز أن يحتج به مع لين ما فيه.

موقع سيف من مراتب الجرح:

لكي لا نطيل على القارئ الكريم نكتفي بهذا القدر من مراتب الجرح والتعديل عند أساطين هذا العلم، ولنعد إلى سيف بن عمر، ونعرضه على هذه الموازين، لنرى من أي المراتب هو؟

لا شك أننا نلاحظ ما يلي:

١ ـ لم ترد فيه كلمة توثيق واحدة إطلاقاً من جميع علماء الرجال، ولا حتى من المراتب الأخيرة، على اختلاف تصنيفاتهم لتلك المراتب، وهؤلاء المدافعون عن سيف بدل أن يبحثوا في تخفيف عبارات الجرح، عليهم أن يبحثوا أولاً عن عبارات التعديل والتوثيق، ودون ذلك خرط القتاد.

ثم أين ذهبت قاعدتهم التي قعّدوها في كون الجرح مقدماً على التعديل؟

٢ ـ ورد فيه أشد عبارات الجرح، وهي الوضع، ورواية الموضوعات عن الأثبات، بل حتى الاتهام بالزندقة، وأنه متهم في دينه. والاتهام بالزندقة لوحده كافٍ لرد رواياته التي انفرد بها عن غيره، **فهو ليس بحجة إذا**

خالف، كما صرح بذلك الخطيب البغدادي.

والطريف أن البعض ادعى أنه لم يذكر في جرحه أنه يكذب، أو كذّاب، إنما ورد أنه يضع الحديث.

أقول: لا يخفى على القارئ اللبيب أن الوضع وإن كان كذباً أيضاً، إلا أنه أشد منه في عرف أهل الحديث، فالوضع يعني الكذب على النبي ﷺ ومن يضع الحديث ويخترعه وينسبه لرسول الله ﷺ أو ينسبه للأثبات من العلماء، فهو كاذب، والاختلاف في اللفظ، سوى أن الوضع أخص من الكذب. وبالتالي يكون الوضع أشد وأقبح.

ومن الطريف أيضاً أنهم نقلوا عن أبي حاتم قوله في سيف: «متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي» فلماذا تركتم الواقدي وأخذتم عن سيف؟

٣ ـ لم يقف العلماء في نقد سيف عند الحديث، إنما صرحوا بسقوط روايته في الجملة، حديثاً كانت أم خبراً تاريخياً، فقد ورد في عباراتهم: يروي الموضوعات عن الأثبات.. وهو في الرواية ساقط.

٤ ـ قد رأيت أن الخطيب البغدادي، رد روايته في مجال التاريخ لا في مجال الحديث، ولم يعارضه ابن حجر، وإليك العبارة مرةً أخرى:

قال ابن حجر في ترجمة خزيمة بن ثابت الأنصاري (آخر): روى ابن عساكر في تاريخه، من طريق الحكم بن عتيبة أنه قيل له: أشهد خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الجمل؟ قال: لا، ذاك خزيمة بن ثابت آخر، ومات ذو الشهادتين في زمن عثمان.

ثم علق ابن حجر قائلاً: هكذا أورده من طريق سيف صاحب الفتوح،

عن محمد بن عبيد الله، عن الحكم، وقد وهاه الخطيب في الموضح وقال: أجمع علماء السير أن ذا الشهادتين قتل بصفين مع علي. وليس سيف بحجة إذا خالف.

ثم علق قائلاً: لا ذنب لسيف! بل الآفة من شيخه وهو العرزمي[١].

فسواء كان سيف يروي الموضوعات عن الأثبات، أو أن الآفة من شيخه، أو أنه زنديق يضع الحديث، فالنتيجة واحدة، وهي عدم الوثاقة.

٥ ـ تبين لك ـ عزيزي القارئ ـ أن الخطيب البغدادي وابن حجر، لم يفرّقا في رد الرواية الواردة عن سيف بين كونها حديثاً نبوياً أو خبراً تاريخياً، أي أنهما أخضعا الروايات التاريخية لمنهج الجرح والتعديل، فالقضية موضع البحث إنما كانت وجود أو عدم وجود خزيمة بن ثابت غير ذي الشهادتين، وهي قضية تاريخية كما هو واضح.

فلا معنى إذن لادعاء بعض المتأخرين التفريق بين الرواية التاريخية والحديث النبوي. بل سوف يتبين لك أن مكذوبات سيف في التاريخ، وسوء ضبطه، وقلة معرفته، ظاهرة للعيان، لا تحتاج إلا القليل من التأمل.

وسوف يأتي في موضع آخر من هذا الكتاب مناقشة أولئك المدافعين عن سيف، الذين حاولوا أن يلمعوا صورته، ليجعلوا منه ثقة وعمدة في التاريخ، مع إقرارهم بجرأته على سيد البشر محمد ﷺ في وضع الحديث على لسانه الشريف.

---

(١) الإصابة، لابن حجر ٢: ٢٤١.

مرويات سيف في ميزان النقد:

بعد أن عرفت ـ عزيزي القارئ ـ ما في تلك الأسناد من العلل، نعود معك لدراسة النصوص نفسها، لنتعرف العلل ونقاط الضعف فيها، ولنبدأ بالأصل الأول لابن سبأ وهو الطائفة الأولى من تلك الروايات:

١ـ الحكم بوضعها من جهة السند:

بملاحظة الروايات المذكورة في المجموعة الأولى، نقول بكل إنصاف: إن تلك الروايات تشهد على نفسها بالوضع من أول نظرة لها، سواء من حيث متونها المضطربة التي تتناقض بين الفينة والأخرى، وتخالف ما أجمع عليه أهل السير، أم في بعدها عن الواقع الموضوعي الذي يفترض أن يحكّمه العقلاء في كثير من القضايا، بل إن بعض أخبارها مستحيلة الوقوع كما سترى. هذا بالإضافة إلى سلسلة السند التي ذكرناها.

فالروايات الثلاث الأولى، تعتبر مدار البحث، وقطب الرحى، والمنطلق الرئيس في (ملحمة السبئيّة) وهي الروايات التي ذكرت اسم عبد الله بن سبأ، ودخوله في الإسلام، وتنقُّله بين الحواضر الإسلامية، وتأثيره في أبي ذر وعمار، وهي ثلاث روايات كما ذكرنا .

وطريقها جميعاً إلى سيف، هو السَّري (المجهول، أو الكذاب) عن شعيب بن إبراهيم (المجهول، وفي أخباره تحامل على السلف) عن سيف (وهو من عرفت) عن عطية[1] (وهو مردد بين ثلاثة أحدهم مختلق) ثم عن

---

(١) لم يشر الطبري في هذه الروايات (الفتنة وابن سبأ) إلى نسب عطية هذا، فعدّه العلامة الأميني رحمه الله في الغدير، عطية بن سعد العوفي، التابعي الشهير (١١١هـ). وهو من الطبقة الثالثة.

⇦

أما العلامة السيد العسكري رحمه الله فعدّه في معالم المدرستين، وعبد الله بن سبأ، مختلقاً، وأن سيف بن عمر تخيله عطية ابن بلال، بن أبي بلال، هلال الضبي، واختلق له ابناً سماه الصعب. وقد استشهد في كتابه عبد الله بن سبأ بروايات عديدة من الطبري عن سيف، يذكر فيها عطية بن بلال، منها ما في قصة مالك بن نويرة، وهي عن سيف عن الصعب بن عطية بن بلال عن أبيه. وكذا في خبر أهل البحرين وردة الحطم وبعث العلاء بن الحضرمي. ومنها ما في ذكر البطاح وخبره، وروايات أخرى. وانتهى إلى القول: ولما لم نجد لهما ذكراً، فيما رجعنا إليه من كتب تراجم الرواة والتاريخ، اعتبرناهما من مختلقات سيف.

وفي كتاب الأسطورة السبئية الصادر عن مؤتمر تكريم العلامة العسكري قال: وعطية هذا مجهول. ثم قال: وإذا قال قائل: إن المراد به شيخه في بعض أحاديثه عطية بن الحارث الهمداني، فنقول: بعد أن علمنا أن سيف بن عمر هو المختلق، فليس لنا أن نحمل وزر ما اختلق وأسنده إلى عطية هذا.

أما الدكتور عبد العزيز الهلابي فذكر أنه عطية بن الحارث الهمداني أبو روق، صاحب التفسير، وهو تابعي أيضاً، من الطبقة الخامسة، ومن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. وكلا الرجلين من الشيعة.

قال الدكتور الهلابي في كتابه عبد الله بن سبأ: ١٤ ما نصه: فأما عطية فهو عطية بن الحارث الهمداني أبو روق، ويحفظ الطبري له في تاريخه سبعاً وأربعين رواية عن طريق سيف بن عمر وغيره، كما أن له روايات متفرقة في في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم، وفي تراجم الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء، وغيرها.

أقول: لم يشر سيف في رواياته تلك من قريب أو بعيد إلى أنه ابن الحارث.

ومع ذلك يبدو أن رأي الدكتور الهلابي أرجح مما قاله العلامتان (رحمهما الله) وذلك لأسباب، منها:

١ ـ أن الطبري روى عدة روايات عن عطية بن الحارث بالإسناد المذكور، (السري عن شعيب عن سيف عن عطية بن الحارث) وإن كانت في موضوعات أخرى غير مقتل عثمان، لكنه يصلح أن يكون قرينة عليه، لا سيما أن المؤرخين عادة ما يذكرون اسم

⇦

الراوي مختصراً إذا تكرر كثيراً.

٢ ـ أن بعض التراجم، مثل تهذيب الكمال للمزي، وميزان الاعتدال للذهبي، ذكرت عطية بن الحارث في شيوخ سيف بن عمر التميمي (البرجمي، ويقال: الضبي والسعدي)، لكن العلامة العسكري اعتبره شخصاً آخر، غير سيف بن عمر هذا، مع أن تلك التراجم ذكرت أنه صاحب كتاب الردة والفتوح. علماً أن السيد العسكري لم ينف كون عطية بن الحارث من شيوخ سيف، إنما نفى أن تكون تلك الروايات عنه.

٣ ـ أن الطبري صرح في إحدى رواياته عن سيف عن عطية فقال: هو ابن الحارث، وهو أيضاً قرينة واضحة على ذلك. لكن هذه الرواية لم تكن في ما نحن فيه.

ولكن الملاحظ هنا أيضاً أن روايات سيف في الفتنة، المأخوذة عن عطية، ابتداءً من ظهور ابن سبأ على حد زعمه، أسندها بعد عطية بشكل كبير إلى يزيد الفقعسي، ونزر منها إلى أبي أيوب، أو إلى عطية فقط، كما ظهر فيها شخص آخر هو (الصعب بن عطية عن أبيه) في حين أن شيوخ عطية بن الحارث في سائر روايات سيف عن عطية، لم يُذكر فيهم يزيد الفقعسي، إنما ذكر (عن عطية بن الحارث عن عبد خير، أو عن أبي البختري) نعم، صرح الطبري في إحدى رواياته عن سيف في ذكر أحوال أهل السواد قال: شعيب عن سيف عن عطية (وهو ابن الحارث)، وهي في غير روايات ابن سبأ ومقتل عثمان كما قلنا.

أما عطية عن يزيد الفقعسي فلم يرد إلا في روايات ابن سبأ. وهذا ما يؤيد ما ذهب إليه العلامة العسكري من أنه غير عطية بن الحارث، وأنه مختلق.

ومهما يكن من أمر عطية، سواء كان العوفي، أم ابن الحارث، أم ابن بلال أبا الصعب (المختلق)، فإنه لا يغير في واقع الحال شيئاً، بعد أن عرفت الطريق إلى سيف، وهو السري عن شعيب، وعرفت من هو الفقعسي، وبالتالي تسقط هذه الرواية عن الاعتبار تماماً، وتصبح في حكم المعدوم.

راجع: الغدير٨: ٣٢٧. معالم المدرستين١: ١٩٣. عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى١: ١٩٢. عبد الله بن سبأ، للدكتور الهلابي: ١٤. تهذيب الكمال، للمزي١٢: ٣٢٤. الطبري٣: ٨٢.

يزيد الفقعسي (الصحابي المجهول الذي لم تفقس بيضته بعد).

وهذا الأخير يفترض أن يكون صحابياً، وقد أجهد العلماء أنفسهم غاية الجهد في تتبع أحوال الصحابة، وألفوا الموسوعات والأسفار في ذلك، وتتبعوا كل صغيرة وكبيرة في أحوالهم، إلا أن تلك الموسوعات لم تتسع ليزيد (الفقعسي)، فلم نعثر نحن ولا غيرنا على أي مصدر قديم أو حديث يعدّ هذا الرجل من الصحابة. اللهم إلا أن يكون صحابياً من الجن[1]، ففسق عن أمر ربه، فلم تستطع كتب الرجال ضبطه.

(١) ليس هذا للتندر، إنما ذهب البعض في تعداد طبقات الصحابة إلى أن هناك صحابة من الجن، ومنهم (شمهروش) وقد ألف بعضهم في ذلك (مسند الجن) وأنكر ذلك آخرون:

ذكر ابن حجر في مقدمة الإصابة، تعريفاً للصحابي، ثم شرح التعريف قائلاً: يدخل في قولنا (مؤمناً به) كل مكلف من الجن والإنس، فحينئذٍ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور.

وأما إنكار ابن الأثير على أبي موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة، فليس بمنكر، لما ذكرناه، وقد قال ابن حزم في كتاب الأقضية من المحلى: من ادعى الإجماع فقد كذب على الأمة، فإن الله تعالى قد أعلمنا أن نفراً من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، فهم صحابة فضلاً، فمن أين للمدعي إجماع أولئك؟ الإصابة، لابن حجر١: ١٥٨.

ولكن توقف بعضهم في الرواية عن الجن، لأن شرط الراوي العدالة والضبط، وكذا مدعي الصحبة شرطه العدالة (والجن لا نعلم عدالتهم).

وممن ذكروا من الصحابة (الجن) عثيم الجني، ذكره ابن حجر في الإصابة، قال: (عثيم الجني، له ذكر في الفتوح) وهو كتاب سيف بن عمر، وذكر أنه أخبر عمر بن الخطاب بفتح نهاوند. راجع: الإصابة، لابن حجر٤: ٣٨٣. وتاريخ الطبري٣: ٢١٩، (عن السري عن شعيب عن سيف).

وإن وجد كذلك، فلا بد من إثبات صحبته وعدالته أولاً، ومع ذلك لا تصح الرواية عنه لسببين:

الأول: أن أهل الحديث لم يجيزوا الرواية عن الصحابة من الجن.

والثاني: أن سندها إليه كما رأيت من عدم الوثاقة.

وبالنتيجة تسقط هذه الروايات من الاعتبار تماماً، بل نقطع بأنها موضوعة مكذوبة مقحمة في أحداث الفتنة لأغراض عديدة، وإن لم يكن سيف هو الذي وضعها فلا بد أن يكون أحد رجال السند، وما أكثر الكذابين والوضاعين في ذلك السند.

أما الروايات الأخرى التي رواها سيف عن شيوخه فلا يلزمنا البحث فيها من جهة السند، بعد أن عرفنا حال سيف ومن روى عنه، فكلها ساقطة من الاعتبار من هذه الجهة.

٢ـ الحكم عليها من جهة المتن:

ويمكن أن نناقش ذلك من جهتين:

الجهة الأولى. وجود القرائن الخارجية على الوضع:

قد يقول قائل: لو سلّمنا بضعف السند، فلا نسلم بالوضع، فليس كل ضعيف مكذوباً، أو لا يُحتج به، إذ يمكن أن يحتج بتلك الأخبار بضميمة قرائن أخرى، أو طرق أخرى تقويها، فكيف قطعتم بوضعها؟ وما دليلكم على أنها مكذوبة؟

فنقول: لو خففنا الحكم، وقلنا: إنها ضعيفة، وليست موضوعة، فما هو المرجِّح الذي يجعلها حجة؟ وأين هي القرائن الخارجية الأخرى التي

تدّعونها، لتكون عوناً على قبولها؟

إن الضعيف يمكن أن يكون صحيحاً لغيره، ولكن أين هو غيره كي نحمله عليه؟

الروايات الثلاث الأولى (وموضوعها ظهور ابن سبأ ووجوده) انفرد بها سيف وحده، كما انفرد في غيرها من الروايات الأخرى حول دوره في مقتل عثمان ومعركة الجمل، ولم يُوحَ لأحد قبله بها، وروايته لها على ما ترى في رجال السند[1]. فكيف لنا أن نقارنها بأخبار أخرى وقد انفرد بها

---

(١) من اللطائف الجديرة بالذكر هنا أن أحد (الدكاترة) استدل على (وجوده) بما رواه الطبري قائلاً: إن من يتفرس النقول السابقة التي أوردناها فيما سبق، يجد أن شخصية عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية عرفها الناس، وعرفوا لها مرونتها وقدرتها في التأثير، إذ إنها تؤكد في غير لبس حقيقة وجوده، بل يكاد يكون في حكم الإجماع بين الرواة الذين ذكروا عبد الله بن سبأ، أنه كان يهودياً.

ثم قال: فالذي يظهر من كلام الطبري وغيره، أن (عبد الله بن السوداء) هو نفسه (عبد الله بن سبأ)! سمي بذلك تحقيراً له لأن أمه سوداء، وربما لأن أمه حبشية كما أسلفنا. ويؤكد المقريزي في خططه، وابن كثير في البداية والنهاية، هذا التطابق. قال الطبري: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، وكانت أمه سوداء.

اقرأ واضحك على هذه (الدكترة) التي تستهين بعقول الناس إلى هذا الحد.

فهو أولاً يدّعي الإجماع بين الرواة (أو ما هو في حكم الإجماع) على وجود ابن سبأ، ثم يستدل على ذلك بابن كثير والمقريزي وهما متأخران عن الطبري، وقد أخذا منه، والطبري أخذ عن سيف، والخطيئة الكبرى (للدكتور) أنه استدل على وجود هذا الموهوم، بما ورد في الطبري، والحال أن هذه القضية هي موضع النقاش، وهي التي يُبحث فيها عن دليل، فكيف تكون ذات القضية دليلاً عليها؟ هذا ما يسمى بالمصادرة ⇦

وحده؟ ومن أين نأتي بتلك الأخبار الأخرى؟

أقل ما يقال في ذلك: إننا نرضى رأي الخطيب البغدادي حيث يقول: **وليس سيف بحجة إذا خالف.**

بل إننا لو قارناها بغيرها من الأخبار الواردة حول الأحداث نفسها، لرأينا أنها معارَضة بتلك الأخبار، لا أنه انفرد بها فحسب، فالمقارنة بغيرها ستكون دليلاً آخر على سقوطها من الاعتبار.

والنتيجة أننا لو نظرنا في تلك الروايات ـ بقطع النظر عن غيرها عند سائر المؤرخين ـ فإنها تسقط من الاعتبار، لضعف سندها، ومجهولية رجالها، واتهام أكثرهم بالكذب والوضع والزندقة.

ولو نظرنا إليها بلحاظ غيرها من الروايات فإن تسقط عن الاعتبار للانفراد بها، ومعارضتها لغيرها.

ثم إن علماء الرجال صرحوا بما لا يقبل الشك بجرح سيف وترك روايته جملة وتفصيلاً، وأجمعوا على عدم توثيقه، بل اتهمه بعضهم بالزندقة، فما

على المطلوب، فالدليل المذكور هو عين المتنازع فيه.

وللتوضيح نقول: عندما نقول للدكتور: ما دليلك على أن ابن سبأ الذي ذكره الطبري نقلاً عن سيف شخصية حقيقية؟ فيقول: الدليل هو قول الطبري الذي نقله عن سيف! وهذا أشبه بمن يقول مدعياً: أنا شاعر، فيقال له: ما دليلك على ذلك؟ فيقول: الدليل هو قولي: أنا شاعر.

فهؤلاء (الدكاترة) المساكين يريدون أن يقولوا لمجتمعاتنا: الدليل على ما نقول هو قولنا فحسب، والدليل على ما نرى هو ما نرى، وعليكم أن تأخذوا عنا ما نقول دون نقاش. قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى**﴾.

قيمة هذا الجرح؟ وما أثره في هذه الدراسة؟ وهل أن هؤلاء غفلوا عن سيف وأمثاله في السند المذكور، فاستدركتم عليهم؟ أم أن الرد على هؤلاء جائز، والرد على ابن تيميّة لا يجوز؟

أما عن قطعنا بوضعها وكذبها، فإنه يستند ـ بالإضافة لحال الرواة، وجهالة المصدر الأول وهو يزيد الفقعسي، المجهول ذاتاً لا حالاً فقط ـ إلى القرائن التالية التي تشكل بمجموعها دليلاً على الوضع أيضاً:

١ ـ توفر الدواعي السياسية للوضع، فإن أنصار بني أمية وغيرهم، جهدوا كثيراً في قمع المعارضة السياسية المتمثلة بالشيعة والخوارج، وتبييض وجوه المحاربين لعلي عليه السلام وشيعته، والدفاع عن ولاة عثمان الذين كانوا سبباً رئيسياً في الثورة عليه. وقد استُخدم الوضاعون سلاحاً لهذا الغرض، ووضعوا الكثير من الأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله فما بالك بغيره؟. وقد ذكر ابن حبان أحد أصناف الوضاعين فقال: **ومنهم من كان يضع الحديث عند الحوادث، يحدث للملوك وغيرهم في الوقت دون الوقت**[1].

ومما درج عليه حكامنا طيلة هذه الفترة، وحتى يومنا هذا، تشويه صورة المعارضة السياسية، واتهامها بالارتباط بالأجنبي، ووجود المخربين المندسين، أو أن للمعارضة أهدافاً غير أهدافها المعلنة، وهو ما لا يخفى على أحد من شعوب هذه المنطقة.

٢ـ توفر الدواعي الدينية، لا سيما العَقَدية منها، وقد عرفت فيما مضى أن

---

(١) كتاب المجروحين، ابن حبان١ : ٦٥.

كثيراً من الوضاعين يرى الوضع نصرة للدين أمراً حسناً، وقد عدَّ ابن حبان أصناف الوضاعين، فذكر منهم عشرين صنفاً، قال: **ومنهم من استفزه الشيطان حتى كان يضع الحديث على الشيوخ الثقات، في الحث على الخير وذكر الفضائل، والزجر عن المعاصي، والعقوبات عليها**[1]. **ومنهم من كان يضع الحديث على الثقات وضعاً استحلالاً، وجرأةً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إن أحدهم كان عامة ليله يسهر في وضع الحديث**[2].

وبما أن الشيعة فرقة كبيرة لها أصولها وقواعدها الفكرية والعقدية التي لا يرتضيها غيرهم، فمن الطبيعي والمعقول جداً أن يضعوا فيهم القصص والأساطير والافتراءات التي تشكك في عقائدهم، وتنسبها إلى غير حقيقتها، لتبني حاجزاً نفسياً بينهم وبين الآخرين، لئلا يتأثروا بهم، أو على الأقل لتعزيز الحذر في النفوس من الاقتراب منهم.

٣ ـ إن مرويات سيف هذه لم يسبقه إليها أحد من المؤرخين والرواة والإخباريين، على كثرتهم واختلافهم وقربهم من تلك الفترة، ولا حتى من اللاحقين، اللهم إلا من روى عن سيف، أو أخذ من الطبري مباشرةً:

فممن سبقه: عروة بن الزبير (٩٤هـ)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (١٢٤هـ)، وابن إسحق (١٥٠هـ)، وغيرهم، بالإضافة إلى كتب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق١: ٦٤.

المغازي والسير، بل حتى كتب الحديث التي لا تخلو من إشارات تاريخية للأحداث المهمة.

وممن جاء من بعده: الواقدي (٢٠٧هـ) في تاريخه، وخليفة بن خياط (٢٤٠هـ) في تاريخه أيضاً، وابن سعد (٢٣٠هـ) في طبقاته، وابن عبد الحكم (٢٥٧هـ) في فتوح مصر وأخبارها، وأبو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ) في الأخبار الطوال، والكندي (٢٨٣هـ) في كتاب القضاة والولاة، واليعقوبي (٢٩٢هـ) في تاريخه، والمسعودي (٣٤٦هـ) في تاريخه، وغيرهم. فهؤلاء كلهم لم يذكروا أيّ دور للمزعوم ابن سبأ في تلك الأحداث، إنما ذكروا الأسباب الموضوعية التي أدت للثورة على عثمان، ومنها فساد بعض الولاة.

أما ابن عساكر (٥٧١هـ) في تاريخ دمشق، وابن الأثير (٦٣٠هـ) في الكامل، وابن كثير (٧٧٤هـ) في البداية والنهاية، وابن خلدون (٨٠٨هـ) في كتاب العبر، وغيرهم من المتأخرين، فقد أخذوا إما عن الطبري (٣١٠هـ) عن سيف بن عمر بالسند المذكور، أو عن سيف بطريق آخر. لذا تعتبر روايتهم رواية واحدة، يعود أصلها إلى سيف.

وبالنتيجة يكون سيف هو الراوي الوحيد لهذه الملحمة الخيالية التي يصعب تصديقها، إن لم يكن مستحيلاً، كما سيأتي.

ويفترض في هذه الحادثة أنها بلغت من الشهرة ما يصل إلى حد التواتر، كما هو الحال في الأحداث الكبرى والوقائع الشهيرة وأسماء الأماكن والبلدان والشخصيات البارزة في التاريخ، كيف؟ وقد قتل فيها خليفة المسلمين، ونُصّب خليفة آخر، وأعقب ذلك معارك وفتن كقطع الليل

المظلم، فكيف يمكن أن تخفى على المؤرخين السابقين أكثر من قرن من الزمان، ثم تُبعث على يد سيف بن عمر وحده؟ ولماذا يرويها من يُدعى (يزيد الفقعسي) دون سائر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ممن عاصرها وعاش أحداثها، وهؤلاء بالآلاف؟ أليس من المنطقي أن تروى عن أم المؤمنين عائشة وجيشها الجرار؟ أو عن علي عليه السلام ومئات الصحابة الذين كانوا معه؟ أو حتى عن معاوية وابن العاص وأمثالهما؟

لقد اعتنى تاريخنا أحياناً بسرد حوادث لا قيمة لها ولا اعتبار، ولا مساس لها بمصير الأمة، لا من قريب ولا من بعيد، بل وصفوا حتى المآكل والملابس والمراكب والشؤون الشخصية لبعض الأفراد، والحوادث الغريبة المحدودة[1]، فكيف تفوتهم مثل هذه الحادثة العظيمة التي ترتب عليها قتل الخليفة، ثم أعقبتها ثلاث حروب عظيمة أودت بحياة عشرات الآلاف من المسلمين؟ ثم تفرق المسلمون بسببها أيادي سبأ؟

٤ ـ اختفاء الحديث عن ابن سبأ بانتهاء معركة الجمل، فلا تجد له في المصادر التاريخية بعدها أثراً ولا عيناً.

والسر في ذلك هو اختفاء سيف بن عمر نفسه، فحيثما اختفى سيف اختفى ابن سبأ، والعكس بالعكس، وقد عرفت أن سيف بن عمر كتب التاريخ إلى معركة الجمل فقط، ولم يكتب عما بعدها، ومن الطبيعي أن

---

(١) من ذلك مثلاً ما ذكره ابن الأثير في الكامل في أحداث سنة ٥٤٧هـ قال: وفيها في المحرم باض ديكٌ ببغداد بيضة، وباض بازيٌّ بيضتين، وباضت نعامة لا ذكر معها بيضة.

يختفي ابن سبأ، لأن القلم الذي وضعه توقف عن الكتابة.

٥ ـ مما يدل على وضع الروايات الثلاث الأولى بالخصوص، أن فيها تناقضات صارخة وقاتلة، تؤكد بما لا يقبل الشك أن تلك الدعوى ما هي إلا أوهام لا وجود لها، إلا في مخيلة سيف ومن أوحى له بها، وحثه على وضعها.

الجهة الثانية ـ التناقضات الفاحشة:

من أبرز التناقضات في الروايات الثلاث الأُول حول دور ابن سبأ في الفتنة، أنها لا تتفق فيما بينها زمنياً، وليس فيها تسلسل زمني للأحداث فيما يتعلق بدخوله الإسلام، وبثه أفكاره المزعومة ثم طرده من البصرة، وهكذا، وإليك هذه الحقائق:

التناقض الأول ـ روى سيف بن عمر في حوادث سنة **٣٣**هـ: أن (ابن السوداء) (رغب في الإسلام) في إمارة عبد الله بن عامر، والي عثمان على البصرة، وعلى وجه التحديد بعد ثلاث سنوات منها. وقد كانت إمارة ابن عامر سنة **٢٩**هـ كما هو ثابت تاريخياً، وذكر أنه أخرجه من البصرة سنة **٣٣**هـ لعلاقته بقبيلة عبد القيس، وحكيم بن جبلة، وطرحه أفكاراً وآراء مخالفة للإسلام.

قال: فلما قدم ابن السوداء نزل عليه (أي على حكيم بن جبلة)، واجتمع إليه نفر، فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرّح، فقبلوا منه واستعظموه. وأرسل إليه ابن عامر فسأله: ما أنت؟ فأخبره أنه **رجل من أهل الكتاب، رغب في الإسلام، ورغب في جوارك**، فقال: ما يبلغني ذلك، اخرج عني، فخرج

حتى أتى الكوفة، فأُخرج منها فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم.

إلى هنا لا مشكلة لدينا من حيث التسلسل الزمني، أي أنه أسلم سنة ٣٢هـ وبقي في البصرة ما يقرب من السنة، ثم شعر به ابن عامر، وأحس بخطره على الإسلام، فأخرجه من البصرة.

ولا نريد الآن أن ندخل في سجال حول طريقة ابن عامر في التصدي له، وهل أنه أسلم أو بقي على يهوديته؟ وما هي أفكاره وأطروحاته التي أخافت ابن عامر، فأخرجه على أثرها من البصرة؟ فالرواية لم تصرح هنا بإسلامه. بل ربما أشارت ضمناً إلى أن ابن عامر لم يقبل إسلامه.

ولكن المشكلة أن سيف بن عمر كان قد ذكر في الرواية الأولى في حوادث سنة ٣٠ أن ابن سبأ دخل الشام، وأثار أبا ذر على معاوية.

قال سيف: لما ورد ابنُ السوداء الشام، لقي أبا ذر، فقال: يا أبا ذر، ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله؟ ألا إن كان كل شيءٍ لله، كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين... إلخ.

وقد عرفت أنه أُخرج من البصرة سنة ٣٣هـ، فمعنى ذلك أنه دخل الشام قبل إسلامه، أي سنة ٣٠هـ، ومن الشام تحول إلى مصر، فتكون قصته مع عبد الله بن عامر مكذوبة من أساسها، لأنها تذكر أنه أخرج سنة ٣٣. كما ينتفي أيضاً تأثيره في أبي ذر، لأنه ـ بحسب الفرض ـ لم يكن مسلماً آنذاك، فكيف يمكن أن يؤثر فيه وهو على يهوديته؟.

اللهم إلا أن نقول: إنه أخرج من البصرة عام ٣٣هـ فوصل الشام عام ٣٠هـ. فيكون هذا (اليهودي) العبقري، يسير عكس عقارب الزمن، فيأتي من

المستقبل باتجاه الماضي. ولله في خلقه شؤون!.

وهذه من أبرز الفضائح في روايات سيف، التي تؤكد أنه اختلق ابن سبأ كما اختلق المئات من غيره من الصحابة والرواة والأماكن والوقائع وغيرها، باعتبار أن هذه الحادثة التاريخية مستحيلة الوقوع عقلاً.

وهذه وحدها تكفي دليلاً قاطعاً على أن هذه الشخصية وهمية، ألقيت من قبل الوضاعين، واستهوت بعض النفوس دون تحقيق في حيثياتها.

التناقض الثاني ـ يذكر سيف في روايته الثالثة أن ابن السوداء لما لم يستطع التأثير في أهل الشام! انتقل إلى مصر، وذكر ذلك في حوادث سنة ٣٥هـ وقد كان في الشام سنة ٣٠ كما ذكر في حديثه عن علاقته بأبي ذر، فهل أنه قضى خمس سنين في طريقه لمصر؟ أو أنه أمضى تلك السنين في الشام بمرأى ومسمع وعلم من معاوية دون حساب ولا ملاحقة؟ !

وبحسب الفرض أنه لم يجد صدىً لدعوته في الشام، فكيف يبقى فيها كل هذه السنين؟

التناقض الثالث ـ ادعى سيف أن أبا الدرداء، وعبادة بن الصامت، كانا ممن اعترض سبيل ابن سبأ، وأطلعا معاوية على ما يجري في ملكه، قال: وأتى ابنُ السوداء أبا الدرداء، فقال له: من أنت؟ أظنك والله يهودياً!. فأتى عبادة بن الصامت، فتعلق به، فأتى به معاوية، فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر.

ومن المعلوم تاريخياً أن أبا الدرداء توفي سنة ٣٢هـ أو ٣١ ، أي أن ابن سبأ خرج من البصرة بعد وفاة أبي الدرداء، فكيف التقى به بعد موته؟

أما عبادة بن الصامت فلم يكن في دمشق، ولم ينزلها أبداً، إنما نزل في

حمص، ومات في فلسطين، ولم يكن على وفاق مع معاوية، مما يعني أنه لم يلتق ابن سبأ أبداً.

قال ابن مسهر: لا أعلم أحداً نزل دمشق من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غير أبي الدرداء، وبلال مؤذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وواثلة بن الأسقع، ومعاوية، قال: ولو نزلها أحد سواهم ما سقط علينا[1].

التناقض الرابع: روى سيف عن (يزيد الفقعسي) أن وفاة أبي ذر كانت سنة ٣٢هـ وروى عن غيره أنه توفي سنة ٣١هـ، مما يعني أن ابن سبأ ـ على فرض وجوده ـ لم يرَ أبا ذر في حياته، لأنه أخرج من البصرة بعد وفاة أبي ذر.

التناقض الخامس: نسب سيف التحرك في مصر والتأليب على عثمان وولاته إلى سنة ٣٥هـ، وهي سنة مقتل عثمان، وأنه كان بتأثير ابن سبأ، في حين أن هذا التحرك والتأليب كان قبل ذلك بعشر سنوات بقيادة عمرو بن العاص الذي فقد ولايته لصالح عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أخي عثمان من الرضاعة.

التناقض السادس: ذكر أنه خرج من البصرة إلى الكوفة ثم مصر، كما ذكر له مسيراً آخر وهو: الحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ثم مصر، وهذا الاختلاف لا يهمنا كثيراً، إنما يهمنا أنه دخل مصر، وكان دخوله إليها في سنة الأحداث، أي سنة ٣٥هـ أو أواخر ٣٤هـ، وفي هذه السنة كان على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر٣: ١٢٢٨.

إلا أن سيفاً نسج قصة لطيفة تصلح لتسلية الأطفال، مفادها أن (ابن السوداء) وأنصاره تآمروا على (عمرو بن العاص) باعتباره الوالي الداهية الذي يقف في طريقهم، وكانت عطاياه كثيرة، فحرضوا الناس على ترك الزراعة. في حين تجمع المصادر التاريخية على أن عمرو بن العاص لم يكن آنذاك والياً على مصر، إنما عُزل عنها قبل هذا التاريخ بسنوات طويلة، والصحيح أنه عزل عنها سنة ٢٧هـ، وانتقل إلى فلسطين.

فهذه القصة مختلقة من أساسها، ولا قيمة لها.

وخلاصة البحث في الطائفة الأولى من الروايات خصوصاً، التي تدعي ظهوره وإسلامه وتأثيره في أبي ذر وعمار، أنها موضوعة يكذّب بعضها بعضاً.

وهي الأساس في كل ما يأتي من الأكاذيب والافتراءات التي لها أول وليس لها آخر، فضلاً عن كون الراوي لا يتحدث عن شخصية معروفة، مقطوع بوجودها.

الجهة الثالثة ـ تناقضات موضوعية منطقية:

ولكي تكون الصورة أكثر وضوحاً علينا أن نعود إلى روايات سيف التي أخذها عنه الطبري، وهي كلها عن سيف وحده لا ثاني له، ولنقرأ فيها أهم التناقضات الموضوعية التي لا تتفق وسياق الأحداث، فنقول:

١ . روايات الصنف الأول:

١ ـ ذكر في الرواية الثانية أنه ابن سبأ خرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها، فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم. فلم

يذكر فيها أنه مر بالشام.

وفي الرواية الثالثة أنه تحرك مبتدئاً بالحجاز، ثم البصرة، ثـم الكوفـة ثـم الشأم. فهل أنه مرّ بالشام وخرج منها إلى مصر، أو خرج من ا لكوفة مباشـرة إلى مصر؟

٢ ـ ذكر في الرواية الثالثة أنه لم يقدر على ما يريد عنـد أحـد مـن أهـل الشأم.

لكنه ذكر في الرواية الأولى أنه هيّج الشام على معاويـة، بعـد تـأثيره فـي أبي ذر، قال: فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه علـى الأغنيـاء، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس.

فهل أنه أثر في الشام أو لم يؤثر؟ إنه التناقض الذي لا مفرّ منه.

هذه أبرز الشواهد والأدلة على أن هذه القصة موضوعة من أساسها، ولـو كان سندها صـحيحاً لمـا أمكـن قبولهـا، فكيـف وهـي بهـذا المـستوى مـن الضعف وعدم القيمة؟

٢. روايات الصنف الثاني:

بعد أن ذكرنا شواهد منتخبة لتناقضات سيف وكذبه في روايات الطائفـة الأولى ننتقل إلى الطائفة الثانية، ولنعد إليها نستنطقها لنجد أن بعـضها يـشهد على الآخر بالكذب وهي كما يلي:

أما الرواية الأولى فذكرنا ما فيها من أن عمـرو بـن العـاص لـم يكـن فـي مصر تلك الفترة.

الرواية الثانية: ذكر سيف في روايته الأولـى أن عثمـان بعـث إلـى عمـال

الأمصار فقدموا عليه، وراح يستفهم ويستطلع منهم عما بلغه عنهم من سوء السيرة مع الرعية. وهذا ما لا يفعله عاقل، لأن الأمصار مليئة بالوجهاء والصحابة والتابعين وأهل الحل والعقد، وكان الأجدى والأجدر به أن يستكشف الحال من هؤلاء لا من المتهمين أنفسهم. وهذه الخطوة المنسوبة لعثمان ـ لو حصلت حقاً ـ فإنها تعد من أشد المطاعن والمآخذ عليه، لأنها لا تدل إلا على مداهنة على الباطل، أو سوء تدبير، أو سخرية بعقول الناس.

والأدهى من ذلك أن عثمان طلب من أولئك العمال (المشورة) في معالجة الأمور، فلا ندري إن كانوا متهمين أو مستشارين، ورحم الله القائل:

فيك الخصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ

والملفت للنظر أكثر هو جواب معاوية، في قوله: قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما. قال: فما الرأي؟ قال: حسن الأدب.

فهو يؤكد أن الشام مستقرة تماماً دون سائر البلدان، وأن أهل الشام لا يأتيه منهم إلا الخير، ولعل السبب في ذلك ما ادعاه سلفاً أنهم لم يكونوا ضحية لابن سبأ. فيما ادعى سيف فيما مضى أيضاً، أن ابن سبأ أثر في أبي ذر، ثم تأثر بذلك الفقراء، وحدث من الأمور ما دعا معاوية إلى ترحيل أبي ذر.

والملفت أيضاً هو بشارة كعب لمعاوية بالخلافة وعثمان لا يزال حياً، قال سيف: فقال كعب وهو يسير خلف عثمان: الأمير والله بعده صاحب البغلة، وأشار إلى معاوية. وقول كعب لمعاوية: أنت الأمير بعده، بعد أن

سمع الحادي يقول: إن الأمير بعده عليٌّ.

وهذا تمهيد واضح وخلق أرضية (يهودية توراتية) في الأذهان لخلافة معاوية، باعتبار أنها مما ذكر في التوراة.

وبالتالي فإن علائم الوضع واضحة على هذه الأخبار، لما دلت عليه من محاولة تبرئة الولاة، بطريقة لا يركن إليها عقل، ولا يرضاها طفل في بطن أمه.

الرواية الثالثة ـ ذكر فيها أن هؤلاء (السبئيّة) اجتمعوا في المدينة على مرأى ومسمع من عثمان، وكانوا يتظاهرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويضمرون له الشر، فدسّ عثمان إليهما رجلين، مخزومياً وزهرياً، أضفى عليهما سيف صفة جديدة تبعد الشبهة عنهما بالولاء لعثمان لتكون شهادتهما مقبولة، فقال: وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب، فاصطبرا للحق ولم يضطغنا.

فلما رأى (السبئيون) هذين الرجلين، نشروا لهما ما لديهم من خيوط المؤامرة، وكشفوا لهما المخطط الذي اجتمعوا من أجله، بتفاصيله وجزئياته.

فهل يفعل هذا إلا أحمق في أعلى درجات الحمق؟ هل أن هؤلاء السبئيّة الذين استطاعوا قلب الدنيا على عثمان بالعمل السري، وأوقعوا بين الناس والولاة، وتمكنوا من جمع ذلك العدد الكبير في المدينة، ومن ورائهم ابن سبأ، الداهية العظمى، تبلغ بهم الحماقة أن يكشفوا أوراقهم لرجلين لا يعرفونهما؟ بل يجيبون عن أسئلتهما حول تفاصيل المخطط، ويكشفون

لهما الصغيرة والكبيرة، وأن الهدف هو إزاحة عثمان أو قتله، كل ذلك وهم في وسط المدينة وبالقرب من مقر الخلافة!.

والأغرب من ذلك أن يُنسب لعثمان أنه يسمع بالمخطط المذكور فيضحك، ويدعو لهؤلاء أن يسلمهم الله، ولا يدعو لنفسه وللأمة بدفع شرهم، مع أنه كان مرتاباً منهم، وإلا لماذا دس الرجلين بينهم؟ فهل حملا له أخباراً سارة ليضحك منها؟

والعجيب الذي لا ينقضي منه العجب، أن المسلمين أرادوا قتلهم، وهذا أمر طبيعي بحسب الفرض، إلا أن عثمان وحاشيته (وهم مروان وأشباهه) أبوا إلا تركهم.

والسؤال هنا: هل كانت أهداف هؤلاء معلنة أو سرية، فإن كانت معلنة فلا حاجة للرجلين المخزومي والزهري، وإن كانت سرية فكيف وثقوا برجلين من أهل المدينة، فكشفوا لهم كل ما في مكنونهم؟

والسؤال الأهم أن عثمان أراد الوقوف على ما يدور في أذهانهم، وقد عرف ذلك بتفاصيله، وأنه يستهدف الإطاحة بالخليفة بالدرجة الأولى، فلو سلّمنا أنه لم يرد معاجلتهم ـ وهذه حماقة أيضاً إن صحت ـ فلا أقل من أن يضع الخطة اللازمة لمواجهتهم، فكيف يعقل أنه اكتفى بالضحك والدعاء لهم؟

ثم هل أن هذا مما عرف عن عثمان وسيرته في الرعية ؟ ألم يسيّر وينفي من هو أقل خطراً من هؤلاء؟

لقد نفى عثمان إلى الشام عمرو بن زرارة النخعي، وقال عنه: إنه أعرابي

جلف، وهو أول من دعا إلى خلع عثمان والبيعة لعلي.

كما سيّر أبا ذر الغفاري، ولم يكن سوى صاحب رأي معارض، إذ لم يتآمر، ولم يرسم المخططات. وكذلك ثابت بن قيس النخعي، وجندب بن زهير الأزدي، وزيد وصعصعة ابنا صوحان، ومالك الأشتر النخعي، وغيرهم، فكيف يعقل أن يسكت عثمان عن هؤلاء ويترك لهم الحبل على الغارب لينفذوا هذا المخطط المزعوم؟

لا جواب لذلك سوى التهافت والتناقض الذي لا ينقضي في روايات الكذاب سيف بن عمر.

ولو أننا فرضنا أن رئيساً من الرؤساء اليوم، أو ملكاً من الملوك، كشف مخططاً كهذا، ثم تركه ينفَّذ كما أريد له دون اتخاذ أية خطوة في المعالجة، بل منع الجيش والأمن والمخابرات من معالجة الأمر، وبالتالي نُفِّذ المخطط، وأطيح بالدولة، ألا يستحق أن يتهم بالخيانة العظمى؟

هذه إحدى التناقضات غير المعقولة التي لا يقبلها إلا ذو ذهنية كذهنية سيف ومن تبعه من المؤرخين وغيرهم.

الرواية الرابعة ـ وهي رواية الذهبي عن سيف، عن مبشر وسهل بن يوسف، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه.

وقد عرفت ما في سندها من جهالة مبشر وسهل بن يوسف، وأن سند مبشر لسعد لا يصح، هذا بالإضافة إلى سيف بن عمر، شيخ مشايخ الكذابين والوضاعين.

هذا من حيث السند، أما من حيث المتن فإن الرواية تؤكد بما لا يقبل

الشك أن عمار بن ياسر كان من المؤلِّبين الأشداء على عثمان، وهذا صحيح، وليس غريباً من سيف، لكن الغريب هو نسبة الكفر إلى عمار، وقد جعله سيف على لسان سعد بن أبي وقاص.

قال: فقال سعد: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويحك! حين كبرت سنك، ورق عظمك، ونفد عمرك، خلعت ربقة الإسلام من عنقك، وخرجت من الدين عرياناً؟.

ثم نسب إلى رسول الله ﷺ قوله: الحق مع عمار، ما لم تغلب عليه (دلهة الكبر)، وقول سعد: فقد دله وخرف.

ونقف عند ذيل الرواية أولاً، فنرى أن الحديث موضوع، لا أصل له إلا عند سيف، وقد نص على ذلك من روى الحديث من العلماء، والمروي في الصحيح أن عماراً تقتله الفئة الباغية[1]، وأنه يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، وليس فيه قيد الكبر ولا دلهة الكبر، وقد قتلته الفئة الباغية في صفين، فكان مع الحق في جهة علي.

وبالتالي فإن حديث سيف ليس موضوعاً فقط، إنما هو تكذيب للنبي ﷺ فكأنّ رسول الله أخبر بنهاية عمار، وأنه يموت على الحق،

---

(١) ذكر الدينوري في الأخبار الطوال: ١٤٧، أن الزبير لما علم أن عماراً مع علي رضي الله عنه، ارتاب بما كان فيه، لقول رسول الله ﷺ: (الحق مع عمار، وتقتلك الفئة الباغية).
وهذا من شر البلية، ومن المضحكات المبكيات، فالزبير يخرج على علي عليه السلام وقد سمع فيه ما سمع من رسول الله ﷺ فلا يجعله يرتاب، إلا عندما علم أن عماراً مع علي. فالمقياس عنده عمار وليس علياً، إلا أنه بالنتيجة لم يعمل بكلا المقياسين.

وفي الوقت نفسه أخبر بكفره وخروجه عن الإسلام.

وهذا هو التناقض الذي أوقع سيف فيه نفسه من حيث لا يشعر.

والأمر الآخر، هو أن الحديث المزعوم لم يحدِّد قيداً واضحاً لخروج عمار عن دائرة الحق، ليحترز الناس من اتباعه، سوى (دلهة الكبر)، وهذا لا يمكن تشخيصه إلا من طبيب حاذق يؤخذ بقوله، فبإمكاننا أن ننسب دلهة الكبر لكل كبير، وإن لم يكن طاعناً في السن.

بل يمكن أن يقال ذلك في عثمان نفسه، وقد كان في الثمانين من العمر.

ثم كيف تكون معارضة الخليفة خروجاً عن الدين؟ وأين هي موازين الكفر والإيمان في الإسلام؟ فهل أنكر عمار ضرورياً من ضروريات الدين؟ وكيف يكون الداعي إلى الجنة ـ بنص حديث النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ـ كافراً، يخلع ربقة الإسلام من عنقه، ويخرج من الدين عرياناً؟

ثم لم يخبرنا سيف، هل تاب عمار بعد ذلك وخرج مع علي ليقتل في صفين؟ ومتى كانت (دلهة الكبر) أشد، أحين خرج على عثمان، أم حين خرج مع علي؟

ثم إن سعداً أوصى ولده أن لا يذكر ذلك للناس، لئلا ينالوا من عمار، فنسب سيف لسعد أنه قال لولده: يا بني، لا يخرجن منك ما سمعت منه، فإنه من الأمانة، وإني أكره أن يتعلق به الناس عليه يتناولونه. مما يعني أن حال عمار لم يكن معروفاً بين الناس، وهذا يناقض ما ذكره سابقاً، من بعث عمار إلى مصر، وتأثره بالدعوة السبئيّة، وشهرة ذلك وذيوعه بين الناس.

قال: واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب

من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قومٌ بمصر وقد انقطعوا إليه.

وهذا صريح أن الناس كانوا على علم بعمار وخلافه مع عثمان، وهو ينافي ما ذكره لاحقاً من وصية سعد لولده أن لا يفشي الخبر بين الناس خوفاً على عمار.

وهذا تناقض آخر من تناقضات سيف التي لا تنتهي ولا تنقضي.

الرواية الخامسة: رسم فيها سيف (سيناريو) غير مترابط المشاهد، فجعل الخارجين على عثمان ثلاثة خطوط، مصر والكوفة والبصرة، وأقحم ابن السوداء ـ الذي تغير اسمه في هذه الروايات، وكان يسمى عبد الله بن سبأ ـ في المشهد الجديد دون أن يسند له أية مهمة قيادية، ولا غير قيادية، وبحسب الفرض هو صاحب تلك الفتنة الكبرى بقضها وقضيضها.

والمثير في الأمر هنا أن أصل الدعوة السبئيّة ـ بحسب الفرض ـ قامت على أساس الدعوة إلى علي بن أبي طالب، وأنه الوصي بعد النبي ﷺ، وأن عثمان غصبها منه، قال سيف:

ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد. ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووثب على وصي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتناول أمر الأمة.

ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانهضوا في هذا الأمر فحرِّكوه، وابدأوا بالطعن على

أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.

فالدعوة السبئيّة المفترضة قامت على أساس إمامة علي عليه السلام ونظرية الوصية، وهذا ما أسس له سيف في أول الأمر.

لكنه عاد هنا لينسف ذلك كله، ويصرّح أن هؤلاء كانوا متفقين في الخروج، مختلفين في الخليفة بعد عثمان، فأهل الكوفة يريدون الزبير، وأهل البصرة يريدون طلحة، وأهل مصر يريدون علياً!

قال سيف: فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير.

وقال أيضاً: فخرجوا وهم على الخروج جميع، وفي الناس شتى، لا يشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الأخريين.

فأين هي عقيدة الوصية التي نظّر لها ابن سبأ المزعوم وعمل على ترسيخها سنوات طويلة؟ أليس المفترض أن يكونوا جميعاً على هدف واحد، وهو استخلاف علي لأنه الوصي؟ ثم أين هو المخطط المزعوم الذي اتفقوا عليه في المدينة سابقاً، والذي كشفه عثمان وسكت عنه؟

إن اختلافهم فيما بينهم، ووثوق كل فرقة أن النصر معها، يدل على عدم وجود تخطيط وتنسيق مسبق، وهذا يناقض ما زعمه سيف سابقاً أنهم اجتمعوا في المدينة وخططوا، وأعلنوا ذلك للرجلين الزهري والمخزومي، فأين هذا مما هم عليه الآن: (على الخروج جميع وفي الناس شتى، لا يشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الأخريين)؟.

أليس هذا تناقضاً واضحاً، ودليلاً فاضحاً لمزاعم سيف ومفترياته؟

وفي الرواية ذاتها يرسم سيف صورة جديدة تدل بنفسها على أن واضع الرواية واحد، وهي: أن الخطوط الثلاثة اتجه كل منها إلى من يريده، فاتجه البصريون إلى علي، وهو في عسكر عند أحجار الزيت عليه حلة أفواف، معتم بشقيقة حمراء يمانية، متقلد السيف، ليس عليه قميص، وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فالحسن جالس عند عثمان، وعلي عند أحجار الزيت.

وهكذا يأتي البصريون طلحة وقد أرسل ولديه إلى عثمان للدفاع عنه، ويأتى الكوفيون الزبير وقد أرسل ابنه عبد الله إلى عثمان.

والملاحظة على هذه الصورة التي رسمها سيف، من عدة جهات:

الأولى: أن مجيء الثوار كلهم كان في وقت واحد، لا زيادة فيه ولا نقيصة، وكأن قيادتهم موحدة تُصدر الأوامر للجميع، لتنفذ بلا تأخير، والحال أنهم مختلفون ولا تنسيق بينهم، وهم ثلاث فرق كما زعم.

والسؤال الأهم: ماذا يفعل أبناء علي وطلحة والزبير عند عثمان؟ ولماذا أرسلوهم بهذا التنسيق الدقيق بينهم، وكأنهم اتفقوا على إرسالهم؟ وهل ذهبوا للدفاع عن عثمان قبل أن تعلن الثورة عليه ويحاصر؟

كل هذا يدل على أن واضع الرواية كان قد جلس في مكان منعزل هادئ، وراح يتصور ما يشاء، وما يحلو له، لذا تجد أن الأمور تتفق بشكل غريب وبقدرة قادر، فالثلاثة كلٌّ في محله، وكل منهما أرسل بعض أبنائه إلى عثمان، وكل من الفرق الثلاث اتجه باتجاه من يرغب.

وما معنى أن يخرج الثلاثة بعيداً عن عثمان، ويرسلوا أبناءهم إليه في ذلك الظرف الحساس، وهو أحوج ما يكون إليهم؟ وما معنى ذلك الردّ

البارد وقد عرفوا نوايا المتآمرين تجاه عثمان؟ وهل يكفي طردهم ولعنهم كإجراء وقائي لحماية الخليفة؟

الثانية: إجابة الثلاثة بجواب واحد لا يختلف فيه أحدهما عن الآخر، وكأن الطير أخبر بعضهم بما يقول الآخر، فقد قال علي: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خُشُب ملعونون على لسان محمد (صلى الله عليه وسلم) فارجعوا لا صحبكم الله. وهكذا أجاب كل من طلحة والزبير بتغيير كلمة واحدة.

ثم من نقل لسيف بن عمر قول كل منهم؟ إننا نرى أن الرواة يختلفون وهم ينقلون عن شخص واحد، ولو كان النبي ﷺ ، فكيف اتفقوا على نقلهم من ثلاثة أشخاص بلا زيادة ولا نقصان؟

إنها أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة، والحمال والبنات السبعة، والصياد وبنت الملك، مما تسرده العجائز لأحفادهن ليناموا بهدوء، بعد أن يسرحوا بخيالهم بعيداً مع سحر القصة وحبكتها الدرامية.

الثالثة: لقد نسب إلى النبي ﷺ أمراً عظيماً، وهو أنه لعن هذا الجيش الخارج على عثمان، فأين هذا الحديث؟ ومن رواه من المحدثين؟ وفي أي الكتب الحديثية نجده؟ وما هي قيمته العلمية عند المحدثين؟ كل ذلك مما لا أثر له ولا عين، إلا عند سيف، وهو حديث موضوع آخر، على لسان سيد البشر ﷺ، كحديث (دلهة الكبر) الذي وضعه سابقاً في شأن عمار.

الرابعة: أن الرواية تنقلنا إلى تناقض آخر، وهو أن ما فعله الثوار كان يتناقض تماماً مع ما خططوا له، فقد هاجموا المدينة وأحاطوا بعثمان، لكنهم

لم يقتلوه، مع سيطرتهم التامة على المدينة. وكانوا قد خططوا مسبقاً لعزله، فإن أبى قتلوه بحسب المدعى:

قال سيف على لسانهم: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم، فنزعم لهم أنا قررناه بها فلم يخرج منها، ولم يتب، ثم نخرج كأنا حجاج، **حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه وكانت إياها.**

أما في روايته هذه فيزعم غير ذلك، قال: فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم، وأحاطوا بعثمان وقالوا: من كف يده فهو آمن، وصلى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم، ولم يمنعوا أحداً من كلام.

فقد أحاطوا به ولم يقتلوه، وكان يخرج فيصلي بالناس، والثوار يصلون خلفه، ويقتدون به، وكأن الثورة كانت على غيره لا عليه. وبالتالي فهذه **(ثورة مسؤولة)** وليست عملاً تخريبياً، طبقاً لرواية سيف نفسه، فلو أرادوا قتله كما زعم أولاً لقتلوه.

فإما أن يكون المخطط الأول مكذوباً عليهم، وإما أن يكون ما ذكره سيف هنا، من إحاطتهم بعثمان، ثم تركه يروح ويغدو، ويصلي بالناس، مكذوباً عليهم. فليختر سيف أيهما شاء، إذ لا سبيل للجمع بينهما.

الخامسة: يظهر التنسيق الخارق مرة أخرى بين هؤلاء، حيث رجعوا كلهم في وقت واحد، وادعوا ادعاءً واحداً، وهو حصولهم على كتاب من عثمان يأمر بقتلهم.

قال سيف: (فأتاهم الناس فكلموهم، وفيهم علي، فقال: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا. وأتاهم طلحة، فقال البصريون مثل ذلك، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك، وقال الكوفيون والبصريون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً، كأنما كانوا على ميعاد).

فالملاحظ هنا أن الفرق الثلاث رجعت أيضاً كل إلى من يشتهيه، وأفادوا الإفادة ذاتها، ولكن الملفت للنظر، أن المجيب هو علي فقط، أما طلحة والزبير فلم ينقل عنهما جواباً، وكأنه يمهد ليعصب الأمور كلها برأس علي عليه السلام.

السادسة: ينقل سيف عن الثائرين أنهم قالوا: «**لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا، وهو في ذلك يصلي بهم وهم يصلون خلفه**... وهم في عينه أدق من التراب... وكانوا زمراً بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع».

فهل كانوا يصلون خلفه وحدهم دون الآخرين، وقد منعوا الناس من الاجتماع؟ أم أن عثمان كان يصلي بالناس (فرادى) وليس جماعة؟ ثم ما يمنعهم من قتله وهو بينهم وفي قبضتهم، ولا أحد يخافونه في المدينة وقد أحكموا السيطرة عليها؟

السابعة: أنهم لم يكونوا شيئاً في نظر عثمان، وكان منذ البداية غير عابئ بهم، وقد كشف مخططهم، ومنع الناس من قتلهم، لكنه في الوقت نفسه يستمدّ الأمصار النصرة ويدعوهم للنفير العام لحمايته.

قال سيف: وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم: بسم الله الرحمن

الرحيم، أما بعد فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً... **فلما انتهت الأمور، وانتكث الشر بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا تِرَة[1] فيما مضى، إلا إمضاء الكتاب** فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره، بغير حجة ولا عذر، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين، وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله عز وجل جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم) وحرمه وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، **فهم كالأحزاب أيام الأحزاب، أو من غزانا بأحد، إلا ما يظهرون، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق.**

فكتاب عثمان لا يقبل التأويل، أنه كان يولي هذا الأمر اهتماماً كبيراً، ويصف هجومهم على المدينة بهجوم الأحزاب في معركة الخندق، أو بهجوم المشركين في أحد، وبالتالي فهو يستمد النصرة من سائر الأمصار بعد أن سقطت المدينة عسكرياً بأيدي هؤلاء، فلا يستطيع أحد فيها نصرته، لا من الصحابة ولا من غيرهم، فأضحى في شدة ومأزق.

فكيف يتفق هذا مع ازدراء عثمان لحركتهم وعدم اهتمامه بهم، بل ومنعه الناس من التصدي لهم؟

ثم إنه يروي أن أحداً من أهل المدينة لم يكن يتعاون معهم إلا ثلاثة أشخاص، قال: «وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن

---

(١) ثأر.

يساعدهم إلا في الثلاثة نفر، فإنهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وعمار بن ياسر».

فأين سائر الصحابة والتابعين وسكان المدينة؟ هل استسلموا جميعاً لجماعة صغيرة هم في عين عثمان أدق من التراب؟.

فلو قيل: إن عثمان منعهم من التصدي للثوار خوفاً من الفتنة، فكيف يستنجد بجيوش الأمصار الذين خرجوا (على الصعبة والذلول) كما يروي سيف بعد ذلك؟

الثامنة: يروي سيف أن أهل الأمصار ثاروا وهبُّوا لإعانة أهل المدينة واستنقاذ عثمان من الخطر المحدق به وبهم، وذكر أهل الشام وأهل الكوفة والبصرة ومصر، وذكر العديد من الأسماء التي تحتاج إلى بحث طويل للتحقق من وجودها آنذاك.

وقد حرص على أن تكون هذه الأسماء من الصحابة، لتكون النتيجة أن الخارجين على عثمان لم يكن بينهم من الصحابة إلا اثنان أو ثلاثة، أما المناصرون، فهم جمهور الصحابة، وهو ما يكذبه الواقع.

والمثير في الأمر هنا أنه ذكر من المناصرين لعثمان في الشام عبادة بن الصامت وأبا الدرداء وأبا أمامة، ولم يكن لا أبو الدرداء ولا عبادة حياً إبان الثورة على عثمان، فالثورة حدثت سنة ٣٥هـ وأبو الدرداء توفي سنة ٣٢هـ وعبادة توفي سنة ٣٤هـ.

أما أبو أمامة الأنصاري فهو مردد بين ثلاثة، توفي اثنان منهم في حياة النبي صلى الله عليه وآله أما الثالث فتابعي من أهل المدينة، وكان فيها أيام الحصار، ولم

يذكر أحد أنه كان في الشام[(١)]!.

قال سيف: «وقام بالشام عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، **في أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم**، يقولون مثل ذلك» أي مثل قول من سبقهم من مناصري عثمان.

وهكذا ينكشف الكذب، وتتجلى الحقيقة بوضوح، وعلى ذلك فقس ما سواه.

أما الصحابة الآخرون الذين ذكرهم في سائر الأمصار، فقد انفرد هو دون غيره بذكر أدوار الكثير منهم في تلك الأحداث.

ويبدو أنه أراد أن يحشد ما أمكنه من الصحابة السائرين لنصرة عثمان،

---

(١) أبو أمامة: إما أن يكون إياس بن ثعلبة الحارثي الأنصاري، وقد توفي بعد معركة أحد وصلى عليه النبي صلى الله عليه وآله. أو أسعد بن زرارة الخزرجي، نقيب بني النجار، وقد توفي في حياة النبي صلى الله عليه وآله أيضاً في أول سنة للهجرة. أما أسعد بن سهل بن حنيف، وكنيته أبو أمامة، فلم تثبت له صحبة، قال العيني في عمدة القاري: والحاصل أنه مختلف في صحبته، ولم يصح له سماع. وقال في موضع آخر: وهو صحابي على الأصح. وقال ابن حجر في الإصابة نقلاً عن البارودي: مختلف في صحبته. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: وهو أحد الجلة من العلماء من كبار التابعين بالمدينة.

وهذا لم يكن في الشام، إنما عداده في أهل المدينة، وقد كان في المدينة عند حصار عثمان، وفي بعض الأخبار أنه ممن صلى بالناس أيام الحصار. قال عنه الصفدي: من علماء المدينة ... هو الذي صلى بالناس الجمعة وعثمان محصور.

راجع: سير أعلام النبلاء، للذهبي١: ٣٠٠. الإصابة لابن حجر، ١: ٢٠٨. و١: ٣٢٧. الوافي بالوفيات، للصفدي ٩: ١٨. عمدة القاري١: ١٧٣. و ٥: ٣٦. الاستيعاب، لابن عبد البر١: ٨٢.

فعمد إلى المشهورين منهم في الأمصار، فحشرهم في روايته، ولما لم يجد أحداً منهم في الشام الأموية، لجأ إلى المقابر، ليبعث منها عبادة بن الصامت وأبا الدرداء، ليلتحقوا بتلك الحملة التي سكت عنها فيما بعد، ولم يذكر لنا أين ذهب هؤلاء القادمون للمدينة على (الصعبة والذلول)؟ وأين استقرت بهم الحال؟ وهل كان لهم دور في نصرة عثمان أو لا؟ كل ذلك بقي طي الكتمان، وأسدل عليه الستار، لأنه من الأساس كذبٌ محض، وكثيراً ما ينسى الكاذب كذبته إذا دخل في غيرها.

أما الرواية السادسة، وهي الأخيرة في هذا الصنف، فقد ذكر فيها سيف سيطرتهم التامة على المدينة، وأن عثمان صلى شهراً كاملاً ثم منعوه، ثم إن المصريين والكوفيين والبصريين دانوا جميعاً للغافقي (المزعوم)، فصار هو المتصرف بالأمور، وبلغ الحال بأهل المدينة أنهم تفرقوا في بساتينهم وبيوتهم يخشون من هؤلاء، قال: «وتفرق أهل المدينة في حيطانهم، ولزموا بيوتهم لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رهق القوم».

أما الصحابة والتابعون الذين ذكر سيف أنهم تحركو من البصرة والكوفة والشام ومصر لنصره عثمان، وأنهم خرجوا على الصعبة والذلول، وحرضوا الناس على الخروج، فلم نر لهم عيناً ولا أثراً.

فتارة يخبرنا أن أهل المدينة وجميع أهل الأمصار من الصحابة كانوا مع عثمان، ولم يكن الخارجون عليه يطمعون إلا في ثلاثة أفراد من أهل المدينة، وهم بالتالي شرذمة قليلة ضعيفة لا أثر لها، وهم في عين عثمان أدق من التراب. وتارة يقول: إن الثائرين سيطروا على المدينة بالكامل

بحيث لم يستطع أحد، لا من الصحابة في المدينة، ولا ممن استمدهم عثمان من الأمصار، أن يكسر شوكتهم.

من جهة أخرى، يقول: إنهم سمحوا لعثمان بالصلاة شهراً كاملاً، وبالمقابل أنهم كانوا تآمروا عليه سابقاً إما أن يتنازل أو يقتلوه، فلمَ لم يقتلوه وهم بهذه القوة والشوكة؟

هذا ما يتعلق بدورهم المزعوم في قتل عثمان، وسوف يأتي ـ إن شاء الله ـ أن هذه الإشكالات لا يمكن حلها إلا باعتماد ما رواه الآخرون، من أن الثورة على عثمان كانت تحركاً داخلياً قاده الصحابة أنفسهم، وكانت له أسبابه الموضوعية، وأهمها سيرة عثمان في توزيع الثورة، وتوليته ولاة فاسدين ظالمين، وأن القسم الأكبر من الصحابة كان راضياً بعزله، وكان من أبرز المحرضين عليه عائشة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص. نعم، كان سائر الصحابة يرفضون قتله بهذه الطريقة، ويرون أن يعتزل سلمياً، ليعود الأمر شورى، لكن بعضاً آخر حرّض على قتله علناً، ومنهم من ذكرنا.

٣. روايات الصنف الثالث:

وهي مجموعة الروايات ذات الصلة ببيعة علي عليه السلام ولم يألُ سيف جهداً في الطعن بها، وتصويرها أنها نتيجة لحركة السبئيّة، وأنهم جميعاً كانوا في صف علي عليه السلام.

وسوف ترى ـ عزيزي القارئ ـ أن هذه القصة من أولها إلى آخرها إنما نُسجت وحُبكت للنيل من علي عليه السلام والطعن في خلافته، وأن من يتبنى نظرية السبئيّة وابن سبأ، إنما يضمر النصب والعداوة له دون أدنى

شك. فهي نظرية ناصبية بامتياز كبير، وهي أحد المقاييس المهمة في تمييز الناصبي من غيره.

وإليك أبرز ما أرودناه على هذا الصنف من الروايات:

١ ـ **في الرواية الأولى:** يذكر أن أهل مصر جمعوا أهل المدينة، وطلبوا منهم اختيار خليفة لهم، باعتبار أنهم أهل الحل والعقد والشورى، وقالوا لهم: **نحن تبعٌ لكم.**

فأين ذهب كلامه الأول في أنهم كانوا يشتهون علياً؟ وأين هي دعوة ابن سبأ للوصية وللوصي علي بن أبي طالب؟ تلك الدعوة التي زعم سيف أنها الأساس الأول في الثورة على عثمان، وأن ابن سبأ ابتدعها وأرسل فيها دعاته للأمصار، وألّب الناس على الولاة ثم على عثمان؟

بعبارة أخرى أن هدف الثورة كان الإطاحة بعثمان واستخلاف (الوصي) علي بدلاً منه، فلماذا تغيرت الحال هنا وأعادت السبئيّة الأمرَ شورى بين المسلمين؟

وأين ذهب أهل الكوفة والبصرة الذين كانوا يشتهون الزبير وطلحة، وقد صار الحل والعقد بيد المصريين من قتلة عثمان، ثم جعلوه لأهل المدينة؟

والملاحظة الأهم هنا أن الأمة الإسلامية ـ طبقاً لرواية سيف ـ ينبغي أن تكون مدينة بالفضل للسبئيين، إذ إنهم نظروا في مصلحة الأمة قبل أهل المدينة من الصحابة وغيرهم، ولم يستأثروا بالأمر لأنفسهم.

قال: لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه، جمعوا أهل المدينة ... فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل

مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبع.

فهؤلاء لم يتركوا الأمة تموج بالفوضى، وعملهم هذا لا يختلف عما قام به أصحاب السقيفة الذين تركوا النبي صلى الله عليه وآله مسجىً لم يدفن بعد، وسارعوا لتنصيب الخليفة، بدعوى عدم ترك الأمة بلا خليفة.

وهنا اختفت نظرية الوصية التي زعم سيف أنها من ابتداع ابن سبأ، وعاد الأمر شورى بين المسلمين، كل ذلك برعاية السبئيّة المزعومة.

إلا أن سيفاً أراد من ذلك أن يرسل رسالة مفادها أن طلحة والزبير وسعداً كانوا خارج المدينة، وهؤلاء الثلاثة كان لهم الحق في الشورى، وأن بيعة علي كانت بتحريك من السبئيّة وليست شورى، وبالتالي فهي بيعة غير صحيحة لعدم اكتمال نصاب الشورى. وهذا واضح من عبارته: «فقال الجمهور: علي بن أبي طالب، نحن به راضون»، أي أن هذا الجمهور لم يكن من أهل الحل والعقد والشورى، إنما هم من عامة الناس.

وقد هيأ الأجواء في هذه الرواية لبيان أمر مهم، هو أن علياً أجبر طلحة والزبير على البيعة مستفيداً من قوة السبئيين.

وخلاصة التناقض في هذه الرواية، أن ما قام به السبئيون يتناقض تماماً مع كل ما ادعاه سيف من الأصل اليهودي للدعوة المذكورة، بأن هذا اليهودي دخل في الإسلام كيداً له. فمبدأ الشورى الذي دعت له السبئيّة الموهومة هو عين ما قام به الصحابة في صدر الإسلام بعيد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

أما ما زعمه من الدعوة لعلي عليه السلام وإمامته وأنه وصي، فلم تجد له في

هذه الرواية عيناً ولا أثراً، بل إنه لا يتناسب مع موقفهم الجديد، الذي يفترض فيه أن يفرضوا إمامة علي فرضاً، باعتبار أنه وصي.

٢ ـ أما في الرواية الثانية، فقد جاء سيف بأمر جديد، وهو أن السبئيّة أجبروا الناس، تحت تهديد السلاح، أن يختاروا لهم خليفة (لا أن يبايعوا علياً حصراً)، وأمهلوهم يومين، وإلا قتلوا طلحة والزبير وعلياً. ولا ندري كيف يقتلون من ادّعوا له الوصية؟!

قال: فقالوا لهم (لأهل المدينة): **دونكم يا أهل المدينة، فقد أجّلناكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا، لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً، فغشي الناس علياً.**

وهذه الرواية تناقض ما قبلها من جهات:

أ ـ كان قد ذكر أنهم قالوا لأهل المدينة: فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبع، أي أنهم تركوا الخيار لأهل المدينة كما صرح هو بذلك، فقال الجمهور: علي بن أبي طالب نحن به راضون. أما هنا فيذكر أنهم هددوهم بالقتل، وأجبروهم، ولم يتركوا لهم الخيار.

ب ـ أن نظرية الوصية اختفت هنا تماماً، فلو كان الأمر بالإكراه لما تورع السبئيّة عن تنصيب علي عليه السلام وإجبار الناس على بيعته، وقد صرح سيف في الروايات التالية أنهم أجبروا بعض الصحابة، ومنهم الزبير وطلحة على البيعة، فمن يجبر هذين العلمين من الصحابة، فهو على إجبار غيرهما أقدر.

وبهذا يتضح أن كل ما نسبه سيف لمن أسماه (ابن سبأ)أو (ابن السوداء)

من ابتداعه لنظرية الوصية، ما هو إلا كذب وافتراء وحديث خرافة، أراد من خلاله تبييض وجوه الناكثين والقاسطين من بني أمية وغيرهم، وتبرئة عثمان وولاته، وإعفاءهم من المسؤولية عما حدث.

ج ـ نسب سيف إلى أهل المدينة أنهم أتوا علياً تحت تأثير القوة والتهديد، فقالوا له: **نبايعك، فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به من ذوي القربى**. ولا أدري كيف أصبح السبئيون من (ذوي القربى)، وهم تبعٌ لرجل يهودي بحسب الفرض، وقد جاؤوا من خارج المدينة.

د ـ أشار سيف بشكل واضح أن بيعة علي عليه السلام تمت بالإكراه، فقد بعث البصريون إلى الزبير بصرياً، وهو حكيم بن جبلة العبدي، لإجباره على البيعة، لأن أهل البصرة كانوا يشتهون طلحة، وجاؤوا به يحدونه بالسيف، وبالعكس أرسلوا إلى طلحة كوفياً وهو الأشتر، فجاؤوا به يحدونه بالسيف. وأهل البصرة وأهل الكوفة شامتون بصاحبهم، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة.

وهنا يأتي الكلام في تناقض كلام سيف، فهل أن هؤلاء كانوا يعملون جميعاً بهدف واحد تبعاً لقائدهم وزعيمهم ابن سبأ، أو أنهم متفرقون كل يريد صاحبه؟

وقوله: وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة، يشير بوضوح أن الأمر لم يكن بالإكراه، ولو كان كذلك لاقتتل السبئيون فيما بينهم، ولانشقوا إلى ثلاث فرق، كل يريد صاحبه الذي يشتهيه.

كما يشير أيضاً إلى أن أهل مصر لم يكن لهم طمع في الأمر، وإلا كيف

يفرحون باجتماع أهل المدينة على علي؟ صحيح أنهم كانوا يشتهون علياً، لكنهم لم يحظوا بشيء من الوضع الجديد سوى أنه أصبح خليفة.

وبالنتيجة يعتبر هذا التناقض في مواقف السبئيّة، بل التعارض فيما أخبر به عنهم سيف بن عمر، من أبرز الدلائل على أن واضع تلك الروايات كان يسعى لهدف يشغل باله، فيغفل عما يترتب على وضعه من مآخذ، وقد قالوا قديماً: حبل الكذب قصير.

وقد أراد سيف التخلص من هذا التناقض فوقع في غيره، فقال: وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً لأهل مصر، وحشوة فيهم، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً.

فما هي علاقة الرجلين بالأمر؟ ولماذا صار نصيبهما الغيظ؟ هل لأنهما لم يستجيبا لهم؟ إذا كان كذلك، فالأمر ليس بأيديهما بحسب الفرض، وأن كل الأمور كانت تسير تحت ضغط التهديد من السبئيين، فلماذا يزدادون غيظاً عليهما؟.

وما يمنع أهل البصرة والكوفة من الوقوف بوجه المصريين؟ ألم يكونوا طلاب فتنة منذ البدء، وقد تجرؤوا على عثمان فقتلوه؟ وكيف يرضى هؤلاء أن يبذلوا كل هذه الجهود ليقطف المصريون ثمار الثورة وحدهم؟

ثم نعود من جديد إلى الغصة التي لم يتخلص منها سيف، ويبدو أنه وقع في مأزق لا يستطيع الخروج منه، وهو ببساطة: أن الثورة على عثمان بدأت بتنسيق وتوجيه وتنظير من عبد الله بن سبأ حسب الزعم، وكانت أهدافها واحدة، وهي تنصيب (الوصي) إلا أنه انتهى من حيث لا يشعر إلى القول أن

ابن سبأ لا دور له إطلاقاً في القضية، وأن القضية مورد نزاع بين الثائرين، فتشبث سيف بإطلاق الكلام حول (السبئيّة) وتجنب ابن سبأ أو ابن سوداء، ظناً منه أن الأمر يخفى على غيره.

هـ ـ صرح سيف ـ بعد أن لمّح في السابق تلميحاً وأشار إشارة ـ أن بيعة طلحة والزبير تمت بالإكراه، قال: وجاء القوم بطلحة فقال: إني إنما أبايع كرهاً. ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك.

فلماذا اختار سيف طلحة والزبير دون غيرهما؟ وكيف ارتضى أمير المؤمنين علي عليه السلام هذه البيعة بالإكراه؟ ولماذا لم يكرَه غيرهما من أمثال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وغيرهم ممن تخلفوا عن البيعة؟

قال سيف: ثم جيء بقوم كانوا قد تخلفوا، فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد، والعزيز والذليل، فبايعهم، ثم قام العامة فبايعوا.

ولم يذكر سيف أحداً من الخاصة وأهل الحل والعقد بايع طوعاً، ومضمون كلامه أن الجميع بايع كرهاً، ثم بايعت العامة.

وهذا كله يتناقض مع ما ذكره عن أمير المؤمنين في الرواية ذاتها، حيث نسب إليه قوله: **دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول**. فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نرى؟ ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجبتكم لما أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم.

فوا عجباً من كذب لا ينقضي! وتناقض لا ينتهي! هل أجبر عليٌّ أهلَ المدينة على البيعة، أو أنهم هم الذين أجبروه؟ فتارة يقول: إن أهل المدينة أجبروه على تولي الأمر ولم يكن راغباً فيه، وتارة يقول: إن الأمر تم تحت تهديد السبئيّة للجميع، فالإكراه كان من السبئيّة وليس من أهل المدينة. وتارة يقول: إن الإكراه كان من جهة علي، حيث جيء له بالممانعين ليبايعوا كرهاً، وهو يسمع ويرى.

ولو سألنا القارئ الكريم باختصار: كيف تمت بيعة علي طبقاً لروايات سيف؟ فهل يستطيع أن يجد جواباً محدداً ؟

ولو سألناه أيضاً : من هو صاحب القرار؟ هل هم السبئيّة أو أهل المدينة؟ عامة الناس أو الخاصة؟ أهل الحل والعقد أو غيرهم؟ فهل يجد جواباً محدداً لدى سيف؟

إنه التعصب والنصب والعداوة التي تجعل صاحبها يتخبط، كالسائر في الظلام، كلما خرج من هوّة وقع في أخرى.

وأغلب الظن أن سيفاً لم يكن بهذه الدرجة من السذاجة، إلا أنه وجد أن الأحداث التالية من حرب الجمل وصفين وغيرها لا يمكن أن تفسَّر إلا على أساس هذا التناقض، ولا مفر له إلا أن يعترف بالحقيقة، وهو ما لا يريده.

وبعبارة أخرى، أنه ترك في هذه القصة ركائز عديدة يمكنه الرجوع إليها في أي وقت شاء، فقد وضع في هذه الرواية أساساً لتفسير معركة الجمل، وفي التبرير لطلحة والزبير وعائشة ومعاوية، والطعن بخلافة

علي عليه السلام، وما إلى ذلك من الركائز التي لا بد من استمرارها في القصة، إلا أنه مع ذلك وقع في الفضيحة الكبرى، لأن كل ما أسسه منذ البداية بناه على متناقضات لا يكاد يشبه بعضها بعضاً.

أقول: إن هذه الرواية وحدها، لو تأملها المتأمل بموضوعية، بعيداً عن الهوى، لأدرك ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أنها موضوعة، فهي تشهد على نفسها بذلك، ولا حاجة للبحث في سندها من الأصل.

٣ ـ الروايتان الثالثة والرابعة:

أفردهما سيف للحديث عن إكراه طلحة والزبير على البيعة، ويَرِدُ عليهما ما ورد على ما سبقهما.

قال سيف: لما قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع الناس على علي، ذهب الأشتر فجاء بطلحة، فقال له: دعني أنظر ما يصنع الناس، فلم يدعه، وجاء به يتلّه تلاً عنيفاً، وصعد المنبر فبايع.

وقال في الرواية الرابعة: جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع، فكان الزبير يقول: جاءني لصٌّ من لصوص عبد القيس، فبايعت واللج على عنقي.

وهذا طعن صريح بخلافة علي عليه السلام ، ولا تنس أن الأمير بعد عثمان يجب أن يكون معاوية، وفقاً لبشارة كعب الأحبار له، وهو مما يجده كعب في التوراة اليهودية بلا شك، لكن تاريخ سيف وأمثاله، يأبى أن يسلط الضوء على الدور اليهودي في الأحداث، بل يراه دوراً إيجابياً في كثير من الأحيان، فيترك هذه العناصر الشاخصة من أمثال كعب الأحبار،

وعبد الله بن سلام، الذي لم يبايع علياً، ويصطنع يهودياً آخر أسطورياً ينسب له ما يشاء.

٤ ـ الرواية الخامسة:

وهي من أعجب ما أتى به سيف ـ وكله عجيب ـ وملخصها ما يلي:

أ ـ اجتماع طلحة والزبير بعلي بعد البيعة، وطلبهم إقامة الحد على القتلة.

قال: واجتمع إلى علي بعدما دخل، طلحة والزبير في عدة من الصحابة، فقالوا: يا علي، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل، وأحلوا بأنفسهم.

فمتى اشترطا عليه ذلك وهما مُكرَهان بحسب الفرض؟ فإن كانا مكرَهَين فلا معنى لاشتراطهما، وإن كانا طائعَين فهذا خلاف ما ذكره سيف، وهو في الحالين كاذب، فإما أنه كذب في إكراههما على البيعة، أو في نسبة الشرط إليهما، إذ لا يمكن أن يتفق الإكراه مع الاشتراط.

ثم كيف يمكنهم التفوه بذلك والسبئيّة المزعومة فوق رؤوسهم، وقد قتلوا عثمان قبل قليل؟

إن جرأتهما على ذلك يعني أن الأمور تجري بشكل طبيعي، ولم يعد هناك دور للسبئيّة.

ب ـ أن علياً أجابهم بما يلي: **يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما**

شاؤوا[١]، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله.

وفي هذا المقطع تجد أن علياً والصحابة مملوكون لأسيادهم السبئيّة، والأمور تجري خلاف إرادتهم، فهم يسومونهم ما شاؤوا، وأن علياً لا قدرة له على فعل شيء، فما معنى مجيء الصحابة إليه وطلبهم إقامة الحد على قتلة عثمان؟ أخفي عليهم ما يراه علي؟

ثم هل قبلوا عذره في عدم قدرته للتعرض للسبئيّة؟

ولكنك بعد قليل سترى أمراً مختلفاً، وهو أن علياً عليه السلام كان صاحب القرار المركزي في السلطة، وأنه كان شديداً قوياً، وأشد ما كان منه على قريش.

ج ـ ذكر سيف في مقطع من هذه الرواية أمراً مناقضاً تماماً لما قبله، قال: واشتد (أي علي) **على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية**، وتفرق القوم، وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار، **لَتركُ هذا إلى ما قال علي أمثل، وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخره، ووالله إن علياً لمستغنٍ برأيه وأمره عنا، ولا نراه إلا سيكون على قريش أشد من غيره.**

---

(١) أخفق سيف كثيراً في صياغة هذه العبارة على لسان علي عليه السلام، فالخطاب بضمير المخاطب الجمعي، يؤكد أن الجماعة لم يكونوا بمنأىً عن الفتنة، وأن لهم فيها ضلعاً غير مباشر، تمثل في العُبدان والأعراب المحسوبين على طلحة والزبير. فالعبارة ليست في صالح الرجلين إطلاقاً، إن لم تكن إدانة لهما.

وهنا يبدو علي عليه السلام رجل دولة من الطراز الفريد في معالجة الأمور في تلك اللحظات الحساسة، فهو شديد على أكثر الناس منه قرباً، وهم قريش، وأنه مستغنٍ برأيه عن غيره، بل إنه منع القُرشيين من الخروج حسب الزعم، فهل يتفق هذا مع ما نُسب إليه من قوله عن السبئيين: يملكوننا ولا نملكهم؟

ثم ما معنى شدته على قريش؟ هل أنهم قتلة عثمان؟ فإن كانت له شدة فالأولى أن تكون على السبئيّة، لا على قريش.

وبالنتيجة تجد أن سيفاً ينسب القرار للسبئيّة تارة، ولعلي تارة أخرى، فلا ندري من هو صاحب القرار عند سيف؟.

أما الصحابة، فتارة يطالبونه بالقصاص فيعذرونه، وتارة يقول بعضهم: نقضي الذي علينا ولا نؤخره، يعني القصاص من القتلة.

ثم أين كان هؤلاء وقد قتل عثمان بينهم وهم ينظرون إليه؟ فإن كان منعهم خوف الفتنة فلمَ يُلقحون الفتنة من جديد وقد آلت الأمور إلى علي عليه السلام وهي في طريقها للهدوء؟

إن هذه الرواية تجعل القرار عائماً غير واضح، فتارة تظهر علياً بمظهر الخليفة الحريص على الوحدة والنظام والأمن، وأنه شديد حتى مع أقرب المقربين، ويملك القرار، ويستغني برأيه عن غيره، وتارة يشكو من هؤلاء السبئيّة أنهم يملكونه ويملكون الصحابة ومقدرات الأمة كلها.

٥ ـ الرواية السادسة:

وأبرز عناصرها:

أ ـ استبدال علي عليه السلام ولاة عثمان، وتفريقه ولاةً آخرين على الأمصار، وهذا يعني أنه لم يكن يرتضي الولاة السابقين لعثمان الذين كانوا أبرز

دواعي قتل الخليفة، كما يعني أن الأمور كانت بيده، فلم يذكر سيف أن السبئيّة فرضوا عليه واحداً منهم، وهو أمر معقول جداً، إذا حذفنا نظرية السبئيّة من المعادلة. فكيف يمكن أن يقوم الثوار (السبئيون) بهذا العمل كله، ثم يتركون الأمر لعلي عليه السلام يولّي كيف يشاء، ويعزل من يشاء؟ هذا مناقض تماماً لادعائه أن الأمور كانت بأيديهم.

قال الطبري نقلاً عن سيف: ولما دخلت سنة **٣٦** فرق علي عماله... إلى أن قال: فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام.

ولم يذكر سيف أن أحداً من هؤلاء اشترك في الثورة، وهي ملاحظة جديرة بالاهتمام، مما يعني أن القرار كان بيد علي لا يؤثر في قراره أحد، ولا دور لمن زعم أنهم سبئيون، إذ لو كان الأمر كذلك لتولى بعضهم الولايات في تلك المرحلة الحاسمة.

ب ـ ذكر سيف أن معاوية رفع شعار الطلب بدم عثمان من علي نفسه، لا من السبئيّة ولا من غيرهم، وهذا يعني أن علياً عليه السلام هو المتهم الأول من الأمويين مسبقاً بدم عثمان، وأنه ظُلم بهذا الاتهام. وذكر قول رسول معاوية لعلي عليه السلام: تركتُ قوماً لا يرضون إلا بالقَوْد، قال: ممن؟ **قال: من خيط نفسك!** وتركت ستين ألف شيخ يبكى تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق.

هذا يعني أن الفتنة خرجت من جديد، وقائدها معاوية، وليس السبئيّة، لأنهم ـ على فرض وجودهم ـ لم يطالبوا بعد قتل عثمان بشيء، بل عملوا

على إعادة الأمور إلى حالها، وسعوا في تنصيب الخليفة، ولم يطالبوا علياً بتولية ولا عزل، وأوكلوا الأمور إليه، بمعنى أنهم اتجهوا نحو الهدوء والاستقرار.

ثم إن الخليفة الجديد هو المسؤول عن القصاص والحدود، ومن أراد الاحتكام إليه فعليه أن يعترف أولاً بخلافته، ويقدم الدعوى وفق الموازين الشرعية، ثم ينتظر نتائج القضاء في الدولة، على أن يكون هو ولي الدم. أما أن يخرج عن الحكومة والخلافة الشرعية، ويطالب بالقصاص، ويرفع السلاح لإسقاط الحكومة، وهو ليس ولي الدم، فهذا خلاف القانون، ولا بد للحكومة الجديدة أن تلاحقه.

ومن هنا تعرف بعض السر في محاولة سيف الطعن في خلافة علي عليه السلام، وهو أنه أراد أن لا يُلزم معاوية بالطاعة، ويعطيه الحق بالمطالبة بالقصاص كما يرى.

والغريب أن يطالب الأمويون بدم عثمان من علي عليه السلام وهم يعرفون أن قاتله الرئيسي والمحرض الأول عليه هو طلحة والزبير وعائشة، بالإضافة إلى عمرو بن العاص، بل حتى معاوية، وغيرهم.

وهو ما يفسر لنا قول علي عليه السلام الذي نقله سيف: **نجا والله قتلة عثمان**، وقوله: **اللهم إني أبرأ إليك من قتلة عثمان**، وهو ما رواه غيره. فهو يبرأ من هؤلاء القتلة الحقيقيين الذين ألّبوا عليه وقتلوه، فلما آل الأمر إلى علي عليه السلام انقلبوا على أعقابهم، وصاروا من المطالبين بدمه، ولكن من علي لا من غيره.

ولكن، كيف يطلب الأمويون بدم عثمان من علي حصراً دون السبئيّة

المزعومة؟ فمن المفترض أن تكون تلك الحادثة مشهورة ومعروفة للجميع، ولا يخفى على الأمويين ولا غيرهم أن قيادة الثورة كانت بيد السبئيّة. ولا يحل هذا الإشكال إلا بحذف هذه النظرية من قاموس الأحداث آنذاك.

٦ ـ أما الرواية السابعة ففيها ما يلي:

أ ـ يذكر سيف أن طلحة والزبير طلبا الإذن من علي عليه السلام بالخروج، قال: استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة، فأذن لهما فلحقا بمكة.

وهذه أول المناحس، فقد ذكر سيف فيما مضى أن علياً عليه السلام اشتد على قريش، ومنعهم من الخروج، وهذان من قريش، وممن أكرهوا على البيعة بحسب الزعم، ومن الحريصين جداً على دم عثمان بحسب الدعوى.

ولنا أن نوجه لسيف الأسئلة التالية:

١ـ هل يصح منهما أن يخرجا في هذا الظرف العصيب، ويتركا علياً عليه السلام وحده يواجه الصعاب، إن لم يكونا يضمرا له شراً؟ وما هي المصلحة في خروجهما إلا التآمر على علي عليه السلام والاجتماع هناك بمن هرب من المدينة من بني أمية، ومن صار في مكة من ولاة عثمان الهاربين؟

واحفظ عني هذه ـ أيها القارئ الكريم ـ فسوف ترى أن سيفاً يبرر لهما هذا الخروج، وأنه كان لطلب الإصلاح!.

٢ـ كيف يعقل أن يجبرهما علي على علي عليه السلام البيعة من جهة، ثم يمنع غيرهما من الخروج ولا يمنعهما، وهما أولى بالمنع؟

هذه أبرز الملاحظات على روايات الصنف الثالث من روايات سيف، حول دور السبئيّة في بيعة علي عليه السلام.

٤. روايات الصنف الرابع:

وتتركز هذه الروايات على دور السبئيين المزعوم في معركة الجمل، وهي بمنزلة الثمار التي يقطفها سيف مما أسسه في رواياته السابقة جميعاً، فقد اعتقد أنه هيأ للأمور بشكل جيد، ولم تعد لديه صعوبة في تفسير ما يحصل، بما يوافق الهوى الأموي، ويطعن بخلافة علي عليه السلام وإدارته للدولة.

ومما يلفت النظر في هذه الروايات أنها تخفي دور السبئيّة تماماً في أول الأمر، وتنسب الأحداث لطرفي النزاع بشكل واضح، وأنهما كانا يُعدّان العدة للمواجهة، ولم يكن للسبئيّة في ذلك أي دور يذكر، حتى إذا حانت ساعة الحاجة أقحمهم سيف في السيناريو بشكل مفاجئ، ليضع المسؤولية على عاتقهم.

ولنضع تلك الروايات تحت منظار النقد، وكما يلي:

في الرواية الأولى: طلبُ علي النصرة من أهل المدينة، واستجابة اثنين فقط، أحدهما بدريّ، والآخر هو رجل اسمه خزيمة (ليس بذي الشهادتين) كما ادعى سيف.

وقد روى في ذلك رواياتٍ لإثبات دعواه في خزيمة بن ثابت، وتقاعس المدنيين عن نصرة علي.

والسؤال هنا: أين ذهب سائر الصحابة؟ هل تخلَّوا عن مسؤوليتهم الشرعية، وخذلوا أميرهم بعد أن بايعوه؟

وإن كان الأمر كذلك، فلمَ يَصُبُّ التاريخ غضبه على الكوفيين في حادثة كربلاء، ويتناسى خِذلان أهل المدينة لعلي عليه السلام؟ والحال أن الناهضين مع

الحسين من الكوفيين كانوا أكثر بكثير ممن نهض مع علي عليه السلام من المدنيين، حسب روايات سيف؟

لقد أراد سيف أن يفرّغ الخلافة العلوية من شرعيتها بحذف معادلة الصحابة، ونقل مركز الثقل فيها من جهته إلى جهة الآخرين، وإلى معاوية على وجه الخصوص.

قال سيف: (ولما رأى من أهل المدينة ما رأى، لم يرض طاعتهم حتى يكون معها نصرته، قام فيهم، **وجمع إليه وجوه أهل المدينة وقال:** إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله، فقد رأيتم عواقب قضاء الله عز وجل على من مضى منكم، **فانصروا الله ينصركم، ويصلح لكم أمركم**.

فأجابه رجلان من أعلام الأنصار: أبو الهيثم بن التَّيِّهان، وهو بدريّ، وخزيمة بن ثابت، وليس بذي الشهادتين، مات ذو الشهادتين في زمن عثمان رضي الله عنه.

والطريف هنا أن سيفاً أحاط خُبراً بما لم يحط به غيره، من أن ذا الشهادتين مات أيام عثمان، ووضع بدله شخصاً آخر يحمل الاسم نفسه، لكنه لم يذكر في عبادة بن الصامت وأبي الدرداء أنهما ماتا أيام عثمان، فجعلهما من المسارعين لنصرته، المستجيبين لدعوته، **وهو بهذا يحيي الموتى لنصرة عثمان، ويميت الأحياء كي لا ينصروا علياً**.

ثم ما معنى أن يطلب ولي الأمر، والخليفة المنتخب من أهل المدينة أن ينصروا الله، ثم لا ينهض معه أحد سوى شخصين؟ هذا ما يجيب عنه القارئ الكريم.

بل السؤال الأهم: أية نصرة يريدها علي عليه السلام من أهل المدينة، وعمدة أنصاره من السبئيّة المفترضة؟ أيترك اليهود يعيثون فساداً في الأمة، ويتوجه لقتال الصحابة وأم المؤمنين عائشة، مستعيناً بهؤلاء، ليكون رأس (السبئيّة) وزعيمها وعميدها؟

٢ ـ في الرواية الثانية: أوجد سيف المبررات لقتال علي عليه السلام فقال: لما اجتمع إلى مكة بنو أمية، ويعلى بن منية وطلحة والزبير، **ائتمروا أمرهم، وأجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان، وقتال السَّبَائية، حتى يثأروا وينتقموا.**

ثم اتفقوا على الخروج للبصرة؛ لأنها أضيعت وصارت إلى علي، قال: «واجتمع القوم على البصرة، وردوها عن رأيها (يعني عائشة) وقال لها طلحة والزبير: **إنا نأتي أرضاً قد أضيعت وصارت إلى علي، وقد أجبَرَنا علي على بيعته**».

وهنا ينقلنا سيف نقلة سريعة إلى واجهة الحدث، فينسب إلى علي عليه السلام إجبارهم على البيعة، فيما كان سابقاً يدّعي أن علياً لم يكن له من الأمر شيء، وأن السبئيّة هم الذين أجبروهم، وليس علياً عليه السلام.

بمعنى آخر أن سيفاً كان يحوم حول الحدث، فينسب الإكراه على البيعة للسبئيّة، وكان يغمز من قناة علي عليه السلام من طرف خفي، أما الآن فلم يعد لديه ما يخشاه، فالبصرة أضيعت وصارت لعلي، وعلي هو الذي أجبرهم على البيعة.

وهنا يصرح سيف بما لا يقبل الشك، أن هؤلاء يرون أن المسؤولية تقع على عاتق علي عليه السلام بالدرجة الأولى، وليس على السبئيّة، وأن كل ما نسبه

للسبئيّة أصبح لا معنى له، فهؤلاء المجتمعون بمكة من بني أمية وطلحة والزبير وعائشة إنما يريدون (**رأس علي**)، كما أن معاوية يريد دم عثمان من (**خيط نفسه**).

أما الطلب بدم عثمان، فهي إما شعارات للاستهلاك المؤقت آنذاك، ثم أضيف إليها من سيف ما أضيف، من عناوين ابن سبأ والسبئيّة وأمثالها.

فلو كان الشعار واحداً، وهو القصاص من القتلة، وكان علي عليه السلام مغلوباً على أمره ومسيّراً من قبل السبئيّة، لما اشتكوا علياً، بل كان الأجدر بهم أن يشتكوا له مما هو فيه من سيطرتهم على قراره، وتحكّمهم بشأنه.

وهكذا يبقى سيف يدور في هذه الحلقة التي يريد أن يوفِّق فيها بين المتناقضات فلا يستطيع.

إلا أننا في خضم هذه الأحداث التي يرويها سيف، لا بد أن نلاحظ أمراً خطيراً، قد لا يجرؤ سيف على التصريح به، وهو تواطؤ علي عليه السلام الواضح مع السبئيّة المزعومة، فكل ما نسبه لعلي أو نقله على لسان معارضيه، سواء من اجتمعوا بمكة وتآمروا على قتاله، أم على لسان معاوية وجيش الشام، يوحي بشكل واضح أن علياً عليه السلام كان قائد السبئيّة ورأسها، ولم يكن في الميدان من يُدعى عبد الله بن سبأ. وأقل ما يقال في الأمر أن علياً تواطأ معهم، أو رضي بما كانوا يفعلون. أما أن يقال: إنه مُكره، أو مغلوب على أمره، فهو ما ينفيه سيف ضمناً من خلال سرده للأحداث.

٣ ـ **أما الرواية الثالثة**، فأهم عناصرها وصول الخبر لعلي بخروج طلحة والزبير وعائشة، واتخاذه قرار المواجهة معهم.

قال سيف: جاء علياً الخبر عن طلحة والزبير وأم المؤمنين، فأمَّر على

المدينة تمام بن العباس، وبعث إلى مكة قثم بن العباس، **وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق، وأراد أن يعترضهم، فاستبان له بالربذة أن قد فاتوه**، وجاءه بالخبر عطاء بن رئاب مولى الحارث بن حزن.

فعلي عليه السلام هو الآمر الناهي، ولا يدَ لأحد عليه، وهو يسعى الآن لإلقاء القبض على الخارجين عليه، أو مقاتلتهم، وهو خلاف ما رواه سيف من عدم قدرته على التحرك، وأنه (أسير) للسبئيين، يملكونه ولا يملكهم.

٤ ـ **وأما الرواية الرابعة:** فتتضح الأمور فيها أكثر، ويسعى علي لحشد الجيوش لمقاتلة القادمين من مكة نحو البصرة، وتصبح الأمور واضحة جداً، لا تحتاج إلى تأويل، وطبول الحرب تدق وتلوح في الأفق.

ومن هنا كان لا بد لسيف بن عمر من حشر السبئيّة من جديد، لأن علياً بعث رسله إلى أهل الكوفة، واجتمع إليه الناس من هنا وهناك، وطلحة والزبير وعائشة اتجهوا نحو البصرة عازمين على السيطرة عليها. فماذا يفعل سيف في خضم هذه الأحداث؟ لا شك أنه يستخدم السلاح الذي ادّخره للملمّات، وهو (ابن سبأ والسبئيّة).

٥ ـ **الرواية الخامسة:** ذكر فيها سيف رسول الصلح من علي عليه السلام إلى جيش مكة، وهو رجل يُدعى (القعقاع بن عمرو) كما سمّاه، وأن علياً قال له: القَ هذين الرجلين يا ابن الحنظلية، وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ـ كما زعم سيف ـ **فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الفرقة.**

ثم ذهب القعقاع المزعوم فلقيهم، وبدأت المفاوضات، وكانوا قد قتلوا

ستمئة رجل من أهل البصرة في وقعة الجمل الصغرى، فقال لهم القعقاع: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمئة إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم.

وفي نهاية المفاوضات قالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.

وهذا من تناقضات سيف وتفاهاته التي لا تنقضي، لأن رأي علي واضح للجميع، وهو (**الألفة والجماعة**)، مع كل ما صدر منهم، فما معنى قولهم هذا في التثبت من رأي علي؟ أليس هذا رسول علي للصلح، وقد أبلغه ما يريد، وفوّضه نيابة عنه؟

وعلى كل حال، رجع القعقاع إلى علي، وكان الجميع لا يشك في الصلح.

ولكن مع ذلك كله استمر الفريقان بتعبئة الجيوش، ولا ندري أي صلح هذا؟ وأيّ اتفاق؟ ألم يكن بمقدور طلحة والزبير أن يبعثا رسولاً كما بعث علي ليعقد الصلح مع علي؟ وعلام الانتظار حتى تجتمع الجيوش؟ وهل تجتمع الجيوش إلا للحرب؟

٦ ـ **أما الرواية السادسة**، فهي خطيرة جداً، حيث اجتمع ـ كما يزعم سيف ـ نفرٌ من السبئيّة المزعومة، ومنهم (ابن السوداء) الذي ادّخره لهذه اللحظة الحاسمة.

قال: فاجتمع نفر، منهم عِلباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة

العبسي، وشريح بن أوفى بن ضبيعة، والأشتر، في عدة ممن سار إلى عثمان ورضي بسير من سار، وجامعهم المصريون، ابن السوداء، وخالد بن ملجم وتشاوروا.

فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله علي، وهو أبصر الناس بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شام القوم وشاموه، وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم؟ أنتم والله ترادون وما أنتم بأنجى من شيء.

أول ما يلفت النظر في هذه الرواية أن وضع السبئيّة انقلب رأساً على عقب، فبينما كان المصريون هم العمود الفقري فيهم، أصبح الكوفيون الآن هم أهل الحل والعقد، وبينما كان (ابن السوداء) عنصراً قيادياً، أصبح مستشاراً جانبياً، وهذا من التناقضات الغريبة التي لم يفسرها لنا سيف.

والأمر الثاني: أن هؤلاء السبئيّة لم يعودوا خافين على أحد، ولا عناصر سرية يعملون خلف الكواليس، بل كان فيهم من الصحابة الكبار المعروفين، من أمثال عِلباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم الطائي، وحتى الأشتر، وفيهم من قيادات القبائل ما لا يخفى على أحد، فما دور ابن السوداء هنا؟ وما علاقته بهم؟

ثم كيف يرضون لأنفسهم أن يأخذ بلحاهم رجل يهودي غريب عنهم؟ اللهم إلا أن يكون ابن السوداء هو عمار بن ياسر ليس غير، كما ذهب إليه بعض الباحثين، فيكون الأمر معقولاً، باعتبار أنه صحابي مثلهم، وله سابقة في الإسلام، أما أن يكون هذا النكرة ذا دور في الحل والعقد في قبال

هؤلاء، فهو ما لا ترضاه إلا عقلية سيف وابن تيميّة وأمثالهما.

والأمر الثالث الغريب: أن سيفاً نسب إلى علي عليه السلام أنه قال: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان رضي الله عنه بشيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم.

وكان ذلك بعد تجمع الجيش، قبيل الوصول إلى ذي قار، ونية علي عليه السلام في التوجه نحو البصرة، فلماذا اصطحبهم معه من المدينة كل هذه الفترة؟ أليس الأجدر به أن يمنعهم من الخروج منذ البداية؟

ثم ماذا يبقى في جيشه إذا خرج منه السبئيّة وهم أكثر الجيش بحسب الزعم؟

والأمر الرابع: أن هؤلاء المؤتمرين قبيل الرحيل للبصرة أفادوا أن علياً أبصر الناس بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، ثم نسب في الوقت نفسه إلى الأشتر قوله: وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم. وقد ذكر في روايات سابقة أن الأشتر كان قد جاء بطلحة يتلّه تلاً ليبايع.

فهم من جهة يعرفون علياً حق اليقين، وفي الوقت نفسه يجهلون موقفه منهم. فهل يقول بذلك عاقل يا ترى؟

الأمر الخامس: أنهم أوكلوا جميع أمورهم لابن السوداء، فهو صاحب القرار فيهم، وفي الوقت نفسه تسلّموا قيادات متقدمة في جيش علي، فما هو موقف علي الحقيقي من هؤلاء؟ هل أنه ينهى عن خروجهم معه ثم يمنحهم مراكز قيادية في التعبئة؟

الأمر السادس: أين هي عقيدة الوصية التي ادُّعي أن ابن السوداء روّجها بين الناس، وأقام دعوته على أساسها؟ وكيف يتفق هذا مع تآمرهم على علي عليه السلام ومحاولتهم قتله وإلحاقه بعثمان؟

٧ ـ **في الرواية السابعة** تتضح الأمور أكثر، ويزداد التعقيد سوءاً، فالجيوش يتبع بعضها بعضاً، والتعبئة مستمرة، وهم مع ذلك لا يشكّون في الصلح!

ولكن المثير في الأمر هنا أن عبد الله بن سبأ (اليهودي اليماني القحطاني المزعوم) يترأس الآن قبيلة عربية (عدنانية) معروفة هي (العمور)، وهي بطن من عبد القيس كما مرّ، فلا ندري ما هي علاقته بعبد القيس؟ وكيف حصل على هذا الشرف عندهم؟

وكيف ترضى قبيلة عربية أصيلة أن تسلِّم رايتها لغريب مجهول النسب، يهودي الأصل، وفيها من فيها من أهل النجدة والشجاعة والبأس الشديد؟ وهل عقمت عبد القيس، ذات الشرف الأصيل، أن تلد من يقود راية العمور، فسلمت قيادها لرجل نكرة؟

٨ ـ **أما الرواية الثامنة:** فهي تأكيد لما قبلها، سوى أن الصلح تحقق فعلاً. قال سيف: فتواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، **فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب**، حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع، وأنه لا يدرك، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره وطلحة والزبير إلى عسكرهما.

ولدينا هنا ملاحظتان:

الأولى: أي حرب يراد لها أن تضع أوزارها؟ إنها بغي الباغين وهجومهم على البصرة، وقتل الناس فيها، فالحرب كانت واقعة بالفعل، وليست جديدة على الجيشين، ولم يكن في جيش الزبير أحد من السبئيّة، فمن أنشب الحرب يا ترى؟ هل هم السبئيّة أو جيش الثلاثة المهاجمين؟

إن نسبة القتال للسبئيين ـ على فرض وجودهم ـ ما هو إلا مغالطة فجّة، وكذبة مفضوحة، والدليل على ذلك تلك التعبئة الهائلة، والجيوش الجرارة التي لا زالت تتجمع بعد الاتفاق المزعوم مع القعقاع على الصلح. فلا معنى لذلك سوى أن الثلاثة كانوا عازمين على مواصلة القتال، وقد شجعهم على ذلك سيطرتهم على البصرة، وقتلهم شيعة علي فيها.

ومن هنا يظهر السبب في تركيز التاريخ الأموي على معركة الجمل الكبرى ونسبتها للسبئيّة، وغض الطرف عن معركة الجمل الصغرى، التي أثارها المناوئون لعلي عليه السلام وقتلوا فيها المئات، وانتهبوا الأموال، وذلك قبل المعركة الكبرى الشهيرة.

الثانية: إن الرواية لم تذكر شيئاً من بنود الصلح، بل لم تذكرها غيرُها من الروايات، وهذا مريب حقاً، فهل يعقل أن حدثاً بهذه الضخامة، وتلك الجيوش الهائلة، ينتهي بكلمتين فقط: (فتواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب).

والأهم في ذلك والمثير للدهشة رجوع كل منهما إلى عسكره، وبقاء الجيشين على حالهما، فما يمنع أهل البصرة ـ وهم في المعسكرين ـ من

التفرق والعودة إلى منازلهم، وقد منَّ الله على الجميع بالصلح؟ وما يمنع أهل الكوفة والمدينة من الرجوع، أو على الأقل ابتعاد الجيوش عن بعضها، إذ لا مبرر للتعبئة القتالية؟.

ثم إن سيفاً سوف يصور لنا الحرب تصويراً دقيقاً، كعادته في وصف الملاحم، ويظهر من تصويره أن الجيشين لم يطرأ على تنظيمهما أي تغيير بعد الصلح، فكانت الميمنة والميسرة والقلب كل في محله من الجيشين، وكانوا جميعاً متأهبين للقتال، فهل يعقل أن هذا وقع بعد الاتفاق على الصلح؟

كما أن الجيشين عبارة عن مجموعة من القبائل، ومن تلك القبائل ما كان فرقتين، فرقة مع علي وفرقة مع الجيش الآخر، وطبيعة الحال تقتضي أن يختلط الجيشان ببعضهما، وأن يبيت الزبير وطلحة وعلي في خيمة واحدة بعد أن انتهى الخلاف وعادت المياه لمجاريها.

وباختصار: إن دعوى الصلح التي ادعاها سيف لا أساس لها من الأصل، وهي مردودة بالكثير من الشواهد، أبرزها بقاء الجيشين على ماكانا عليه من الأهبة للقتال، وهو ما يظهر في كلام سيف نفسه، حيث ادعى أن السبئيّة بمجرد أن أشعلوا الحرب اشتعلت دون أي فاصل.

والملاحظ هنا أيضاً أن انتظار السبئيّة حتى يتم الصلح أمرٌ لا معنى له، فما دامت الأمور بأيديهم، وجيش علي (تعمّه الفوضى) كما سيأتي، كان بإمكانهم إشعال الحرب قبل المفاوضات، وهي أنفع لهم كما هو واضح.

٩ ـ **ونصل مع سيف إلى روايته التاسعة**، فنجد أن (السبئيّة) باتوا بشرّ ليلة، واتفقوا على إنشاب القتال ـ ولا شك أن سيفاً كان معهم، مطلعاً على أسرارهم وسرائرهم، لا تخفى عنه خافية ـ ثم إنهم نفذوا مخططهم بإرسال

المقاتلين تحت جنح الظلام، وهكذا بدأ القتال.

والملاحظ هنا أن سيفاً يصوّر الصلح بين الفريقين وكأنه بين مجموعة من الأطفال، فلا شاهد عليه، ولا وثيقة مكتوبة، ولا أي ضمانة لحفظ دماء عشرات الآلاف ممن تجمّع في ذلك المحل، حتى أصبحت تلك الدماء في مهب الرياح العاتية عرضة لأيّ طارئ.

ثم إن كلاً من الجيشين لديه ميمنة وميسرة وقلب وخيّالة وأصناف من المقاتلين، وعلى كل صنف قائد، فأين ذهبت القدرة على التحكم والسيطرة لديهما؟ لقد دخل الجيشان في فوضى عارمة، فليس هناك من يطيع علياً، وليس هناك من يطيع الزبير وطلحة، فالقيادة في وادٍ والجيشان في وادٍ آخر، كما صورها سيف.

وهذا ليس أمراً غير معقول فحسب، إنما هو تجنّ على الحقيقة، فالمقطوع به أن جيش علي انتصر في تلك المعركة، وسوف يأتي أن علياً عليه السلام كتب به كتاباً يبشر به عامله على الكوفة، وهو ما رواه سيف نفسه، وبالتالي فإن أمير المؤمنين عليه السلام يتبنى ما حدث في المعركة، ويعتز بالنصر، ويبشر به عماله، ويشكر الله عليه، ويذكر بعض العناصر التي عدها سيف بن عمر سبئيّة بقوله: **وأصيب ممن أصيب منا.** ومن هؤلاء علباء بن الهيثم. فكيف يمكن لفوضى أن تقود حرباً وتنتصر؟ وكيف يمكن لعلي عليه السلام أن ينسب ذلك إليه وهو خارج عن إرادته؟

قال سيف فيما يأتي من الروايات: **وكتب عليٌّ بالفتح إلى عامله بالكوفة... وكتب عبد الله بن رافع، وكان الرسول زفر بن قيس، إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة.**

لقد انتصر علي في تلك المعركة، وبشّر عامله على الكوفة بالفتح، مما يعني أنه يتبنى المعركة وإرادة القتال، وكل ما حصل كان بقرار منه، بعد وصول البغي بالقوم إلى حدّ لا علاج له إلا السيف.

إن النصر والفتح يعني فيماً يعنيه: القيادة والتنظيم والسيطرة والتحكم، أما أن تكون الأمور بهذا الشكل، وعليٌّ ينادي: أيها الناس، كفوا فلا شيء، والحرب مستمرة، ولا أحد يطيعه، فهذا يعني الفوضى التي لا تقود إلا إلى الهزيمة. أضف إلى ذلك أن علياً عليه السلام لا يمكن أن يتحمل مسؤولية الفوضى التي تسببوا بها حسب الزعم، وينسب النصر إليه، ويفرح به، ويبشر عماله.

كما أن في ذلك إهانة لتاريخ الإسلام كله، فنحن عندما نقرأ عن معارك الشعوب، نجد أن القائد هو الجزء الحيوي فيها، والعقل المدبر، وقطب الرحى، وإليه ينسب النصر أو الهزيمة، أما أن يكون بهذا المستوى من الضعف وعدم السيطرة، ثم ندّعي أنه خليفة المسلمين، وهو قائد المعركة، فهذا ما يجعل الآخرين يسخرون منا ومن تاريخنا برمته.

بل فيه حطٌّ كبير حتى من شأن طلحة والزبير وعائشة، فإن كان في جيش علي من السبئيّة من لا يطيعه، فيفترض أن الجيش المقابل لا سبئيّة فيه، ومن الممكن التحكم فيه.

فلكل قارئ للتاريخ أن يسأل: أهذا هو خليفة المسلمين عليّ، وحواريّ رسول الله الزبير، وأم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وآله، وطلحة، والصحابة والتابعون، يقودهم حفنة من الناس لا يستطيعون السيطرة عليهم؟ ثم يذهب ضحية ذلك آلاف الناس؟ أهؤلاء هم أهل (خير القرون) الذين تفخرون بهم يا أمة الإسلام؟

إنه الكذب والافتراء والتجني على الحقائق لحفظ ماء الوجوه التي لم يبق فيها ماء ولا حياء، كل ذلك لتبييض الصفحات التي أبت إلا أن تبقى سوداء على طول التاريخ.

ثم أين هو الإصلاح الذي حققه هؤلاء بخروجهم؟ ألم يدّعِ سيف وأمثاله أن الثلاثة خرجوا للإصلاح؟ هل أخرجهم السبئيون من ديارهم إلى مكة؟ وهل أمروهم بالتجمع والتآمر لغزو البصرة؟ وهل كانوا معهم عندما هاجموها وقتلوا فيها من قتلوا ونهبوا بيت المال في معركة الجمل الصغرى؟

أليس جديراً بالتاريخ أن يتحمل مسؤوليته تجاه الأجيال، فيحمّل هؤلاء تبعة ما حصل من فتنة وشقاق؟

إنها نظرية المؤامرة، والعناصر الأجنبية المندسّة، وعملاء الأجانب، وما إلى ذلك من القيم التي حملها لنا التاريخ، ولا زالت شعوبنا تدفع ثمنها حتى يومنا هذا.

ثم إنهم رووا عن علي عليه السلام من طرق أخرى غير سيف أنه قال: **أنا فقأت عين الفتنة، ولولا أنا ما قُتل أهل النهروان وأهلُ الجمل، ولولا أن أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله، لمن قاتَلهم مبصراً ضلالتهم، عارفاً للهدى الذي نحن فيه**[1].

وهو ما يؤكده سيف أيضاً، بنقله كتابه إلى عامله على الكوفة.

---

(١) خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٤٦.

راجع أيضاً: سنن النسائي٥: ١٦٥. كنز العمال١١: ٢٩٨. تاريخ اليعقوبي٢: ١٩٣. ينابيع المودة٣: ٤٣٣.

ومن جهة ثالثة، أنهم ذكروا في فقههم أحكام البغاة، ونقلوا إجماع الصحابة على قتالهم، واستدلوا بقتال علي عليه السلام أهل الجمل وصفين والنهروان[1]. فأخذوا أحكامهم الشرعية مما فعله علي عليه السلام بعد المعركة، حيث أخذ الخيل والسلاح، ومنع غيرها، لبقائه على عصمته كما قالوا.

قال الإمام الشافعي: أخذ المسلمون السيرة في قتال المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذوا السيرة في قتال البغاة من علي عليه السلام[2].

فكيف يصح أن ينسبوا ذلك لعلي، ويأخذوا منه حكماً شرعياً إلهياً، وهو من فعل غيره من (السبئيّة)، أو كان خارجاً عن إرادته؟

هذا غير الأخبار التاريخية المتظافرة التي خالفها سيف، والتي تجمع على أن الأمر كله كان بيد علي وتحت إمرته وسيطرته، وأنه هو الذي أعطى الأوامر بالقتال، بل إن جيش البغاة ألجأه إلى ذلك بعد أن غدروا به.

والإشكال الكبير هنا أنهم ـ بحسب الفرض ـ اصطلحوا مع علي عليه السلام، وبعد هذا الصلح والرجوع لأمر الله، لا يصح نعتهم بالبغاة، وهو مناقض لما فعله علي عليه السلام بأموالهم وسلاحهم بعد المعركة، الأمر الذي استدل به فقهاؤهم على قتال البغاة، مما يعني أنهم ماتوا على بغيهم، فكيف يصح أن

---

(١) المغني، لابن قدامة الحنبلي١٠: ٤٩. كتاب قتال أهل البغي. والشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة١٠: ٤٩. وقد استدلوا بفعل علي يوم الجمل حيث غنم الكُراع والسلاح، ومنعهم النساء والذرية والأموال الأخرى.

(٢) مطالب السؤول، محمد بن طلحة الشافعي: ١٣٩.

نقول: تصالحوا مع علي مع بقائهم على بغيهم؟

وبناءً على رواية سيف هذه فإن فقهاء أهل السنة أخذوا أحكام البغاة من السبئيّة (اليهود) وليس من علي عليه السلام؟

١٠ ـ وفي الرواية العاشرة: يدخلنا سيف في دوامة لا أول لها ولا آخر، وحديث متضارب لا يشبه بعضه بعضاً، فيروي لنا كيف اشتعلت المعركة ونشب القتال وفر جيش البغاة، إلا أنهم لما رأوا الجمل لا زال في مكانه، وقد أحاط به المدافعون عن عائشة، عادوا من جديد للمعركة، فبعثت عائشة كعب بن سور يحمل مصحفاً، وعندئذ أقبل السبئيّة، وهم أمام الجيش يخافون أن يجري الصلح، وعلي خلفهم يصيح بهم أن يرجعوا، وهم يعصون أمره ويأبون إلا إقداماً.

وفيها ما في سابقتها من الروايات، إلا أنه صرح أن السبئيّة المزعومين كانوا يخافون أن يجري الصلح! وهذا بعد أن فرّ الزبير، وجرح طلحة، وانكسر الجيش المناوئ، فأي صلح ذاك الذي يخشونه وقد أشرفت المعركة على نهايتها، وبانت علائم النصر؟

كما أنها تبين أن أم المؤمنين عائشة، بعد أن قتلوا رسولها كعباً حامل المصحف، ورشقوا هودجها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم.

وهل هناك حماقة من سيف أكبر من هذه؟ فما جدوى لعن قتلة عثمان، وهم لا يعبأون بالمصحف وأم المؤمنين، بل لا يعبأون بالقتل والقتال وحر السلاح.

الأمر الوحيد الممكن وقوعه ونسبته لعلي هو لعن قتلة عثمان، لأن علياً عليه السلام

كان يرى أن طلحة والزبير هم القتلة الحقيقيون وليس غيرهم، لأنهم كانوا أشد الناس عليه، لا سيما طلحة.

١١ ـ وفي الرواية الحادية عشرة: يستمر سيف في وصف أواخر المعركة، فيعيد السيطرة لعلي على الأوضاع، وينسب الحوادث له ولأصحابه، ويختفي دور (السبئيّة) بقدرة قادر.

يقول: أمر علي نفراً بحمل الهودج من بين القتلى، وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث أنزلاه عن ظهر البعير، فوضعاه إلى جنب البعير.

فلو كانت السبئيّة بتلك الصورة من الانفلات والخروج عن سيطرة علي، لقتلوا عائشة كما قتلوا عثمان، فهم طلاب فتنة ـ بحسب الفرض ـ ولا يدَ لعلي عليهم، وقد تسببوا بقتل الآلاف، وعائشة في وسط المعركة، ويمكن أن تقتل بسهم غرب، دون أن يعرف القاتل، والمعركة بأيدي السبئيّة بكل مقدراتها، وهم في مقدمة الجيش، وعلي من خلفهم ـ كما ذكر سيف ـ فما الذي جعلهم يكفّون أيديهم عن عائشة ويكتفون بعقر الجمل؟ وكيف صار علي في مقدمة الجيش بعد أن كان في الخلف يزعهم ويأبون إلا إقداماً؟ وكيف استطاع السيطرة على الموقف والمعركة لا زالت مستمرة؟

لقد أبدى علي شهامة قتالية، وشرفاً لم يعرفه العرب، لا في جاهلية ولا إسلام، حيث أمر بعقر الجمل، كما أمر بإنزال الهودج وتنحيته جانباً، وأوعز إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أن يتوليا شأنها، وكل هذا ظاهر لأهل العقول في أنه كان قائد المعركة، وكل ما جرى فيها كان تحت نظره وأمره، وحاشا له أن يكون مقوداً لنفر من الناس، أياً كانوا.

ومن جهة أخرى نرى أن السيدة عائشة كانت غاضبة من أخيها محمد ومن عمار بن ياسر، فإن كانا من السبئيّة فرحم الله السبئيين ورضي عنهم، فهذا اللقب يعني الصحابة من شيعة من علي، من أمثال عمار بن ياسر. وإن لم يكونا منهم، فلا يتحملان مسؤولية أفعالهم، فلمَ تغضب أم المؤمنين وتتبرأ من عمار وتصف أخاها بالعقوق؟

قال سيف: **فأقبل محمد بن أبي بكر إليه** (يعني للهودج) **ومعه نفر، فأدخل يده فيه، فقالت: من هذا؟ قال أخوك البَرّ، قالت: عَقوق. قال عمار بن ياسر: كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمه؟ قالت: من أنت؟ قال: أنا ابنك البار عمار، قالت: لست لك بأم! قال: بلى، وإن كرهت.**

ثم تقول السيدة عائشة لعمار ـ وهو بلا شك من المقربين من علي، وهذا ما لا يخالف فيه أحد، وكانت عاقبته أن استشهد في صفين، على يد الفئة الباغيةـ : **فخرتم أن ظفرتم، وأتيتم مثل ما نقمتم، هيهات والله، لن يظفر من كان هذا دأبه.**

فهي أولاً لم تذكر السبئيّة، ولا ابن سبأ، لأنه من موضوعات سيف بعد قرن من الزمان، كما أنها نسبت الظفر والنصر لجيش علي، ولو كان بفعل غيره لالتمست لهم العذر، ولقالت: سلمكم الله، وغفر لكم، وكفاكم الله شر هؤلاء الذين أوقعوا بيننا القتال.

وفي رواية أخرى لسيف أدرجناها معها، أن محمد بن أبي بكر أدخل يده في الهودج، وقال: أخوك محمد، فقالت: مُذَمَّم. وفي ذلك ما فيه مما أتركه للقارئ للكريم، فهذا الاسم الشريف يفترض أن يكون له وقعٌ مقدس

في نفس كل مسلم، لا سيما السيدة عائشة، فهو نبيها من جهة، وزوجها من جهة أخرى، فهل يسوغ لها أن تتفوه بمثل هذا الكلام؟ اللهم إلا أن يكون سيف تقوّل عليها، وما ذلك عليه ببعيد.

كما روى عنها أنها قالت: **ما زلت أرجو النصر حتى خفيت أصوات بني عدي**. فأين الصلح الذي ادعاه سيف الكذاب؟ إن أم المؤمنين في معركة مع جيش علي، وهي ترجو النصر عليه، وقد صرحت قبلُ في خطابها لعمار: فخرتم أن ظفرتم. وهذا هو الطبيعي في تلك المعركة، إما أن ينتصر علي، وإما أن تتنتصر أم المؤمنين ومن معها، فلا سبئيّة ولا سيفية ولا عناصر مندسة، إلا في مخيلة سيف وأمثاله.

وملاحظة أخيرة نوردها على قول عمار لعائشة: كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمه، وهي أن عماراً لم ينسب الضرب للسبئيّة، إنما نسبه لجيش علي عليه السلام عموماً.

ومن إلقاء اللوم من قبل السيدة عائشة على أخيها محمد وعمار بن ياسر، يتبين لك ـ عزيزي القارئ ـ أن الأمر لا علاقة له بسبئيّة ولا غيرها، إنما هو جيش علي عليه السلام الذي ضمّ جلّ الصحابة، ومنهم عمار بن ياسر وأشباهه.

١٢ ـ **أما الرواية الأخيرة التي ذكرناها**، فهي تنسف كل ما ابتدعه سيف ووضعه وأجهد نفسه في إثباته، وتجعله هباءً منثوراً، فها هو علي عليه السلام يبعث (بالبشارة) إلى عامله على الكوفة، (بالفتح) والظفر، ولو كان الأمر كما ذكر سيف لاشتكى علي ذلك، وما ساغ له أن يفخر به ويشكر الله عليه.

ولكن الملاحظ أن سيف بن عمر صاغ كتاباً من علي لا معنى له، ولا

دلالة فيه على الفتح أو البشارة، وقد صرح بهما علي دون غيره.

ومع ذلك فقد ورد فيه: وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة، وأصيب ممن أصيب منا ثمامة بن المثنى، وهند بن عمرو، وعلباء بن الهيثم، وسيحان وزيد ابنا صوحان ومحدوح (أو محدوج).

فليس فيه أي إشارة أو شكوى مما حصل، وقد صرح علي عليه السلام أن القتلى إما من جيش علي أو من جيش البغاة، ولا ثالث بينهما من السبئيّة المزعومة، كما ذكر بعض الأسماء ممن عدهم سيف من السبئيّة.

فهل يشك عاقل بعد ذلك بكذب وافتراء سيف لحادثة ابن سبأ والسبئيّة ودورهم في تلك الأحداث؟

خلاصة البحث في تناقضات سيف:

بعد هذه الجولة المفصلة في رويات سيف للملحمة السبئيّة، وجدنا أنها ـ مع ما في أسنادها من الكذابين والوضاعين والمجهولين والمختلَقين ـ تشهد على نفسها بالوضع والاختلاق، فليس من المعقول أن يختلف الحديث ويتناقض حول حادثة واحدة يرويها راوٍ واحد.

ولو أن الباحثين تصدوا لروايات سيف في متونها فقط، لما احتاجوا إلى دراسة الأسناد، فقد رأيت ـ عزيزي القارئ ـ أن في رواياته من التعارض والتناقض ما يكفي الواحد منها دليلاً قاطعاً على وضعها.

فها أنت تجد في الرواية الواحدة مجموعة من الإفادات المتعارضة التي تصل إلى حد الاستحالة وعدم إمكانية الوقوع.

وفي نهاية البحث حول هـذه الروايـات، لا بـد مـن تلخيص مـا أوردنـاه بالنقاط التالية:

١ ـ ما يتعلق بأصل القضية، وهو المزعوم عبد الله بن سبأ، ادعـى سـيف أنه أخرج من البصرة سنة ٣٣هـ في خلافة عبد الله بن عامر، وفي الوقت نفسه ادعى أنه التقى أبا ذر في الشام سنة ٣٠هـ. وهذا مستحيل الوقوع.

٢ ـ اضطربت أخباره في مسير ابن سبأ، فتارة يقول: إنه بدأ بالحجـاز ثـم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ثم مصر. وتارة يقول: إنه بدأ بالبصرة بعد أن نزل على عبد القيس، فلما أخرج منها أتى الكوفة فأخرج منها فذهب إلى مـصر واستقر فيها. أي أنه لم يصل إلى الشام.

٣ ـ اضطربت أخباره في محـل ظهـوره، فتـارة يـشير إلـى أنـه ظهـر فـي البصرة، ولم يذكر الحجاز، وتارةً يصرح أنه بدأ بالحجاز. وتـارةً يقـول: إنـه أثر في جميع الأمصار إلا الشام، أي أنه شمل المدينة وعامة الحجاز، وتـارة يستثني المدينة والحجاز. فلا تجد له صورة واضحة، لا مـن حيـث المنطلـق الأول، ولا من حيث المسير، ولا من حيث مساحة التأثير.

٤ ـ ذكر أنه يهودي فأسلم، وذكر في الوقت نفسه أنه من أهـل الكتـاب رغب في الإسلام، وأراد مجـاورة ابـن عـامر، فلـم يـذكر أنـه أسـلم، وعلـى يد من.

٥ ـ ادعى أن عبادة بن الصامت أتى به إلى معاوية، وقد ثبـت أن عبـادة بن الصامت لم ينزل دمشق أبداً، ولم يكن على وفاق مع معاوية، وقد تـولى القضاء في فلسطين ومات فيها.

٦ ـ ذكر أنه كان في الشام سنة ٣٠هـ وانتقل إلى مصر سنة ٣٥، أي أنه بقي في الشام ٥ سنوات، وفي الوقت نفسه ادعى أنه لم يجد لدعوته صدىً عند أهل الشام.

٧ ـ مع ادعائه أن ابن سبأ لم يجد من يتقبله في الشام، ادعى أيضاً أنه أثار أبا ذر على معاوية، وتبعته الناس في ذلك، مما اضطر معاوية أن يشتكي الحال لعثمان. بمعنى أنه قدر على التأثير في أهل الشام.

٨ ـ ظهور ابن سبأ في مصر سنة ٣٥هـ تحديداً يثير الشك والريبة في أصل وجوده، فهي السنة التي بلغت بها الأمور حد الذّروة في الثورة على عثمان، وقد سبقها الطعن والتأليب عليه بسنوات عديدة.

كما أن هناك أحداثاً كثيرة حدثت في مصر قبل ذلك، كان سببها الطعن في الولاة، حيث عزل الخليفةُ عثمان عمرو بن العاص، وولى ابن أبي سرح، مما جعل ابن العاص يطعن في عثمان وولاته وبدأ بالتأليب عليه، وإثارة العامة والخاصة، بل ألب عليه حتى الرعاة. وقد قال عند بلوغه الخبر بمقتل عثمان: إني إذا نكأت قرحةً أدميتها.

٩ ـ خالف سيف جميع المؤرخين بذكر أسباب الخلاف بين أبي ذر ومعاوية، وقد ذكرها الطبري في سياق قول العاذرين لمعاوية، والمدافعين عنه .

فبينما يذكر سيف تأثر أبي ذر بابن سبأ، ذكر الآخرون أنه اختلف مع معاوية بسبب تضييع الثروة والاستئثار بها، وهدر المال العام، وبناء القصور الفارهة من بيت المال.

١٠ ـ المعروف لدى جميع المؤرخين أن أصل اختلاف أبي ذر لم يكن مع معاوية في الشام، إنما كان مع عثمان في المدينة، وكان من أشد المعارضين له في مسألة الثراء الفاحش على حساب العدالة، وكان هذا هو السبب المباشر في تسييره للشام، وإخراجه من المدينة، ليكون تحت نظر معاوية، وهو منهج استخدمه عثمان مع الكثيرين.

هذا يعني أن نسبة الخلاف إليه تأثراً بالتعاليم اليهودية، أمر باطل بالمرة، ولا أساس له.

١١ ـ روى سيف نفسه عن (يزيد الفقعسي) أن أباذر توفي سنة ٣٢هـ وعن غير يزيد الفقعسي سنة ٣١هـ كما روى خروج ابن سبأ من البصرة سنة ٣٣هـ أي أنه خرج بعد وفاة أبي ذر، وهذا لا يتفق مع كونه التقاه في الشام سنة ٣٠هـ.

١٢ـ ذكر أنه التقى أبا الدرداء في الشام، وأبو الدرداء توفي سنة ٣٢هـ وعبد الله بن سبأ ـ بحسب الدعوى ـ أخرج من البصرة سنة ٣٣هـ.

١٣ ـ ذكر أن عبد الله بن سبأ هو أول من جاء بعقيدة الوصية والرجعة ودعا إلى إمامة علي، ثم ذكر بعدُ أن الخارجين على عثمان كان بعضهم يشتهي طلحة وبعضهم يشتهي الزبير وبعضهم يشتهي علياً، وكلهم سبئيون. بمعنى أن أتباعه ليسوا على عقيدة واحدة. وبالتالي فهو ليس المؤسس لعقيدة الوصية.

١٤ ـ صوّر ابنَ سبأ وأتباعه أنهم كانوا على قدر كبير من الدهاء والسرية والتظاهر بالخير، وفي الوقت نفسه ذكر ما يناقض ذلك من سذاجتهم وحمقهم،

حيث كشفوا مخططهم بتفاصيله لرجلين دسهما عثمان.

١٥ ـ ذكر أن الثوار جاؤوا إلى المدينة في وقت واحد، مما يعني أن بينهم قدراً عالياً من التنسيق، وهكذا عندما تظاهروا بالخروج منها، والعودة إليها مرة أخرى، وادعائهم الكتاب من عثمان بقتلهم، وهذا يقتضي وجود (أجهزة اتصالات متطورة) لديهم. لكنه في الوقت نفسه ادعى أنهم مختلفون في الهدف الأساس وهو الخليفة الجديد، بل إن النتيجة كانت لأهل مصر، مما أثار غضب الآخرين منهم.

١٦ ـ نسب إلى النبي ﷺ في رواياته تلك، حديثين مكذوبين ـ على الأقل ـ أحدهما حديث (دلهة الكبر) في عمار بن ياسر، والآخر أن الخارجين على عثمان ملعونون على لسان النبي ﷺ وهما حديثان مكذوبان على النبي ﷺ باتفاق جميع المحدثين.

١٧ ـ ذكر أن عثمان كشف مخطط الثوار الذي يستهدف الخلافة والدولة الإسلامية، ويستهدف رأس عثمان شخصياً، إلا أنه مع ذلك دعا (للسبئيّة) ومنع الناس من القضاء عليهم، ودافع عنهم، وكان لا يعبأ بهم، وهم في عينه أدق من التراب.

وفي موضع آخر ذكر أن عثمان استمد الأمصار، وطلب منهم النصرة، ووصف الثائرين بأنهم كالأحزاب أيام الأحزاب.

١٨ ـ سكت سيف عن المستجيبين لنصرة عثمان، ولم يذكر أين انتهى بهم المطاف، وأين ذهب جيشهم الذي هبّ لنصرته من الأمصار؟ هل خسفت به الأرض، أو ارتفع إلى السماء؟

١٩ ـ ذكر أنهم خططوا لقتل عثمان منذ البداية، ولكنهم عندما سيطروا على المدينة، لم يفعلوا ذلك، بل كانوا يصلّون خلفه، ولم يطالبوه إلا بالاعتزال.

٢٠ ـ ذكر أنهم منعوا الناس في المدينة من الاجتماع، وفي الوقت نفسه ادعى أن صلاة الجماعة كانت قائمة بإمامة عثمان، وهي تقتضي الاجتماع.

٢١ ـ ذكر أن أهل المدينة لم يتعاونوا مع الثوار، إلا ثلاثة نفر، وفي الوقت نفسه ادعى تحكم الثوار برقاب الجميع، وسيطرتهم على المدينة بشكل كامل، بمعنى أنه قلل من قوة الصحابة، وهو أمر غير معقول. فالصحابة الذين خاضوا غمرات الحروب مع النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ثم في الفتوحات، لا يمكن أن يستسلموا بهذه الطريقة المخزية.

٢٢ ـ ذكر عبادة بن الصامت وأبا الدرداء في المناصرين لعثمان، وقد حثوا الناس على الخروج لاستنقاذه، وقد عرفت أن الرجلين لم يكونا على قيد الحياة، فقد توفي عبادة سنة ٣٤هـ وتوفي أبو الدرداء سنة ٣٢هـ وحصار عثمان كان في نهاية ٣٥هـ.

٢٣ ـ اضطرب كثيراً في تحديد موقف الصحابة من الثورة على عثمان، فذكر بعضهم في الخارجين عليه، بل كانوا مشتركين في قتله، وأهمل في أغلب الأحيان الإشارة إلى صحبتهم، أو ترك بعضهم فلم يذكره، فممّن ذكره من الصحابة عبد الرحمن بن عديس البلوي، وعلباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وعمار بن ياسر، ومالك الأشتر (وكان قد أدرك النبي) ومحمد بن أبي بكر. وممن أغفله عمرو بن الحمق الخزاعي وعمرو بن العاص (وهو

من أشدّ المؤلبين على عثمان) وطلحة والزبير وعائشة. وذكر في مواضع أخرى أنهم ملعونون، وفي غيرها أنهم قليلون جداً، وأشار في مواضع أخرى أنهم لم يحركوا ساكناً، وهكذا.

٢٤ ـ اضطرب كثيراً في نسبة الدور للسبئيّة، فتارة يظهرهم بمظهر القوي المسيطر على جميع الأوضاع، وتارةً بموقف الحريص على وحدة الأمة وأنهم سعوا إلى تنصيب الخليفة الجديد وفقاً لمبدأ الشورى، وثالثة أنهم لا دور لهم على الإطلاق، ورابعة أنهم أصحاب فتنة، وخامسة أنهم أنصار علي يُكرهون الصحابة على البيعة له، وسادسة أنهم يتآمرون على قتله وإلحاقه بعثمان، وسابعة يكون الدور لأهل مصر، وثامنة لأهل الكوفة، وتاسعة يقودهم شيوخ القبائل، وعاشرة يقودهم ابن سبأ، وأخرى يميلون لعلي عليه السلام ويرغبون فيه وفرحوا بتنصيبه، وأخرى يجهلون موقفه حتى وصوله لذي قار. وهلم جرّا. وهذا وحده يحتاج إلى بحث مستقل.

وقد كانت تلك المواقف المتناقضة المختلفة، متزامنة مع بعضها، أي أنهم ضعفاء أقوياء في الوقت عينه، وقيادات ميدانية مهمة، من جهة، وتبع لابن سبأ في الوقت نفسه، وهكذا. وهو من أبرز الأدلة على أن وجودهم في القصة مقحم وفي غير محله، إنما يجعله الواضع متى ما احتاج للتبرير أو التشويه أو غيره.

٢٥ ـ نسب لابن السوداء أنه كان قائداً لقبيلة عربية معروفة هي العمور، مع أنه غريب عنها، من حيث البلد والقبيلة، فهو سبئي قحطاني، وهذه قبيلة عدنانية، وهذا خلاف العرف العشائري حتى يومنا هذا.

٢٦ ـ أنه ادعى الصلح وعدم شك الجميع به، وفي الوقت ذاته كانوا مستمرين بتعبئة الجيوش للقتال.

٢٧ ـ لم يذكر بنود الصلح وما اتفقوا عليه، هل هو القصاص من قتلة عثمان؟ أو البيعة لعلي وترك القتال؟ أو دفع ديات القتلى الأبرياء من أهل البصرة في معركة الجمل الأولى (الصغرى)؟ أو إرجاع بيت المال للبصرة؟ أو إقناع علي بالتخلي عن الخلافة؟ كل ما ذكره هو أنهم تواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب التي أشعلها طلحة والزبير في البصرة قبل مجيء علي، وقبل وصول السبئيين المزعومين.

٢٨ ـ ذكر أنهم رجعوا بعد الصلح إلى معسكراتهم، وهو غير مقبول إطلاقاً، إذ لا حاجة بعد الصلح لتعبئة الجيش، سيما أن القبائل موزعة في الجيشين، فكان يمكن للجميع الاختلاط وإلغاء حالة الاستعداد للحرب، والمبيت جميعاً في محل واحد.

٢٩ ـ يعرض قضية الاتفاق على الصلح عرضاً ساذجاً لا يتناسب مع الحدث، فهؤلاء الصحابة المختلفون لم يجعلوا للصلح ضمانة تمنع استئناف القتال، سواء بإبعاد الجيشين عن ساحة المواجهة، أو وضع المفارز الخاصة بينهما لمنع التسلل، أو بأي إجراء آخر، مما يعني أن الواضع كان ذا عقلية ساذجة أيضاً، وكان يرى الأمور وفقاً لمقاييسه، أو أنه يدرك سذاجة من يضع لهم الأحاديث ويروي لهم الأحداث.

٣٠ ـ مع نسبته إشعال المعركة للسبئيّة، وأن علياً كان يدعوهم للكف

عن القتال، إلا أنه في الوقت نفسه نسب ما يؤكد نقيض ذلك تماماً، من إرسال علي بالبشارة لعامله على الكوفة بالفتح والظفر، وتذمر السيدة عائشة من النصر الذي حققه علي، وأنها كانت ترجو النصر لها، وردها اللاذع على عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر، وقول عمار لها: كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمه.

٣١ ـ انفرد من بين جميع المؤرخين بادعائه أن ذا الشهادتين مات في زمن عثمان، واختلق رجلاً آخر بالاسم نفسه.

٣٢ ـ اختلفت إفادته كثيراً في أهداف طلحة والزبير وعائشة وموقف علي عليه السلام منهم، ففي الوقت الذي ادعى أنهم خرجوا لقتال السبئيّة، أفاد مرة أخرى أنهم خرجوا مخالفةً لعلي، واتهموه بإجبارهم على البيعة (وقد أجبرنا علي على بيعته). كما أفاد أيضاً في محل آخر أن الذين أجبروهم هم السبئيّة وليس علياً، وفي موضع آخر أنهم اشترطوا عليه شروطاً قبل البيعة، مما يؤكد أنهم مختارون.

فلا ندري هل أرادوا قتال السبئيّة أو أرادوا قتال علي؟ ولا ندري هل أجبرهم علي عليه السلام على بيعته أو أجبرهم السبئيون؟ أو أن السبئيين وعلياً واحد لا فرق بينهما؟

بل لا ندري هل كانوا مختارين أو مضطرين؟ ولا ندري أيضاً هل كان علي عليه السلام مقوداً للسبئيّة أو قائداً لهم؟ ولا ندري هل خرج علي لقتالهم بهذا الجيش أو خرج للصلح؟ فمن المناسب للصلح أن يبعث رسولاً قبل أن يخرج من المدينة بجيشه الجرار، ليستوضح حالهم، أما وقد خرج فلا شك

أنه خرج لقتالهم، وهو ما صرح به سيف في أنه أراد إدراكهم قبل بلوغهم البصرة. وهذا يعني أنه كان صاحب القرار، وليس السبئيّة المزعومة.

٣٣ ـ نسب لطلحة والزبير موافقتهما على الصلح، لكنهما أخبرا رسول علي بتأجيل الاتفاق حتى يريا علياً ويتحققا من رأيه، مع أنه ذكر قبل ذلك أن علياً بين للرسول رأيه تفصيلاً وأنه يريد الصلح. ومع ذلك كله استمر الفريقان بتعبئة الجيوش.

٣٤ ـ بينما كان الرأي الأول والأخير في المدينة للمصريين، وأنهم أصحاب النفوذ، وقد تعزز موقفهم باختيار علي للخلافة، عاد سيف ليخبرنا أن السبئيّة اجتمعوا قبل القتال، ولكن الدور البارز هنا كان للكوفيين وليس للمصريين، أما (ابن السوداء) فأصبح مستشاراً بعد أن كان قائداً في جيش علي، وسيصبح من جديد قائداً، ثم يختفي دوره فلا يظهر.

كما تبين من أسماء المجتمعين، أنهم كانوا على مستوى عال جداً من الوجاهة والمنزلة، ومن أهل القيادة في جيش علي، بل إنهم عمدة الجيش، وجلهم من الصحابة، إلا أنه مع ذلك أشار إلى أن اجتماعهم كان دون علم من علي، وبسرية تامة، وأن ابن السوداء كان هو صاحب الرأي والقرار.

٣٥ ـ زعم أن السبئيين كانوا قد حسموا أمر الخلافة لصالح علي، وأن علياً اعتذر لطلحة والزبير بأنه لا يستطيع القصاص منهم، ثم ادعى أنهم في ذي قار ما كانوا يعرفون موقفه منهم، ولم يظهر لهم ذلك الموقف إلا في قار.

٣٦ ـ اضطرب كثيراً في بيان موقف علي منهم، فتارة يتبرأ منهم ويلعنهم، وأخرى يعتمدهم قادة في جيشه، وأخرى يخشاهم، ورابعة يكون

هو صاحب القرار، فيفاوض طلحة والزبير، وأخرى ينهاهم عن القتال، ثم يكتب بالبشارة لعامله على الكوفة بالفتح والظفر، وهلم جرا، مما لا يشبه بعضه بعضاً، ولا ينسجم بعضه مع بعض.

٣٧ ـ خالف فقهاء أهل السنة الذين أفتوا بقتال البغاة، وبينوا أحكامه، واستدلوا بما فعله علي من قتل المقاتلة وغنم السلاح، ومنع الأموال والنساء، وهذا ينسف نظرية السبئيّة من أساسها، لأن هذا يعني أن أولئك الفقهاء جميعاً استدلوا بفعل السبئيّة لا فعل علي، وقد أخذوا هذا الحكم انطلاقاً مما فعله اليهود.

فاستدلالهم بفعله على قتال البغاة، يعني ثبوت قتاله لهم، فلو كان الأمر كما ادعى سيف من وجود السبئيّة، وأنهم هم الذين بدأوا القتال بعد الاتفاق على الصلح، لما صح استدلالهم، لأنهم استدلوا بالقتال، وهو لم يكن رأي علي ولا قراره، إنما كان رأيه الصلح، والذين حاربوا هم السبئيّة وليس علياً. فكيف يصح الاستدلال بأفعال ابن سبأ وحزبه على حكم شرعي يتعلق بالدماء والأموال؟

٣٨ ـ خالف إجماع أهل السنة على صحة خلافة عليّ، محتجين بالعديد من الأدلة، وأبرزها مبايعة الصحابة له، باستثناء معاوية، ونزر يسير منهم، وهذا يعد من معتقداتهم الأساسية، فهل بني هذا المعتقد على أمر باطل؟ فكيف تمّت خلافة علي عليه السلام والحال كما يصفه سيف من تحكم السبئيّة وإجبارهم الناس على البيعة؟

لكن الملاحظ هنا أيضاً أن علماء أهل السنة مع ذلك لم يتركوا أمر

(المندسين) في جيش علي من الطغاة والخوارج ومن لم يعرف بعينه أو من تنتصر له قبيلته، أو من لم تقم عليه حجة في قتل عثمان. والسر في ذلك أنهم آمنوا مسبقاً بعدالة الصحابة، فحاولوا بذلك أن يجدوا مخرجاً مناسباً يبررون فيه ما حصل بعد بيعة علي، بحيث يكون عمل الجميع صحيحاً، وبالتالي لا بد من وجود جهة ثالثة تتحمل المسؤولية فيما حصل، فقبلوا فكرة (المندسين) من جهة، ورفضوها من جهة. فأخذوا من السم بمقدار قليل جداً للعلاج، أما سيف فقد بثّ السم كله.

٣٩ ـ قول عمار لعائشة: كيف رأيت ضربت بنيك اليوم؟ وبراءة عائشة منه، يؤكد أنه نسب الضرب للمؤمنين من شيعة علي، وهي أم المؤمنين، ولم تخالفه عائشه في ذلك، ولم تقل إنه ضَربُ السبئيّة، بل أكدت قوله بالبراءة منه قائلة: لست لك بأم، وقولها لأخيها محمد: مذمم، أو عَقوق. وإلا كان الحال يقتضي الاعتذار منها أن الأمر كان خارج إرادتهم، وقبولها عذرهم، فرب ملوم لا ذنب له.

٤٠ ـ من أغرب ما يواجهك في هذه القصة، أن واضعها لم ينسب ولا مرة واحدة لأحد من الصحابة احتجاجه بوجود السبئيّة بهذا الاسم، أو تحذيره من ابن سبأ، وهذا دليل إضافي يعدّ من أوضح الأدلة على وضع هذه الأحدوثة الغريبة، فلو كان هناك رجل بهذا الاسم وهذا الدور الكبير، لتنبّه إليه ولو رجل واحد من الصحابة، وحذر الآخرين منه، أو طالب علياً به شخصياً بعد قتل عثمان.

حتى الذين رفعوا شعار الطلب بدم عثمان لم ينقل سيف بن عمر عن

أحد منهم أنه ذكر ابن سبأ أو السبئيّة، كل ما قالوا في ذلك: قتلة عثمان، وقد قتل منهم الأمويون عبد الرحمن بن عديس البلوي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وآخرين، لكنهم مع ذلك لم يطلقوا عليهم هذا الوصف، لا في روايات سيف ولا في غيرها.

ومن هنا تعرف لماذا اختلق سيف صحابياً سماه (يزيد الفقعسي)، ذلك أن جميع الصحابة في تلك الحقبة لم يذكروا شيئاً عن ابن سبأ أو ابن السوداء، ولو كان هذا حقيقةً لبادر إليه طلحة والزبير وعائشة ومعاوية وابن العاص، ولا سيما معاوية، ولملأوا الدنيا صراخاً باتهام اليهود وأتباع اليهود.

ودونك كلام سعد بن أبي وقاص ـ كما يرويه سيف نفسه ـ وهو يوبخ عمار بن ياسر، حتى وصل به التعنيف إلى اتهامه بالخروج من الإسلام عرياناً، وأنه لا عقل له، فلو كان عمار متأثراً بابن سبأ اليهودي لما سكت عنه سعد.

فلو كانت القضية برمتها حقيقية لما توقف الصحابة في كشفها على الأقل، وتحذير الناس من ابن سبأ والسبئيّة.

٤١ ـ مما يخالف العرف العربي أنك لا تجد لابن سبأ نسباً في قبائلهم، مع أنه عربي قطعاً، فاسمه عبد الله بن سبأ، وهذا اسم عربي، وينسب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فأين هي سلسلة نسبه؟ وهل يعقل أن العرب النسابة الذين اهتموا حتى بأنساب الخيل يهملون نسباً كهذا؟ بل إن العربي من شأنه وطبيعته أن لا يتعامل إلا مع من هو معروف النسب والقبيلة، وإلا ينأى بنفسه عنه، ويعده من الدرجات الدنيا.

إن من يعرف الشخصية العربية عن قرب، يدرك أنها صعبة المراس والانقياد بسهولة، فهي شخصية قبلية، لها موازينها ومعاييرها العرفية الخاصة، التي لا زالت تتمسك بها إلى يومنا هذا. فلم يكن عبد الله بن سبأ أكثر حنكة وتدبيراً وتأثيراً من رسول الله ﷺ فهذا النبي العظيم مع ما له من قدرات وملكات وتأثير في النفوس، ومع ما له من النسب الجلي الشريف، ومكانته القبلية السامية ووجاهته في الجاهلية، إلا أنه عانى الأمرّين في تطويعهم للدين الجديد، وترك خرافاتهم وعبادتهم للأصنام. ومع ذلك كله يقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾[1] .

فهل يعقل أن رجلاً مجهول النسب، ليس له عشر معشار ما للنبي ﷺ من ميمزات وخصائص، بل لا يمكن أن يقاس بوجه من الوجوه مع صحابي من صحابته، استطاع أن يقود العرب المسلمين، ويصرفهم عن دينهم الجديد بهذه السهولة؟ وهل يرضى ابن تيميّة وأتباعه أن يقال: إن ابن سبأ كان أكثر حنكة وتدبيراً وتأثيراً من النبي ﷺ؟

ولم لا نقول: إن فكرة وجود ابن سبأ ودوره في تغيير اتجاه البوصلة عند المسلمين، هي فكرة يهودية من الأساس، ألقيت في أذهان المسلمين للتشكيك في النبوة والتغطية على نجاح النبي ﷺ في ترسيخ دعائم الدين الجديد؟

٤٢ ـ إن شخصاً مثل ابن سبأ في قابليته الذهنية وقدرته على التأثير والتدبير والقيادة والتخطيط، لا بد أن يكون بمستوى أعلى من مستوى

---

(١) الحجرات: ١٤.

الأنبياء، لأن الأنبياء بعثوا لصرف الناس عن عبادة الأصنام إلى عبادة الله، ومع ذلك ما استطاعوا أن يبلغوا في حركتهم حتى النهاية القصوى، أما ابن سبأ فقد بعثه سيف لسلخ الناس عن دين التوحيد، وإرجاعهم إلى اليهودية المنسوخة. فلا شك أنه أرقى من مستوى الأنبياء طبقاً لما أراده سيف وأتباعه.

السبئية كما هي:

ثمة ملاحظة فنية على هذه (الملحمة) السيفية العجيبة، وهي أن طريقة عرض سيف لهذه القصة فنياً لم يكن موفقاً، وأي قارئ لتلك الروايات يلاحظ بوضوح أن فيها أشخاصاً حقيقيين لا شك في وجودهم، كأسماء الصحابة المعروفين والتابعين المشهورين، وبعض الحوادث المنسجمة مع القصة، بغض النظر عن وقوعها فعلاً أو عدم وقوعها، وهناك أشخاص لا علاقة لهم بالقصة، وهم رواتها، فهؤلاء لا يدخلون فيها من الناحية الفنية، مع أن الحال يقتضي أن يكون الراوي حاضراً، إلا أن سيف بن عمر بشكل أو بآخر، وظف أشخاصاً غير معروفين إطلاقاً كيزيد الفقعسي وأمثاله، أو أنهم معروفون لكن الطريق إليهم مكذوب، كسعد بن أبي وقاص.

وأما ابن سبأ أو ابن السوداء، فترى أنه شخص غريب جداً عن القصة، لا يتفاعل مع أحداثها بشكل منطقي، ولا ينسجم مع سياقها، وتلاحظ بوضوح أن الذي يُدخله في الحدث، ويقحمه إقحاماً، هو الراوي ليس إلا، وهناك فجوة كبيرة بينه وبين الحدث. صحيح أن سيفاً حاول جهده أن يجعله من شخوصها الأساسيين، إلا أنه لم يوفق في ذلك أيضاً، لسبب واحد بسيط، هو

أن القصة تخرج عن السياق الذي أراده لها، وهو وجود جهة أجنبية وعناصر خارجية تعمل في السر وتعلن خلاف ما تبطن، كان لها الدور الرئيس في الأحداث.

فمن الناحية الفنية لا يمكن الجمع بين الحدث وتحليل الحدث في آنٍ واحد، بدمج التحليل في الحدث، لأن القصة عبارة عن (سرد) لأحداث معينة، ووجود ابن سبأ هو (تفسير) للأحداث.

ومن هنا وقع سيف بين أمرين: إما أن يجعل ابن سبأ من ضمن القصة، فيذكر شواهد من الأطراف المتنازعة نفسها في الأحداث، يتضح من خلالها دور ابن سبأ بشكل واضح، فيقع في إشكال كبير، وهو عدم المبادرة من الصحابة أو الولاة لعلاج الموقف وقتل ابن سبأ وانتهاء الأحداث، فيصطدم مرة أخرى بواقع استمرار الأحداث لسنوات.

وإما أن يُخفي هذه الشخصية لتكون وراء الكواليس، تعمل في السر بعيداً عن الأنظار، وعندئذٍ يكون بينها وبين الحدث فجوة كبيرة، لكنها مع ذلك يمكن توظيفها لما يريد، وقد وظفت فعلاً، ولكن بشكل سيئ.

لذا اختارَ الأسلوب الثاني لأنه أهون الشرين.

والنتيجة: أن سياق الأحداث في روايات سيف، يظهر بوضوح أن هناك حدثين، وليس حدثاً واحداً، لا سيما إذا قارنا تلك الروايات بالكثير مما أجمع عليه أهل السير:

الحدث الأول: أن هناك حركة ثورية حدثت في السنين الأخيرة لخلافة عثمان، لها جذورها ودوافعها ومبرراتها المعقولة والشرعية، وإن اختلف

الثوار والمعارضون في النوايا والأهداف، فبينما كان بعضهم يسعى للإصلاح والعدالة الاجتماعية بالطرق الشرعية، والأدوات المشروعة، كان البعض الآخر أمثال طلحة والزبير وعمرو بن العاص وعائشة يتجهون باتجاه التغيير تحقيقاً لمصالح خاصة بهم، وعلى رأسها تنحية عثمان وحلول بعضهم محله، ولم تكن لديهم ضوابط في التعامل مع هذه القضية، وإن وصل الأمر إلى قتل عثمان.

وهذا الصنف الأخير يعد القاتل الحقيقي لعثمان، إلا أنه بعد تولية علي عليه السلام شعر أنه خسر الصفقة، وقُطع عليه الطريق، فلم يكن له بدٌّ إلا السعي لقتل الخليفة الجديد كما قتل الأول، وهكذا اشتعلت الأحداث ووصلت إلى ما وصلت إليه.

وهذا هو الأصل في القضية كلها، لكنه لا ينسجم وما آلت إليه الأحداث بعد شهادة علي عليه السلام وتولي الأمويين دفة القيادة، ولا يروق لأحد من أتباعهم كابن تيميّة ومن قبله سيف.

الثاني: أن هناك حركة ثورية أيضاً، إلا أن المحرض عليها رجل يهودي يدعى عبد الله بن سبأ، أو ابن السوداء، فهو المؤسس لكل ما حدث، وصاحب اليد العليا فيه.

ومن تتبُّع روايات سيف ظهر لك أن الصورة الثانية من القصة لا أساس لها إطلاقاً، سواء أخذنا بمنهج الجرح والتعديل، أو منهج الاستقراء والتتبع والمقارنة، وقد رأيت العشرات من التناقضات التي يكفي بعضها لرفض هذه الصورة من أساسها.

لذا لا يمكن لباحث أو محقق لديه مسكة من علم أو عقل، أن يتبنى هذه القصة السمجة والكذبة المفضوحة، ويرضى هذا الدور المزعوم. اللهم إلا أن يتخلى عن جميع المقاييس العلمية، وعندئذٍ لا أثر لما يتبناه، ولا أحد يعبأ بقوله، لأنه لا فرق بينه وبين الجاهل، وقد اختار أن يضع عقله موضع السخرية والاستهزاء.

الفصل الرابع

ابن سبأ بين الواقع والاختلاق

- *هل كان ابن سبأ موجوداً حقيقياً؟*
- *الاختلاق الفني لشخصية ابن سبأ*
- *ابن سبأ في صحائف التاريخ*
- *النسبة إلى سبأ*
- *من هو ابن سبأ؟*
- *خلاصة البحث*
- *إيهام وتلبيس*

هل كان ابن سبأ موجوداً حيقيقياً:

بعد أن تبين للقارئ اللبيب ما انطوت عليه الأسطورة أو الملحمة السبئيّة، الشبيهة بإلياذة هوميروس، أو ملحمة جلجامش، أو حكايات ألف ليلة وليلة، وأنها لا يمكن أن تقف على قدميها كحقيقة تاريخية أمام قلم التحقيق والنظر، فقد يزداد عجباً من ظاهرة أخرى تجعل من هذه الأسطورة (مهزلة) تاريخية تنعكس على التاريخ برمته فتجعله مدعاة للسخرية.

وتلك الظاهرة هي اختلاف المؤرخين ـ ممن جاء بعد سيف ـ في حيثية تلك الشخصية المزعومة بشكل لا يدع مجالاً، ولا يمنح الفرصة للجمع بين متناقضاتهم، فلو كانت تلك الشخصية حقيقية لما اختُلف فيها إلى هذا الحد، لأن الحقيقة لا تتعدد.

على أن الراوي الوحيد الأول لأخبار هذه الشخصية هو رجل واحد، اسمه سيف بن عمر.

ففيما يذكر سيف ـ وتبعه آخرون ـ أن اسمه عبد الله بن سبأ، أو ابن السوداء، اعتبرهما عبد القاهر البغدادي شخصيتين مختلفتين، وكان بينهما تنسيق وتعاون! فكيف يمكن الجمع بين هذا التعارض؟ وهل يمكن لرجل واحد أن يكون رجلين؟

وفيما ذكر سيف ـ وتبعه آخرون ـ أنه يهودي من أهل اليمن، ذكر

آخرون أنه رومي. فكيف تجمع بين الرومي واليمني؟

من جهة أخرى يذكر سيف وأتباعه أن عبد الله بن سبأ ظهر في خلافة عثمان وأسس السبئيّة بدعوته للوصية، فيما ذكر غيرهم أنه ظهر بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) فأسس تلك الفرقة المزعومة.

وفيما يذكر بعض المؤرخين أن علياً عليه السلام قتله حرقاً بالنار هو وأتباعه، لأنه كان يقول بألوهية علي، ذكر آخرون أنه نفاه للمدائن ولم يقتله، وذكر سيف وحزبه أنه كان يقول بالوصية والرجعة ولم يذكروا تأليه علي عليه السلام.

وفيما يذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن سبأ هو عبد الله بن وهب الراسبي السبئي، وهو من رؤوس الخوارج، ذكر آخرون أنهما شخصان مختلفان، فيكون لديك ثلاث شخصيات مختلفة، هم: ابن سبأ، وابن السوداء، وعبد الله بن وهب الراسبي السبئي.

أما اختلاف ابن تيميّة، وتناقضاته في تحديد هوية السبئيّة، والعلاقة بينها وبين شيعة علي فقد بينا حالها في الفصل الأول، وسوف ترى أنها في بعض جوانبها انعكاس لما في التاريخ من تهافت واختلاف واختلاق.

وهكذا تجد نفسك أمام إسفاف لا حدّ له، ومهزلة تاريخية لا ينتهي منها العجب، وهذا من أوضح الأدلة على أنه من المختلقات التي لا واقع لها، أو أنه اسم ملفق من عدة شخصيات، بعضها موجود حقيقةً، وبعضها مختلق، وهو ما نذهب إليه في بحثنا هذا، كما سيأتي.

والسر في هذا الاختلاف أن الوضاعين الذين تصدوا للأسطورة السبئيّة برمتها، لم يختلقوا شخصاً من العدم، إنما كانت لديهم مواد أولية، وهي بعض الشخصيات الحقيقية، كعبد الله بن وهب الراسبي، وعبد الله بن

عمرو بن حرب، وعبد الله بن الكواء، وغيرهم، فجمعوا بينها، وصاغوا منها شخصاً واحداً هو (عبد الله بن سبأ) أو (ابن السوداء) ثم أسندوا إليه ما يشاؤون من الأفعال والأدوار والخرافات.

فقد تجد في بعض الأخبار أن عبد الله بن سبأ المزعوم، سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسألة ما، لكنك عندما تجمع الأخبار الواردة في تلك المسألة تجد أن السائل يدور بين عبد الله بن سبأ، وعبد الله بن وهب الراسبي.

وهكذا تجد أخباراً ذات علاقة بعبد الله بن الكواء، لكن اسمه حرف إلى عبد الله بن سبأ. أو أخباراً أخرى لعبد الله بن عمرو بن حرب، تغير فيها الاسم إلى عبد الله بن سبأ.

ومن هنا أيضاً ينشأ الاختلاف في كونه موجوداً أو مختلقاً، فهو موجود من جهة، مختلق من جهة أخرى، والعلاقة بين وجوده واختلاقه هنا كالعلاقة بين العلم الشخصي والعلم الجنسي.

ولبيان ذلك بشكل أوضح نورد لك ـ عزيزي القارئ ـ هذا المثال:

في بعض قصص الأطفال وحكاياتهم، تقرأ قصة الثعلب والدجاج مثلاً، ولكنك تجد للثعلب اسماً جديداً هو (ثُعالة) فلو سألنا هنا: هل إن ثعالة هذا يصدق على واحد أو على متعدد؟ لقيل: إنه يصدق على متعدد حقيقي الوجود، فيمكنك أن تسمي كل ثعلب (ثعالة) وتنسب له ما تشاء من الحكايات والأدوار، وتكيل له ما يروق لك من التهم.

هكذا هي قصة ثعلب التاريخ عبد الله بن سبأ، ولا معنى من الأساس للخوض في كونه موجوداً أو غير موجود، فالاسم مختلق بلا شك، أما

المسمى فهو مجموعة من الشخصيات، بعضها موجود حقيقةً.

من هنا نجد أن الكثير من الباحثين وقع في هذه الإشكالية (الحقيقة والاختلاق) وأتعب نفسه كثيراً في تتبع الجزئيات والإجابة عنها، وانتهى إلى أنه مختلق، وهذا صحيح كما قلنا، من جهة عدم وجود شخصية فعلية حقيقية تحت هذا الاسم.

أو أن بعضهم الآخر فرّق بين وجوده وبين دوره، فرأى أن مجرد وجوده لا يستلزم نسبة الدور المزعوم إليه، وبالتالي يحتمل أن يكون موجوداً، إلا أن وجوده كوجود غيره من سائر الناس.

وبمعنى آخر، يرى هذا البعض، أن لدينا رجلين يحملان هذا الاسم: الأول عبد الله بن سبأ الملحمي، صاحب الكوارث والمصائب، وهذا لا وجود له. وعبد الله بن سبأ آخر، لا دور له يذكر في ذلك، وهذا يمكن أن يكون موجوداً، ويمكن أن يكون مختلقاً.

ونحن كذلك نذهب إلى اختلاقه، ولكن بطريقة فنية كما سيأتي.

وهذه الآراء على ما فيها من الوجاهة والصحة، إلا أنها تبقى معرضاً للنقاش والأخذ والرد من أنصار النظرية السبئيّة الذين يستميتون في إثبات وجوده ودوره.

والذي يحل الإشكال ـ بعد التحقيق في المسألة ـ هو ما ذكرناه، من أن واضع القصة السبئيّة اختار لبطلها اسماً لمسمى لا وجود له بالمرة، لكنه أوهم القارئ بوجوده، إذ أطلقه على مسمّيات حقيقية، كعبد الله بن وهب الراسبي وغيره، كما نسب إليه أخباراً ملفقة كثيرة.

وقد تعجب أكثر إذا عرفت أن هذا الاسم تم توظيفه في قضية أخرى،

وهي إخفاء بعض الشخصيات البارزة تحته، كما هو الحال في عمار بن ياسر، الذي نسبت الكثير من أفعاله إلى (الرمز السري) عبد الله بن سبأ. لذا تجد أن بعض الباحثين ذهب إلى أن عبد الله بن سبأ ما هو إلا عمار بن ياسر.

والبحث التالي سوف يبين لك صحة ما نذهب إليه من كون المزعوم ما هو إلا اسم كُنّي به عن شخصيات عديدة لا يمكن التصريح بأسمائها، كما هو الحال في عمار، أو أطلق على شخصيات أخرى لإثبات كونه موجوداً فعلاً.

ثم إنك أدركت السر في صحة الكثير مما ذهب إليه الباحثون، من كونه مختلقاً، أو أنه عمار بن ياسر، أو أنه قد يكون موجوداً لا دور له، لكن هذه الآراء عبارة عن أجزاء متناثرة لصورة واحدة، لا تكتمل إلا بما نذهب إليه من كونه مختلقاً بطريقة فنية تجعل الباحث يحوم حول الحقيقة فلا يصل إليها إلا بصعوبة، وقد لا يدرك إلا جزءاً منها.

الاختلاق الفني لشخصية (ابن سبأ):

المتتبع لما يتبناه التيميون والوهابيون، يدرك بوضوح ثمرة الاختلاق الفني الفريد للمزعوم ابن سبأ، الذي جعلهم يتشبثون بالمغالطات، ويستميتون في التعلق بها.

إن نقطة البدء عند هؤلاء تبدأ من الوجود أو عدم الوجود، وهذه مغالطة كما أوضحنا، إلا أنهم يلمّعونها للعوام، ويضفون عليها طابع العلم والبحث.

لاحظ مثلاً، أنهم يبدأون من وجوده المزعوم، فيحتجون ببعض الروايات هنا وهناك، تبين أنه سأل الإمام علياً مثلاً بعض الأسئلة، أو أن بعض الأئمة عليهم السلام لعن ابن سبأ، ولا يمكن أن يلعن الإمام معدوماً، أو ما إلى ذلك من الروايات.

هنا يأتي دور الاختلاق الفني لبيان الحق من الباطل، فإن الإمام لو لعن مغالياً من أهل اليمن، يكون قد لعن عبد الله بن سبأ، لأن الناس جميعاً عبيد الله، وابن سبأ يعني كونه من أهل اليمن، وهذا ينطبق على متعدد، ومنهم من يلعنه الإمام.

ولو أن عبد الله بن وهب الراسبي سأل علياً عليه السلام فهذا أيضاً عبد الله بن سبأ، لأن اسمه عبد الله حقيقةً، وهو من أهل اليمن، فهو عبد الله بن سبأ.

وعلى ذلك قس ما سواه.

إذا عرفت ذلك، أدركت الحذاقة والخبث في اختلاق هذه الشخصية، ثم السذاجة والحمق في نسبة الأدوار المختلفة إليها. فهناك فرق ـ بلا شك ـ بين وجود تلك الشخصية ودورها، فالخليفة عمر بن الخطاب موجود، ولا أحد يستطيع أن ينكره، لكن وجوده شيء، ونسبة غزو الصين إليه مثلاً شيء آخر. ولا يمكن أن نستدل بوجوده على ثبوت غزوه بلاد الصين.

وهكذا في وجود عبد الله بن سبأ المزعوم ودوره، من جهة أن اختلاقه كان اختلاقاً فنياً رائعاً يصعب على الباحث قبل الغوص في العمق أن ينكره. أما نسبة الأدوار المتعددة له، فعلى العكس من ذلك، كانت تنم عن غباء وحمق وسذاجة، كما عرفت مما مضى من البحث.

ويمكن تبسيط الأمر بعبارة أخرى فنقول: هنالك شخصية وهمية تعيش في مخيلة سيف وابن تيميّة ومن تبعهما، وهي عبد الله بن سبأ بالمواصفات والمقاسات التي أرادوها، وهناك شخصيات أخرى مبثوثة في كتب الحديث والرواية، بعنوان عبد الله بن سبأ، ومنهم عبد الله بن وهب، وعبد الله بن عمرو بن حرب، وعبد الله بن الكواء، وعمار بن ياسر وغيرهم، كل

هؤلاء يتوارون تحت الشخصية الوهمية المختلقة في أذهان الأمويين والتيميين والوهابيين، والتي جعلوا منها صنماً يعبد من دون الله.

وبالتالي نخلص إلى النتيجة التالية: ما نجده في تراث الأمويين، من كتب الحديث والتاريخ وغيرها، من اسم عبد الله بن سبأ ووجوده الفعلي شيءٌ، وما قد نجده في غير هذا التراث شيءٌ آخر مختلف تماماً.

ومن هنا تجد أن بعض الباحثين، حتى من الشيعة، ممن لم يفك اللغز المذكور، والمعادلة التي ذكرناها في الاختلاق الفني لهذه الشخصية، انطلت عليه لعبة الوضع، فتصور أن لهذا المزعوم وجوداً حقيقياً، فراح يخبط خبط عشواء.

ولا يخفى عليك ـ عزيزي القارئ ـ أن وجود المرء شيءٌ، وأفعاله وأدواره شيء آخر، فلو فرضنا جدلاً أنه موجود، فلا يتعدى ذلك إلى دوره وما فعله من مصائب نسبت إليه، إلا أنك من خلال هذا البحث سوف ترى أنه حتى في هذه الحدود، لا دليل على وجوده، بل الدليل على العدم أقوى وأقرب، غاية ما في الأمر أن اختلاقه كان بطريقة خبيثة يمكن أن يلتبس بها الحال على الكثيرين، فيعده موجوداً، لكن الموجود غيره.

ابن سبأ في صحائف التاريخ:

السؤال الملحّ، الذي يبقى قائماً في ذهن القارئ الكريم هو: من هذا (العفريت من الجن) يا مؤرخي الإسلام؟ وما هي هويته الحقيقية التي استندتم إليها، فأسندتم إليه ذلك الدور الغريب؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، نورد للقارئ الكريم أبرز ما ذكره

المؤرخون في (ترجمة) هذه الشخصية المزعومة:

١ ـ ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ) : أن علياً عليه السلام مرَّ بقوم يأكلون في شهر رمضان، فنهاهم فلم ينتهوا، وقالوا له: أنت أنت، يومون إلى ربوبيته، فقتلهم حرقاً. قال: ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها، ثم ظهر عبد الله بن سبأ ـ وكان يهودياً يتستر بالإسلام ـ **بعد وفاة أمير المؤمنين** عليه السلام وأظهرها واتّبعه قوم فسموا السبئيّة[١].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي٨: ١٢٠. وفي تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ٧٠: قال أبو محمد: ولا نعلم في أهل البدع والأهواء أحداً ادعى الربوبية لبشر غيرهم، فإن عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي فأحرق علي أصحابه بالنار.

وفي الأنساب للسمعاني٣: ٢٠٩: وعبد الله بن سبأ هو الذي قال لعلي رضي الله عنه: أنت الإله، حتى نفاه إلى المدائن.

وفي عمدة القاري للعيني٢٤: ٧٩: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم. ثم قال: وقيل: هم طائفة من الروافض تدعى السبائية، ادعوا أن علياً رضي الله تعالى عنه إله، وكان رئيسهم عبد الله بن سبأ... وكان أصله يهودياً.

والملاحظ هنا أن أكثر المصادر التاريخية لم تذكر في هذه الحادثة (عبد الله بن سبأ)، إنما ذكرت قوماً أو أناساً أو نفراً من الشيعة، أو قوماً على باب المسجد، أو قوماً من الزنادقة، أو المرتدين وهكذا، وأن علياً قتلهم، مما يعني أن نسبة هذه الحادثة لعبد الله بن سبأ، مع أنها تنسب إليه الإلحاد ـ وهو خارج عما نحن فيه ـ إلا أنها بحد ذاتها تثير الشك لأول وهلة، إما لحال رواتها من حيث عدم الوثاقة، أو من حيث الاختلاف الشديد فيها أيضاً، أو أنها لا تتناسب مع شخصية سيد الوصيين عليه السلام.

فمما تجدر الإشارة إليه هنا، أن نسبة إحراق الأحياء لعلي عليه السلام من الموضوعات والمكذوبات المنسوبة له عليه السلام كما سياتي، وربما كان ذلك لإيجاد نظير تاريخي لما فعله ⇦

ومن الطريف أن ما نسبوه لأمير المؤمنين في هذه الحادثة المزعومة من شعر مزعوم في هذه الحادثة، وهو قوله:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجَّجْتُ ناري ودعوت قنبراً

رووا أيضاً أن أمير المؤمنين عليه السلام قاله وهو في صفين.

فقد روى ابن أبي الحديد نفسه، شعراً لأمير المؤمنين نقلاً عن نصر بن مزاحم[1]، وهو قوله:

يا عجباً لقد سمعتُ منكرا كذباً على الله يشيب الشعرا

الخليفة الأول من حرق الفجاءة السلمي، ثم ندم عليه قبل موته، وهذا ما يظهر من كلمات ابن تيمية في الرد على الشيعة، وكذلك إحراق خالد بن عبد الله القسري والي الأمويين على العراق، المغيرة بن سعيد العجلي.

وعلى كل حال، فهذا الأمر ليس محل النزاع، لأنه يتعلق بمرتدين عن الإسلام يؤلهون علياً، والمدعى أن ابن سبأ إنما ادعى الوصية لعلي والرجعة، وهذه ـ بحسب الدعوى ـ بدعة، ولم يدَّعِ أحد أن علياً عليه السلام قتلهم بسبب القول بالوصية.

أضف إلى ذلك أن غاية ما يعاقب به المرتد هو القتل، فكيف حرقهم علي حرقاً؟

ومن المصادر التي ذكرت تلك الحادثة (دون ذكر ابن سبأ)، أو أنها ذكرتها مردَّدة بين عدة احتمالات: فتح الباري بشرح صحيح البخاري١٢: ٢٣٨. باب حكم المرتد والمرتدة. والتمهيد لابن عبد البر٥: ٣١٧. وشرح النهج٥: ٥. و٨: ١١٩. نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي: ١٠٤. كنز العمال للمتقي الهندي١١: ٣٠٣. طبقات المحدثين بأصبهان، أبو الشيخ الأنصاري٢: ٣٤٣. تاريخ دمشق، لابن عساكر٤٢: ٤٧٥. ميزان الاعتدال للذهبي١: ٦٢٦. تاريخ الإسلام للذهبي٣: ٦٤٣. أنساب الأشراف للبلاذري: ١٦٦.

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي١: ١٤٩، و٢: ٧٠. وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري: ٤٣، باختلاف يسير، وزيادة في عدد الأبيات. وفي فتوح ابن أعثم٣: ١٣٥: أضرمت ناري ودعوت قنبرا.

ما كان يرضى أحمدٌ لو أخبرا   أن يقرنوا وصيه والأبترا
شاني الرسول واللعين الأخزرا   إني إذا الموتُ دنا وحضرا
شمرتُ ثوبي ودعوت قنبرا   قدِّم لوائي لا تؤخر حذرا

وقد رأيت ـ عزيزي القارئ ـ ورود لفظة الوصي في هذا الأبيات على لسان علي عليه السلام وفيها من الدلالة ما لا يخفى على اللبيب.

ـ وقد وردت حادثة الإحراق في البخاري، إلا أنه لم يذكر (ابن سبأ)، إنما ذكر (الزنادقة) أو (قوماً).

قال البخاري: عن عكرمة قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه(١).

وفي بعض النصوص الأخرى في البخاري نفسه عن عكرمة أيضاً: أن علياً رضي الله عنه حرق قوماً، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه(٢).

---

(١) صحيح البخاري٨: ٥٠، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين.

(٢) صحيح البخاري٤: ٢١. باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الإسلام والنبوة...إلخ.

وإني أجزم بوضع هذه الرواية على علي عليه السلام، ولا أشك في ذلك، لأسباب عديدة:

الأول: أنها تنسب لعلي عليه السلام صراحةً مخالفة النبي صلى الله عليه وآله في حدٍّ من حدود الله، وفي أمر خطير، بل غاية في الخطورة، وهو الدماء، أو تنسب إليه الجهل بحدود الله ـ والعياذ بالله ـ وهذا طعن في علي عليه السلام بمنتهى الجرأة والقباحة.

⇦

وبناءً على ما ذُكر في رواية ابن أبي الحديد ومن سبقه أو لحقه في هذا الخصوص، وبغض النظر عن صحة ما نقلوه أو عدم صحته، فإن السبئيّة (فرقة اعتقادية)، شأنها شأن سائر الفرق والمقالات الأخرى، وكانت مقالتهم هي (الارتداد عن الدين)، وقد عالج علي عليه السلام تلك الظاهرة بحزم.

وبعبارة أخرى: إن تلك الفرقة ليس لها دور سياسي في التأليب على عثمان أو غير ذلك، وليس من عقائدها الوصية والرجعة، إنما هي فرقة كافرة ظهرت في خلافة علي، ولا علاقة لها بالشيعة ولا باليهود، وقد نص الفريقان على كفر المرتد.

أما كتب الفرق والاعتقادات والمقالات، وبعض كتب الرجال، فقد ذكرتهم في عداد الغلاة، فعلى سبيل المثال قسّم الإيجي (ت: ٧٥٦هـ)، فرق الشيعة إلى ثلاث، غلاة وزيدية وإمامية، ثم قسم الغلاة إلى ثمانية أصناف،

والثاني: أن البخاري رواها بسنده عن عكرمة، وهو كذاب خارجي منحرف عن علي عليه السلام فلا يوثق به، إذ لا يتورع عن الطعن فيه.

الثالث: أنها معارضة بروايات أخرى من كتبنا، تبين أن نصرانياً أسلم ثم تنصّر، فاستتابه علي عليه السلام ثلاثة أيام، فأخرجه اليوم الرابع، فأبى أن يعود، فأخرجه إلى رحبة المسجد فقتله. فطلب النصارى جثته بمائة ألف، فأبى علي عليه السلام ذلك وقال: **لا أكون عوناً للشيطان**، وفي بعض الروايات: **ولا ممن يبيع جثة كافر**.

الجعفريات، محمد بن محمد بن الأشعث: ١٢٧.

وفي بعض مروياتنا أنه أحرق جثث الزنادقة بعد قتلهم.

ومهما يكن من أمر، فلا قتل النصراني ثم حرقه، ولا قتل الزنادقة ـ على فرض وقوعه ـ فيه دليل على وجود عبد الله بن سبأ.

أحدها السبائية، التي قالت لعلي: أنت الإله حقاً[١].

وقد مر في الفصل الأول أن ابن تيميّة جعل ابن سبأ في السبابية مرة، وفي الغلاة والسبابية مرة أخرى، وكلاهما من الروافض على حد تعبيره.

وقال المزي (ت: ٧٤٢هـ) في ترجمة عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب: عن الزهري قال: **وكان عبد الله يتبع أحاديث السبئيّة، وهم صنف من الروافض**[٢].

هذه نماذج يسيرة من تلك المصادر، التي تشترك في كون السبئيّة (فرقة مرتدة عن الإسلام)، قالت بإلهية علي بن أبي طالب، ولم تزد على ذلك شيئاً مما ذكره سيف، من قولهم بالوصية والرجعة، ودورهم في قتل عثمان وغيره.

ولا يخفى عليك ما في التجني على الأمانة والدقة في التصنيف، حيث عدوا هؤلاء من الشيعة مع أنهم مرتدون، كما عدوا النواصب من أهل السنة، وحكمهم وحكم الغلاة واحد.

وخلاصة ما في رواية ابن أبي الحديد: أن هناك جماعة ظهرت قبل سنة من استشهاد علي عليه السلام وقالت بإلهيته، فأحرقهم بالنار، ثم ظهر بعد استشهاده رجل آخر يدعى عبد الله بن سبأ، فقال بتلك المقالة. أي أن ابن سبأ لم يظهر إلا بعد وفاة علي، ولم يكن في زمانه، فضلاً عن زمان عثمان.

٢ ـ ذكر ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) في تاريخه، عن جابر بن عبد الله قال: لما بويع علي خطب الناس، فقام إليه عبد الله بن سبأ... فقال: أنت الملك،

---

(١) المواقف، الإيجي٣: ٦٧١.

(٢) تهذيب الكمال، للمزي١٦: ٨٧.

فقال: اتق الله، فقال: أنت خلقت الخلق، وبسطت الرزق، فأمر بقتله، فاجتمعت (الرافضة) فقالت: دعه وانفه إلى ساباط المدائن، فإنك إن قتلته بالمدينة خرجت أصحابه علينا وشيعته، فنفاه إلى ساباط المدائن، فثم القرامطة والرافضة[1].

ويستمر مسلسل الرواية فيذكر أن أحد عشر شخصاً من السبئيّة قاموا لعلي وقالوا بإلهيته، فأحرقهم بالنار، وقبرهم في (صحراء) سميت صحراء أحد عشر.

ثم ذكر ابن عساكر أن أبا بكر أخرج الفجاءة السلمي أيضاً إلى (صحراء) وأحرقه بالنار قبل علي.

وهذه الرواية من وضع الوضاعين بعد القرن الثالث بسنين (وربما بمئات السنين) فقد ورد فيها لفظ (القرامطة) وهذا الاصطلاح لم يعرف في التاريخ الإسلامي إلا في القرن الثالث، وقد توفي قرمط سنة ٢٩٣هـ. أما اصطلاح (الرافضة) فقد ادَّعوا أنه ظهر أيام زيد بن علي بن الحسين، وهو ما يتبناه ابن تيميّة وأتباعه خصوصاً، وقد كانت ثورة زيد أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ.

كما أن الرواية تفرق بين الرافضة والسبئيّة، وتصرح أن الرافضة منعوا علياً من التصدي لابن سبأ، فمن هم الرافضة؟ ومن هم السبئيّة يا ترى؟ ومن هو مؤسس الرافضة؟ ومتى تأسست الرافضة؟ وهل كانت في أيام زيد بن علي أو في أيام جده علي بن أبي طالب؟

---

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر٢٩: ١٠.

كما تنص الرواية أن علياً عليه السلام أخذ بمشورة (الرافضة) وقبل شفاعتهم، مما يعني أن لهم منزلةً وقدراً عنده، وكانوا من أصحابه ومقربيه وشيعته، وكان فيهم الكثير من الصحابة كما هو معلوم من أصحاب علي عليه السلام. كما أنها تبين أن الرافضة وُجدوا قبل ثورة زيد بن علي، وكانوا في أيام علي، وقد رفضوا خلافة أبي بكر، ولم يكن آنذاك إلا الصحابة، وهؤلاء هم أسلاف الشيعة وليس ابن سبأ.

وبهذا يبطل ما بُنيت عليه تلك النظرية من كون ابن سبأ مؤسساً للشيعة.

٣ ـ قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) في ميزان الاعتدال، وتابعه ابن حجر في لسان الميزان: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أحسب أن علياً حرقه بالنار[١].

قال ابن حجر، بعد أن ذكر روايات سيف في أصله اليهودي: وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ[٢]، وليست له رواية والحمد لله، وله أتباع يقال لهم (السبائية)، معتقدون إلهية علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[٣].

ولم يذكر الذهبي ولا ابن حجر هنا دوره في الفتنة، ولا أصله اليهودي اليماني، ولا أمه السوداء، ولا غير ذلك مما ادعاه سيف، ونقله عنه الطبري.

---

(١) ميزان الاعتدال، للذهبي٢: ٤٢٦. لسان الميزان، لابن حجر٣: ٢٨٩.

(٢) وشهرتها من طريق سيف وأتباعه ومن أخذ عنه. أضف إلى ذلك أن أتباع ابن سبأ طبقاً لهذه الإفادات، يقولون بإلهية علي، وليس بوصية النبي له، ولا بالرجعة كما ذكر سيف.

(٣) لسان الميزان لابن حجر٣: ٢٨٩.

وقد مر سلفاً ما في روايات الإحراق من التجني الكبير على علي ﷺ.

فهو إذن من غلاة الزنادقة، كان يقول بإلهية علي لا بوصيته، وأن علياً إما أحرقه بالنار أو نفاه للمدائن، وليس له دور سياسي يذكر في أحداث الفتنة، كما أنه ظاهر جليّ لا يعمل في الخفاء والسر، كما هو الحال عند سيف.

٤ ـ قال ابن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ) في المعارف: السبئيّة من الرافضة، يُنسبون إلى عبد الله بن سبأ، وكان أول من كفر من الرافضة، وقال علي رب العالمين، فأحرقه علي وأصحابه بالنار[1].

فهو هنا كافر، وإن كان قبل ذلك من الرافضة، وكان مصيره أن أحرق بالنار حتماً كما تنص الرواية، ولم يذكر ابن قتيبة أنه قال بالوصية والرجعة، أو شارك في الفتنة كما ادعى سيف.

٥ ـ قال ابن حزم (ت : ٤٥٦هـ): والقسم الثاني من فرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل، فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحِمْيَري لعنه الله[2].

---

(١) المعارف، لابن قتيبة: ٦٢٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم٥: ٤٦. ونسبته إلى حمير لا تخلو من نكتة لطيفة، وهي تأكيد يهوديته، لأن نسبته إلى اليمن لا تكفي في ذلك، فعمدوا إلى إضافة الحميري.

قال ابن قتيبة في المعارف: وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة. المعارف: ٦٢١.

ومن هنا تعرف حذاقة ومهارة الوضاعين في إخفاء ما يريدون بحيث لا يظهر للعيان إلا بصعوبة، وربما لا يظهر أبداً. ولا أتهم هنا ابن حزم، إنما أحتمل أنه جعل من النتيجة مقدمة، وأضاف لها مقدمة أخرى، فهو يحمل في ذهنه أنه يهودي، واليهود في حمير، فهو إذن حميري.

فعبد الله بن سبأ هنا (حِمْيَري)، ولم يكن يقول بالوصية لعلي، إنما بإلهيته. كما ذكر أصله اليهودي في أكثر من موضع من كتابيه، الفصل، والملل والنحل.

ولا ندري من أين جاء ابن حزم بنسبته إلى حِمْيَر، صحيح أن حمير هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لكن سلالة سبأ لم تتفرع من حمير فحسب، إنما كان له أولاد كثيرون، قيل إنهم عشرة، وقد تفرقوا في البلدان، وقد قيل في المثل العربي: تفرقوا أيدي سبأ، أو أيادي سبأ، أي كتفرق أولاد سبأ. ومن أولاد سبأ: زيدان وكهلان وحمير (أو العرنجج) وصيفي وعمرو وغيرهم.

فنسبته إلى حمير تفرّد بها ابن حزم، ولا أعرف أحداً نسبه إليها غيره.

٦ ـ ذكر ابن كثير (ت : ٧٧٤هـ) في البداية والنهاية، نقلاً عن سيف، أن أصل ابن السوداء من الروم! ، فقال: وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً، ومعهم ابن السوداء، وكان أصله رومياً، فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية قبحه الله[1].

فهو إذن ليس عربياً، ولا يمانياً، وربما لم يكن يهودياً، لأن الروم من النصارى في الأعم الأغلب. كما أنه لم يذكر هنا بِدَعَهُ القولية أو الفعلية.

٧ ـ أما عبد القاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) في الفرق بين الفرق، فقد عدّه

(١) البداية والنهاية، لابن كثير١٠ : ٢٧٨. وقد تم تعديلها عند الطبع فحرّفت إلى (ذمياً) فيما أكّد المحققون، ومنهم عبد الله بن عبد المحسن التركي، محقق الكتاب، أنها في بعض النسخ الخطية (رومياً) ومنها النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية.

اثنين، وكذلك ابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٧هـ) في العقد الفريد، وطاهر بن محمد الاسفراييني[1] (ت: ٤٤١) في التبصير. وقدّمنا كلام البغدادي أولاً باعتبار تخصصه في الفرق والمقالات:

قال البغدادي: وقد ذكر الشعبي أن (عبد الله بن السوداء) كان يعين السبئيّة[2] على قولها، وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة، فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً، وأن علياً وصي محمد، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمداً خير الأنبياء.

فلما سمع ذلك منه (شيعه علي) قالوا لعلي: إنه من محبيك، فرفع عليٌّ قدره، وأجلسه تحت درجة منبره، ثم بلغه عنه غلوه فيه، فهمّ بقتله، فنهاه ابنُ عباس عن ذلك، وقال له: إن قتلته اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مداراة أصحابك.

فلما خشي من قتله، ومن قتل (ابن سبأ) الفتنة التى خافها ابن عباس، نفاهما إلى المدائن (فافتتن بهما الرعاع) بعد قتل علي رضي الله عنه.

وقال لهم ابن السوداء: والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض

---

(١) قال عنه الذهبي بعد أن عرّفه باسم شاهفور: العلامة المفتي، أبو المظفر، طاهر بن محمد الاسفراييني، ثم الطوسي الشافعي، صاحب التفسير الكبير، كان أحد الأعلام... توفي بطوس سنة إحدى وأربعين وأربعمئة. سير الأعلام١٨: ٤٠١.

وفي معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: من تصانيفه التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين. معجم المؤلفين٤: ٣١٠.

(٢) في بعض الطبعات (السبّابية).

إحداهما عسلاً والأخرى سمناً، ويغترف منهما شيعته.

وأضاف البغدادي: وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن ا لسوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده، لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام، **فانتسب إلى الرافضة السبئيّة**[1].

فقد ذكر البغدادي هنا أن (عبد الله بن السوداء) ـ وليس (ابن سبأ) ـ هو الذي قال بالوصية، فتبعه عبد الله بن سبأ، ثم نفاهما عليٌّ إلى المدائن.

وهنا ينقلنا البغدادي إلى موضع أكثر تعقيداً، حيث يرى أن المنفيَّين للمدائن اثنان، أحدهما (عبد الله بن السوداء)، والآخر (ابن سبأ)، وأن الأول هو أصل القول بالوصية، وليس عبد الله بن سبأ. وأن هناك فرقة قبل ابن السوداء كانت تسمى السبّابيّة (أو السبئيّة)، فصار يعينها على قولها. وأن مصطلح (شيعة علي) كان قبل ابن السوداء وقبل ابن سبأ، وهو بعض ما ذكره ابن تيميّة في أقواله المتضاربة.

ولا يخفى على القارئ أن هذا التفريق بين الشخصيتين، نسبه البغدادي إلى (المحققين من أهل السنة).

ولا أدري كيف يخشى عليٌّ الفتنة من قتل رجل مرتد، وقد خاض غمرات الحروب في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين؟ فلو كان علي يداهن وفق المصالح والمفاسد الدنيوية لكانت مداهنته لمعاوية وسكوته عنه أولى.

---

(١) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي: ٢٠٦.

ولا يخفى على الناقد اللبيب أن هذه الرواية عن الشعبي، وهو معروف بالنصب لعلي عليه السلام والانحراف عنه، إن صح عنه هذا النقل.

والطريف أن ذيل الرواية يصرح بوقوع الفتنة بعبد الله بن السوداء، وعبد الله بن سبأ، قال البغدادي: **(فافتتن بهما الرعاع)** أي في المدائن. وكان قبل ذلك قال: فلما خشي من قتله، ومن قتل (ابن سبأ) الفتنة التى خافها ابن عباس، نفاهما إلى المدائن.

ومعنى ذلك أن علياً عليه السلام خشي وقوع الفتنة، فوقع في فتنة أخرى، وهو بذلك لم يكن يمتلك أدنى مسكة من الحكمة والعلم، أضف إلى ذلك تساهله في الحدود، وهو ما تريد أن تصل إليه النظرية السبئيّة في اختراعها لابن سبأ.

ـ وكما فصل بينهما البغدادي، فرّق بينهما من قبله ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد، وذكر اسماً جديداً هو (ابن سباب) حيث أورد كلام الشعبي في ذم (الرافضة) قال: وقد أحرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن سباب نفاه إلى الجازر[1].

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي٢: ٢٤٩. وقد مر في الفصل الأول، أن المنفي إلى الجازر (أو جازر) هو عبد الله بن سبأ، وليس ابن سباب، وهكذا تختلط الأقوال وتتعدد الأسماء.

وجازر: قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد، قرب المدائن. والجازر أيضاً من قبليات حلب من قرى السهول. معجم البلدان، ياقوت الحموي٢: ٩٤.

ـ أما الاسفراييني في التبصير، فقد استعرض في الباب الثالث عشر فرق أهل البدع، الذين لا يعدون في زمرة المسلمين، ولا يكونون من جملة الاثنين والسبعين، فقال:

الفرقة الأولى منهم: السبئيّة، أتباع عبد الله بن سبأ، وقد ذكرنا من مقالتهم طرفاً، ونزيدها شرحاً وبياناً: وذلك أنه كان من غلاة الروافض، وكان يقول في أول أمره: إنّ علياً كان نبياً، ثم زاد على ذلك فقال: كان إلهاً. وكان يقول: هو الإله في الحقيقة، **وكان يدعو الخلق إلى مقالته، فأجابته جماعة إليها في وقت علي (كرم الله وجهه)**، فلما رفع خبره إلى علي أمر بحفر حفرتين وكان يحرقهم فيهما... **ولما أحرقهم علي رضي الله عنه، نفى عبد الله بن سبأ إلى ساباط المداين.**

فلما قتل علي، قال عبد الله بن سبأ: إن علياً حي لم يقتل ولم يمت، وإنما الذي قُتل شيطان تصور بصورته، وتوهمت الناس أنه قتل، كما توهم اليهود والنصارى أن المسيح قتل. قال: وهذا التوهم منهم خطأ، وهذا القول منهم كذب، بل هو في السماء وعن قريب ينزل وينتقم من أعدائه.

ثم قال: **ووافق ابنُ السوداء عبدَ الله بن سبأ بعد وفاة علي في مقالته هذه، وكانا يدعوان الخلق إلى ضلالتهما، ويقولان: إذا نزل من السماء تفتح له عينان في مسجد الكوفة، إحداهما من العسل والأخرى من السمن، وشيعته يأكلون منهما.**

وأضاف الاسفراييني: **واعلم أن (ابن السوداء) كان رجلاً يهودياً، وكان قد تستر بالإسلام، أراد أن يفسد الدين على المسلمين فتعلق**

بهؤلاء ووافقهم فيما كانوا فيه لهذا الغرض الفاسد[(١)].

وبناء على هذا فإن (عبد الله بن سبأ) و (ابن السوداء) اسمان لرجلين مختلفين، وليسا لرجل واحد كما زعم غيرهم، ومنهم سيف بن عمر ومن تبعه. وكان بين الرجلين تنسيق وتعاون.

واللغز الذي لا يمكن حله عند الاسفراييني وأمثاله، أن علياً يحرق أتباع ابن سبأ بالنار، وينفيه إلى المدائن، فيترك رأس الشر والفتنة، فإن كان أتباعه يستحقون الإحراق فكيف لا يستحق هو ذلك؟ وإن كان علي يخشى أتباعه فقد أحرقهم، ولم يعد له أنصار.

٨ ـ ذكر الكثير من الرواة أن عبد الله بن سبأ هو: **عبد الله بن وهب الراسبي رأس الخوارج**، فيما عدهما آخرون اثنين وليسا واحداً:

قال البلاذري (ت: ٢٧٩هـ) في الأنساب: وأما حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحبة بن جوين البجلي ثم العرني، وعبد الله بن وهب الهمداني ـ وهو ابن سبأ ـ فإنهم أتوا علياً عليه السلام فسألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما... وكتب كتاباً يقرأ على شيعته ... وكان عند ابن سبأ منه نسخة حرفها[(٢)].

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين، محمد بن طاهر الاسفراييني: ١٢٣. تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى: ١٩٨٣م.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٨٢. وهذه الرواية عينها في الغارات للثقفي، إلا أنه ذكر عبد الله بن سبأ، مما يعني عند الجمع بينهما أن عبد الله بن وهب الهمداني هو عينه عبد الله بن سبأ.

وقول الراوي: وهو ابن سبأ يسمى في عرف أهل الحديث (المُدرَج) وهو أن يزاد في متن الحديث لفظة من كلام الراوي، وهي ليست من أصل المتن.

وقد رويت هذه الرواية بطرق أخرى ذكر فيها عبد الله بن وهب الراسبي دون ابن سبأ أو ابن السوداء.

ففي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: فقام حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وعبد الله بن وهب الراسبي، فدخلوا على علي، فسألوه عن أبي بكر وعمر...إلخ(١).

وممن قرن بين ابن سبأ وابن وهب الراسبي، وعدهما واحداً، سعد بن عبد الله الأشعري في المقالات والفرق(٢)، عند ذكر السبئيّة، حيث قال: وهذه الفرقة تسمى السبئيّة، أصحاب عبد الله بن سبأ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني(٣).

وهناك العديد من المصادر التاريخية التي أسمت **عبدَ الله بن وهب الراسبي** رأس الخوارج، عبد الله بن وهب السبئي أو السبائي(٤) نسبة إلى جده سبأ، وهو أصل العرب اليمانية جميعاً، فيقال لكل يمني سَبئي أو سَبائي.

---

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة١: ١٣٣.

(٢) المقالات والفرق، للأشعري القمي: ٢٠.

(٣) عبد الله بن وهب، من بني راسب بن جدعان بن مالك الأزدي، قبيلة معروفة، كان رأس الخوارج في النهروان وقتل فيها. وأخباره في الفتوحات وما بعدها كثيرة. راجع في ترجمته: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر٥: ٧٨.

(٤) ومنها: الأنساب، للسمعاني٣: ٢٠٩، تاريخ بغداد٨: ٤٩٠، تاريخ الإسلام للذهبي٣: ٥٨٨. تاريخ ابن عساكر١٨: ٤٤٤. وغيرها.

والجدير بالذكر أن عبد الله بن وهب السبئي هذا، كان رأس الخوارج، وله نسب معروف ومثبت في كتب التراجم والأنساب. وهو من الشخصيات الحقيقية من بين ما ذكره المؤرخون من أسماء متعددة لابن سبأ، مما يرجح أن يكون هو عبد الله بن سبأ ليس غير، لكن أذهان القصاصين نسجت من خيالها الخصب قصصاً وحكايات حوله، فجعلت منه شخصية أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة.

٩ـ ومن الأسماء الأخرى التي عثرنا عليها لابن سبأ المزعوم: (ابن حرب) وهو ما أفاده الجاحظ في البيان والتبيين.

قال الجاحظ: قال حباب بن موسى، عن مجالد عن الشعبي عن جرير بن قيس[1] قال: قدمت المدائن بعدما ضُرب عليٌّ بنُ أبي طالب كرم الله وجهه، فلقيني ابن السوداء ـ وهو ابن حرب[2] ـ فقال لي ما الخبر؟ فقلت: ضرب أمير المؤمنين ضربةً يموت الرجل من أيسر، ويعيش من أشد منها. قال: لو جئتمونا بدماغه في مئة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه[3].

وفي رواية البلاذري: عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي عن

---

(١) هذا وهم من الناسخ أو من المصنف، والصحيح أنه زحر بن قيس، أحد قتلة الحسين عليه السلام أما جرير الذي يروي عنه الشعبي فهو جرير بن عبد الله البجلي، أو جرير بن معدان، المعروف بالجفشيش الكندي.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، قيل: إنه رأس الحربية منة الغلاة، وكانوا يرون أنه إله.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ: ٤٢٩. دار صعب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.

زحر بن قيس قال: لما قتل علي أتيت المدائن فلقيني (رجل) فسألني عن الخبر فأعلمته بمقتل علي فقال: لو جئتنا بدماغه في صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه(١).

وفي سندها مجالد بن سعيد (ت ١٤٤هـ)، وهو من طبقة سيف وأمثاله، ضعفه ابن معين، والإمام أحمد بن حنبل وابن عدي، وغيرهم.

وفيها الشعبي، وهو ناصبي منحرف عن علي عليه السلام، إلا أننا مع ذلك لا نسلّم بصدورها عنه، ولو صح عنه، فهو عن زحر بن قيس.

ويكفي في زحر بن قيس هذا أنه من أبرز الخارجين لحرب الحسين عليه السلام والمشاركين في قتله، وهو الذي حمل رأسه ورؤوس أصحابه، وعياله إلى الشام، وبشّر يزيد بقتله وأصحابه، وخطب أمامه خطبة ذميمة، وكان يرجو نواله. وكان قبل ذلك من أشد الناس على شيعة علي في الكوفة، ثم حارب المختار، وصحب الحجاج الثقفي بعدها وأخلص له(٢).

أضف إلى ذلك أن الرواية المذكورة ـ على فرض صحتها ـ لم يرد فيها ذكر ابن سبأ، إنما ذكرت ابن السوداء (وهو ابن حرب) أو (رجل) أو (عبد الله بن وهب السبائي)، وقد علمت أن الربط بين ابن السوداء وابن سبأ كان من سيف بن عمر ليس غير. وأما الرجل فلا ندري من هو.

---

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري: ٥٠٢.

(٢) إلا أنهم وثقوه واعتبروه من كبار التابعين، كما وثقوا عمران بن حطان الخارجي، وحريز بن عثمان الذي كان يسب أمير المؤمنين عليه السلام ويشتمه في كل يوم، وغير هؤلاء من النواصب أو المحاربين لأمير المؤمنين عليه السلام.

وأورد الخطيب البغدادي هذه الرواية بسنده عن مجالد عن الشعبي عن زحر بن قيس، مع اختلاف يسير في المضمون، إلا أنه ذكر **عبد الله بن وهب السبائي**، بدلاً من (ابن السوداء) أو (ابن حرب) قال: فقال عبد الله بن وهب السبائي، ورفع يديه إلى السماء: الله أكبر، الله أكبر...إلخ[1].

ولهذا البحث محل آخر لسنا بصدده الآن، إلا أن أصحاب المقالات ذكروا فرقة أخرى تسمى (الحربية) **تنسب لعبد الله بن عمرو بن حرب،** فإن كان هذا هو (ابن السوداء)، فلا صلة له بعبد الله بن سبأ الذي ذكره سيف، وإذا ضممنا إليه كلام عبد القاهر البغدادي: (إن عبد الله بن السوداء كان يعين السبئيّة على قولها، وكان أصله من يهود الحيرة) يصبح الفرق واضحاً بين الرجلين، فلا يكون (ابن السوداء) هو عينه (ابن سبأ) كما ترى، سيما أنه قال: من يهود الحيرة.

ومن هنا تعرف سقامة الاستدلال الذي يعتمده أتباع ابن تيميّة في حشدهم تلك الروايات دون تمحيص ولا تحقيق، انطلاقاً من (عقدة) سيف التي زرعها في نفوسهم، فضلاً عن أن هذه الروايات جميعاً لا تتطرق لدور عبد الله بن سبأ (الملحمي) بطل روايات سيف وقصصه.

كما ذكروا رواية موضوعة أخرى عن الشعبي، أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وهي: أحذركم الأهواء المضلة، وشرها (الرافضة)، أحرقهم علي بالنار، ونفاهم من البلدان، نفى عبد الله بن سبأ إلى ساباط، ونفى غيره،

---

(١) تاريخ بغداد، لخطيب البغدادي٨: ٤٩٠.

ومحنة (الرافضة) محنة اليهود... إلخ[١].

إلا أن ابن تيميّة اعتمد هذه الرواية في منهاجه، وناقشها وأثبت (صحتها) بقوله: فهذا الأثر قد روي عن **عبد الرحمن بن مالك بن مغْوَل** من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضاً، وبعضها يزيد على بعض... ثم قال: وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى[٢].

ثم عقّب عليها بعد ذلك بأن لفظ (الرافضة) لم يكن في زمن الشعبي، لأنه توفي في حدود ١٠٥هـ وهذا اللفظ ظهر سنة ١٢٢هـ

فهي إذن موضوعة مكذوبة على الشعبي نفسه، وهو حاصل كلام ابن تيميّة، إلا أنه مع ذلك يحتج بها، فهي في مقاييسه (موضوعةٌ مكذوبةٌ صحيحة).

ثم أين ابن تيميّة عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول الكذاب الوضاع، الذي لا يقل كذباً عن سيف، وهو يعرفه قبل غيره؟

فمما رواه هذا الكذاب (المعاصر لسيف بن عمر) عن الشعبي أيضاً أنه قال: ائتني (بزيدي) صغير أخرج لك منه (رافضياً) كبيراً، وائتني (برافضي) صغير أخرج لك منه زنديقاً كبيراً[٣].

---

(١) الموضوعات، لابن الجوزي١: ٣٣٨. وأخذها ابن تيمية في منهاج السنة مع بعض الزيادات والاختلاف.

(٢) منهاج السنة١: ٣٤.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي٢: ٥٨٤. وقال حاول الذهبي (تخفيف) كذبة الرجل فقال: ورواه غير الساجي عن ابن المثنى وفيه بدل زيدي (شيعي) وهذا أشبه، لأن الزيدية إنما وجدوا بعد الشعبي بمدة. ولم يلتفت الذهبي إلى أن الرافضة أيضاً وجدت بعد الشعبي بمدة كما يدّعون.

فهل كانت الزيدية والرافضة أيام الشعبي؟.

١٠ ــ من الروايات الأخرى التي استدلوا بها على وجود ابن سبأ دون تحديد مصداقه الفعلي، ما يلي:

الرواية الأولى: ما ورد في تاريخ ابن عساكر (٥٧١هـ) عن عمار الدهني، أنه قال: رأيت المسيب بن نجبة أتى به مُلَبِّبَهُ[١] ـ يعني ابن السوداء ـ وعلي على المنبر فقال علي ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله[٢].

وهذه الرواية ـ على فرض صحتها ـ ليس فيها أي ذكر لعبد الله بن سبأ، وما فيها من ذكر ابن السوداء لا يصح الاستدلال به من ثلاث جهات:

١ ــ إن عبارة (ابن السوداء) من المُدَرج، وليست من أصل الخبر، فلا ندري من هو الراوي الذي أورد هذا التعبير في ثنايا الحديث: (يعني ابن السوداء).

٢ ــ أن الربط بين ابن سبأ وابن السوداء لا طريق له سوى سيف بن عمر، ولا صلة بينهما غير تلك.

٣ ــ أن ابن عساكر جاء بعد سيف بقرون، وقد أخذ الكثير من أخباره، وهو ما يؤكد القول: إن من جاء بعد سيف أخذ هذه الأحدوثة عنه.

الرواية الثانية: وهي في تاريخ ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) ولسان الميزان لابن حجر (٨٥٢ هـ) عن عمرو بن مرزوق عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن

(١) ملببه: آخذ بتلابيبه، وهي جمع التلبيب: موضع النحر من ثياب الرجل، يقال: أخذ بتلابيبه، أي جمع ثيابه عند نحره، وقبض عليه يجره.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٩: ٧.

زيد بن وهب قال: قال علي رضي الله عنه ما لي ولهذا الخبيث الأسود ـ يعني عبد الله بن سبأ ـ وكان يقع في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[١].

كما أنها رويت بطريق آخر. والقول فيها كما في سابقتها، إلا أننا نضيف لذلك: أن النسبة لعبد الله بن سبأ هنا أنه يسب أبا بكر وعمر، لا أنه يغالي في علي أو يقول بوصيته ورجعته وغير ذلك مما ادعاه سيف، وهو أكبر من سب أبي بكر وعمر.

الرواية الثالثة: ذكرها خيثمة بن سليمان الطرابلسي (ت: ٣٤٣)، والخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) كما أوردها المتقي الهندي (ت: ٩٧٥) في كنز العمال، عن سويد بن غفلة، أنه دخل على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في إمارته، فقال: يا أمير المؤمنين، **إني مررت بقوم يذكرون أبا بكر وعمر** بغير الذي هما له أهلٌ من الإسلام، لأنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ذلك، وإنهم لم يجترئوا على ذلك إلا وهم يرون أن ذلك موافق لك...إلخ[٢].

وهذه الرواية لم تذكر عبد الله بن سبأ، ولم تذكر وصيةً ولا رجعة ولا شيئاً مما ادعاه سيف بن عمر أيضاً، إلا أنها وردت في مصادر أخرى متأخرة عنهما، وقد أقحم فيها الراوي عبد الله بن سبأ، وأدرجه فيها إدراجاً.

ففي لسان الميزان لابن حجر (ت: ٨٢٥)، أضيفت للرواية بعد قوله: (تضمر لهما مثل ذلك)، هذه العبارة : «منهم عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله

---

(١) تاريخ ابن عساكر٢٩ : ٧. لسان الميزان، لابن حجر٣: ٢٨٩. كنز العمال، المتقي الهندي١٣: ٢٢.

(٢) حديث خيثمة: ١٢٢. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ٤١٤.

أول من أظهر ذلك»[١]. ولا يخفى على القارئ اللبيب أن محل الإدراج لم يكن موفقاً ولا منسجماً مع العبارة المدرجة.

كما أضيف إليها قول علي عليه السلام: ما لي ولهذا الخبيث الأسود، أو ما لي ولهذا الحمِّيت الأسود.

وبهذا ترى أن قدامى المحدثين، الذين ذكروا هذه الرواية، لم يذكروا فيها ابن سبأ، ولا حتى الحميت الأسود.

ومن الطريف هنا أن تعرف ـ عزيزي القارئ ـ أن لقب (الحمّيت الأسود) اختص به أبو سفيان، صخر بن حرب، أبو معاوية (المفترض)، وقد لقبته به زوجته هند عندما أخبرها بدخول النبي صلى الله عليه وآله مكة، وموافقته على التسليم، حيث قالت: اقتلوا الحميت الأسود[٢]. أي: اقتلوا أبا سفيان.

والحميت: وعاء من الجلد يوضع فيه السمن.

ولعل الرواية عن علي: ما لي ولابن الحميت الأسود، أي معاوية بن أبي سفيان، والله العالم.

الرواية الرابعة: رواها ابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ) في السنة، وأبو يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧) في مسنده، وابن عساكر (ت: ٥٧١) عن أبي الجُلاس أنه قال: سمعت علياً يقول لعبد الله السبائي (الشيباني): ويلك، ما أفضى إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء كتمته أحداً من الناس، ولقد سمعته

---

(١) لسان الميزان لابن حجر٣: ٢٩٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة (حمت)، وفي بعض المصادر: الحميت الدسم الأحمش.

يقول: إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً، وإنك أحدهم[1].

فلم يرد فيها عبد الله بن سبأ، إنما وردت النسبة إلى سبأ، وهي اليمن، كما هو الحال في نسبة العديد من الرواة إليها.

وفي لفظ ابن عساكر (الشيباني) وليس السبائي. وعلى كل حال، لم يرد فيها ما يدل على وجوده أو عقائده.

إلا أن هذه الرواية حرفت في عصور متأخرة، وأضيف إليها (عبد الله بن سبأ). والغريب أن ابن حجر نقل رواية أبي يعلى ذاتها فأضاف إليها.

قال ابن حجر في لسان الميزان: وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده... عن أبي الجلاس: سمعت علياً يقول لعبد الله بن سبأ... إلخ[2].

وبهذا يتضح أن قدامى المحدثين لم يذكروا عبد الله بن سبأ، إنما أضيفت هذه الزيادات فيما بعد.

ولعل عبد الله السبئي هذا هو عبد الله بن الكواء اليشكري، أحد رؤوس الخوارج، وله مع أمير المؤمنين عليه السلام أخبار كثيرة، وكان كثيراً ما يطرح أسئلة فيها الكثير من الشبهات.

وقد نص العلماء على ضعف الرواية بأبي الجُلاس. قال ابن أبي عاصم في ذيل الخبر المذكور: إسناده ضعيف، أبو الجلاس كوفي مجهول.

---

(١) السنة، لابن أبي عاصم٢: ٦٧٤. قال محقق الكتاب: إسناده ضعيف، أبو الجلاس مجهول، وهارون بن صالح مثله أيضاً.

راجع أيضاً: مسند أبي يعلى الموصلي١: ٣٥٠. تاريخ ابن عساكر٢٩: ٩.

(٢) لسان الميزان، لابن حجر٣: ٢٩٠.

الرواية الخامسة: وهي عن مجالد، عن الشعبي: أول من كذب عبد الله بن سبأ[١].

وهي لا تستحق المناقشة أصلاً، إذ لا يصح عقلاً ولا نقلاً أن يكون أول الكذابين في التاريخ.

وليس المحل هنا في نقد الروايات المذكورة وبيان ما فيها من ضعف، إنما إيراد نماذج من اختلافهم الكبير وتناقضهم في هذه الشخصية.

النسبة إلى سبأ:

لعل بعض الباحثين التبس عليه الأمر، أو أنه قصد ذلك لحاجة في نفس يعقوب، فراح يبحث عن كل (سبأ) في الدنيا ليجعل منه عبد الله بن سبأ، ومن كل (سبئيّة) نسبةً إليه، ولو كان الأمر كذلك لكان الكثير من رواة أهل السنة من أتباع عبد الله بن سبأ، لمجرد نسبتهم هذه.

وحقيقة الأمر أن النسبة إلى (سبأ) كانت أسبق من ظهور الإسلام بقرون، ذلك أن «سبأ» كانت دولة معروفة في اليمن، تنتسب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِيْنٍ. إِنِّيْ وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيْمٌ﴾[٢].

وقال عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِيْ مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ﴾[٣].

---

(١) تاريخ ابن عساكر٢٩: ٧. لسان الميزان، لابن حجر٣: ٢٨٩.

(٢) النمل: ٢٢، ٢٣.

(٣) سبأ: ١٥.

وبهذا ينتسب اليمانيون جميعاً إلى سبأ، إما للأرض والمملكة المعروفة، أو إلى جدهم سبأ. فإن قيل: سَبَئي أو سَبَائي، فهو كيمني ويَماني، وزناً ومعنىً. كما أنه يقال لكل يمني (ابن سبأ) بهذا الاعتبار، كما يقال للعراقي: ابن الرافدين، وللمصري: ابن النيل، وللعلوي الفاطمي: ابن رسول الله.

ومن ثم تعرف أن لفظة (ابن سبأ) كانت تطلق على كل يماني، سواء كان اسمه عبد الله أو لم يكن.

وفي التاريخ الإسلامي العديد من الشخصيات من أبناء سبأ بهذا الاعتبار، وبعضهم اسمه عبد الله، ومنهم:

١ ـ عبد الله بن هبيرة السبئي:

هو عبد الله بن هبيرة بن أسعد بن كهلان السبائي الحضرمي المصري، من الرواة المشهورين عند العامة، ولد سنة ٤٠ وتوفي سنة ١٢٦هـ وقد أجمعوا على توثيقه، وهو من رواة صحيح مسلم وغيره، سوى البخاري[١].

٢ ـ عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب السبئي، المعروف بأبي المغيرة المصري. قال المباركفوري: صدوق من الرابعة[٢]. توفي سنة ١٣١هـ.

٣ ـ أبو بشر، جبلة بن سحيم الكوفي السبئي: وهو من التابعين والرواة الثقات أيضاً، روى عن ابن عمر ومعاوية وعبد الله بن الزبير وغيرهم. توفي سنة ١٢٥هـ. وروايته في الصحاح الستة.

٤ ـ فرج بن سعيد بن علقمة السبئي: وهو من الطبقة السابعة.

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر٦: ٥٦.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري١٠: ٨٦.

٥ ــ **عبد الله بن أَسْمَيْفَع السبئي.**

٦ ــ **سلمة بن سعيد بن منصور بن حنش السبئي.**

٧ ــ **سليمان بن بكار بن سليمان السبئي**: توفي سنة ٢٢٦هـ.

٨ ــ **عبد الرحمن بن أَسْمَيْفَع بن وعلة السبئي المصري**: وهو تابعي، روى عن ابن عباس وعبد الله بن عمر. قال عنه ابن يونس: كان شريفاً بمصر في أيامه، وله وفادة على معاوية. وقال أيضاً: أسميفع هذا آخر ملوك سبأ، عليه قام الإسلام[1]. روى له الجماعة سوى البخاري.

٩ ــ **علقمة بن أسميفع السبئي**: يروي عن ابن عباس أيضاً.

١٠ ــ **شرحبيل بن أسميفع السبئي**، وإخوته عمرو وفضالة، وابنه سلمان.

١١ ــ **عمارة بن شبيب السبئي**: عده بعضهم من الصحابة.

١٢ ــ **عبد الرحمن بن مالك السبئي.**

١٣ ــ **عبد المؤمن بن عبد الله بن هبيرة السبئي.**

١٤ ــ **عمرو بن بحري السبئي: توفي بعد سنة ١٨٠هـ.**

١٥ ــ **أزهر بن عبد الله بن يزيد السبئي: توفي سنة ٢٠٥هـ.**

١٦ ــ **أسد بن عبد الرحمن السبئي البيري**: يروي عن مكحول والأوزاعي، توفي بعد سنة ١٥٠هـ.

١٧ ــ **حنش بن عبد الله بن عمرو السبئي**: روى عن ابن عباس، وهو من الثقات. مات سنة ١٠٠هـ.

١٨ ــ **أبيض بن حمال المازني السبئي**: صحابي، مات في أول سنة ٤٠هـ

---

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر ٦: ٢٦٣.

١٩ ـ سعيد بن أبيض بن حمال السبئي.

٢٠ ـ ثابت بن سعيد بن أبيض بن حمال السبئي.

٢١ ـ هزال بن سعيد السبئي: أبو مروان المصري، توفي سنة ١٨١هـ.

وهناك العشرات ممن يحملون هذا اللقب، من رواة الحديث أو غيرهم.

قال السمعاني (ت: ٥٦٢هـ) في الأنساب:

السبئي: هذه النسبة إلى سبأ بن يشجب بن قحطان، وهم رهطٌ ينسبون إليه، عامتهم مصريون[1].

وقال أيضاً: وظني أن ابن وهب هذا منسوب إلى عبد الله بن سبأ، فإنه من الرافضة، وجماعة منهم ينسبون إليه يقال لهم السبئيّة.

أما ابن الجزري (ت: ٦٣٠هـ) فيقول: هذه النسبة إلى يشجب بن يعرب بن قحطان، وإلى عبد الله بن سبأ رأس الغلاة من الرافضة[2].

خلاصة الأمر: أن السبئيّة لا تعني بالضرورة الانتساب إلى فرقة عقدية معينة مزعومة، إنما هي بالأصل نسبة عامة لجميع أهل اليمن، ولو كان الأمر كذلك لكان جميع من ذكرنا من الرواة والشخصيات العلمية من أتباع عبد الله بن سبأ المزعوم.

ومن ثم تعرف ضحالة وعقم المادة العلمية التي يعرضها السلفيون المعاصرون، إذ يتشبثون بكل لفظة فيها سبئيّة، لإيهام القارئ أن هذه اللفظة منحصرة في من ينتسب إلى ابن سبئهم هذا.

---

(١) الأنساب، للسمعاني٣: ٢٠٩.

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير٢: ٩٨.

من هو ابن سبأ؟

لو سألنا القارئ الكريم السؤال التالي: بعد أن اطلعت على المعطيات الواردة في الروايات السابقة، وهي وثائق تاريخية مهمة، فهل تستطيع أن تخرج بنتيجة مقبولة، ولو بالحد الأدنى من القبول؟

خلاصة ما ورد في أقوال المؤرخين وأصحاب الفرق والمقالات ـ وهو غيض من فيض ـ ما يلي:

أ ـ اختلافهم في الاسم واللقب، فأول ما يواجهك في هذه الروايات الأسماء التالية:

١ ـ ابن السوداء.

٢ ـ ابن سبأ.

٣ ـ عبد الله بن سبأ.

٤ ـ عبد الله بن السوداء.

٥ ـ عبد الله بن وهب السبئي.

٦ ـ عبد الله بن عمرو بن حرب.

٧ ـ عبد الله بن وهب الهمداني.

٨ ـ عبد الله السبائي.

٩ ـ عبد الله الشيباني.

١٠ ـ الحميت الأسود، أو الخبيث الأسود.

١١ ـ عبد الله بن يسار.

كما يحتمل أن يكون عبد الله بن الكواء، وله مع أمير المؤمنين مواقف كثيرة، وكان رأس الخوارج. ويحتمل أن يكون عبد الله بن صبرة الهمداني،

وهو سبئي أيضاً. فهؤلاء أربعة عشر رجلاً، كلهم يصلح أن يكون عبد الله بن سبأ، سوى من نحتمل أن يكون هو، كعمار بن ياسر وغيره.

إذن كيف يمكن أن نجمع بين هذه الأسماء لنجعلها شخصاً واحداً، مع أن الروايات تتحدث عن أشخاص مختلفين؟

فالقدر المتيقن الحقيقي من هذه الأسماء، عبد الله بن وهب، وعبد الله بن عمرو بن حرب، وكلاهما (سبئي) ورد في الروايات المذكورة، إلا أنهما ظهرا في أواخر خلافة علي، ولم يدَّعِ أحدٌ أنهما قالا بالوصية أو غيرها، بل كانا مناوئَين لعلي عليه السلام.

وقد رأيت مثلاً، أن عبد القاهر البغدادي فصل بين عبد الله بن السوداء وابن سبأ، وعدهما شخصين، نفاهما علي إلى المدائن.

ب ـ اختلافهم في عقيدته السابقة:

فهو يهودي تارةً، أو نصراني، أو ذمي (إما يهودي أو نصراني) أو مسكوت عنه.

ج ـ اختلافهم في أصل الوطن: فتارةً من اليمن، وتارة من الحيرة، وتارة من الروم، وتارة من اليمن والحيرة معاً، وإذا كان رومياً فكيف يكون سبئياً في الوقت نفسه؟.

د ـ اختلافهم في مقالته وتاريخ ظهوره: فهو يقول بألوهية علي تارة فيرتد عن الإسلام، وبالوصية والإمامة والرجعة تارةً أخرى، ويسأل علياً عن رأيه في أبي بكر وعمر تارة ثالثة. وهو أحد السبئيّة تارة، ويعينهم على قولهم ويتبع ابن السوداء تارة أخرى، وهو رأسهم تارة ثالثة، وهو من غلاة الزنادقة رابعة.

ثم إنه ظهر بعد مقتل علي، أو قبل مقتله، وأن الشيعة تشفعوا فيه لعلي، فكانوا قبله، أو جاؤوا بعده، كلها تناقضات لا تنتهي، ووثائق لا تهديك إلى سبيل.

هـ ـ اختلافهم في مصيره ونهايته: فقد أحرقه علي مرةً، وأحرق أتباعه مرةً أخرى، ولم يحرقه على قول، إنما نفاه للمدائن، أو نفاهما هو وابن السوداء، أو أنه كان حياً بعد مقتل علي عليه السلام دون أن يعرف له مصير، أو أنه هرب إلى قرقيسيا كما ذكر ابن تيميّة.

و ـ أطلقت المصادر القائلة بيمانيته نسبه إلى سبأ، فيما قال ابن كثير إنه (حِمْيَري)، دون أن يذكر نسبه إلى حِمْيَر بن سبأ، ولعله اعتقد أن بينه وبين كَعب الأحبار نسباً وصلة، فعمل بالقياس، لأن كعب الأحبار حميري سبئي.

ز ـ إن هذه الروايات كلها لم تنسب له أي دور في حوادث مقتل عثمان، بل صرحت بوضوح أنه ظهر في خلافة علي أو بعد مقتله، كما أنها لم تنسب له سوى دور عقدي، إما بسب أبي بكر وعمر، أو القول بإلهية علي.

١٠ ـ بالعودة إلى الروايات المذكورة نجد أنها وردت في المصادر التاريخية اللاحقة التي جاءت بعد سيف بن عمر. أما المؤرخون الذين سبقوه فلم يرد في مصنفاتهم عين ولا أثر لابن سبأ أو ابن السوداء.

وهكذا تدخل مع المؤرخين في دوامة لا يخرجك منها إلا طرح جميع تلك الأخبار، وعدم الاعتماد على أي منها، إذ ليس من الممكن جمعها والخروج بنتيجة. اللهم إلا اعتبار الشخص الوحيد فيها وهو عبد الله بن وهب الراسبي ـ وهو رأس الخوارج ـ أصلاً في القصة كلها، وما عدا ذلك أساطير حيكت بأيدي الوضاعين والقصاصين وأصحاب الأغراض.

ومـن الطبيعـي جـداً أن تجـد مثـل تلـك الاختلافـات فـي قـصة مختلقـة موضـوعة، لأن إفـادات الكـذاب الواحـد عـادة مـا تكـون مختلفـة، فكيـف بمجموعة من الكذابين؟.

خلاصة البحث:

من هنا يمكن الخلوص إلى النتائج التالية:

١ ـ لا دليل على أن هذا الرجل كان موجوداً فعلاً، وعلى مـن تـشبث بـه أن يأتي بدليل الإثبات، ولا يلزم من أنكره أن يأتي بدليل النفي، لا سيما من أنكر دوره في الأحداث. فالروايات المذكورة تؤكد نفيـه لا إثباتـه، بـل إن إثباته بها مستحيل، كما هو واضح.

٢ ـ على فرض وجود المزعوم عبد الله بن سبأ، فإن الفـرق بـين وجـوده مـن جهـة، ودوره المزعـوم فـي الأحـداث مـن جهـة أخـرى، كـالفرق بـين (وجود) عمر بن الخطاب (ودوره) في فتح الأندلس، فلو نُسب إلى عمر أنه فتح الأندلس، وأنكرنا ذلك، فلا يمكـن أن يقـال: إن عمـر موجـود، ولـيس مختلقاً، وبالتالي يثبت أنه فتح الأندلس.

فلو افترضنا أن ابن سبأ موجود، فـلا قيمـة لوجـوده فـي إثبـات دوره فـي الأحداث وتأسيس الشيعة، فكـم مـن اليهـود والنـصارى والمجـوس دخلـوا الإسلام، وكانت لهم مقالات منحرفة.

بل حتى لو سلمنا أن له مقالة في الغلـو أو سـب الـشيخين، فهـذا لا يثبـت دوره فيما نسب إليه.

٣ ـ بعد استعراض الروايات المذكورة، والاطلاع على اختلاف المؤرخين

الشديد في تفاصيلها، وعدم ورودها في تواريخ السابقين لسيف بن عمر، والكثير من اللاحقين له، لا يبقى مجال للشك أن هذه الشخصية مختلقة موضوعة، لا وجود لها، إلا أن اختلاقها تم بطريقة فنية خبيثة، تشبه إلى حدّ بعيد طريقة (إعادة التصنيع) في مصانع دول العالم الثالث، حيث تؤخذ قطعٌ الغيار من بلدان عديدة، ثم تجمع في مصنع خاص، وينتج منها نوع هجين من المكائن والمعدات.

فاختلاق ابن سبأ لم يكن من العدم، إنما كانت هناك شخصيات متعددة، وردت عنها أخبار صحيحة، كما هو الحال في عبد الله بن الكواء، وعبد الله بن عمرو بن حرب، وعبد الله بن وهب الراسبي، ولُفقت بإزائها أخبار أخرى، ثم دخلت (مصنع النواصب) في الكوفة آنذاك، وهو بإشراف ثلة من المتخصصين بالنصب والوضع معاً، من أمثال سيف بن عمر، وعبد الرحمن بن مالك بن مغول، ومجالد بن سعيد، وزحر بن قيس، وأشباههم، فأنتجت شخصية جديدة تحت مسمى (عبد الله بن سبأ).

ومن هنا صعب على الكثير من الباحثين، ممن لم يلتفتوا لهذه الطريقة من الوضع، التميز بين الصحيح والسقيم من الروايات، فلا شك أن هناك روايات صحيحة في هذا الباب، إلا أنها تتعلق بالشخصيات الحقيقية قبل (إعادة التصنيع) فأصيب الباحث بالحيرة بين أن يقبل هذه الروايات الصحيحة، فيبتلى بالتعارض والتناقض، أو يرفضها فيرد الصحيح.

وخلاصة الأمر: أن هذا الرجل مصطنع مختلق موضوع، وكل ما ورد فيه من أخبار فطريقها إلى سيف وأمثاله، ولم يكن ذلك معروفاً قبله، غاية ما في الأمر أن اختلاقه ارتكز واتّكأ على بعض الشخصيات الحقيقية.

ومن المهم أن نذكّر هنا، أن سيف بن عمر لم يكن وحده في ذلك، إنما كانت هناك ما يمكن أن نسميها (مؤسسة) أو (لجنة) لإعادة صياغة التاريخ، قادها أولئلك (النواصب) أصحاب الهوى الأموي.

إيهام وتلبيس:

إلى هنا وصلنا إلى المغالطة الكبرى التي عادة ما يلجأ إليها التيميون والوهابيون عندما لا يجدون مناصاً من التسليم بالواقع، فيقولون: إن عبد الله بن سبأ مذكور في كتب الشيعة قبل السنة، وبالتالي فهو شخصية حقيقية. وهذا ما يلبسون به على العوام، ويخلطون عليهم الحقائق بالأوهام.

ومثال ذلك من واقعنا اليوم، حيث هبت الشعوب العربية لنيل حريتها وكرامتها المفقودة منذ عقود، فها نحن نرى أن أي تحرك في العالم العربي ينسب إلى (الخارج، أو الموساد، أو السي آي أي) وأنها المحرك لهذه الثورات، وعندما تناقش في ذلك يقال لك: أليس الموساد موجوداً حقيقياً؟

فليس كلامنا من الأساس في إمكانية وجود يهودي يمني (سبئي) دخل الإسلام، فهؤلاء كُثر، ومنهم كعب الأحبار السبئي وغيره، ولا شك أن هناك آخرين، إنما الكلام في من ادعى سيف أنه قلب الدنيا رأساً على عقب، وحاك المؤامرات الكبرى، وجعل قادة الأمة، وأهل خير القرون، ألعوبة بيد يهودي واحد، فهذا بلا شك مصطنع موهوم لا حقيقة له.

وكل ما يُحتمل أن يربط بينه وبين الحقيقة هو الاسم فقط، فقد أخذت بعض الأسماء الحقيقية وطورت في مصانع الوضاعين، لإنتاج نسخة جديدة من عبد الله بن سبأ (العفريت الجني)، ليسلَّم له التاريخ الإسلامي على طبق

من ذهب يلعب به كيف يشاء.

ونظير هذا في تاريخ الأمم والشعوب كثير، فمن ذلك قصص عنترة بن شداد، وهو حقيقي شخصاً، موهوم دوراً، والزير أبي ليلى المهلهل، ومجنون ليلى، وكملحمة (جلجامش)، وإلياذة (هوميروس)، وألف ليلة وليلة، بل حتى بعض أبطال الفتح الإسلامي أو الشخصيات الإسلامية، كما رووا عن سويد بن غفلة، وشدة ساعده وقوته البدنية، وأنه في معركة القادسية ضرب أسداً بالسيف على رأسه، فمر السيف من فقار ظهره، وخرج من عكوة ذنبه، وأصاب حَجَراً ففلقه[1].

وقد عرف عن سيف في كتابيه، ولعه وهوسه الشديد بتضخيم الأحداث وتقريبها من الأسطورة والملحمة، فذهنيته من الأساس تقبل ما لا تقبله العقول، وما تتشوق إليه النفوس من نتاج الخيال الخصب[2].

ومن المعروف في علم النفس الحديث أن النفس الإنسانية تأنس كثيراً بالقصة كلما كانت أحداثها مثيرة وغريبة، دون النظر إلى ما هو معقول أو غير معقول فيها، بل إنها تقطع بعدم قبولها عقلاً، ومع ذلك تتشوق إليها وتأنس بها.

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر٢: ٦٧٩. أسد الغابة، لابن الأثير٢: ٣٨٠. الأعلام، للزركلي٣: ١٤٦. ولو نسب هذا لعلي بن أبي طالب أو لأحد من ولده ـ كالعباس مثلاً ـ لضاقت به النفوس ذرعاً.

(٢) للمزيد من الاطلاع على ما رواه سيف من الملاحم القريبة من الخيال راجع الجزء الأول من كتاب العلامة العسكري: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، تجد أن سيف بن عمر اختلق الكثير من الحوادث والأيام والبقاع والرجال، ومن هنا يتبين لك أن اختلاقه ابن سبأ المزعوم ليس جديداً.

ومن ثم تجد أن الإقبال على الأفلام الخيالية التي تحكي مغامرات مذهلة، أكثر من الإقبال على غيرها بكثير، فكيف إذا انضم إلى ذلك دوافع سياسية وعقدية وغيرها؟

لقد كان سيف بن عمر من القلائل في تاريخ الأمة في قابليته على التصوير الملحمي، وخلق الأساطير والحكايات العجائزية، التي يأنس بها الأطفال قبل المنام، ومن السهل عليه جداً أن يخلق شخصية من موادّ أولية متوفرة، ليخرجها في سيناريو جديد يجعل منها شخصية فريدة مستقلة بذاتها.

ثم تلقفها من بعده من تلقفها، فجمع الحطام التاريخي بقضّه وقضيضه، وغثه وسمينه، وصحيحه وسقيمه، وأصله وقمامته، وأضاف إليه سموم الجهل والتعصب ودوافع السياسة، فخلق منه كذبة شهيرة، ثم استدل بشهرتها على وقوعها. كل ذلك لأن الفكرة من الأساس تناغمت مع النفوس التي أرادت لها طوعاً أو كرهاً أن تكون كذلك.

فهل بعد هذا من قائل بوجود الموهوم عبد الله بن سبأ، والترويج لحركته الملحمية المهولة؟

الفصل الخامس

الآثار السلبية للنظرية السبئيّة

❖ *ماذا يترتب على تبني السبئيّة؟*

- *تعظيم شأن اليهود*
- *تكذيب القرآن الكريم*
- *تكذيب النبي ﷺ*
- *إسقاط نظرية عدالة الصحابة*
- *الطعن في علي عليه السلام وخلافته*
- *زعزعة الثقة بصلاحية الإسلام للحياة*
- *اتهام الرواة من الكتابيين وغيرهم*
- *اعتماد الكذابين مصدراً للتشريع*
- *تسويغ الطعن في الصحابة*
- *ردّ الموازين العلمية في الجرح والتعديل*

ماذا يترتب على تبني السبئيّة؟

مع ما رأيته في روايات سيف من التناقض والصور غير المعقولة، بحيث لا تجد فيها سطراً واحداً إلا وهو يشهد على نفسه بالكذب والوضع، ومع ما رأيت في أسنادها من الوضاعين الكذابين أو من لا وجود لهم في عالم الحقيقة، بحيث تقطع تماماً بكون (الملحمة السبئيّة في إسقاط الخلافة الإسلامية) ما هي إلا حديث خرافة، مع ذلك كله تجد على مرّ التاريخ من تبنى هذه الفكرة وروج لها وتابع الكذابين والوضاعين فيها، ومنهم ابن تيميّة وأتباعه.

ولا يخفى على القارئ الكريم ما للدوافع والأغراض من دور كبير في ذلك، وأبرز تلك الدوافع تحطيم المعارضة السياسية وتشويهها والطعن في شرعيتها ووطنيتها، كما نرى اليوم في عالمنا العربي والإسلامي، إذ سرعان ما يتهم الرأي المعارض بالعمالة للأجنبي أو تنفيذ (أجندة خارجية) أو التآمر على الوطن.

وبما أن الشيعة كانوا على مر التاريخ، يمثلون المعارضة التقليدية لحكام الجور، ومنهم بنو أمية وبنو العباس، فمن الطبيعي أن تتجه حملة التشويه باتجاههم باعتبارهم جماعة منظمة عقدياً وفكرياً، وإلا فإن السلطة لديها أدواتها الكثيرة في التشويه على مستوى الفرد، باتهامه بالزندقة أو الجهمية

أو أنه يقول بخلق القرآن أو ما إلى ذلك.

ومن ثم تجد أن أبرز الدوافع وراء اعتماد نظرية ابن سبأ ودوره في الفتنة، هو الطعن في أصل الفكر الشيعي، وتشويه صورة هذه الجماعة في أعين الآخرين، خوفاً من تسرب الفكر الشيعي إليهم.

وهكذا تجد أن الأمر لم يقف عند حد اتهامهم بالأصل اليهودي، إنما تعدى ذلك إلى تحميلهم خطيئة التخلف الحضاري الذي أصاب الأمة وجعلها تعيش على هامش الأمم الراقية، حتى بلغ بها الحال أن تفقد قرارها السياسي والاقتصادي، وتصبح تبعاً لغيرها.

وبالتالي تعفي هذه النظرية الحكام الفاسدين وسلاطين الجور وعلماء السوء من تبعات ما حصل، ويكون الشيعة هم المتهم التقليدي على طول المدى، والشماعة التي يعلق عليها غيرهم ما أصاب الأمة من تدهور وفشل.

ولا نريد هنا أن ننكأ الجراح، ولا أن نفتح سجالاً مع أصحاب الأغراض أو الأمراض من التعصب وغيره، إنما نريد أن نضع هذه القضية على طاولة البحث العلمي: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ولنبدأ حديثنا من أول الأمر مع من يتبنى هذه الفكرة عن قصد وغرض سيئ، أو عن خطأ وحسن نية، ولننظر أولاً بعين الإنصاف إلى أهم اللوازم الخطيرة التي تلزم من تبني هذه الفكرة التي وصلتنا عبر مجموعة من الكذابين والوضاعين، فإن لم يكفِ كذب هؤلاء مبرراً لردها ورفضها،

---

(١) الأنفال: ٤٢.

فعليكم إذن أن تلتزموا بجميع لوازمها، أو أن ترفضوا لوازمها فترفضوها.

فلو أمعنا النظر في روايات سيف، بعد قطع النظر عن أسنادها، واعتقدنا صحة ما نقله عن الدور السبئي، فلا بد أن نعترف بمضمونها جملة وتفصيلاً، وأهم ما ورد في مضمون هذه الفكرة:

١ـ تعظيم شأن اليهود:

إن هذه النظرية تعظّم شأن اليهود بشكل كبير، وتضخّم العقل اليهودي بشكل أسطوريّ، فتجعل من رجل يهودي واحد، بطلاً ملحمياً خارقاً، يتمكن من هدم الدولة الإسلامية، ويفتّ في عضدها، ويجعلها فئات متناحرة إلى يوم القيامة، ويفرقها أيادي سبأ.

ولعل ذلك هو الذي أغرى بعض المستشرقين في التشبث بهذه الرؤية، وتابعهم بعض المسلمين. ومن ثَمّ لا يبعد أن يكون اليهود وراء هذه الفكرة من الأساس، بدافع تشتيت المسلمين، وبذر الاختلاف بينهم من جهة، وتضخيم الشخصية اليهودية في أذهانهم من جهة أخرى.

ومن الملاحظ أن المسلمين لا زالوا إلى يومنا هذا، يقيمون للعقل اليهودي وزناً خاصاً، وكثيراً ما اعتذر حكامهم للسلام مع اليهود، بعدم القدرة على مواجهتهم، باعتبار أن عقولهم تختلف كثيراً عن عقول بني آدم!.

بل إن الموساد (وهو نسخة أخرى مطوَّرة من السبئيّة) لا زال يعيش في أذهان الكثير من المسلمين على أنه المحرك الأساسي لكل ما نراه من أحداث، ومنها الثورات العربية المعاصرة.

٢ـ تكذيب القرآن الكريم:

وذلك من جهات عديدة، أهمها:

أ ـ أنهم قالوا بنظرية عدالة الصحابة، ومما احتجوا به لذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوْبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ عَلَيْهِمْ﴾(١). وهذا يقتضي رضا الله تعالى عن كل من بايع تحت الشجرة، وقد سماهم المؤمنين، وأنه علم ما في قلوبهم، في حين أن الرواية السبئيّة تلعن بعضاً ممن بايع تحت الشجرة.

فلا يخفى على القارئ الكريم أن عبد الرحمن بن عديس البلوي هو ممن بايع تحت الشجرة، وكان أبرز السائرين من مصر لحصار عثمان الذي انتهى بقتله، وقد ذكرت روايات سيف أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان النبي صلى الله عليه وآله فالملعون لا يكون مرضياً عنه، ولا يسمى مؤمناً، وهذا تكذيب للنص القرآني الذي احتجوا به.

ليس هذا فحسب، إنما احتجوا لعدالة الصحابة بالعديد من الآيات، ومع ذلك اتهمت النظرية السبئيّة خيرة الصحابة بالردة أو التأثر باليهود، ومنهم: أبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وعدي بن حاتم، وعبد الرحمن بن عديس، وعمرو بن الحمق، وغيرهم، وهذا يعني أن هناك العديد من المصاديق المخالفة للقرآن. فإما أن تكون نظرية عدالة الصحابة غير صحيحة من الأساس، أو أن نكذب النص القرآني.

ب ـ استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

---

(١) الفتح: ١٨.

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[1]. على صحة خلافة الأربعة الراشدين، إلا أن سيف بن عمر يصور الحال بشكل آخر، وأن خلافة علي تمَّت بالقسر والإكراه، فلم تكن استخلافاً من الله بحسب الآية، إنما هي استخلاف سبئي يهودي.

ج ـ استدلوا لعدالة الصحابة أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾[2]، وآيات أخرى يشمل بعضها التابعين أيضاً، ويؤكد فضلهم، فيما ورد في هذه القصة أن الكثير من التابعين ملعونون، والعياذ بالله.

٣ـ تكذيب النبي صلى الله عليه وآله والطعن فيه:

وحاصل ذلك أنهم رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**خير القرون قرني**»[3]، وأنه أثنى على صحابته خير الثناء وأحسنه. وأنه قال في عمار: «**ويح عمار، تقتله الفئة الباغية. عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار**»[4]. وفي صحيح مسلم: «**تقتلك الفئة الباغية**»[5]. وهناك الكثير من الصحابة أثنى عليه النبي صلى الله عليه وآله ثناءً خاصاً، ومنهم أبو ذر الغفاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي[6] وآخرون.

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) متفق على صحته، وإن اختلفت ألفاظه.

(٤) صحيح البخاري٣: ٢٠٧.

(٥) صحيح مسلم٨: ١٨٦.

(٦) سقى النبي صلى الله عليه وآله شربة لبن، فدعا له قائلاً: «**اللهم أمتعه بشبابه**» فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء.

يقول ابن تيميّة في منهاج السنة: فإن كان القرن الأول قد جحدوا حق الإمام المنصوص عليه، المولّى عليهم، ومنعوا أهل بيت نبيهم ميراثهم، وولوا فاسقاً وظالماً، ومنعوا عادلاً عالماً، مع علمهم بالحق، **فهؤلاء من شر الخلق، وهذه الأمة شر الأمم**، لأن هذا فعل خيارها، فكيف بفعل شرارها؟[١].

ونحن نوافق ابن تيميّة في جهة من كلامه، وإن كنا نتحفظ كثيراً على عباراته القاسية بحق الأمة، إلا أننا من باب الإلزام نقول أيضاً: إن كان القرن الأول قد تبعوا يهودياً مجهولاً، أو تأثروا به، أو وقعوا ضحية لدسائسه، أو فشلوا في مواجهته، فهؤلاء من شر الخلق، وهذه الأمة من شر الأمم، لأن هذا فعل خيارها، فكيف بفعل شرارها؟.

لقد أفادت النظرية السبئيّة بشكل صريح أن عمار بن ياسر تأثر بها، وأنه خلع ربقة الإسلام، وخرج من الدين عرياناً، أي أنه كفر وارتد، وهذا على النقيض مما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله سواء ما يتعلق بأهل القرن عموماً أم بعمار خصوصاً.

وقد قُتل عمار مع علي عليه السلام، فيقتضي ـ طبقاً لكلام النبي صلى الله عليه وآله ـ أن الفئة الباغية هي معاوية وأنصاره، وطبقاً لحديث النبي صلى الله عليه وآله فإن عماراً على الحق، في حين أن الرواية السبئيّة تقول إنه (تهوّد) (وخرج من الدين عريانا) وهذا تكذيب واضح للنبي صلى الله عليه وآله.

وكذلك رووا عن النبي أنه قال: «**الخلافة بعدي ثلاثون**»، واستدلوا به على صحة خلافة الأربعة، ومنهم علي عليه السلام فكيف تتم الخلافة النبوية بهذا الشكل القسري الذي صوّره سيف تحت تأثير السبئيّة؟

---

(١) منهاج السنة، لابن تيمية٧: ٤٥٨.

ولا بد أن نشير هنا أن الحديث المذكور، إما أن يكون صحيحاً فعلاً، فيكون جميع من خالف علياً وخرج عليه قد ردّ على النبي ﷺ قوله وكذّبه، وإما أن يكون باطلاً موضوعاً من أساسه، فيقتضي بطلان خلافة من سبقه. أما خلافته عليه السلام فلها أدلتها الكثيرة التي لا تفتقر لهذا الحديث، صحّ أم لم يصح.

ورووا أنه ﷺ قال: **لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم. وهو حديث متفق عليه.** أما نظرية سيف فتجعل من البدريين ألعوبةً بيد اليهود، لا سيما عمار الذي تنسب إليه الخروج من الدين عرياناً.

إنّ الطعن بالنبي ﷺ واتهامه يعد من المآخذ التي أخذها ابن تيميّة وأتباعه على الرافضة، بأنهم يطعنون بأصحابه ليطعنوا به كما قالوا.

قال ابن تيميّة في منهاج السنة:

فهذا و نحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول كما قال مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول القائل: رجلُ سوء[١] كان له أصحاب سوء، و لو كان رجلاً صالحاً، لكان أصحابه صالحين[٢].

وقال في مجموع الفتاوى: «...فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول، قدح في الرسول (عليه السلام) كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما طعنوا في

(١) أنظر إلى الجرأة في التطاول على النبي ﷺ دون الاستدراك بقول: والعياذ بالله مثلاً، أو حاشاه أو ما إلى ذلك.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية٧: ٤٥٩.

أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»[١].

نقول: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾[٢]، فقد طعن سيف بن عمر بالصحابة، وتبعه ابن تيميّة، فيكون على رأس الطاعنين بالنبي ﷺ.

وقال أيضاً: ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟[٣].

نقول: اللهم لا، حاشاهم من الارتداد، وقد كذب سيف وابن تيميّة وأعظما الفرية على الصحابة من أمثال عمار وأبي ذر وابن عديس وابن الحمق وغيرهم، في أنهم تبعوا يهودياً اسمه عبد الله بن سبأ.

٤ـ إسقاط نظرية عدالة الصحابة:

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا يمكن عملياً القول بعدالة الصحابة وفي الوقت نفسه اعتقاد تأثرهم باليهود، واتهامهم بالخروج من الدين، وأن بعضهم صار فيما بعد من رؤوس الفتنة[٤]، فالنظرية المذكورة تصرح بأن الكثير من

---

(١) مجموع الفتاوى١: ٣٨٥.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى١: ٣٨٥.

(٤) صدر مؤخراً كتاب تحت عنوان: رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان، للدكتور خالد كبير علال من الجزائر، أحصى فيه ٢٢ رأساً، وهم:

مالك بن الحارث الأشتر النخعي، ومحمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن أبي حذيفة، وعمير بن ضابئ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وزيد بن صوحان، وصعصعة بن صوحان، وحكيم بن جبلة العبدي، وعبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، ⇦

الصحابة تبعوا رجلاً يهودياً، وتركوا صاحبهم الذي رأوه وسمعوا حديثه، ومن هؤلاء عمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وعبد الرحمن بن عديس البلوي، وعدي بن حاتم الطائي، ومحمد بن أبي بكر، وصعصعة بن صُوحان العبدي وأخوه زيد، ومالك بن الحارث الأشتر، ومحمد بن أبي حذيفة، وحُجر بن عدي، وسعيد بن وهب الهمداني الكوفي وغيرهم، على اختلاف في صحبة بعضهم عند أهل التراجم، إلا أن القدر المتيقن وجود العديد من الصحابة بينهم.

والفارق بين هذه النقطة وما سبقها، أنها تتعلق بعموم نظرية عدالة الصحابة، أما التي قبلها فتتعلق بها من جهة تكذيب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والطعن فيه، فالشواهد متقاربة، وجهات الاعتبار والنتائج مختلفة.

٥ـ الطعن في علي وخلافته:

إن هذه النظرية تنسب الإفساد الذي تسبب به ابن سبأ إلى جهة واحدة، وهي جهة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعه فقط، فهذا اليهودي لم يستطع اختراق جبهة خصوم علي؛ لأنها محصنة، لا سيما جبهة الشام، وبذلك يكون الجميع

وكميل بن زياد، وكعب بن ذي الحبكة، وجندب بن زهير، وشبث بن ربعي، وقتيرة بن فلان السكوني، وعروة بن الجعد، وخالد بن ملجم، والغافقي بن حرب، وعروة بن البياع المصري، وعبد الله بن بديل، وعبد الرحمن بن بديل، وعمرو بن الحمق.

ويبدو أن الدكتور علال لا يدري أن الكثير من هؤلاء من الصحابة المجمع على صحبتهم. وإذا كان الصحابة رؤوس فتنة، فهو بلا شك يعتقد أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رجل سوء ـ والعياذ بالله ـ طبقاً لقول مالك وغيره، الذي تبناه ابن تيمية، ولتذهب نظرية عدالة الصحابة أدراج الرياح.

بمنأىً عن التحريف والإفساد، باستثناء خط علي ومنهجه، وعليه فلا مناص من الاطمئنان لمن خالف علياً، والحذر كل الحذر من عليّ ومن والاه، لأن فيهم شبهة السبئيّة واليهودية.

وبذلك تكون الحرب على عليّ مبررة، ويكون محاربوه معذورين، لأن جيشه عبارة عن قتلة أشرار مجرمين، قتلوا عثمان، وهم من أتباع اليهود، فأراد الآخرون تسليمهم للاقتصاص منهم، وهذا مبرر لمقاتلة عليّ الذي آواهم واعتمدهم في جيشه وحروبه، وكان يخاف منهم لأن لهم من الشوكة والقوة ما لا يستطيع معه مواجهتهم.

أضف إلى ذلك أنهم هم الذين أوصلوا علياً للخلافة، وأجبروا الناس على مبايعته، وكان الصحابة بعيدين عنه، ولم يبايعه إلا القليل منهم، وهم الذين قادوه لمعركة الجمل، واتخذوا قرار الحرب، وكانوا في مقدمة الجيش لا يطيعون علياً، وبالنتيجة أن علياً لم تنعقد له بيعة، ولم يكن خليفة شرعياً من جهة، ومن جهة أخرى ليس صالحاً للخلافة من الأصل، فيكون معاوية أجدر منه وأقدر في إدارة الدولة، والأحق بالخلافة، وهو ما بشرت به التوراة اليهودية على لسان كعب الأحبار .

فمن النصوص الإضافية التي نوردها هنا بالإضافة إلى ما تقدم، ما رواه الطبري عن (المتعهد الحصري) لروايات السبئيّة، وهو سيف بن عمر قال:

وأعجلت السبئيّة علياً عليه السلام عن المقام، وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه[1].

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٥٤٦.

وتبعه ابن الأثير قال: وأراد علي المقام بالبصرة لإصلاح حالها، فأعجلته السبئيّة عن المقام، فإنهم ارتحلوا بغير إذنه فارتحل في آثارهم، ليقطع عليهم أمراً إن أرادوه[١].

وهذا المنهج في الطعن بعلي عليه السلام وخلافته يعدُّ من أقبح أساليب النصب الخفي، والعداوة المبطنة التي ابتلي بها دون غيره، فليس هناك في التاريخ الإسلامي من تعرض للنصب والعداوة والبغض والسب والشتم سوى علي عليه السلام، وقد عُرف في هذه الأمة تيار كبير عنوانه (النواصب)، لا همّ له إلا بغض علي عليه السلام وعداوته. فالنصب لا يتعدى علياً إلى سواه، والناصبي لا يعرّف إلا ببغضه علياً ولك الله يا علي!.

أضف إلى ذلك إيجاد المبررات الكافية لقتال علي، لأن الآخرين أرادوا تطهير الدين مما لحقه من لوثة اليهود، فمنعهم علي، ووقف في وجوههم، طبقاً لما تفيده روايات سيف[٢].

ومن الجدير بالذكر هنا أن النصب اتخذ عبر التاريخ صوراً عديدة، لم يبق منها اليوم إلا العداء لشيعة علي عليه السلام فلم يعد بمقدور أحد أن يجهر اليوم بالنصب إلا نادراً، لأنه يخاطر بوجوده الفكري والعقدي،

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير٣: ٢٦٠.

(٢) قال الدكتور الهلابي في نقده روايات سيف وبيان أهدافه من وضعها: على الرغم من أنه ينهج في رواياته إلى إخلاء الطرفين في البصرة (علي وطلحة والزبير) من مسؤولية الصدام المسلح في البصرة، إلا أنه بطريق غير مباشر ينال من الخليفة علي. عبد الله بن سبأ، الدكتور عبد العزيز الهلابي: ٤٠.

ولكن الطريق الأسهل هو الجهر بالعداوة لشيعة علي، وعلي متهم من الأساس بالسبئيّة.

والطعن في علي وخلافته ليس ادعاءً بلا دليل، إنما اتخذ مسارات وصوراً متنوعة عبر التاريخ، لا مجال للحديث عنها في هذا البحث.

بل إن المتتبع لروايات سيف، يرى بوضوح أن المستهدف الأول بهذه النظرية هو علي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره، ثم تبعه موالوه في ذلك، وليس العكس، فأصل العداء لعلي عليه السلام والتاريخ شاهدٌ على ذلك.

٦ـ زعزعة الثقة بصلاحية الإسلام للحياة:

إن هذه النظرية (السبئيّة) تحطّ من شأن المسلمين قاطبة، وتضعف ارتباط المسلمين بتاريخهم وثقافتهم وحضارتهم، فعندما يعتقد المسلم أن هذا الدين الحنيف، وهذه الأمة العظيمة، كانت برمّتها في يوم الأيام ضحية مؤامرة يهودية، مع ما لها من القرآن والسنة والصحابة في خير القرون، ومع ما فيها من الأبطال الشجعان الذين خاضوا غمار الفتوحات، فلا شك أن إيمانه بحضارته وثقافته لا يكون في خير حال، بل ربما يعيش حالة الإحباط والاستسلام للهيمنة الأجنبية في هذه العصور، إيماناً منه أن هذا الدين غير صالح للحياة، وحجته في ذلك أن ديناً بهذا العمق الفكري، لم يستطع الصمود أكثر من ثلاثين سنة، ثم انهارت حكومته بتأثير رجل يهودي واحد، فكيف نريد أن نحمّله اليوم مسؤولية التصدي لشؤون الحياة، وسط هذه الأجهزة المخابراتية الدولية التي تمتلك من أساليب التجسس ما لا يعلمه إلا الله؟

٧ـ اتهام الرواة من الكتابيين وغيرهم:

إن هذا اليهودي المفترض لم يكن أول كتابي يدخل الإسلام، ولا آخر كتابي، غاية ما في الأمر أن سيفاً أوحى إلى شياطينه أن (ابن سبأ) كان يُظهر الإسلام، ويبطن اليهودية، وهذا أمر لا سبيل لإثباته، ودونه خرط القتاد، فلا يعلم ما في صدور العالمين إلا الله تعالى.

ولو أردنا أن نفتح الباب على مصراعيه، لصح لنا أن ندخل شخصيات أخرى يهودية أو نصرانية، دخلت الإسلام، وكان لها أثر كبير بعد ذلك في رواية الحديث وبث الفكر، وأصبحوا من أعلام أهل السنة، وهؤلاء ليسوا من مرويات سيف المكذوبة، إنما هم من رواة الصحاح، ومنها البخاري ومسلم.

فمن منا يجهل كعب الأحبار، وهو حبر يهودي سَبئي، أي أنه كان من أهل اليمن، وكلٌّ يَماني يُنسب إلى سبأ، فيقال: يمني ويَماني، وسَبئي وسَبائي، لا فرق بينهما وزناً ومعنىً. وهو ليس من عامة اليهود، إنما هو حبر كبير يحمل الفكر اليهودي في أعماق نفسه، ويعرف دقائق ما في التوراة، حتى الساعة التي يُقتل فيها عمر، واسم الخليفة بعد عثمان، وهو معاوية.

ثم إنه كان مقرباً جداً من معاوية، ومن مستشاريه المعتمدين، لكثرة علمه، وقد أمره أن يقصّ في الشام، وبذلك يُعدّ أولَ إخباريّ في الأحاديث اليهودية والإسلامية. فهذا (كعب بن سبأ)، وهو من كبار الرواة الموثوقين عند أهل السنة .

أما عبد الله بن سلام، فكان من أحبارهم أيضاً، وهو أبو الحارث

الإسرائيلي، وقد صار فيما بعد من علماء أمة محمد، ومن سادات الصحابة، وادَّعوا نزول القرآن في فضله، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَاب﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُوْن﴾[٣].

ورووا عن معاذ أنه قال: إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما، فالتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إنه عاشر عشرة في الجنة**[٤]. وبهذا يكون أعلم من الخلفاء الأربعة وغيرهم. وهو من ولد يوسف بن يعقوب[٥] كما ذكروا. وأحاديثه مبثوثة ومعتمدة في الصحاح.

وأما وهب بن منبه، فهو يهودي سبئي، من أهل اليمن، ولد في آخر خلافة عثمان، وهو عندهم من كبار التابعين، ثقة صادق، كثير النقل من كتب الإسرائيليين[٦]. وقد رووا عن النبي ﷺ أنه قال: يكون في أمتي

---

(١) الرعد: ٤٣.

(٢) الأحقاف: ١٠.

(٣) آل عمران: ١١٣.

(٤) أسد الغابة لابن الأثير٣: ١٧٧.

(٥) أسد الغابة لابن الأثير٣: ١٧٧.

(٦) ميزان الاعتدال، للذهبي٤: ٣٥٢.

رجل يقال له: وهب، يؤتيه الله الحكمة، ورجل يقال له: غيلان، هو أضر على أمتي من إبليس[١].

فهذا أيضاً (وهب بن سبأ)، يهودي من أهل اليمن، حدّث عن أهل الكتاب، وأدخل في الدين ما لا يعلمه إلا الله من كتب اليهود.

أما تميم الداري، الذي يعد من كبار الصحابة، فهو نصراني فلسطيني، يعود نسبه إلى قحطان في اليمن، أسلم في السنة التاسعة للهجرة، فحدث عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على المنبر بقصة الجساسة في أمر الدجال[٢].

وهو أيضاً ممن نزل فيه قرآن، كما نزل في عبد الله بن سلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾. كما زعموا أنه ممن جمع القرآن على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. ولا أدري كيف استطاع أن يجمعه بهذه السرعة، وقد أسلم قبل وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بوقت قصير نسبياً، فيما لم ينسب ذلك لغيره من مئات الصحابة الذين سبقوه بسنوات. كما زعموا أنه كان يختم القرآن في ركعة، وهو أول من قصّ في زمن عمر، بعد أن أذن له في ذلك، واستمر في قصصه في عهد عثمان.

---

(١) ميزان الاعتدال، للذهبي٤: ٩٠. تهذيب التهذيب لابن حجر١١: ١٤٨. تاريخ الإسحاقي: ٨.

وإن كان غيلان هذا أضر على الأمة من إبليس، فابن سبأ المزعوم أقل منه شراً، مع أن غيلان لم يصنع بالأمة عشر معشار ما نسب لابن سبأ، وكان الأولى أن يذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حديثه هذا.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي٢: ٤٤٢.

ومثل هؤلاء الكثير من المحدثين ورواة الحديث وأرباب الفكر عند أهل السنة، كابن جريج النصراني، وابن أبي العوجاء المجوسي، وهو ربيب حماد بن سلمة، وغيرهم كثير.

فإن كانت الضابطة أن كل من دخل الإسلام من اليهود أو النصارى أراد الكيد له، فهذا يعني أن النظرية السبئيّة ينبغي أن تكون في غير الشيعة. اللهم إلا أن يقال: هنالك شرط واحد لصحة إسلام اليهودي أو النصراني أو غيرهما، وهو أن لا يكون مشايعاً لعلي عليه السلام وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وإلا فهو سبئي يريد بالإسلام الشر.

كما يمكننا تعميم ذلك أكثر، فنقول: إن الطلقاء الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح ـ ومنهم معاوية ـ لم يُسلموا أصلاً، إنما أظهروا الإسلام، وأظمروا الشرك، وإذا كان الدليل الكيد للإسلام، فليس من أحد حارب الإسلام أول ظهوره من هؤلاء، ومعظم معارك المشركين الكبرى في محاربة النبي صلى الله عليه وآله قادها أبو سفيان.

وأما بعد إسلامهم المفترض، فقد كلفوا الأمة أضعافاً مضاعفة من الدماء في حرب صفين. وقد انطلق هؤلاء من عصبياتهم القبلية ورؤيتهم الجاهلية في موضوع الثأر لعثمان، وإلا فإن موضوع الدماء في الإسلام لا يعالج بطريقة الثأر، إنما يتولى الأمر ولي الدم والحاكم الشرعي، ولم يكن معاوية ولي دم المقتول، ولا حتى طلحة والزبير وعائشة.

ومن ثم ندرك أن وصف سيف لابن سبأ بأنه يهودي فأسلم، لإثارة الريبة والشك في حركته، نتيجته وضع هؤلاء جميعاً موضع التهمة، وهم كما ترى،

ظاهرون للعيان، بارزون للرائي، وأعمالهم مكشوفة، ولنا أن نشكك بمروياتهم وحركتهم وأهدافهم، سواء في المستوى الفكري والثقافي، أم في المستوى السياسي.

٨ـ اعتماد الكذابين مصدرا للتشريع:

إن قبول روايات سيف هذه، والإصرار عليها، مع ما ثبت للقارئ من كذبه ووضعه للحديث على لسان النبي (ص) وافترائه على الصحابة وغيرهم، يعدّ انتكاسة كبيرة للفكر الإسلامي، وخصوصاً ما يتعلق منه بالجانب العقدي من التاريخ، لأن التاريخ ـ بالمعنى العام ـ لا يعني السرد القصصي للأحداث فحسب، إنما يتعلق جانب كبير منه بالعقيدة والتشريع والحديث وغيرها.

ففي المجال الفقهي مثلاً نجد أن علماء المسلمين استدلوا بفعل الصحابي في حكم شرعي يتعلق بموضوع خطير هو الدماء، حيث استدلوا بقتال علي للبغاة على مشروعية قتالهم، وكيفية التعامل مع أموالهم، وهذا الفعل طريقه التاريخ، فإن لم يثبت تاريخياً لا يمكن أن نستنبط منه حكماً شرعياً.

وهكذا في الكثير من القضايا المهمة ذات العلاقة بالعقيدة أو التفسير أو غيره.

فلو قبلنا روايات سيف، مع ما فيها وفيه من علل، معنى ذلك أننا نفتح الباب واسعاً أمام قبول الكثير من الأخبار المشابهة، وإن كان رواتها كحال سيف وشأنه.

٩ـ تسويغ الطعن في الصحابة والتابعين:

إن (الملحمة السبئيّة) انطوت على الكثير من المطاعن المباشرة في الصحابة والتابعين وصالحي الأمة، فطعنت في أبي ذر وعمار وعبد الرحمن بن عديس البلوي وعلباء بن الهيثم وعدي بن حاتم الطائي ومالك الأشتر ومحمد بن أبي حذيفة وحكيم بن جبلة العبدي ومحمد بن أبي بكر، والكثير من أمثالهم، وبالتالي يصبح الطعن على غيرهم أمراً سائغاً، بل تكفيرهم أيضاً، وهو ما لا يرضاه السلفيون أنفسهم، بل عامة مدرسة الخلفاء.

وخلاصة الفكرة أن قبول الطعن في هؤلاء الصحابة المذكورين في روايات سيف، والذين طعن فيهم سيف بشكل واضح، يقتضي قبول الطعن في غيرهم، ذلك أن أهل السنة، لا سيما السلفية منهم، والوهابية على وجه التحديد، لم يقسموا الصحابة إلى صنفين مثلاً، قسم قابل للطعن فيه، ومنه النماذج التي ذكرها سيف، والآخر غير قابل. وبناء على ذلك يمكن إخضاع الجميع للنقد، أو الطعن فيه وثلبه.

فهل يرضى أصحاب هذه النظرية فتح باب الطعن على الصحابة؟ ومن ثم قبول مطاعن الشيعة في بعضهم وفق الأدلة الصحيحة الواردة في أوثق المصادر؟

١٠ـ ردّ الموازين العلمية في الجرح والتعديل وغيرها:

لا شك أن من يتبنى هذه النظرية السقيمة، يخالف الضوابط والموازين والقواعد العلمية التي قعّدوها في تنقيح الأخبار وضبطها، ومنها علم الجرح والتعديل، الذي وضع أساساً للتحفظ من الأكاذيب والموضوعات.

فقد لمسنا بوضوح أن هذه النظرية نُقلت عن كبار الكذابين المجمع على كذبهم، وعلى رأسهم سيف بن عمر، وعبد الرحمن بن مالك بن مغول، وأشباههما.

وخلاصة الأمر، أن هذه الأكاذيب قُبلت مع التصريح بكذب ناقلها وزندقته وطعنه في السلف، بل كذبه الصريح على النبي ﷺ.

ولازم ذلك أن تلك الموازين العلمية الدقيقة أضحت لا قيمة لها ولا اعتبار، طالما أن الكاتب يأخذ ما يشاء، ويرد ما يشاء، بلا تحفُّظ ولا احتكام لها.

وقد رأيت ـ عزيزي القارئ ـ أن ابن تيميّة يأخذ عن عبد الرحمن بن مالك الكذاب، مع علمه بأنه كذاب، وأن الرواية كانت من نظمه وتأليفه. بل ذهب إلى أبعد من ذلك باستغنائه عن السند مطلقاً، حيث قال: فهذا الكلام معروف بالدليل لا يحتاج إلى نقل وإسناد.

وأذكّر مرة أخرى بقول عبد الله بن المبارك: الإسناد عندي من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وبالنتيجة: لا بد أن يختار المتشبثون بابن سبأ تشبث الغريق بالقشة، بين هذه اللوازم، التي تقود إلى الكفر والزندقة، وفقاً لمناهجهم التي يؤمنون بها، وبين رفض النظرية السبئيّة جملة وتفصيلاً، واعتبارها من مخلفات الماضي وآثار الكذابين والوضاعين وأصحاب المصالح، اللهم إلا أن يناقشوا هذه اللوازم بأدلة صحيحة، تجعلنا نرى فيها خلاف ما ذكرنا.

الفصل السادس

دراسات سبئيّة معاصرة

- *كتابات تقليدية وقراءة موجهة*
- *دراسات موضوعية*
- *خلاصة الفصل السادس*
- *خاتمة البحث*

ربما يجد الباحث بعض العذر لمن سبق من المؤرخين الموثوقين في عدم تحققهم من المعلومة التاريخية وإثباتها، لبعد الفواصل الزمانية والمكانية، وعدم وجود الوسائل الكافية للبحث والتثبت والتحقيق، وغزارة المعلومات والأحداث، وكثرة الوضاعين والكذابين، وضغط السلطات الحاكمة، وما إلى ذلك من العناصر التي تجعل الباحث أمام مهمة صعبة للغاية.

ولكن، هل يُعذر المعاصرون من الباحثين والمحققين في اجترارهم الكثير من الموروثات الفاسدة، وإلباسها ثوب البحوث العلمية الدقيقة، مع ما لديهم من وسائل الجمع والترتيب والتصنيف والمقارنة؟ بل ما لديهم في الجامعات الحديثة من مناهج البحث العلمي، والتحقيق الأكاديمي الكافية لصقل المعلومة وبيان الصحيح من السقيم فيها؟

إن هؤلاء الباحثين الجدد، يفترض أن يكونوا أمل الأمة في تقديم الزاد العلمي السليم لأجيالها، وتنقيته مما لحق به من سموم الماضي، ولو على حساب المسلَّمات الذهنية، فكم من الموروثات التي سيطرت على الأذهان، فثبت فيما بعد زيفها ووهنها وعدم جدوى بقائها مسلمات ذهنية؟

إلا أننا نجد في الكثير من الأحيان أن الحال تزداد سوءاً على سوء، بسبب الأقلام الدخيلة أو المدفوعة الثمن أو المسيسة لأغراض خاصة.

وإليك هذين المثالين لتقارن بينهما في نظرة سريعة على تاريخنا في ماضيه وحاضره:

المثال الأول: إيمان أبي طالب، فقد قامت الأدلة القطعية الكثيرة على إيمان هذا الرجل، بما لا يدع مجالاً للشك، إلا أن جملة من الباحثين المعاصرين من أتباع ابن تيميّة وغيرهم، لم يستطيعوا التفلت من أسر الماضي في اعتباره كافراً، ولو أتيتهم بعشرات الأدلة. مع أن إثبات إيمانه مما ينفع الأمة، ويقرّب المسافات بين أبنائها.

المثال الثاني: ابن سبأ هذا، صاحب الملحمة الكبرى في تاريخ الإسلام، الذي قامت الأدلة القطعية على أنه خرافة وأسطورة مفتراة مفتعلة لا يستطيع باحث أو محقق، مهما أوتي من قوة، أن يأتي بدليل واحد على وجوده، فضلاً عن دوره، إلا أننا نرى بعض المعاصرين قد تشبّث به تشبثاً جنونياً، ولجأ ـ كسابقيه ـ إلى الدسّ والتدليس والكذب والتمويه واستغفال عقول الناس لإثباته قسراً، مع أن ذلك مما يفرق الأمة، ويزرع الشك في نفوس أبنائها، ويترتب عليه ما يترتب من اللوازم السلبية التي لا يمكن أن تنفكّ عن تبني هذه النظرية السقيمة في تفسير أحداث التاريخ في تلك المرحلة، والتي ذكرنا بعضها في هذا البحث.

هذان المثالان يبينان أن الموضوعية ونِشدان الحقيقة، فيما يُكتب ويؤلف في عصرنا هذا، صارت أقرب إلى العدم منها إلى الوجود، وإن وجدت فإنها أعز وأندر من الكبريت الأحمر.

كتابات تقليدية وقراءة موجهة:

ولكي نقف على نماذج مما كتب في موضوعنا هذا، رأينا أن نستعرض أولاً ما كتبه أولئك الباحثون اللاهثون وراء (إثبات) هذا المزعوم، لا بدافع معرفة الحقيقة، إنما بدافع تثبيت الموروث والدفاع عن ابن تيميّة وأمثاله بأي ثمن كان، ولو بالتجني على الحقيقة، وتلميع صورة الكذاب سيف بن عمر وغيره من أقطاب الكذابين.

وقد اطلعتُ على جملة من تلك الدراسات، وقرأتها بإمعان، علّي أعثر على دليل واحد يغير قناعتي، أو على الأقل أفيد منها منهجاً جديداً ينفعني في تتبع الحقيقة والعثور عليها، إلا أن أملي هذا ذهب أدراج الرياح، وسوف ترى أن هذه البحوث أوغلت كثيراً في التزييف والتحريف، بدل أن تميط اللثام، وتكشف الحقيقة.

وإليك بعضاً منها:

١ـ وقفة مع الدكتور سامي عطا:

مما وقع بين يدي من البحوث، وأنا أتابع الكتابة حول المزعوم ابن سبأ، بحث تحت عنوان: عبد الله بن سبأ اليهودي اليماني، بين الحقيقة والخيال، لأحد الأساتذة من الأردن، يدعى الدكتور سامي عطا حسن، وهو من جامعة آل البيت، وإليك بعضاً مما أورده في بحثه هذا لترى إلى أي مدىً وصل البحث العلمي من الموضوعية والحياد.

من هم المناوئون للإسلام؟

أول ما يلفت النظر في هذا البحث أن الأستاذ قدّم له بمقدمة مهّد بها للموضوع المطروح، رأى فيها أن دخول العناصر المناوئة للإسلام، الساعية

إلى هدمه من الداخل، كان بعد حروب الردة في عهد أبي بكر. أي أن حركة النفاق بدأت بعد حروب الردة، ليوحي للقارئ الكريم أن الإسلام بلغ قوته وثباته في عهد أبي بكر لا في عهد النبي ﷺ بحيث إن العناصر الجديدة لم تستطع في عهد أبي بكر إظهار العداوة للدين الجديد، فلجأت إلى العمل السري وهو النفاق، كما صرح بذلك.

قال (الدكتور) بالحرف الواحد:

«**بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الرفيق الأعلى، واندلاع حروب الردة، وبعد أن تمكن أبو الصديق (رضي الله عنه) من قمعها، دخلت إلى رواق الحياة الإسلامية شخصيات لم تستضئ قلوبها بأنوار النبوة، ولم تستكمل حضانتها الإسلامية في ظل اليقين، فكان دخولها لمناوأة الإسلام، والانقضاض عليه من الداخل، فزاحمت مناكبها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و سلم)، حتى أقصتهم عن مكانتهم، وقبضت على كثير من مرافق الحياة في الأمة، وقضت في كثير من قضاياها، وتقدمت وتأخر أهل السبق في الإسلام...**»(١).

وهذا أمر غريب من أستاذ جامعي، يفترض أن يكون منطلق بحثه قبل كل شيء القرآن الكريم، والسنة النبوية، وثوابت التاريخ التي لا يختلف عليها اثنان. ويفترض به أن يكون قد اطلع على ذلك قبل الكتابة في مثل هذه الموضوعات المهمة.

فقد كانت الظاهرة التي زعمها، وهي: (دخول شخصيات إلى رواق

---

(١) ابن سبأ، سامي عطا: ٤.

الحياة الإسلامية لم تستضئ قلوبها بأنوار النبوة، ولم تستكمل حضانتها الإسلامية في ظل اليقين، فكان دخولها لمناوأة الإسلام، والانقضاض عليه من الداخل) ماثلةً في زمن النبي ﷺ فلا يخفى على مسلم قرأ القرآن الكريم ـ ولو لمرة واحدة ـ ما كان للمنافقين من دور كبير في مناوأة الإسلام، وما هو الغرض من دخولهم، وفي القرآن الكريم عشرات الآيات التي تبين حالهم وأغراضهم ومنهجهم في مواجهة الدعوة الفتية، بل إن هناك سورة كاملة من القرآن الكريم تسمى بسورة المنافقين.

فدخول تلك العناصر الهدامة لم يكن بعد حروب الردة، إنما كان في حياة النبي ﷺ وكان الكثير منهم من أهل المدينة، ومن القريبين من النبي ﷺ الذين يحظون بحصة مالية من بيت المال، ويأخذون من الغنائم، ويحضرون الصلاة خلف النبي ﷺ لكنهم مع ذلك يهدفون إلى نخر البنية الإسلامية من الداخل.

ومن أمثلة ما ورد في القرآن الكريم بشأن تلك الظاهرة قوله تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُوْنَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِيْنَةِ مَرِدُوْا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾**(١).

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: **﴿وَالسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ﴾**(٢). مما يعني أن المحيطين بالنبي ﷺ، منهم من هو من السابقين الأولين، ومنهم من

---

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) التوبة: ١٠٠.

هو منافق مرد على النفاق.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُوْنَ قَالُوْا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنكَ لَرَسولُه واللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَكَاذِبُوْنَ﴾(١).

فهؤلاء مسلمون في الظاهر، يشهدون للنبي صلى الله عليه وآله بالنبوة لكنهم يكيدون للإسلام وأهله.

وكان تيار المنافقين من القوة والدهاء والحيلة والقابلية على الاندماج في الدين الجديد، بحيث إنهم في بعض المراحل التاريخية خططوا لانقلاب كبير وإرجاع الأمور إلى الجاهلية: ﴿يَقُوْلُوْنَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِيْنَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلّ﴾(٢).

ولما قويت شوكة الإسلام، وجاء نصر الله والفتح، لم يجد هؤلاء بداً من الإذعان للدين الجديد كرهاً، وبدأوا بالكيد له سراً، بعد عن عجزوا عن مواجهته في معارك الإسلام المعروفة.

ومن الملفت للنظر أن تيار النفاق كان في الأعم الأغلب ـ إن لم كله ـ من مشركي العرب، ومن قريش على وجه الخصوص، أما أهل الكتاب فلم تكن حاجتهم للتستر بالإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وآله كحاجة المشركين الذين وضعوا أصنامهم حول الكعبة، وكان الصراع بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله صراع وجود، فإما أن يكون أو يكونوا. أما أهل الكتاب فكانوا بعيدين عن الكعبة، كما أن الإسلام لم يحرمهم من البقاء على دينهم، ولم تكن لهم

---

(١) المنافقون: ١.

(٢) المنافقون: ٨.

حاجة للنفاق من الأصل.

ومن يلاحظ معارك الإسلام يرى بوضوح أنها جرت في الأعم الأغلب بين النبي ومشركي العرب، وهكذا استمر النبي صلى الله عليه وآله مواجهتهم، فلم يجدوا بداً من الدخول في الدين الجديد.

ومن الطبيعي جداً أن تصطلي قلوب القرشيين ومشركي العرب ناراً وهم يرون محمداً صلى الله عليه وآله يطأ صماخهم، ويخطف عزهم الجاهلي، ويقدّم عليهم الموالي والأحباش والفرس.

لذا فإن احتمال وجود المنافقين الحاقدين من مشركي العرب، بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، أكثر من احتمال وجوده من أهل الكتاب الذين لم يفقدوا بالإسلام شيئاً يذكر، إذا لم نقل إن الإسلام أعزهم وأكرمهم ولم يتعرض لهم بسوء، اللهم إلا لبعض اليهود الذين تآمروا عليه، وتحالفوا مع المشركين.

هذا هو تيار النفاق وقوته وشدته على المؤمنين، وهو ما نص عليه القرآن الكريم الذي ﴿لاَ يَأْتِيْهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾، لا ما نصت عليه مرويات سيف بن عمر التي ينتصر لها هذا الأستاذ وأمثاله.

أما في الحديث النبوي فحدّث عن المنافقين ولا حرج، وإليك نموذجاً واحداً ورد في صحيح مسلم من حديث حذيفة، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «**في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط**»[1].

---

(١) صحيح مسلم٨: ١٢٢، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. رواه أيضاً: أحمد بن حنبل بلفظ: في أمتي، والبيهقي في السنن بلفظ (أصحابي)، وغيرها من المصادر.

ولسنا الآن في موضع البحث في حال المنافقين، ومن هم؟ وكيف أصبحوا؟ ونكتفي بما ذكرنا من شواهد، إلا أننا نشير سريعاً إلى واحد من الأسباب التي منعت من تدوين السنة النبوية وملاحقتها وإحراقها، وهو أنها اشتملت على الكثير من الأحاديث التي تنص على أسمائهم وأحوالهم، ولولا أن الله تعالى حفظ القرآن من التحريف، لما بقي فيه ذكر للمنافقين.

فهل تاب أولئك المنافقون في عهد الخليفة أبي بكر وصاروا من صلحاء الأمة وزهادها وقادتها؟ أو أنهم اندمجوا في المجتمع الإسلامي على نفاقهم فأصبحوا في محل الصدراة والقرار فيه، وتمكنوا من تهميش من كانت له الصدارة في عهد النبي صلى الله عليه وآله؟

أتمنى لو كان كلام الدكتور المذكور في المنافقين من مشركي العرب والطلقاء حيث قال: فزاحمت مناكبها ـ أي الشخصيات المنافقة الجديدة ـ أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حتى أقصتهم عن مكانتهم، وقبضت على كثير من مرافق الحياة في الأمة، وقضت في كثير من قضاياها، وتقدمت وتأخر أهل السبق في الإسلام.

فهذا عين الصواب لو أردت الصواب يا دكتور، أما أن تضع القرآن والسنة جانباً، وتقفز على الواقع الظاهر للجميع في حال المنافقين، وتدّعي أن دخول العناصر المناوئة للدين كان بعد خلافة أبي بكر، وأن حركة النفاق بدأت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فهذا ما لا يتناسب مع دارس متواضع للتاريخ، فضلاً عمن يتسمى بالدكتور، ويكتب باسم الجامعة التي ينتمي إليها، ويفترض أن يحترم اسمها ومكانتها العلمية.

النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام:

ولعل الأستاذ يتفق معنا في ما حصل لأهل البيت بعد النبي صلى الله عليه وآله حيث تم إقصاؤهم عن المشهد السياسي، ولم نعد نرى ذلك الدور الذي كان لهم في حياة النبي صلى الله عليه وآله، حيث تعرضوا لمظلومية كبيرة لم يخفها الدكتور في بحثه المذكور، سوى أنه نسبها لعناصر جديدة دخلت الإسلام بعد خلافة أبي بكر، ولا ندري من هي تلك العناصر الجديدة التي لا تستهدف من الدين إلا أهل البيت عليهم السلام مع أنها يفترض أن تستهدف الخلافة والقيادة العليا، أو تستهدف سائر الناس وجميع الأمة؟

قال الدكتور: **تظاهروا بالحب لآل بيت النبوة، في الوقت الذي عملوا كل ما من شأنه الإساءة إليهم، والقضاء عليهم**[1].

ثم حمّل تلك العناصر المجهولة مسؤولية (ظلم أهل البيت واضطهادهم وقهرهم) فقال: **تعرض آل البيت للقهر والاضطهاد من قبل العناصر المناوئة؛ لكونهم من البيوت**[2] **الطاهرة الشريفة التي تربّت في بيت النبوة، ونهلت الإسلام من منابعه، ولذلك فقد أصبحوا في صدارة أهداف العناصر المناوئة التي أظهرت الكيد للإسلام، وكان ذلك في نفاق ماكر، ومكر منافق، حتى إذا لمعت لها بارقة الخلاف بين المسلمين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، هبت واثبة إلى**

---

(١) عبد الله بن سبأ، سامي عطا: ٤.

(٢) لا أدري ماذا يعني بذلك، وهم أهل بيت واحد، هو بيت النبي صلى الله عليه وآله.

مكان القيادة، تسوق الناس بعصا الفتنة العمياء[١].

ونورد على هذا الكلام الملاحظات التالية:

١ ـ الغريب من الدكتور أن يدعي ظهور حركة نفاق جديدة بدأت بعد زمن الخليفة أبي بكر، وهي دعوى كاذبة، لأنه يسدل الستار على ظاهرة النفاق القرآنية، وهي أوضح من الشمس في رابعة النهار.

كما ينسب للظاهرة الجديدة العداء لأهل البيت عليهم السلام خصوصاً، ويغفل عداوة المنافقين القدامى للنبي صلى الله عليه وآله وأهله على حد سواء.

٢ ـ من هي تلك العناصر التي أظهرت الحب لأهل البيت عليهم السلام وأضمرت العداوة يا ترى؟ هل يستطيع الدكتور أن يذكر ولو شخصاً واحداً منها؟ أو أكفيه أنا المؤنة فأذكر له بعضهم؟

من تلك العناصر التي أظهرت حب أهل البيت عليهم السلام أبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وأبو الهيثم بن التيهان، وغيرهم. فهل يعني أمثال هؤلاء الذين اتهمهم أسلافه بأسطورة السبئيّة وهم من أجلّ الصحابة؟ أم يعني معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا الأعور السلمي، وأشباههم ممن حاربوا أهل البيت عليهم السلام جهاراً نهاراً، وتتبعوا أنصارهم تحت كل حجر ومدر؟

٣ ـ يبدو أن الدكتور لم يلتفت إلى ألفاظه، أو أن الله أنطقه بالحق عندما قال: حتى إذا لمعت لها بارقة الخلاف بين المسلمين في خلافة عثمان بن

---

(١) المصدر السابق.

عفان رضي الله عنه، هبت واثبة إلى مكان القيادة ، تسوق الناس بعصا الفتنة العمياء.

أية قيادة يعني بها يا ترى؟ وليس لنا في موقع القيادة إلا ولاة عثمان، من أمثال عبد الله بن سعد بن أبي سرح، الذي ارتد عن الإسلام في حياة النبي ﷺ، فهدر دمه في عام الفتح. وكذلك معاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، وغيرهم، أهذه هي القيادة التي تولتها العناصر المناوئة لأهل البيت؟ أو أن هناك قيادة أخرى في عهد عثمان لا نعرفها؟

٤ ـ يقول الدكتور: **تعرض آل البيت للقهر والاضطهاد من قبل العناصر المناوئة**. إي والله، صدقت، وأضيف لك جديداً، فأقول: إن الاضطهاد والقهر لا يأتي من عناصر داخلة سراً في الدين الجديد، فما قيمتها وهي تحت نظر الدولة؟ إنما يأتي بالدرجة الأولى من السلطة الحاكمة، وهي مشكَّلة من العناصر المناوئة للدين في حياة النبي ﷺ وكانت تتربص الفرصة بأهل البيت عليهم السلام. وإن لم يكن ذلك واضحاً للعيان في رزية الخميس والسقيفة ومهاجمة دار الزهراء عليها السلام ، فقد اتضح بما لا يقبل الشك في الجمل وصفين، حيث ظهر ما كان مستوراً من نصب وعداوة وحقد دفين على هذه الأسرة الطاهرة.

٥ ـ لا مبرر من الأساس لاستهداف العناصر الدخيلة الجديدة لأهل البيت عليهم السلام دون سائر المسلمين، لا سيما السلطة العليا في الخلافة والولايات، فأهل البيت عليهم السلام من الأساس مهمَّشون معزولون من قبل السلطة، ولا يشكلون خطراً على العناصر الجديدة الدخيلة المزعومة، أما

اضطهادهم من قبل السلطة فهو الأقرب للواقع، لأن السلطة ترى فيهم منافساً قوياً لتولي الخلافة، وهو ما جعلهم يدفعون الثمن طيلة تاريخ بني أمية وبني العباس، وقد قتل الحسين عليه السلام وزيد بن علي وغيرهما بأيدٍ أموية، لا بأيدي عناصر سرية دخيلة على الإسلام.

فنحن إذن أمام اتفاق في المفهوم واختلاف في المصداق، فمن حيث المفهوم ـ وهو وجود العناصر الدخيلة في الإسلام التي ظلمت أهل البيت وأبعدتهم عن مراكزهم واضطهدتهم ـ نتفق مع الدكتور في ذلك، أما المصداق فهو ـ بالقدر المتيقن للجميع ـ معاوية وبنو أمية وأمثالهم من الأسلاف والأتباع.

ابن سبأ من جديد:

ثم يدخل الدكتور مباشرة بالموضوع الذي مهد له فيقول: **وكان رأس هذه العناصر المناوئة : عبد الله بن سبأ، الملقب بابن السوداء، وكان من يهود اليمن، وفد إلى الحجاز، وانتحل الإسلام لأغراض كان يسترها، كشفت عنها دعوته المارقة**[1].

وقد ناقشنا هذه الدعوى بما لا مزيد عليه، وقد اتضح للقارئ الكريم مدى هُزالها وهَزلها وسخفها، وعدم استنادها لدليل صحيح، وسوف نقف مع أدلة الدكتور على ابن سودائه المزعوم.

لقد بدأ الدكتور حديثه عن ابن سبأ على طريقة الأوائل الذين سبقوه في

---

(١) المصدر السابق.

الترويج لهذه الأحدوثة، وكأنه يتحدث مع أناس مثله لم يقرأوا التاريخ، ولم يطلعوا على خفاياه، وهو يذكرني في جانب من بحثه هذا، بادعاءات ابن تيميّة الإجماع والاتفاق في قضايا هي موضع خلاف، أو لا أصل لها من الأساس.

لقد بدأ الدكتور بحثه، وقبل أن يسوق الأدلة بما يلي:

١ ـ نقل اتفاق كتب المقالات والفرق ومعظم كتب التاريخ والأدب، على وجود ابن سبأ ودوره في قتل عثمان.

وقد تبين لك مما مضى أن القضية كلها جاءت من طريق سيف بن عمر الكذاب الوضاع المتهم بالزندقة، ولم يذكرها من أهل التواريخ إلا من نقلوا عن سيف، ويا ليت الدكتور أراح نفسه وأراحنا من ذلك وذكر لنا طريقاً غير سيف بن عمر، لكي يجعل بحثه ذا قيمة علمية تستحق المناقشة.

أما كتب المقالات فلم تزد على كونه قال بإلهية علي عليه السلام وأن علياً قتله أو نفاه، أو أنه يسب أبا بكر وعمر، وقد ذكرنا فيما مضى نماذج من اختلاف أهل النقل في وجوده ودوره ونسبه وحيثياته الأخرى بشكل يعكس تخبطهم الشديد في ذلك، بل عده بعضهم شخصين أحدهما ابن سبأ والآخر ابن السوداء.

فأين هذا الإجماع والاتفاق يا ترى، والشواهد كلها تدل على الخلاف؟! وسوف يستعرض الدكتور نفسه شدة الاختلاف في هذا المزعوم، فيكون شاهداً على نفسه في ذلك.

٢ ـ بدأ بحثه بمغالطة لا تخفى على اللبيب، وهي الخلط بين الشخصيات التي ذكرناها في بحثنا، كعبد الله بن وهب الراسبيّ، وعبد الله بن سبأ

المزعوم القائل بإلهية علي، والآخر صاحب الدور الكبير في قتل عثمان واستخلاف علي عليه السلام.

لقد راح الدكتور يحشد كل ما وقعت عليه عينه من المصادر التي ذكرت اسم عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء، وأول ما بدأ به تاريخ الطبري، وهذه مغالطة أخرى، بل مصادرة على المطلوب، لأن ما نقله الطبري هو موضع البحث والخلاف، وهو الذي يحتاج إلى دليل لإثباته، فكيف يستدل به على وجوده؟.

نادرة:

إن هذا يذكرني بطريفة يتداولها العامة للتفكه والسخرية، وهي أن رجلاً عاصياً كان مولعاً بالمحرمات ـ والعياذ بالله ـ فكلما سمع بأمر حرام سعى لارتكابه مبالغةً في المعصية، فذهب يوماً إلى الحج بشكل مفاجئ، فحسب الناس أنه تاب وارتدع، فلما عاد هنأوه بالتوبة، فقال لهم: من قال لكم إنني تبت؟ قالوا: إذن لم ذهبت إلى الحج؟ قال: سمعت أن هناك بيت الله (الحرام) فذهبت، ولو كنت أدري أنه (حلال) ما كلفت نفسي.

فهؤلاء الإخوة أينما عثروا على كلمة (سبأ) أو (سوداء) أو (سبئيّة) أو (الخبيث الأسود) أو (أمه سوداء) تعلقوا بها تعلق الغريق بالقش، وطاروا بها فرحاً، بل إنهم يتعلقون بما دون ذلك، كأن يجدوا في التاريخ أن علياً أحرق قوماً، أو أن أحداً من الناس سأله عن أبي بكر وعمر وموقفه منهما، وهكذا.

والسر في ذلك أن إثبات المدَّعى ـ وهو ملحمة ابن سبأ ـ لا سبيل إليه إلا روايات سيف الكذاب، لذا يضطرون في النهاية إلى تلميع صورته وتسويقه،

ولو بالدرجات الدنيا من الصلاحية، كما فعل هذا الدكتور وغيره.

أضف إلى ذلك فإن نسبة الدكتور الكلام المذكور للطبري يعد من أقبح التدليس، مع أن قول الطبري ليس بحجة ما لم يكن دليله واضحاً، فكان الأحرى به أن يبين ـ كما بينا سابقاً ـ من هم الرواة الذين نقل عنهم الطبري روايته هذه، لا أن ينسب الكلام للطبري والطبري نفسه يقول: كتب إلي السري عن شعيب عن سيف... إلخ.

ومن الطريف أيضاً أن الدكتور استدل بكلام أحمد أمين الذي نقل رواية سيف في تاريخ الطبري، وكما هو معلوم فإن أحمد أمين باحث معاصر، شأنه شأن الدكتور سامي عطا، فإن كانت روايات الطبري المسندة لا تصمد أمام التحقيق، فما قيمة كلام أحمد أمين وهو ينقل مباشرة من الطبري؟

إن هذه الظاهرة لدى الباحثين الجدد، إنما تعبر عن الإفلاس التام، والهزيمة المنكرة، إذ لا يجد أحدهم لإثبات دعواه في (ملحمة ابن سبأ) ولا رواية واحدة ـ ولو موضوعة ـ إلا روايات سيف بن عمرالكذاب.

ومن الطريف أيضاً أن ينقل الدكتور عن المستشرق الألماني (إسرائيل فريدليندر) ليحتج به على إثبات إسرائيلي مثله، أو برأي لباحث آخر يدعى صالح الدراركة يدعي فيه كما يدعي الدكتور سامي.

فهل وصل بهم التخبط والإفلاس الفكري إلى هذا الحد الذي يستدلون به على قضية تاريخية برأي باحث مثلهم؟ وأن يلجأوا (لإسرائيل) لإثبات هذه الدعوى اليهودية الإسرائيلية؟

وهل هذا هو مستوى جامعاتكم أيها الدكاترة ؟ أو أنكم لستم من أهل العلم أصلاً فدسستم أنوفكم فيه؟ أو أنكم تخدعون العوام وغير المتخصصين؟

٣ ـ بعد أن ذكر المصادر التي لا تتجاوز الطبري وابن عساكر وأحمد أمين وإسرائيل فريدليندر وصالح الدراركة وسعد بن عبد الله الأشعري القمي وأمثالهم ـ وهي كلها تأخذ عن سيف كما قلنا، أو لا تأخذ عن أحد مطلقاً ـ قال بعد ذلك: فكل الروايات التي أوردناها آنفاً، تدل على أن عبد الله بن سبأ، يهودي من صنعاء.

وللإنصاف أقول: إني أشك كثيراً في هذه الشهادات والأسماء اللامعة؛ لأن هذا المنهج لا يتناسب مع باحث مبتدئ، فكيف برجل يدعي الدكترة؟

لقد حل هذا الإشكال الكبير بجرة قلم، وضربة ساحر، ولو كانت كل القضايا والمشاكل تحل بهذه الطريقة، لما احتجنا للبحث أصلاً، غاية ما في الأمر أن نأخذ بعض الروايات، ونضمها إلى بعضها، ثم نختمها بالنتيجة المسبقة التي نحملها في أذهاننا، فلا نتعرض لسند ولا متن ولا مقارنة ولا غير ذلك.

فالدكتور المذكور لم ينقل إلا رواية الطبري عن سيف، ومعها آراء أحمد أمين وأمثاله، فيما يقتضي البحث العلمي أن ينقل الروايات بأسنادها، ويناقشها تفصيلاً، ويجيب عما فيها من تعارض وغيره، كما فعلنا نحن مع روايات سيف في بحثنا هذا، أما أن يدعي دعوى ثم يصدقها، ويتصور أن الآخر يصدقها مثله فهذا آخر ما تفكر به الجامعات، بل إنها لا تفكر به أصلاً.

٤ ـ عند تعرضه لإثبات نسب المزعوم ذكر الاختلاف الكبير بين المؤرخين في حيثياته التي ذكرناها، وكان قبل ذلك ادعى الاتفاق بين المؤرخين، ونحن نشكره على ذلك، إذ كفانا مؤنة التعليق.

إلا أنه مع ذلك أراد الاعتذار لنفسه وللمؤرخين الذين لم يتمكنوا من معرفة نسب الموهوم المزعوم فقال: **ومن الجائز أن يكون ابن سبأ قد أخفى عنا اسم والده اليهودي، لئلا يعرف الناس حقيقته**[١].

وهذا هروب واضح من وجه الحقيقة، واعتراف ضمني أنه لم يثبت عنده نسبه ولا اسمه ولا حقيقته.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على (سذاجة) لا تقف عند حد، فقد ربط الدكتور سرية العمل كلها بالنَّسب، وكأن الصحابة الذين خدعهم لم ينقصهم في كشفه وتحديد أهدافه سوى معرفة النسب، ولو أنهم عرفوا نسبه لما استطاع أن يفعل ما فعل! أما وقد جهلوا نسبه، فلهم العذر في عدم كشفه، لأن كل حركته ومخططاته محفوظة في (شريحة كومبيوترية) صغيرة تسمى (النسب)، فلما فُقدت فقد معها المخطط.

فلو أن هذا الباحث المسكين ذكر أنه أخفى يهوديته، باعتبار حساسية المسلمين من اليهود، أو أخفى أفكاره وبدعه الجديدة، أو أخفى معارضته للسلطة، لكان في ذلك شيء من الوجاهة والقبول، أما أن تبلغ بالموهوم عبقريته إلى إخفاء نسبه وإظهار التفاصيل الأخرى الكافية لاتهامه وقتله، فهذا مما لا يرضى به إلا أمثال هذه العقول (المدكترة) حديثاً.

وثمة نقطة أخرى في غاية الأهمية يدركها من عاش الأوساط العربية وما فيها من حس قبلي يعير أهمية كبرى للأنساب، فمن لا نسب له لا شرف له عندهم، فكيف يسلمونه قيادهم وهم يجهلون نسبه؟

---

(١) المصدر السابق.

كل ما لدى الأستاذ المذكور أنه حشر نفسه في زاوية لم يستطع الخروج منها إلا بهذا الاحتمال الذي ذكره دون دليل من عقل ولا نقل، وبهذا أوقع نفسه في مأزق آخر، حيث أرجع البحث إلى نقطة الصفر، واعترف أن ابن سبأ لا نسب له، ولا اتفاق بين المؤرخين على وجوده أصلاً.

جهل أم تدليس؟

هذا ما لدى الأستاذ من الروايات والأخبار في إثباب عبد الله بن سبأ، ولم يزد ذلك على بضع صفحات، ثم راح يناقش ما أسماه (شبهات منكري وجود ابن سبأ) وحاول أن يردها بطريقته التي رأيت، فلا يستحق منا الكثير من التوقف.

إلا أنني أنبه إلى بعض السقطات القاتلة التي أوردها الكاتب والتي تدل على جهل واضح فاضح بالمصادر التاريخية وعلم الدراية وما إلى ذلك.

فقد حاول الأستاذ أن يأتي بروايات جديدة حول ابن سبأ، ليجعلها في موازاة روايات سيف، لتعضدها وتقويها، إلا أن هذه ـ كما ذكرنا سابقاً ـ من المغالطات والحيل التدليسية التي يلجأون إليها للخلط بين الأسماء وربط بعضها ببعض دون دليل.

وقبل أن نبدأ بمناقشة بعض ما أورده في بحثه المذكور لا بد أن نذكّر بنكتة مهمة، وهي تأثير المسبقات الذهنية والنتائج المرتكزة أساساً في عمق التفكير في البحث العلمي، وما نحن فيه أحد الأمثلة الصارخة على ما نقول.

فها أنت تجد الباحث يحمل في ذهنه مسبقاً صورة عن رجل اسمه عبد الله بن سبأ (الملحمي) الذي تسبب في قتل عثمان، وتنصيب علي عليه السلام،

ومعركة الجمل، وقال بالوصية والرجعة، وهو يهودي من أهل اليمن كما زعموا. وهذه الصورة تلاحقه طيلة البحث، فهو مهووس بها لا يستطيع التخلص منها، فكلما سمع كلمة «سبأ» انصرف ذهنه لفكرته المتسلطة عليه، وربطها بالشخصية الذهنية التي رسمها في مخيلته.

ومن ثم تجد أن الكثير من الباحثين من هذا النمط، يستدل على وجود ابن سبأ بروايات لا دليل فيها سوى ورود الاسم، أو ما هو مظنة له، في حين أن الاسم مختلَف في مصداقه من الأساس، وهو متأرجح بين عدة شخصيات لا يجمعها جامع، اللهم إلا كونها سبئيّة من أهل اليمن، أو أنها في مخيلة الراوي.

ولو أن الروايات في دوره المزعوم كانت متعددة الطرق ومختلفة لأمكن الجمع بينها بشكل أو بآخر، لكن المطروح أمامنا روايات تفرّد بها سيف، وادعى له تلك البطولات الأسطورية، وروايات أخرى لا تتعدى كونه مرتداً أو خارجياً أو طاعناً في أبي بكر وعمر أو سباباً أو ما إلى ذلك.

وقد رأينا من خلال البحث، أن أحداً غير سيف بن عمر لم يرو ما نُسب إلى ابن سبأ في الفتنة، إنما روَوْا روايات أخرى تتعلق بمقالته فقط، ولم يتفقوا أيضاً على تلك المقالة، كما لم يتفقوا على الاسم والمسمى. فكيف يمكن الاحتجاج بروايات من طرق أخرى، وهي لا تذكر، لا من قريب ولا من بعيد، دوره في قتل عثمان؟

فالمطلوب من الباحث قبل كل شيء أن ينفي تفرّد سيف بن عمر بما زعمه من دور لابن سبأ، وذكر فيه عشرات الروايات.

وبالعودة لما نحن فيه من مناقشة الدكتور سامي عطا، نجد أن من السقطات التي يفترض أن ينتبه لها، أنه نقل رواية قال إنها عن (طوق الحمامة، ليحيى بن حمزة الزبيدي) والصحيح أنه (طوق الحمامة في مباحث الإمامة) ليحيى بن حمزة العلوي اليمني الزيدي (وليس الزبيدي). وسبب هذه الأخطاء والأوهام أنه اعتمد على الكاتب الوهابي الباكستاني إحسان إلهي ظهير، في كتابه الشيعة والسنة[1].

وهي مروية عن سويد بن غفلة، وذكر أن سويد بن غفلة توفي سنة ٨٠هـ ليوهم القارئ أن هذه الرواية سبقت سيف بن عمر، في حين أن مؤلف الكتاب المذكور توفي سنة ٧٤٩ ، أي في القرن الثامن بعد سيف بقرون.

كما أنه ذكر الرواية هكذا (طوق الحمامة ليحيى بن حمزة الزبيدي عن سويد بن غفلة) وهذا أقبح التدليس، فكان الأجدر به أن يقول: بسنده عن سويد، لأن بين يحيى وسويد بن غفلة ما يقرب من سبعة قرون! سيما أن هناك يحيى بن حمزة آخر يروي عن الأوزاعي وسليمان بن داود وغيرهما، فالسكوت هنا إيهام للقارئ بأنه يروي مباشرة عن سويد، أو هو جهل بحال الرواة.

وكل هذا لا يعنينا كثيراً وليس مهماً، ويبدو أنه إشكال فني أكثر من كونه علمياً، أو أنه تعمد للتدليس، وإيهام للقارئ.

إنما تعنينا الرواية التي نقلها، وهي أيضاً في لسان الميزان لابن حجر، بالسند التالي:

---

(١) الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير: ٢٨.

أبو إسحاق الفزاري، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن زيد بن وهب، أن سويد بن غفلة دخل على علي (رضي الله عنه) في إمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ ـ وكان عبد الله أول من أظهر ذلك ـ فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبد الله ابن سبأ فسيره إلى المدائن، وقال: لا يساكنني في بلدة أبداً. ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس... إلى أن قال: ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري[1].

وهذه الرواية تناقش من جهات عدة:

أولها: أنها لا دليل فيها مطلقاً على المدعى كما رأيت، فالمدعى هو: وجود عبد الله بن سبأ بالصفة التي ذكرها سيف، مروياً عن غير سيف.

ومن جهة ثانية: أين في الرواية ـ على فرض صحتها ـ أنه يهودي من أهل اليمن أظهر الإسلام وقال بالوصية والرجعة وفعل ما فعل في قتل عثمان وما إلى ذلك مما ذكره سيف بن عمر؟ كل ما في الرواية أن اسمه عبد الله بن سبأ، وهو يطعن في أبي بكر وعمر، وهذا ليس محل النزاع، إنما محل النزاع في روايات مصدرها سيف بن عمر، وعندئذٍ يرجع البحث مرة أخرى إلى نقطة الصفر.

ومن جهة ثالثة وردت روايات أخرى تبين أن هذا الطاعن على أبي بكر

---

(١) عبد الله بن سبأ، سامي عطا: ١٣. لسان الميزان، ابن حجر٣: ٢٩٠.

إنما هو عبد الله بن وهب الراسبي ـ كما عرفت من رواية البلاذري[(١)] وغيره ـ وليس ابن سبأ المزعوم، كما عرفت أيضاً أن رواية البلاذري جعلت عبد الله بن وهب الراسبي هو عبد الله بن سبأ ليس غير، فكيف يستطيع الدكتور أن يجزم بكونه غيره؟ .

ومن جهة رابعة: أورد كثير من أهل النقل هذه الرواية دون ذكر ابن سبأ فيها بالمرة، فقد روى الخطيب البغدادي المتوفى سنة **٤٦٣**هـ وغيره هذه الرواية بسندها الذي ذكره ابن حجر في لسان الميزان، وهو: أبو إسحق الفزاري، عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء، عن زيد بن وهب، والخطيب البغدادي أقدم بكثير من صاحب طوق الحمامة الذي نقل عنه الأستاذ، ومن ابن حجر صاحب لسان الميزان:

ففي رواية الخطيب: أن سويد بن غفلة دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إمارته، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مررت بنفر يذكرون

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٨٢. وهذه الرواية عينها في الغارات للثقفي، إلا أنه ذكر عبد الله بن سبأ، مما يعني عند الجمع بينهما أن عبد الله بن وهب الهمداني هو عينه عبد الله بن سبأ.

ومن ذهب إلى ذلك سعد بن عبد الله الأشعري القمي، الذي احتجوا به كثيراً، أنه يذكر ابن سبأ، دون أن يذكروا من هو ابن سبأ الذي يعنيه، فهو يعني عبد الله بن وهب الراسبي، قال في المقالات والفرق بعد أن ذكر فرقة السبئية: وهذه الفرقة تسمى السبئية، **أصحاب عبد الله بن سبأ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني**، وساعده على ذلك عبد الله بن حرس وابن أسود... وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم. المقالات والفرق: ١٩.

أبا بكر وعمر بغير الذي هما له أهل من الإسلام، لأنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ذلك، وإنهم لم يجترئوا على ذلك إلا وهم يرون أن ذلك موافق لك. وذكر حديث خطبة علي عليه السلام وكلامه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقوله في آخره: ألا ولن يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري[1].

فلم يذكر فيها البغدادي عبد الله بن سبأ، ولا نفيه إلى المدائن، ولا غير ذلك مما رواه سيف، فكيف جعلتموها دليلاً على المدعى؟.

ومن جهة خامسة: إن متن هذه الرواية لا يمكن الأخذ به بتاتاً، ولا يصح أبداً، لمخالفته القرآن الكريم، فكيف يبتدع عليٌّ حكماً جديداً بالجلد، وهو ما لم يأت به القرآن الكريم من الحدود؟ وهل يتعدى عليٌّ حدود الله؟!

وهكذا عرفت أيها القارئ الحصيف، أن علاقة هذه الرواية بموضوع البحث كما قال الشاعر:

وأشهد أن رحمك من زيادٍ　　　كرحم الفيل من ولد الأتان

وملخص ما نريد قوله: أن الرواية معارضة بما هو أسبق منها، وفيها خلل في المتن، ولا دلالة فيها إطلاقاً على وجود ابن سبأ، ولا ذكر لدوره المزعوم المتنازع فيه، وهو صاحب الدور في تلك الأحداث.

كما أنها في بعض نصوصها تبين أن عبد الله بن سبأ هو عبد الله بن وهب

---

(١) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي: ٤١٤. أنساب الأشراف للبلاذري: ٤٤٠. أسد الغابة، لابن الأثير ٤: ٦٨.

الراسبي رأس الخوارج.

والطريف أيضاً أنه جاء بالرواية ذاتها ثانية من تاريخ ابن عساكر على أنها رواية ثانية وليست الأولى، وهي ذاتها عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب، مع اختلاف في اللفظ.

والأدهى من ذلك أنه حشد روايات أخرى لا علاقة لها بمورد البحث إطلاقاً، منها قول ابراهيم النخعي: ما أنا بسبئي ولا مرجئي.

وبعد ذكر تلك الروايات الخالية من أية دلالة على المطلوب قال: وكما هو واضح فإن أصحاب هذه الروايات لم يذكر رواتها أنها نقلت عن سيف، **مما يدل على أن هذا الخبر لم ينفرد به سيف بن عمر التميمي، بل ورد عن رواة آخرين، وبعضهم متقدم على سيف.**

أقول: إما أن الدكتور يجهل أوليات البحث العلمي، أو يدلس ويكذب، ولا ثالث لهما. لأن جميع الروايات التي ذكرها في كتابه هذا ليس فيها شيء يذكر مما انفرد به سيف إطلاقاً، فيبقى سيف منفرداً بهذا. ثم إن كل من ذكرهم متأخر عن سيف، وإليك التفصيل:

لقد أخذ عن كتاب طوق الحمامة في مباحث الإمامة للإمام يحيى بن حمزة الزيدي، المتوفى سنة ٧٤٩ ، وعن تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ وعن ابن سعد صاحب الطبقات المتوفى سنة ٢٣٠هـ وعن الطبري المتوفى ٣١٠هـ . أما سيف بن عمر فقد توفي سنة ١٨٠هـ فأين هم المتقدمون عليه من المؤرخين الذين ذكرهم؟

هذا أشبه برواية سلفه سيف بن عمر الذي زعم أن ابن سبأ خرج من البصرة سنة ٣٣هـ وورد الشام سنة ٣٠هـ وخرج من الشام سنة ٣٠ ودخل

مصر سنة ٣٥ في إمارة عمرو بن العاص سنة ٢٥هـ!.

ومن تلبيساته العجيبة أنه في رده على السيد العسكري، نقل رواية عن أبي مخنف، باعتبار أن السيد العسكري يثق به كما يزعم، لكنه حرف الرواية، ثم استدل بها بعد تحريفها:

قال: وأبو مخنف هذا لم يشر في أحداث فتنة عثمان إلى السبئيّة، وأول إشارة لابن سبأ عنده تعود إلى أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ يذكر أنه بعد موقعة النهروان جاءه **(عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني رأس الخوارج وهو ابن سبأ)**.

ثم قال الدكتور بصراحة: والصواب: هو وابن سبأ.

وتكملة الرواية: ومعه حجر الكندي و عمرو بن الحمق الخزاعي، وحبة بن جوين البجلي، ثم العرني، وسألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر، فغضب منهم وقال: أوقد تفرغتم لهذا؟

ولا أدري من أين أبدأ مع هذه التفاهات؟ من تحريفه الصارخ لما نقله المؤرخ بقوله: والصحيح هو وابن سبأ؟ أم بأمانته في النقل؟ فهذه الرواية في أنساب الأشراف للبلاذري، وقد مر ذكرها بالنص التالي:

وأما حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبة بن جوين البجلي ثم العرني، وعبد الله بن وهب الهمداني ـ وهو ابن سبأ ـ فإنهم أتوا علياً وسألوه عن أبي بكر وعمر...إلخ[1].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٨٢.

فقد خطّأ الراوي والمؤرخ، وصحح العبارة بما يتناسب ورأيه، وقد عرفت أن من المؤرخين وأصحاب المقالات من جعل عبد الله بن وهب الراسبي ابن سبأ، ومنهم سعد بن عبد الله الأشعري والبلاذري.

ومما يؤكد اتحاد الاسمين، وأنه لا وجود لعبد الله بن سبأ في هذه الرواية، أنها رويت في مصادر أخرى لم يذكر فيها سوى عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني، ومنها الإمامة والسياسة لابن قتيبة[١] ومصادر أخرى.

وهكذا نجد أن هذه الأقلام، عندما لا تجد الزاد الكافي لحجتها، تلجأ للتدليس والكذب والمراوغة والتحريف والتمويه وخلط الحقائق، لتنتصر لأكذوبة يأبى المنطق والبحث العلمي إلا رفضها، بل من المعيب أن يصدقها من يحترم قلمه ويعير وزناً لتاريخ أمته.

وقد خصص الدكتور جانباً من بحثه للرد على الدكتور عبد العزيز الهلابي، أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الملك سعود، الذي أثبت بأدلة عقلية ونقلية، أن هذا المزعوم ما هو إلا أسطورة، وسوف يتبين لك ذلك عند وقوفنا مع الدكتور الهلابي في بحثه، وسوف ترى الفرق الشاسع بين الاثنين، بحيث لا يمكن المقارنة بينهما من وجه.

وبعد أن تبين للقارئ الكريم، ما في هذا البحث من وهنٍ وضعف بحيث لا يستحق المناقشة، رأينا أن نقف عند هذا الحد لئلا يطول بنا المقام، ونضيع الجهد فيما لا يستحق.

---

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١: ١٣٣.

٢ـ مع الشيخ سليمان بن حمد العودة:

ومما اطلعت عليه وأنا أبحث في هذا الموضوع الشائك، كتاب تحت عنوان: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، لسليمان بن حمد العودة[١] من المملكة العربية السعودية، وهو رسالة جامعية حصل كاتبها على شهادة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقبل أن أشرع بقراءته تفصيلاً، أود الإشارة إلى قول المؤلف في مقدمة الكتاب: كما لا يفوتني التنويه بأن هذه الآراء التي أودعت في كتاب لا تعدو أن تكون رأي بشر، فهي عرضة للخطأ، وحسبي أنني اجتهدت فيها ما وسعني الجهد، ولدي الاستعداد لقبول أي ملاحظة تبلغ بالكتاب غايته، وللقارئ الذي يتقدم بشيء من هذه التوجيهات مني الشكر مقدماً، ومن الله المثوبة.

وهذه بادرة محمودة يشكر عليها مقدماً، ونأمل أن يتسع صدره لملاحظاتنا هذه، وأن يأخذها بعين الاعتبار، وأن يكون موضوعياً بما فيه الكفاية.

لقد لاحظت على الشيخ العودة أنه كان أميناً في نقله إلى درجة كبيرة، وإن وقع منه خلاف ذلك فهو نتيجة السهو والخطأ أحياناً، والإحراج أحياناً أخرى، كما في إهماله الحديث عن يزيد الفقعسي مثلاً، لأن رسالته اعتمدت كلياً على روايات سيف وشيوخه، وإسقاط أي من هؤلاء يعني إسقاط الرسالة بكاملها.

وإليك الملاحظات التالية:

---

(١) وهو غير الشيخ سلمان بن فهد العودة، الداعية المعروف، وقد وقع الخلط بين الاسمين كثيراً.

١ ـ لا بد أن نشكر الأستاذ على إقراره منذ البداية بصعوبة التعامل مع الموضوع لغموض تلك الشخصية من جهة، وصعوبة البحث في أحداث جرت بين الصحابة، وصعوبة تمييز الصحيح من السقيم من النصوص، وأن الحقائق الناصعة في التاريخ تحتاج إلى استخراجها من بين **أنقاض الأوهام والمفتريات والأهواء والعصبيات التي اختلقها المختلقون والوضاعون من بين الرواة، وهؤلاء ليسوا قلة**[١].

ثم ظهور أثر أصحاب الأهواء في الكثير من النصوص، سيما أنها دونت بعد نشأة أصحاب الأهواء والفرق، وأن ذلك من عوامل الكذب[٢].

وهذا عين الصواب، فقد ابتلينا بأمثال سيف بن عمر، وعبد الرحمن بن مالك بن مغول، ومجالد، وأشباههم من الوضاعين، الذين ظهروا في القرن الثاني، وطبعوا أحداث القرن الأول بأهوائهم وعصبياتهم.

وأضيف للأستاذ العودة عاملاً آخر أهمله، وهو أثر السلطات الحاكمة في وضع تلك النصوص، وهو من أهم العوامل الفاعلة والمؤثرة في توجيه حركة التاريخ.

كما نشكره أيضاً على تصريحه بضآلة المعلومات عن ابن سبأ ودوره في الأحداث، مما اضطره إلى (الاستنتاج) أحياناً من خلال النصوص العامة، وإن كنا لا نأخذ باستنتاجه، ما لم يستند إلى ركن وثيق.

كما نشكره أيضاً على تثبته أحياناً، أو وقوفه حائراً في تفسير الكثير مما

---

(١) العودة: ٧، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

(٢) المصدر السابق.

نسبه سيف لابن سبأ، ومن ذلك تأثيره في أبي ذر الغفاري رحمه الله تعالى، وغير ذلك من علامات الإنصاف التي لم يتجاوزها، ووقف عندها بشجاعة، ولكنه مع ذلك وقع في تناقض كبير، من جهة قبوله الرواية عن سيف وعدم قبولها في آن واحد.

كما أنه لم يخرج عن الطوق الذي فرضه ابن تيميّة على أتباعه في اعتبار ابن سبأ حقيقة لا وهماً.

ومع ما ذكرنا للأستاذ من الإيجابيات، إلا أنه حاد عن الحقيقة، وحذا حذو أولئك (الكذابين الوضاعين وأصحاب الأهواء) عمداً أو سهواً ووقع ضحية ما أشار إليه في أول الكلام، وسيأتي ذلك إن شاء الله.

٢ ـ الخلل الكبير في هذه الرسالة هو المنهجية التي قامت عليها واعتمدتها، فهي من الأساس تفترض أن عبد الله بن سبأ موجود حقيقي، وانطلقت من كونه كذلك لتبحث في تفاصيل أحواله الأخرى، وبهذا وقع الأستاذ ضحية الوَضّاع الكذاب سيف بن عمر، وضحية أصحاب الأهواء والزنادقة، ولم يخرج عن دائرة شيخه ابن تيميّة.

فالخلاف الرئيس هو وجود هذه الشخصية من عدمه، أما أن يفترض من البداية أنه موجود حقيقي، ويجزم بذلك، ثم يذهب باتجاه تفسير النصوص المختلفة في أحواله الأخرى على هذا الأساس، فهذا خلاف المتعارف في البحث العلمي، فلا يمكن لباحث أن يغوص في أحوال (العنقاء والغول والسعلاة والنسناس) ما لم يبين أولاً ماهيتها، وهل أنها موجودات حقيقية أو خيالية؟.

فالمطلوب أولاً البحث في المقطع التاريخي الذي ظهر فيه هذا الاسم وما نسب إليه، ثم جمع (الأنقاض) التاريخية واستخراج الصحيح منها من ركام (الوضع والكذب) الذي أقر به وأشار إليه مشكوراً، ثم يأتي دور النصوص الأخرى، إن كان في نقاشها جدوى.

هذا هو الإشكال الرئيسي والقاتل في الرسالة، الذي يقع فيه الكثيرون عن قصد، ووقع فيه الأستاذ أيضاً.

وللأستاذ الكريم أن يطالبنا أيضاً ببعض الشواهد، فنقول:

أ ـ بدأ في الفصل الثاني من الرسالة بنسب عبد الله بن سبأ، وحاول أن (يؤلف) له نسباً من بين (الأنقاض)، قبل أن يجيب عن اللغز في وجوده أصلاً، مما يعني أنه سلّم بوجوده من البداية، وهو ما نرفضه بشدة، لما بيناه من أدلة على اختلاقه، وأنه لا أساس له من الأصل.

فلا بد أولاً من إثبات حقيقته قبل البحث في نسبه. فلا يمكن أن نسأل عن نسب يزيد الفقعسي مثلاً (وهو أحد مختلقات سيف) أو (خزيمة بن ثابت غير ذي الشهادتين)، إذا ثبت لدينا أنه مختلق، اللهم إلا إذا كان النسب مسلَّماً به منذ البداية، وهو الذي يقودنا للحقيقة، وهو ليس كذلك في ابن سبأ المزعوم، إذ لا نسب له أصلاً، ولو كان نسباً مختلقاً.

ب ـ حاول جاهداً في البداية اللجوء إلى عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني[1]، وهو بحد ذاته إشكال كبير، لأنه أحد علائم اختلاق هذه الشخصية.

---

(١) راجع: ابن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، للعودة: ٣٩.

وبعبارة أخرى أن الأستاذ لجأ إلى عبد الله بن وهب الراسبي، رأس الخوارج، المعروف النسب والحيثيات، فجعل من نسبه مطية وجسراً يمر من خلاله لتقرير وجود ابن سبأ حقيقة، وذلك أشبه بمن تسأله عن نسب شخص ما، فيقول: نسب جاره ينتهي إلى ربيعة.

قال الأستاذ العودة: **أما البلاذري وأبو خلف الأشعري فهما ينسبان ابن سبأ إلى همدان، فهو (عبد الله بن وهب الهمداني) عند البلاذري، و (عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني) عند الأشعري**[1].

وبالنتيجة فقد قرر هنا أن نسبة عبد الله بن سبأ تجتمع في أصله اليماني، وأن من نسبه إلى همدان أو حمير أو سبأ لم يكن واهماً، لأن الطرق جميعاً (تؤدي إلى روما) كما يقال، بل قرر ضمناً أن اسم أبيه وهب، باعتبار أن البلاذري والأشعري اتفقا في اسم أبيه كما هو واضح.

والخلاصة أنه انطلق من هذه المعلومة ليقرر أن أصل ابن سبأ من اليمن، فسواء نسب إلى همدان أو حمير أو سبأ فالنتيجة واحدة، في حين أن المنسوب لهمدان غيره وهو عبد الله بن وهب الهمداني الراسبي.

أما نسبة ابن سبأ إلى حمير فقد انفرد بها ابن حزم دون دليل. وأما نسبته إلى سبأ عامة فتشمل اليمنيين جميعاً، ومنهم كعب الأحبار اليهودي الأصل أيضاً، وغيره من السبئيين.

ثم هل يرى الدكتور كما يرى بعض المؤرخين أنه عبد الله بن وهب الراسبي رأس الخوارج، وليس غيره؟ فإن كان يرى ذلك فقد استراح

---

(١) ابن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، للعودة: ٣٩.

وأراح، لأن هذا الأخير موجود حقيقة، وما علينا إلا أن نبحث في تاريخه، فنرفض نظرية السبئيّة وعبد الله بن سبأ. وإن كان يراهما اثنين، فلا معنى أن يجعل نسب هذا لذاك.

هذه إحدى علائم التخبط والإرباك الكبير في هذه الرسالة، فكيف يثبت نسب ابن سبأ بإثبات نسب غيره؟

وقد يقول قائل: إن الأستاذ يجعلهما واحداً، فهو يرى ما يرى البلاذري والأشعري، فنقول: إنه سوف يرفض ذلك ويرده، فيراهما اثنين وليسا واحداً، ويخطّئ البلاذري والأشعري في ذلك، كما سيأتي.

والخطأ القاتل الذي لا يعذر عنه الأستاذ، أنه استدل بعد ذلك بكلام سيف بن عمر دون أن يشير إليه، فقال:

جاء في تاريخ الطبري: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء.

وهذا في الحقيقة كلام سيف بن عمر الكذاب، نقله الطبري بالسند الذي ذكرناه، ويبدو أن الأستاذ يخجل كثيراً من ذكر سيف، لأنه فضيحة التاريخ، وصمام الأمان في هذه الرسالة، بل الصاعق الذي يأتي عليها بالكامل.

وملخص ذلك أن الأستاذ لم يخرج من دائرة الإشكال، وعاد إلى موضع النزاع، وهو أن الراوي الوحيد لهذه الأكذوبة هو سيف بن عمر، ومن جاء بعده، ولا حل لهذا الإشكال إلا بالعثور على مصادر تاريخية قبل سيف أولاً، أو عن طرق أخرى وافقت سيفاً فيما قال.

أما ما ذكره من المصادر التالية كابن عساكر وغيره فقد رددت ما نعق به سيف، وكانت صدىً له، ولم تأت بجديد.

والجدير بالذكر أن ما ذكره من المصادر التالية بعد الطبري اختلفت

كثيراً في تحديد هوية ابن سبأ، سواء في ديانته أو موطنه الأصلي ونسبه، وهو ما يعمق الإشكال أكثر.

والأغرب من ذلك أن الأستاذ بعد أن استدل لنسبه اليماني بالجمع بين الأخبار الواردة عن ابن حزم والبلاذري والأشعري وغيرهم، بل قرر اسم أبيه أيضاً بناء على جمعه بين الآراء التي يقتضي الأمر صحتها جميعاً، عاد ليخطّئ البلاذري وغيره في نسبة ابن سبأ إلى همدان، والجمع بينه وبين الراسبي.

قال العودة: **أما من قال: إنه عبد الله بن وهب الراسبي، فلعل ذلك وقع نتيجة الخلط بين عبد الله بن سبأ هذا، وبين عبد الله بن وهب الراسبي صاحب الخوارج**[1].

فلا أدري أين يضع الأستاذ قدمه من هذه النقطة بالذات، فإن كان البلاذري خلط بين شخصيتين ولم يتبين له وجه الحقيقية، فكيف صح لك الاستنتاج منه أن ابن سبأ من اليمن؟

وإن كان ما نقله صحيحاً، فكيف خطأه مرة أخرى في هذا الموضع، في الوقت الذي يدرك فيه أن الراسبي شخص مستقل، يختلف عن ابن سبأ الذي يريد إثباته؟

بهذا يكون الأستاذ قد وقع في تناقض فاحش، فمن جهة استدل ليمانية ابن سبأ بكونه همدانياً أو حميرياً أو سبئياً، إذ لا فرق في ذلك، كما أوهم

---

(١) المصدر السابق: ٤١.

القارئ أنه عبد الله بن وهب الراسبي فدمج بينهما، ثم عاد ليفرّق بين الرجلين من جديد، ويخطئ ناقل الرواية التي اعتمدها هو ذاته.

أما الحقيقة فهي أن البلاذري وغيره لم يكونوا واهمين، إنما ذكروا عبد الله بن وهب الراسبي فحسب، ثم سماه غيرهم ابنَ سبأ ليس غير، وهذا صحيح منهم، لأنه يمانيّ، أما الأستاذ، فلأنه ارتكز في ذهنه شخص حقيقي اسمه عبد الله بن سبأ، صار لزاماً عليه أن يخطّئ المؤرخ، بدل أن يخطّئ سيف بن عمر المتهم بالوضع والاختلاق والزندقة.

والذي أوقع الأستاذ في هذه الورطة هو سيف بن عمر وأتباعه، الذين اختلقوا عبد الله بن سبأ من مجموعة أفراد، ونسجوا حوله الأساطير، وأوهموا الأجيال أنه واحد، فارتكز ذلك في ذهن الأستاذ وغيره، وأثرت فيهم الدعاية بشكل كبير، حتى لجأوا إلى تخطئة من يريدون تخطئته من المؤرخين، لتبقى شخصية ابن سبأ في أذهانهم على حالها، حفظاً لماء وجه المتقدمين من السلف، وعلى رأسهم الشيخ ابن تيميّة.

فالخلط بين الأسماء من سيف بن عمر وأتباعه، وليس من البلاذري يا أستاذ.

وقد رأيت ـ أخي القارئ الكريم ـ فيما مضى، أن الدكتور الأردني خطّأ التاريخ، وصحح العبارة بقوله: **والصحيح هو وابن سبأ**، في حين أن نص الرواية هو: وأما حجر بن عدي ... **وعبد الله بن وهب الهمداني وهو ابن سبأ**... إلخ.

وقد خطّأ الأستاذ العودة المستشرق المعروف روندلسون دوايت للسبب نفسه أيضاً.

ج ـ أصل الربط بين عبد الله بن سبأ وبين ابن السوداء، كان من سيف بن عمر، ولا رابط بينهما أبداً، ومن هنا أدخل الأستاذ رواية الجاحظ لينطلق منها لمعرفة نسب عبد الله بن سبأ واسم أبيه على وجه التحديد:

قال: وهناك من ينسب ابن سبأ من جهة أبيه إلى (حرب)، كما فعل الجاحظ، وهو ينقل الخبر بإسناده إلى زحر بن قيس[1] قال: قدمت المدائن بعدما ضرب علي بن أبي طالب رحمه الله فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب[2].

والسؤال الآن للباحث الأكاديمي: كيف ربط الأستاذ بين (ابن السوداء) (وابن سبأ) وجعلهما شخصاً واحداً؟ لا بد أن تكون إجابته أن الطبري ذكر ذلك، وعندئذ نعود للمربع الأول، ونقطة الصفر، وهو سيف الكذاب. وإلا فإن البحث الأكاديمي لا يتعامل مع (مسلّمات ذهنية) أو (مشهورات لا أصل لها) أو (أحكام مسبقة) أو (أقاويل الدعاية)، إنما يعتمد الدليل الناضج الناصع الذي يقود للحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك.

أما ما استدل به من كلام الطبري مرة أخرى، وأنه ينسبه من جهة أبيه إلى سبأ، فيقول: عبد الله بن سبأ، فهذا ليس من كلام الطبري وهذا خطأ أو

---

(١) تبين لك سابقاً ما في هذه الرواية وأمثالها من الضعف، وأنها روايات وضعها النواصب وقتلة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، إضافة لما في متونها من الاضطراب والتناقض، فهناك من ذكر أنه (رجل) وهناك من قال إنه عبد الله بن وهب، وهكذا، إلا أن الأستاذ اختار لفظاً واحداً من الرواية فيه (ابن السوداء) وترك الألفاظ الأخرى هرباً من الإحراج. راجع ص ٤١ من هذا الكتاب.

(٢) المصدر السابق: ٤١.

تدليس، فعبارة الطبري بالنص: كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء. فالكلام مروي عن سيف، وهو (العقدة) التي لا تستطيعون التخلص منها مهما فعلتم وكتبتم من رسالات دكتوراه وغيرها.

د ـ بعد أن أجهد الأستاذ نفسه في نسبة عبد الله بن سبأ المزعوم، وعجز عن ذلك ـ إذ لا نسب له أصلاً ولا وجود ـ لجأ إلى الاحتمالات، فقال: **وليس بمستبعد أن يكون (سبأ) الذي انتسب إليه عبد الله بن سبأ تغطية أراد بها التمويه على المسلمين**[1].

وهكذا خرج من نقطة النزاع بخُفَّي حنين، ولم يعط القارئ النتيجة المرجوة، وفسر الماء بعد الجهد بالماء، فهو ليس ابن سبأ أصلاً، إنما كان ذلك (تغطية أراد بها التموية على المسلمين) وبالتالي رجع الأستاذ من حيث أتى، وبقي السؤال قائماً لم يجد له من جواب.

وفضلاً عن كون ذلك احتمالاً، والاحتمال يبطل الاستدلال، فإنه احتمال في غاية السذاجة أيضاً، لأنه يفترض أن الرجل يعمل في أوساط المسلمين بنفسه، ويخفي عنهم اسم أبيه، فهل كان يخشى على أبيه؟ أوما كان الأجدر به أن يخفي دينه لحساسية المسلمين من اليهود؟ أولم يذكر بعد قليل أنه قال لابن عامر لما سأله عن نفسه: إنه رجل من أهل الكتاب؟

هـ ـ أما النسبة لأمه فلم يتعدّ الأستاذ رواية سيف في الطبري، ولم يخرج منها إلا إليها، ولم يأت بمصدر واحد إلا وهو بعد الطبري، فضلاً عن أن

---

(١) المصدر السابق: ٤٢.

بعضها ذكر (ابن السوداء) فقط دون أن يذكر أنه (ابن سبأ) كما في رواية الجاحظ السابقة وغيرها.

وعاد الأستاذ بعد عجزه عن إثبات ذلك إلى اتهام الرواة والمؤرخين بالخلط في نسبه إلى أمه، كما هو الحال في الخلط في نسب أبيه، ولم يجرؤ أن يتهم الراوي الأول، وهو سيف بن عمر، قال:

ومع هذا كله، وكما وقع الخلط والإشكال في نسبة ابن سبأ لأبيه، وقع الخلط، وتصور من غفلوا عن هذه النسبة لأمه، أن هناك شخصيتين، ابن سبأ وابن السوداء.

ففي العقد الفريد: منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن السوداء نفاه إلى الخازر.

ويقول أبو المظفر الإسفراييني: ووافق ابن السوداء عبد الله بن سبأ بعد وفاة علي في مقالته هذه.

ومثل هذا يقع عند البغدادي: فلما خشي علي من قتل ابن السوداء وابن سبأ الفتنة نفاهما إلى المدائن[١].

وقد ذكرنا فيما مضى أمثلة لذلك أيضاً. وبالتالي لا سبيل للأستاذ إلا (تخطئة المؤرخين) واتهامهم بالخلط والغفلة، باستثناء سيف بن عمر، لأنه فوق مستوى النقد، وابن تيميّة لأنه مقدس أيضاً.

فأي تاريخ هذا؟ وأي مؤرخين؟

وأخيراً انتهى الأستاذ في بحثه عن نسب المزعوم ابن سبأ إلى عدم وجود

---

(١) عبد الله بن سبأ، العودة: ٤٢.

الدليل على حقيقته، وإن لم يصرح بذلك، قال:

والذي يرجح من مناقشة الروايات أن ابن سبأ غير ابن وهب الراسبي، وأنه هو نفسه ابن السوداء، والله أعلم[1].

أقول: هذا ترجيح بلا مرجح، أو ترجيح للمرجوح، بل المكذوب، فوجود عبد الله بن سبأ طريقه الكذاب سيف بن عمر، ووجود عبد الله بن وهب الراسبي حقيقة، فكيف ترجح الموضوع المكذوب، أو على الأقل الضعيف الذي لا طريق له إلا سيف، على الحقيقة؟

وكيف تجمع بينه وبين ابن السوداء ولديك على الأقل ثلاث وثائق تاريخية مناقضة لذلك، وهي لابن عبد ربه والجاحظ والاسفراييني؟

وهكذا يسترسل الدكتور في ذكر الاختلافات في دين ابن سبأ، ويقرر أنه اختلف في كونه يهودياً أو نصرانياً أو من (الفالاشا)، ثم جمع بين الجميع بطريقته المعروفة، وهي أن المسيحية امتداد لليهودية!.

وعلى هذا يمكن القول أيضاً: إن الإسلام امتداد لليهودية والنصرانية، ويصح أن يقال لك مسلم إنه يهودي أو نصراني.

وأخيراً اعترف صراحة بأن المعلومات عن ابن سبأ **لا تروي غليلاً، ولا تهدي سبيلاً، ولعل مرد ذلك إلى المصادر التي بين أيدينا، فهي لا تكاد تبين عن نشأة ابن سبأ، كما أن المعلومات عن فتوة ابن سبأ قبل ظهوره غير موجودة. ونحن هنا مضطرون للصمت عما سكت عنه الأولون،**

---

(١) المصدر السابق: ٤٣.

حتى تخرج آثار أخرى تزيل الغبش وتكشف المكنون[1].

ولم يبق للأستاذ إلا أن يقول: ويبقى عبد الله بن سبأ (أسطورة ملحمية) حتى تخرج الآثار، وتبعث من مقابرها.

وحاصل ذلك، وبمنطق العلم: لو تنزلنا فقلنا: لدينا شخص مختلف فيه، فالأدلة على وجوده لدى الأستاذ وغيره معدومة، وها هم يخوضون غمرات البحار فيرجعون بخفي حنين، وينتظرون كتباً وآثاراً جديدة لإثبات مدعاهم. والأدلة على اختلاقه ووضعه قائمة وكثيرة، وقد رأيت منها العشرات في هذا البحث وغيره، فكيف نرجح الاحتمال الأول على الثاني؟ اللهم إننا نعوذ بك من الهوى والزيغ وحبائل إبليس.

وخلاصة الأمر: أن هذا الباحث يصرح بما لا يقبل الشك أنه لم يقطع بوجوده أصلاً، ولم يجد دليلاً على ذلك كما هو واضح. ولم يبق له إلا ما في ذهنه مسبقاً، وما أخذه من شيخه ابن تيميّة.

و ــ من الواضح جداً لمن يقرأ الكتاب، أن المؤلف تحاشى بشدة الخوض في روايات سيف بن عمر، لأنها المقتل الذي يؤخذ منه، فينهار بناؤه من القواعد، فيخر عليه السقف من فوقه. وكلما اقترب من روايات سيف نسبها للطبري أو ابن الأثير، وهي كلها تعود إلى سيف بن عمر، أما الراوي الأصلي لوجود ابن سبأ وهو يزيد الفقعسي فلم يدنُ الأستاذ من ساحته؛ لأنه يعرف أنه لا وجود له، شأنه شأن ابن سبأ المزعوم.

---

(١) المصدر السابق: ٤٦.

أبو ذر ومعاوية:

مع أن الأستاذ تجنب الخوض في روايات سيف بشكل تفصيلي، لا سيما في السند، ولم يجبنا عن يزيد الفقعسي (المتعهد الأول والحصري في نقل روايات وجود ابن سبأ)، إلا أنه ردَّ بشجاعة نادرة دعوى سيف أن ابن سبأ هيّج أبا ذر على معاوية، وذكر سبعة أدلة شافية عقلية ونقلية أن الخلاف بينهما لم يكن بسبب ابن سبأ، وهذا يعني أن ما أورده سيف من ذلك كان كذباً محضاً، وهو ما نقوله، ونؤكده في بحثنا هذا، بل نستدل به على عدم وجود ابن سبأ هذا.

إلا أنه مع ذلك وقع في إرباك كبير، من جهة أنه أخذ بعض الرواية وردّ بعضها، فأخذ منها ما يتعلق بوجود ابن سبأ، ورد ما يتعلق بدوره في تهييج أبي ذر، وهذه انتقائية صارخة، وزيغ لا مبرر له.

ولحصافة أدلة الأستاذ العودة ونضجها نوردها هنا للفائدة، مع ما لدينا من ملاحظات عليها أيضاً.

فقد أورد في رسالته، الأدلة التالية التي تؤكد أن الخلاف بين أبي ذر ومعاوية لم يكن بسبب من يدعى ابن سبأ، إلا أنه مع ذلك لم ينكر وجوده، فقال:

١ ـ لم تكن مواجهة أبي ذر رضي الله عنه، لمعاوية رضي الله عنه وحده بهذه الآراء، وإنما كان ينكر على كل من يقتني مالاً من الأغنياء، ويمنع أن يدخر فوق القوت، متأولاً قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ﴾[1].

---

(١) التوبة: ٣٤.

٢ ـ وحينما أرسل معاوية إلى عثمان رضي الله عنه، يشكو إليه أمر أبي ذر، لم تكن منه إشارة إلى تأثير ابن سبأ عليه، و اكتفى أن قال: «إن أبا ذر قد أعضل بي، وقد كان من أمره كيت وكيت».

٣ ـ ذكر ابن كثير الخلاف الواقع بين أبي ذر ومعاوية بالشام في أكثر من موضع في كتابه، ولم يرد ذكر ابن سبأ في واحد منها (أي ذكر تأول أبي ذر لآية براءة السابقة).

٤ ـ وفي صحيح البخاري، ورد الحديث الذي يشير إلى أصل الخلاف بين أبي ذر ومعاوية، وليس فيه الإشارة من قريب أو بعيد إلى ابن سبأ.

فعن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُوْنَهَا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إليّ عثمان أن اقدم المدينة، فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي : إن شئت تنحيت فكنت قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليّ حبشياً لسمعت وأطعت.

٥ ـ وفي أشهر الكتب التي ترجمت للصحابة، ترد محاورة معاوية لأبي ذر، ثم نزوله الربذة، ولكن شيئاً من تأثير ابن سبأ على أبي ذر لا يذكر.

٦ ـ بل ورد الخبر في الطبري هكذا: فأما العاذرون معاوية في ذلك ـ يعني إشخاص معاوية أبا ذر للمدينة ـ فذكروا في ذلك قصة ورود ابن السوداء الشام ولقياه أبا ذر ... إلخ. والحقيقة أن ليس هناك مجال للاعتذار

عن معاوية فيما صنع، فهو لم يفعل شيئاً يوجب الدفاع عنه، وحتى حواره مع أبي ذر ثم شكواه إلى الخليفة إنما يمثل الأدب والتواضع من الطرفين، فأبو ذر رضي الله عنه يستفهم من معاوية «ما يدعوك أن تسمي مال المسلمين مال الله » ومعاوية رضي الله عنه يجيب برفق: «يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره».

٧ ـ وأخيراً فإنه يبقى في النفس شيء من تلك الحادثة؛ إذ كيف يستطيع يهودي خبيث، حتى ولو تستر بالإسلام، أن يؤثر على صحابي جليل، كان له من فضل الصحبة ما هو مشهود ، بل كان له من الاستقلال بآرائه ما يجعله يرفع محجنه فيشج بها رأس كعب الأحبار[1].

ثم ذكر قصته مع كعب الأحبار، وقوله له: يا بن اليهودية، ما أنت وما ها هنا؟ ... إلخ.

وباختصار: كانت تلك الحادثة كذباً محضاً، وافتراءً على أبي ذر، طبقاً لأدلة العودة، مما يعني أن رجلاً بهذا الاسم لم يكن بين أبي ذر ومعاوية، إنما كان الخلاف بينهما لأسباب أخرى.

إلا أن شجاعة الأستاذ العودة ـ مع شديد الأسف ـ توقفت عند هذا الحد، فلو أنه عمّم الدليل الأخير ـ على الأقل ـ على جميع ما نُسب لابن سبأ من تفاهات وخرافات، لأراحنا وأراح نفسه والأمة من عناء البحث والتحقيق، ولأغلق الباب على هذه الأسطورة الملحمية إلى يوم القيامة، فقد استند إلى دليل عقلي يمنع من تأثيره في أبي ذر، وهذا يسري لكل ما نسب إليه من

---

(١) المصدر السابق: ٥١.

تأثير في الصحابة والتابعين كعمار بن ياسر وابن عديس البلوي وعلباء بن الهيثم ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر، وغيرهم، بل كيف يقوم بقتل خليفة وتنصيب خليفة وإشعال الحروب بين أهل خير القرون؟

ليت الأستاذ صرح بكذب هذه الرواية ووضعها ـ وهي الأصل في وجود ابن سبأ في التاريخ ـ انطلاقاً من تكذيب ما نسب لأبي ذر، فكيف يرفضها من جهة التأثير في أبي ذر، ويرضاها من جهة وجود ابن سبأ، وهي عين الرواية وذاتها؟ فهل يمكن أن يكون نصف الخنزير حلالاً والنصف الآخر حراماً؟

ز ـ من السقطات القاتلة التي وقع فيها الأستاذ ـ وهي ما لم أكن أتوقعه منه ـ أنه جعل عبد الله بن سبأ من المحرضين على عمرو بن العاص في مصر، وهذا جهل بالتاريخ لا ينبغي أن يمر على ثلاثة من الأساتذة المشرفين على الرسالة، لأن عمرو بن العاص عُزل عن ولاية مصر سنة ٢٥هـ أو ٢٧، أي قبل ثمان أو عشر سنوات تقريباً من دخول المزعوم ابن سبأ إليها، وكان عليها آنئذ عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وكان يجدر بالأستاذ ومن معه من الأساتذة المشرفين أن يكونوا قد التفتوا لقول الطبري نقلاً عن سيف: فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر[١]. وهو ما يؤكد وجود ابن أبي سرح على مصر وليس عمرو بن العاص.

وقد وقع الأستاذ مرة أخرى ضحية روايات سيف المضطربة المتناقضة، لكنه دلنا مشكوراً على عيب آخر من عيوب سيف بن عمر لم نكن نلتفت

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٣٧٩.

إليه سابقاً، لأننا بحثنا في رواياته في الطبري حصراً، وبالتالي راجعنا بحثنا من جديد، فأضفنا هذا التناقض إلى سلسلة تناقضاته.

لقد تابعتُ سقطة الأستاذ هذه فرأيت أن سببها سيف بن عمر، حيث نقل عنه الذهبي وابن عساكر، كما رأيت في الرواية الأولى من الصنف الثاني من روايات سيف التي ذكرناها.

علماً أن الأستاذ قرر أن أقرب تاريخ لدخول عبد الله بن سبأ مصر هو سنة ٣٤ ، وفي تلك السنة كان عليها ابن أبي سرح، كما روى سيف نفسه، فيكون سيف قد دلَّ بهذا التناقض على وضعه الرواية ، كما تسبب في إيقاع الأستاذ العودة في هوّة سحيقة لا يمكن سترها والاعتذار منها.

قال الأستاذ العودة: بل لقد فطن للرجل الذي سيقف في طريقه ويبطل مخططه، فبدأ إثارة الناس على عمرو بن العاص رضي الله عنه، داهية العرب وبطل الإسلام(١)، **ووالي مصر في تلك الفترة**... ولقد بدأ ابن سبأ فطعن في عمرو بن العاص قائلاً: ما باله أكثركم عطاءً... إلخ(٢).

والعجب الأكبر أن الأستاذ العودة لم يذكر عمرو بن العاص في ولاة عثمان فيما يلي من كتابه المذكور(٣)، إنما ذكر ابن أبي سرح، وأن عثمان ولاه مصر بعد ابن العاص، والمعروف أنه آخر من ولاه على مصر، وقد

---

(١) ومن أبرز بطولاته قتاله أمير المؤمنين علياً عليه السلام وقتله محمد بن أبي بكر، وجمعه القناطير المقنطرة من الذهب من خراج مصر.

(٢) عبد الله بن سبأ، العودة: ٥٢.

(٣) المصدر السابق: ١٢٤.

حدثت الفتنة في زمانه، فيما كان عمرو بن العاص يعيش في فلسطين، يؤلب الناس على عثمان، حتى الرعاة منهم، فضلاً عن الوجوه والرؤساء.

فإذا كان هذا مستوى البحث، وهذه أولياته، وهؤلاء من نعتمد عليهم في تصحيح التاريخ، فعلى التاريخ السلام.

ح ـ لم يعثر الأستاذ ولو على مصدر واحد ذكر عبد الله بن سبأ بالصورة التي عرضها سيف، وقد حاول كثيراً فلم يوفق، وحاول أكثر من مرة إيهام القارئ بوجود مصادر أخرى أقدم من سيف، فلم يستقم له الأمر، كما في نقله عن رسالة الإرجاء، للحسن بن علي بن محمد بن الحنفية، والصحيح أنه نقل عن كتاب الإيمان، لمحمد بن يحيى العدني المتوفى (٢٤٣هـ).

وكعادته وعادة غيره حصد كل ما وقعت عليه عينه من المصادر لمجرد ذكر ابن السوداء أو ابن سبأ أو السبئيّة دون تمحيص، وهذا هروب واضح من أصل القضية، وهي إثبات عبد الله بن سبأ (الملحمي) من غير طريق سيف.

إن محل النزاع يا أستاذ ليس أن تثبت دخول رجل يهودي في الإسلام، فما أكثر الداخلين فيه، وهم اليوم من الصحابة الكبار والرواة المعتمدين عندكم، وأنت أدرى من غيرك بهم، ولا أن تثبت وجود منافق يعمل سراً لهدم الإسلام، فقد كفانا القرآن الكريم هذه المؤنة، وما أكثر المنافقين، ولا أن تثبت وجود جماعة من الناس تتبع رجلاً في مقالة ما، أياً كانت هذه المقالة، فما أكثر الفرق والمقالات الضالة والمنحرفة، إنما المهم أن تثبت لنا بطل رواية سيف الذي نسب إليه التحريض على عثمان ثم قتله، واستخلاف علي وما إلى ذلك، وأنه هو المؤسس لمذهب الشيعة. ودون

ذلك خرط القتاد، فلا تخلطوا الحق بالباطل، ولا تحشدوا أسماء من أنقاض التاريخ وقمامته لتؤلفوا منها بطلاً أسطورياً، فإنكم بذلك تشهدون بالوضع والكذب، ولا تزيدوننا باختلاقه وفبركته إلا يقيناً وبصيرة.

سيف بن عمر: الكذاب الثقة:

لقد حاول الأستاذ وغيره أيضاً إيجاد مخرج مناسب لتوثيق سيف بن عمر، معتمدين قول الذهبي فيه: كان إخبارياً عارفاً، وقول ابن حجر: ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ. وإيجاد نظرية جديدة ملخصها أن هناك محدثاً وهناك إخبارياً، ويمكن أن يكون الإخباري ثقة في التاريخ مع أنه ليس كذلك في الحديث، ولو كان يكذب على رسول الله ﷺ، وهي قاعدة تحتاج الكثير من التوقف، إلا أنها باطلة من جهة، ولا تنطبق على سيف بن عمر من جهة ثانية.

أما بطلانها فأقل ما يقال فيها أنه لا دليل على صحتها، بل الدليل على خلافها، لأن من يكذب على النبي ﷺ والصحابة ويضع الأحاديث كما يشاء، كيف يؤمن نقله في التاريخ، مع كون الكثير من المسائل العقدية والفقهية تعتمد على النقل التاريخي؟ وكيف يرضى عاقل أن يسلّم التاريخ الإسلامي، وعقائد المسلمين لكاذب يفتري على أقدس الشخصيات فيه وهو رسول الله ﷺ؟

بل كيف يسوغ للمسلم أن يتعامل إيجابياً مع من يكذب على نبيه ويتقوّل عليه وعلى صحابته؟

ومعنى هذه القاعدة أن المحدث الكذاب، إخباري ثقة، أما كيف يكون

الكذاب ثقة فهذا ما يُسأل عنه من ابتدع هذه البدعة.

ثم إن كان الأمر كذلك فلمَ رفضتم الواقدي وأبا مخنف والكلبي وغيرهم؟ أليس هؤلاء إخباريين؟

وأما عدم انطباق القاعدة التي أسسوها على سيف بن عمر، فلأنه ليس عمدة في التاريخ كما زعم ابن حجر، ولا إخبايا عارفاً كما زعم الذهبي، فمعرفته في التاريخ وتخبطه صار من أوضح الواضحات، بعد أن نقل لنا أن هجرة ابن سبأ من البصرة كانت سنة ٣٣هـ ووصوله الشام كان سنة ٣٠ ، ونقل لنا قيام الصحابيين عبادة بن الصامت وأبي الدرداء لنصرة عثمان، والصحيح أنهما لم يكونا على قيد الحياة أيام مقتل عثمان. ونقل لنا تأليب ابن سبأ الناس على عمرو بن العاص، في حين أن عمرو بن العاص لم يكن على مصر سنة ٣٤ أو ٣٥ إنما عزل عنها منذ سنة ٢٥هـ أو ٢٧هـ ومروياته مشحونة بأمثال تلك التناقضات، فكيف يمكن أن نعتمده في التاريخ وهذه حاله من قلة الضبط؟!.

أضف إلى ذلك أنه ثبت كذبه حتى في التاريخ، وقد رأيت في تناقضاته السالفة كم هو عارف وعمدة في التايخ.

ومن الملاحظ هنا أنهم يحاولون قبول رواياته لأنه إخباري تارة، فلا شأن للجرح والتعديل فيه، ولأن الذهبي وابن حجر جعلاه عارفاً وعمدة في التاريخ تارة أخرى.

فإن كان سبب القبول هو كونه إخبارياً فيقتضي قبول مرويات الواقدي وأبي مخنف والكلبي وغيرهم من الإخباريين، وإن كان السبب عبارات الذهبي وابن حجر، فليسا من عبارات التوثيق عند علماء الرجال.

أضف إلى ذلك أن علماء الجرح والتعديل كذبوه في روايات تاريخية محضة، وليس في الحديث النبوي، فلم يقبلوا روايته في خزيمة بن ثابت الذي ادعى أنه غير ذي الشهادتين، مع كونها تاريخية، وليست حديثاً نبوياً.

ط ـ بعد هذا البحث الذي أتعب الأستاذ نفسه فيه ولم يخرج بنتيجة، تحول إلى آراء الآخرين في هذه الشخصية المزعومة، ومن الطبيعي أن لا يوافق منهم إلا من وافق هواه، ولا نتوقع منه أن يعرض آراءهم على المنهج العلمي، ويعذرهم فيما ذهبوا إليه، أو أن يقبل شيئاً ـ ولو يسيراً ـ من أدلتهم، والسر في ذلك أنه لا منهج لديه سوى الحكم المسبق الذي اختزنه في ذهنه وأخذه من شيخه ابن تيميّة.

ولإطلاع القارئ الكريم على جانب من ذلك نذكر الشواهد التالية:

ـ ذكر آراء بعض المستشرقين، ونسب إليهم موافقته في وجود ابن سبأ، ومنهم: فان فلوتن، يوليوس فلهاوزن، إسرائيل فرييد لاندر، جولد تسيهر، رينولد نيكلسون، دوايت م . رونلسن.

والحقيقة أنه خلط بين هؤلاء خلطاً كبيراً، ومن يخلط في النقل من مصادر العرب كيف نتوقع ضبطه في النقل عن غيرها؟

وقبل أن نستجلي الحقيقة لا بد أن نشير أنه استدل بآراء هؤلاء مع أن الكثير منهم من اليهود، وقد هاجمهم زميله سعدي الهاشمي في كتابه الآتي، وسيأتي الحديث عنه.

أضف إلى ذلك أنه خلط بين من يثبت وجوده ودوره، ومن ينكرهما معاً، ومن ينكر دوره فقط.

فمثلاً (فريد لاندر) يرى وجوده فقط ولا يرى له دوراً في الفتنة، ونقل عنه سعدي الهاشمي أنه ينكر ابن سبأ بالمرة كما سيأتي. وكذلك فلهاوزن، بل إنه نقل الكثير من تشكيكهم فيه، ومن ذلك رأي لاندر أن سبأ ليس أباً لعبد الله بن سبأ، وإنما اسم قبيلة، وهي تطلق على كل من يأتي من اليمن. وكذلك جولد تسيهر، الذي لم يتعدّ في رأيه كون ابن سبأ يؤله علياً.

والحاصل من كلام المستشرقين أن النزر اليسير منهم يؤيد الشيخ العودة في دور ابن سبأ في الفتنة، أو ينكره بالمرة، وهو ما جعل الهاشمي يهاجم المستشرقين وأتباعهم في هذا الجانب.

والنقطة المهمة هنا، هي أن هؤلاء المستشرقين لو ذهبوا إلى ما ذهب إليه لكانوا في نظره من خيرة المنصفين، ومن الباحثين الأكاديميين الذين يحتج بكلامهم، والدليل أنه احتج بكلام بعضهم، بل حاول أن يطرحه بشكل يوحي للقارئ أنهم موافقون لرأيه، أما من أنكر ابن سبأ منهم فلا بد أنه يكيد للإسلام، وتهمته الأولى أنه يهودي.

وهذا الميزان هو ذاته المستخدم في تراث هؤلاء وموروثاتهم، فإذا أسلم اليهودي، والتحق بمعاوية وصار قريباً من السلطة، أصبح من أهل العلم والمعرفة الذين لا يستغنى عنهم، أما إذا تشيع فلا بد أنه يكيد للإسلام.

فالمعيار عندهم هو الجهة وليس الحقيقة، فمن كان في جهة علي فهو متهم، ولو كان من الصحابة من أمثال عمار وأبي ذر وابن الحمق وابن عديس وغيرهم، ومن كان في جهة معاوية فهو (صحابي) أو (تابعي) لا يجوز التعرض له بسوء، ولو كان حبراً يهودياً.

خلاصة ما أريد قولـه: أن هـذه الرسـالة لـم تخـرج عمـا يتبنـاه شـيخ الإسلام ابن تيميّة، في كون عبد الله بن سبأ مؤسساً للشيعة، وأنه شبيه بولص النصراني في إفساد النصرانية، وهذه هي (العقـدة) الرئيـسية التـي لا يـستطيع أتباعه تجاوزها، بل يعدّون الخروج عنها خروجاً عن السنة والجماعـة، فهـم لا يفكرون بعقولهم، إنما بعقل شيخهم ابن تيميّة.

فلو أنهم تراجعوا عن هذه الفكرة لشهدوا عليه بالخطأ والكـذب، وربمـا جرّ ذلك إلى مخالفته في كثير مما قالـه، وبيـان الكثيـر مـن كذبـه، فالحفـاظ على هيبة شيخ الإسلام، مقدَّمة على الحفاظ على الإسلام.

ولـيكن معلومـاً للقـارئ الكـريم أن هنـاك خطوطـاً حمـراء فـي بعـض الجامعـات لا يمكـن تجاوزهـا، وقـد منعـت الكثيـر مـن البحـوث والكتـب بدعوى مخالفة العقيدة، في حين أنها تبحث في قضايا لا علاقة لها بالعقيدة، كما في شأن إيمان أبي طالب مثلاً.

ومن ثم لا نتوقع من المؤلف أكثر من هذا، إلا أن يخـرج عـن المـألوف ويتحمل حراب الملاحقة القانونية والاجتماعية والدينية.

إلا أنني أنصحه أن يعيد النظر بما كتب، فـإن الحـق أحـق أن يتبـع، وهـو فوق ابن تيميّة وكتب التراث[1] وفوقنا جميعاً، كما أن هذا الطرح جعـل مـن عقولكم موضع سخرية أمـام شـعوب العـالم، بـل سـاعد كثيـراً علـى انتـشار التشيع، وهو نقض للغـرض الـذي سـعيتم مـن أجلـه وكتبـتم هـذه الرسـائل.

---

(١) راجع حديث العودة في صحيفة المسلمون، الذي ذكرناه في صدر بحثنا هذا.

ولولا أننا ننشد الحقيقة، ونحرص على وحدة الأمة، لسكتنا عما تكتبون، ولما أتعبنا أنفسنا في المناقشة، لأن الهدى ينتشر من حيث ينتشر الضلال.

والسؤال الأخير الذي نوجهه للأستاذ العودة، ونرجو أن يجيبنا عنه بكل صراحة ووضوح: لو حذفت (سيف بن عمر) الكذاب من رسالتك المذكورة، فماذا يبقى منها يا أستاذ؟

وبعبارة أخرى: إن دعواكم هذه دون روايات سيف، تُصبح سَيَّافاً بلا سيف، وفارساً بلا جواد.

٣ـ وقفة مع سعدي الهاشمي

وهو أستاذ مشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وله كتاب: ابن سبأ حقيقة لا خيال، لا أريد أن أقف عنده إلا بمقدار إطلاع القارئ الكريم على مستويات (الدكترة الوهابية).

وإليك عزيزي القارئ أبرز الملاحظات:

١ ـ أول ما يواجهك في الكتاب، أن الدكتور منذ البداية يفقد توازنه الشخصي، فتشعر أنك أمام خطيب متشدد في مسجد، وفي أجواء أزمة. ابتداءً من مقدمة الكتاب وحتى نهايته.

وقد لفت نظري في المقدمة قوله: **فلقد اتفق المحدِّثون وأهلُ الجرح والتعديل، والمؤرخون، وأصحاب كتب الفرق، والملل والنحل، والطبقات، والأدب، والكتب الخاصة في بعض فنون العلم، على وجود شخصية خبيثة يهودية، تلك هي شخصية عبد الله بن سبأ، الملقب بابن**

السوداء الذي قام بدور خطير[(١)].

ثم استرسل بذكر دوره طبقاً لروايات سيف السابقة، والطريف أنه ذكر العبارة التالية: فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم دخل دمشق، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام[(٢)]. وهذه عبارة سيف نقلها كما هي مع بعض التصرف، ولم ينتبه إلى خروجه من البصرة سنة **٣٣**هـ ودخوله الشام سنة **٣٠**هـ.

ولا حاجة لنا أن نرد على كذبة مفضوحة من العيار الثقيل، وقد بينا سابقاً أن المؤرخين لم يختلفوا في أحد كما اختلفوا في هذا المزعوم. بل إن الكثير منهم، لا سيما قبل سيف بن عمر، لم يذكره مطلقاً. وقد اعترف العودة وسامي عطا فيما سبق بندرة المعلومات عنه، ولم يأت أحدٌ منهم بدليل صحيح على وجوده.

أما دوره في الثورة على عثمان فقد انفرد به سيف بن عمر دون غيره، كما علمت.

ومن هنا تعرف أن هذه الأبحاث يحيطها الشك والريبة إلى حدّ بعيد، فهي مخالفة للكثير من الحقائق والوقائع، وتبدأ من النتيجة المسبقة باتجاه المقدمات، فإن لم تجد الأدلة احتفظت بالنتيجة وتمسكت بها.

ثم هاجم الهاشمي المنكرين، ونعتهم بأنهم لا حظّ لهم من علم، ولا مسكة من عقل، وأنهم نفر قليل ما بين مستشرق حاقد، أو مسلم جاهل، أو

---

(١) ابن سبأ، سعدي الهاشمي: ٥ . الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

(٢) المصدر السابق: ٦.

منكر مكابر، أما أقوالهم فنعتها أنها أوهى من بيت العنكبوت[1].

أقول: الحمد لله الذي عافى عقولنا مما ابتلاهم به، فالعاقل من يتجنب الكاذب ويفضحه، لا من يتّبعه ويتستر عليه، ولا مفر لمن أثبته أو أثبت دوره من اتّباع الكذاب سيف بن عمر، أو غيره من الكذابين كمجالد وعبد الرحمن بن مالك بن مغول وغيرهم من الكذابين والوضاعين.

ثم هاجم المستشرقين وعدّهم من اليهود الذين ينضوون تحت راية الحروب الصليبية. ثم هاجم المفكر والأديب الشهير طه حسين ونعته بأنه (مطية لليهود) ثم سرد معلومات (مخابراتية) عن خلفية طه حسين، وأنه أنكر القرآن (والتوراة) وأنه مهد لتحقيق أهداف الصهيونية!

والدكتور الوهابي يعرف قبل غيره من هم الساسة الذين مهدوا للصهيونية وباعوا فلسطين بأبخس الأثمان، ولا زالوا إلى يومنا هذا اليد الضاربة لهم في المنطقة، والواقفين بكل ما أوتوا من قوة أمام كل جهد في مواجهتها. وما من رصاصة تطلق على إسرائيل إلا فتحوا صدورهم لصدها عن اليهود الصهاينة.

فليس من العلم ولا من العقل أن يُحمَّل الدكتور طه حسين أكثر من دوره وحجمه، ويُجعل منه (ابن سبأ) آخر.

والسؤال هنا: لماذا هذا الهجوم الكاسح وسيل الاتهامات للمستشرقين؟ ألأن هؤلاء خالفوك في الرأي؟ فما تقول في علمائكم ومشايخكم الوهابية الذين انتصروا لآرائهم في هذه القضية بآراء بعض المستشرقين اليهود،

---

(١) المصدر السابق.

ومنهم سليمان العودة وسامي عطا وغيرهم؟ هل هؤلاء (أذناب اليهود ومطاياهم) أو أن الميزان هنا لا يعمل؟

ثم يا (دكتور) حدّث العاقل بما يقبله العقل، فلو كان الدكتور طه حسين موالياً لليهود ـ كما زعمت ـ فلم ينكر عبد الله بن سبأ وهو يهودي بزعمكم؟ أليس الأقرب للعقل أن يثبت وجوده، ليفخر بتاريخ اليهود وعقولهم؟ سيما أنكم صورتم ابن سبئكم هذا أنه (جنتلمان أو سوبرمان) اليهود!.

فكيف ينكر طه حسين هذه الشخصية وهي مفخرة لليهود؟

أليس من حقنا أن نقول: إن سيف بن عمر كان (مطية لليهود) فضخّم دورهم، ونسب إليهم الخوارق التي لا يمكن لعاقل أن يصدقها؟

أليس من حقنا أن نفسر تشبثكم بالمزعوم ابن سبأ أنه ترويج لليهود وقابلياتهم الذهنية الخارقة، وتصوير الأمة الإسلامية بالسذاجة، والصحابة بالغفلة؟

٢ ــ من الاستدلالات السقيمة التي رد بها على الدكتور طه حسين، قوله: أما عدم ذكر البلاذري لابن سبأ فلا يعني أسطورة وجوده، لأنه قد يذكر بعض المؤرخين ما لا يذكره البعض الآخر منهم.

أقول: هذا من المضحكات حقاً، فالحوادث الشهيرة الكبرى في التاريخ لا يتجاوزها المؤرخ، وإلا لا يعدّ مؤرخاً، وقد ارتبطت حركة ابن سبأ ـ حسب المدعى ـ بمقتل خليفة المسلمين، وتنصيب خليفة آخر، واشتعال حروب طاحنة بينهم، فكيف يغفل المؤرخ عن السبب الرئيس المحرك ؟ معنى ذلك أن المؤرخ يذكر نصف الحدث، ويهمل النصف المكمّل، بل النصف الأساس منه، والعلة في وجوده وحدوثه.

ثم إن القضية ليست بهذه الصورة يا دكتور، إنما أجمع المؤرخون على عدم ذكر الدور المزعوم في الأحداث، ولم ينفرد بذلك إلا سيف، ولو أنك عثرت على رواية واحدة في دوره هذا المزعوم لسارعت لذكرها، لكنك حُشرت في زاوية ضيقة، فهاجمت من حولك بالسباب والشتم.

ثم أين إجماع المؤرخين الذي ادعيته في مقدمتك يا دكتور؟.

٣ ـ هاجم الدكتور حامد حفني داود، ونعته بشيء مما نعت به غيره، (واتهمه) بأنه يدعو إلى (التقريب) ولعمري إن من يدعو للتقريب والوحدة، أقرب إلى الله والقرآن ممن يدعو للتخريب والتفريق.

ولكن لفت نظري أن الدكتور مر بكتاب المرحوم العلامة السيد مرتضى العسكري (خمسون ومئة صحابي مختلق) فلم يعلّق عليه، ولم يخبرنا عن هؤلاء الصحابة، هل هم مختلقون حقاً، أو أن السيد العسكري كان مخطئاً؟

لا شك أنه لا جواب عنده، لأن في الجواب فضيحة سيف وأمثاله من الكذابين الوضاعين، ومن يختلق خمسين ومئة صحابي ليس عسيراً عليه أن يختلق عبد الله بن سبأ.

٤ ـ ذكر أقوال الكثير من العلماء والكتاب والمفكرين ومنهم السيد العسكري، والدكتور علي الوردي، والدكتور كامل مصطفى الشيبي، والدكتور عبد الله فياض، والدكتور طالب الرفاعي، وراح يرد عليهم وكأنه حاطب ليل، لا يفرق بين المصدر والراوي، ولا بين ابن سبأ وابن السوداء وابن حرب وابن وهب، ولا بين من يؤلّه علياً ومن يقول بالوصية والرجعة، وهذا هو شأنه وشأن جميع من كتب في هذا الموضوع منهم، وهي (حيلة) للإفلات من (عقدة سيف) التي تطاردهم حتى في المنام.

بل إن الأستاذ استخدم حيلة جديدة بذكر المصادر فقط، دون ذكر النصوص، لئلا تناقش ويُفتضح ما فيها من زيف.

٥ ـ كنت أستمتع كثيراً بأدلة الدكتور على نفي علي عليه السلام ابن سبأ إلى المدائن حيث القرامطة وغلاة الشيعة، فقد أورد رواية جابر التي يذكر فيها (الرافضة) و (القرامطة) فإنّ هذا يذكّرني بنوادر لطيفة، ذكرها الراغب في محاضراته، تحت عنوان:

رقاعة الجهال في زمن العلماء بالبدعة، فقال:

رفع إلى المأمون سبعمائة قصة في بشر المريسي تشهد بكفره، فجمعهم يوماً وقال لهم: ما الذي ظهر من كفره؟ قالوا: قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[1]. فقال المأمون: قد شهد الله بهذا. فقال شيخ منهم: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: وحاج موسى إبراهيم! فقال له: على من قرأت القرآن؟ قال: على أبي، وكان يقرأه بسبعة ألسن.

وسئل رجل كان يشهد على رجل بالكفر عند جعفر بن سليمان فقال: إنه خارجي معتزلي ناصبي حروري جبري رافضي، يشتم علي بن الخطاب، وعمر بن أبي قحافة، وعثمان بن أبي طالب، وأبا بكر بن عفان، ويشتم الحجاج الذي هدم الكوفة على أبي سفيان، وحارب الحسين بن معاوية يوم القطايف (أي يوم الطف أو يوم الطائف).

فقال جعفر: ما أدري على أي شيء أحسدك؟ أعلى علمك بالأنساب، أم

---

(١) النساء: ٧٩.

بالأديان، أم بالمقالات؟[١].

فيا دكتور: أين القرامطة من خلافة علي؟ وأين الرافضة من جابر؟ وأين جابر من القرامطة؟ لقد كان الأجدر بك أن ترجع إلى شيخك ابن تيميّة الذي أشار إلى هذا بوضوح، ومع ذلك اعتمد الرواية.

٦ ـ كثيراً ما ردد هؤلاء مقولة سقيمة مفادها أن من يرفض من الشيعة حديثاً في كتب الشيعة فقد طعن في تلك الكتب! وهذه من أقبح الادعاءات التي يكررونها ليخدعوا بها عوام الناس.

فمن قال: إن كل ما في كتب الشيعة أو السنة صحيح؟ ومن قال: إن رد الحديث والحكم عليه بالضعف أو الوضع هو طعن بالمصدر أو الراوي الذي رواه؟

ألم يردّ الشيخ الألباني كثيراً من آراء ابن تيميّة وتصحيحه أو تضعيفه؟ فهل أنه طعن بابن تيميّة وكتبه؟

ألم يردّ الشيخ الطحاوي في مشكل الآثار، وغيره من العلماء بعض الأحاديث الصحيحة عندكم[٢] ؟.

وهكذا رد الكثير من علماء السنة بعض أحاديث البخاري مع أنه صحيح عندهم، وردّ علماء الشيعة بعض أحاديث الكتب الأربعة، وهي معتبرة

---

(١) محاضرات الأدباء، الراغب الإصفهاني٤ : ٤١٨.

(٢) راجع ما قاله الطحاوي في شرح مشكل الآثار٥ : ٣١١، باب بيان مشكل ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنه كان نزل عشر رضاعات يحرِّمن في القرآن، فنسخن بخمس رضعات، وأن رسول الله توفي وهن مما يقرأ من القرآن. وغيره من الأحاديث التي ردها الطحاوي في مشكل الآثار.

عندهم، ولا زال مؤلفوها في قمة الهرم العلمي، لم يمسسهم سوء، وهذا هو البحث العلمي، أما تقليد الآخرين فيما يقولون فليس من العلم في شيء.

فإن كان الشيعة أنفسهم يردّون بعض الأحاديث، ويخضعونها لموازين الجرح والتعديل والتعارض والترجيح، فكيف يتخوفون من رد بعضها الآخر إذا كان الرد في حدود الموازين العلمية؟

ألا تدري يا دكتور أن باب الاجتهاد عند الشيعة لا زال مفتوحاً، والحراك العلمي في حوزاتهم وجامعاتهم على أشده؟ فمن أين أتيتم بهذه المعلومة السقيمة والبدعة القبيحة التي يكذبها الواقع؟

ولمزيد من معلوماتك يا دكتور، لو أنك تصفحت كتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، للسيد مرتضى العسكري، لرأيت مؤلفه وهو يناقش الكثير من الأحاديث الواردة في كتب الشيعة ويبين عللها، فليس مؤلفوها أنبياء ولا أئمة، مع جلالة قدرهم ومنزلتهم العلمية، فهل ترى أن السيد العسكري طعن في كتبنا فصار (وهابياً)؟

القضية ليست كذلك يا دكتور، إنما هي إسقاط لما عندكم على الآخرين، فالمشكلة لديكم أنكم ترون الاعتراف بالحقيقة طعناً في ابن تيميّة وسلفكم الماضي، والفرق كبير بين الأمرين، لأن هناك فرقاً كبيراً بين (رد الحديث أو تضعيفه والحكم عليه)، وبين (كشف الأكاذيب وفضح الكذابين)، فأنتم تخشون الفضيحة من انكشاف أكاذيب سيف التي أسس عليها ابن تيميّة مذهبه، أما غيركم فيبحث عن الحقيقة التي يمكن أن يتخطاها الآخرون، وفرق كبير بين الخطأ والزلل من جهة، وبين الكذب والاختلاق من جهة أخرى.

٤ـ الدكتور خالد علال الجزائري:

ومن الكتب الأخرى التي ألفت في هذا المجال، كتاب تحت عنوان: رؤوس الفتنة في الثورة على الخليفة الشهيد عثمان بن عفان، للدكتور خالد كبير علال، وهو حاصل على دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي من جامعة الجزائر.

وقد أحصى الدكتور من رؤوس الفتنة **٢٢** رأساً، كما قال.

قال في المقدمة: وقد التزمتُ في بحثي هذا بتحقيق الروايات ونقدها وفق منهج علم الجرح والتعديل، وأخذتُ على نفسي الالتزام به قدر المستطاع، وحسب ما تسمح به الروايات التاريخية التي تكثر فيها الأسانيد المرسلة والموقوفة والمنقطعة[1].

ولا نريد أن نذهب مع الدكتور علال بعيداً، إلا أننا نلزمه بمنهجه الذي اعتمده أولاً، وبنظرية عدالة الصحابة ثانياً، والأمانة العلمية ثالثاً.

ومما يؤسف له أن هذه الثلاثة ذهبت في بحثه أدراج الرياح، وإليك بعض الشواهد:

١ ـ أما عن الجرح والتعديل: فليس هناك أكذب من سيف بن عمر عند علماء الرجال، وقد اعتمده الدكتور في إثبات ابن سبأ ودوره في الثورة على عثمان.

كما أنه لم يفرق بين الرواية التاريخية، وأقوال العلماء، قال مثلاً:

---

(١) رؤوس الفتنة، علال: ٣.

والرواية الخامسة ما ذكره المؤرخ الثقة ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) من أن السبئيّة الذين ادعوا ألوهية علي بن أبي طالب، هم من أتباع عبد الله بن سبأ.

وهذه الشهادة ليست حجة على أحد، فابن قتيبة لم يكن في عصر علي ولا حتى عصر سيف بن عمر، إنما جاء بعده وأخذ عنه هذه الأكذوبة.

٢ ـ وأما عدالة الصحابة: فإن من أسماهم رؤوس الفتنة ونعتهم بشتى النعوت، وشتمهم وسبهم في أكثر من موضع من كتابه، كان العديد منهم صحابة، ومنهم زيد وصعصعة ابنا صوحان، وعبد الرحمن بن عديس، وجندب بن زهير، وعبد الله بن بديل بن ورقاء، وعمرو بن الحمق، وغيرهم.

٣ ـ وأما الأمانة العلمية: فحدِّث عنها ولا حرج، ومن أوضح أدلتها أنه اعتمد كتاباً تحت عنوان: لله ثم للتاريخ، لمؤلف (مختلَق) يدعى حسين موسوي النجفي، وهو ابن سبأ آخر اختلقته بعض المخابرات الإقليمية، وكتبت على لسانه الكتاب المذكور، ونشرته بشكل واسع على شبكة الانترنت.

ومن الطريف أن يُكتب كتابٌ آخر، على النقيض منه تحت عنوان: حقيقة لله ثم للتاريخ، نسب للمؤلف نفسه، وكتب بطريقة قصصية لطيفة، بين فيها المؤلف المفترض أنه كان مجنَّداً من قبل مخابرات صدام، وأوضح الكثير من السقطات في كتابه الأول. وقد انتشر الكتاب الجديد في الانترنت بشكل واسع أيضاً، بسبب التشابه بين العنوانين، ولم يتصدَّ المؤلف المزعوم بعدُ لبيان ذلك، لأنه مختلق من الأساس كما قلنا.

ورحم الله الرصافي حيث يقول:

وما كتب التاريخ في كل ما حوت
لأحـــداثها إلا حـــديث ملفـــقُ
نظرنـــا بـــأمر الحاضـــرين فرابنـــا
فكيـــف بـــأمر الغـــابرين نـــصدقُ

فها هـو الأسـتاذ الـدكتور يعتمـد الكتـاب المختلـق مـصدراً مـن مـصادر البحث، وهو في القرن الحادي والعشرين، ليثبت لنـا حادثـة تاريخيـة مـضى عليها ألف وأربعمئة سنة من الزمن، دون أية وثيقة تاريخية صحيحة.

أما ما تبقى من كتاب الدكتور علال، ففيه مـن العلـل المكـررة التـي لـم يخرج فيها عما كتبه سليمان العودة أو الهاشـمي أو سـامي عطـا، فـلا داعـي لإعادة المناقشة.

٥ ـ علي عبد الرحمن السلمان:

وهذا الكاتب له كتاب منشور على صفحات الانترنت تحت عنوان: عبـد الله بن سبأ وإمامة علي رضي الله عنه، لم يخرج فيه عن دائرة سيف بن عمر، وكلما حاول الخروج منها رجع إليها، ولم يختلف فـي طرحـه عمـا ذكرنـاه من كتابات، فلا داعي للتكرار.

نقد وتقويم:

لقد ظهر لك عزيزي القارئ أن هذه الكتب ما هي إلا كتاب واحد تعـددت عناوينه، فلا تكاد تجد في أحدها ما تفتقده في الآخر، وكأنها جميعاً كُتبت بيد كاتب واحد، وهو ما يسهّل علينا البحث بـشكل كبيـر، إذ إننـا لا نجد جديـداً

يستحق التوقف، ويكفي فيها أن تقرأ كتاباً واحداً ليغنيك عما سواه.

وأهم ما تشترك فيه هذه الدراسات:

١ ـ أنها تنطلق من سيف بن عمر الكذاب، لأنه الراوي الوحيد الذي ذكر دور ابن سبأ المزعوم في الثورة على عثمان. وبعبارة أخرى أدق، أن هذه الأبحاث لو تخلت عن سيف الكذاب، فلن يبقى لها عينٌ ولا أثر.

٢ ـ أنها تعمد إلى الهروب من سيف إلى رواة آخرين، فلا تجد فيهم ما يروي الغليل، وغاية ما يمكن أن يجدوه ـ إن استطاعوا إيجاده حقاً ـ فهو وجوده وليس دوره، في حين أن نقطة الخلاف الرئيسة هي الدور وليس الشخصية، فلولا دور ابن سبأ المزعوم لما كان هناك معنى للبحث عنه.

٣ ـ أن جميع هذه الدراسات تفتقد المنهج الواضح في التعامل مع هذه القضية، فلا هو منهج الجرح والتعديل، ولا منهج الاستقراء والتحليل، ولا هو المنهج العقلي، ولا غيرها من المناهج.

٤ ـ أنها تحمل نتائج مسبقة واضحة، وبعبارة موجزة: لو أن ابن تيميّة أنكر هذا الموهوم لرأيتهم اليوم في مقدمة المنكرين.

٥ ـ الكثير من هذه الدراسات يستبطن منهجاً دعائياً تحريضياً، يؤلب سائر المذاهب على الشيعة، ويحذرهم منهم، فلا يخفى على القارئ اللبيب ما يقرأه بين السطور من الخشية الشديدة المفرطة من تأثر سائر المسلمين بالتشيع.

ومهما يكن من أمر فإن النقطة الجوهرية في البحث، أن المثبتين لابن سبأ هم الذين يحتاجون الأدلة القاطعة لإثباته، أما المنكرون فيكفيهم أن الأصل فيه عدم الوجود، ولا دليل على وجوده.

دراسات موضوعية

وأنت تتصفح ما كُتب في هذا الموضوع، تلاحظ الفرق الكبير بين من حاول الإثبات ومن حاول النفي، وهو أن من حاول الإثبات، إن هو إلا مقلّد، يفكر بعقل من سبقه، ولا يعطي فرصة لعقله للتفكير ولو قليلاً، فهو كاتب (ذاتي) وليس (موضوعياً).

أما من قاده الدليل إلى النفي والإنكار، فلا شك أنه وقبل كل شيء، تحرر من العاطفة وأسر الموروثات غير المحققة، وكتب بروح المسؤولية، فكانت كتاباته ناضجة نافعة، لأن أصحابها مع كونهم لم يخرجوا عن مذاهبهم، وحفظوا حريمها، إلا أنهم تبعوا الدليل، وأذعنوا له دون مكابرة ولا مجاملة لأحد، خصماً كان أو موالياً، وبالتالي ربحوا الحقيقة ورضا الله تعالى، وربحوا أنفسهم ومذاهبهم، لأن تنقيح المذهب وتنقيته مما شابه أدعى إلى قوته وثباته، أما الدفاع عن غثه وسمينه فيجعله قشةً في مهب الريح.

على أننا لا نتفق أحياناً مع بعض التفاصيل الواردة في أدلة المنكرين، لكننا نتفق معهم تماماً في أنهم باحثون عن الحقيقة المجردة.

وإليك بعض النماذج من تلك الدراسات.

١ـ الدكتور عبد العزيز الهلابي:

وهو من المملكة العربية السعودية أيضاً، أستاذ مشارك بقسم التاريخ في جامعة الملك سعود، وحاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة سينت أندروز بريطانيا عام ١٩٧٤ م ، ويتولى الكثير من الأعمال في الجامعة المذكورة.

له بحث موجز حول الموضوع في مجلة كلية الآداب جامعة الكويت، في الحولية الثامنة، الرسالة الخامسة والأربعين، سنة ١٩٨٧ م.

وأول ما يلفت نظرك وأنت تقرأ للدكتور الهلابي هو القدرة العلمية، والإحاطة المتقنة، بحيث يعرض لك المعلومة بثقة عالية، ولك أن تتحقق منها فلا تجد إلا ما ذكر، بل تشعر بوقوفك أمام عَلَمٍ فذٍّ، خاض غمار البحث حتى شاب رأسه فيه.

ومما يميز بحثه القليل في صفحاته، الغني بمادته العلمية، أنه ذو منهج علمي واضح منذ بداية البحث، فهو يجمع بين ميزان الجرح والتعديل من جهة، والبحث التحليلي العقلي من جهة أخرى، كما أنه يفكر بعقلية حيادية واضحة، وذهنية مستقلة، لا تحابي مؤيداً، ولا تخشى معارضاً. ومن هنا تجد نفسك مضطراً لاحترامه ولو اختلف معك كثيراً.

أما هيكليته في البحث، فقد ابتدأ من أصل الدعوى، وهي الروايات الثلاث التي وردت في الطبري وتاريخ الذهبي، ثم ناقشها سنداً ومتناً، وقد خلص إلى الملاحظات والنتائج التالية:

١ ـ أن سيف بن عمر انفرد من بين المؤرخين بذكر عبد الله بن سبأ ودوره في الفتنة، ثم أخذ عنه الطبري وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون وغيرهم، أما قدامى المؤرخين فلم يرد لعبد الله بن سبأ ودوره في الأحداث ذكر عندهم.

أقول: وهذا هو الواقع الذي لا ينكره إلا معاند أو مقلد.

٢ ـ اعتبر يزيد الفقعسي شخصاً نكرة لا وجود له إلا في خمس روايات

في الطبري عن سيف، وليس له أثر ولا عين في كتب التاريخ والتراجم والجرح والتعديل(١).

أقول: يفترض أن يكون الفقعسي صحابياً أو تابعياً، وقد نقل عنه سيف بواسطة (عطية) روايات تتعلق بأخطر مرحلة في التاريخ الإسلامي، فلا بد أن يكون معروفاً مشهوراً له روايات أخرى في محل آخر، ينقلها عنه رواة آخرون، وهذا ما يدعونا للجزم بأنه مختلق من الأساس، فهو راوٍ مختص بسيف بن عمر وعبد الله بن سبأ فقط، وقد أدى دوره في السيناريو واستغنى عنه سيف للأبد.

٣ ـ فرّق الأستاذ الهلابي بين بعض الألفاظ الواردة وبحث في دلالتها كل على حدة، فالسبئيّة مثلاً تعني عنده جميع المشاركين في الثورة على عثمان، وهي غير ابن السوداء، وهو بدوره غير ابن سبأ. وأن ذكر عبد الله بن سبأ توقف بعد توقف سيف في الرواية عن يزيد الفقعسي.

٤ ـ ردّ بجرأة ووضوح، ما يتعلق بتأثير ابن سبأ المزعوم في أبي ذر، واتهم سيف بن عمر بأنه وضع تلك الرواية، قال: **وأبو ذر الصحابي الجليل ليس عند سيف إلا إمّعة، يغرر به يهودي حاقد على الإسلام ويملي عليه أفكاره**(٢).

٥ ـ أما الرواية الثانية فتوقّف عندها الدكتور متسائلاً: ما هي الصلة التي

---

(١) ابن سبأ، الدكتور الهلابي: ١٤.

(٢) المصدر السابق: ١٨.

تربط هذا اليهودي اليماني بقبيلة عبد القيس؟ وقبيلة عبد القيس من ربيعة... ولماذا لم ينزل بأحد القبائل اليمانية في البصرة، الأزد مثلاً؟ ونعرف أنه في ذلك الوقت كانت الروابط القبلية قوية، وكان تخطيط البصرة والكوفة على أساس قبلي، أي أن كل قبيلة أعطيت ناحية من المدينة لتسكنها بمفردها[1].

وهكذا أورد الكثير من التساؤلات المنطقية، وخلص أيضاً إلى أنها مختلقة لا يمكن قبولها.

٦ ـ ناقش الرواية الثالثة بالمنهج ذاته، وأظهر ما فيها من تناقض، واستبعد إرسال عثمان الصحابة إلى الأمصار، ومنهم عمار بن ياسر، وعدّه خبراً ملفقاً من أساسه، وأورد تشكيك الدكتور جواد علي في إرسال عمار إلى مصر، باعتباره كان مخاصماً لعثمان، شأنه شأن أبي ذر.

٧ ـ في ظني أن الدكتور الهلابي أول من فطن إلى اختلاف التواريخ في تحريض ابن سبأ على عمرو بن العاص، وأن ابن العاص كان معزولاً عن مصر أيام الأحداث، قال: لكن سيفاً يناقض نفسه إذ يروي في أحداث سنة ٢٧هـ عن محمد وطلحة قالا: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى قضائها خارجة بن حذافة السهمي، فولي عثمان فأقرهما سنتين، ثم عزل عَمراً، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح[2].

---

(١) عبد الله بن سبأ، الهلابي: ٢٠.

(٢) الهلابي: ٢٤، والرواية في تاريخ الطبري٣: ٣١٢.

ثم ذكر المصادر التاريخية الأخرى التي تبين السبب الكامن وراء عزل ابن العاص، وهو الاختلاف معه في قضية الخراج.

أقول: هذا هو سيف العمدة في التاريخ كما يصفه ابن حجر، والإخباري العارف كما يصفه الذهبي، وهذا هو ضبطه للسنوات والأحداث، وهناك الكثير من الشواهد الدالة على جهله بالسنين، فضلاً عن كذبه واختلاقه وعدم وثاقته.

٨ ـ عرض الدكتور الهلابي رأيين في نشوء التشيع تاريخياً، أحدهما أسماه رأي (علماء الشيعة) وهو ظهوره في حياة النبي ﷺ والرأي الآخر أنه ظهر بعد وفاة النبي ﷺ ومعنى ذلك أن الدكتور لم يعط رأي ابن تيميّة والوهابية في نشوئه على يد ابن سبأ أي أهمية تذكر، ولم يعدّه رأياً ذا قيمة ليناقشه، بل صرح أن سيف بن عمر بتأليفه تلك الرواية (طعن الشيعة في الصميم).

وهذا ما ذهب إليه من كان قبله من الكتّاب أيضاً.

وعلى كل حال فإن الدكتور الهلابي يرى أن فكرة عبد الله بن سبأ ما هي إلا قضية مختلقة على يد سيف بن عمر، ولا حظّ لها من الصحة بتاتاً.

ومع أن الدكتور الهلابي له آراؤه الخاصة التي نختلف فيها معه، إلا أنها لا تخرج عن دائرة الموضوعية والبحث العلمي.

وهكذا يستمر في مناقشة دوره المزعوم في أحداث المدينة وقتل عثمان وتنصيب علي، ويستنتج الكثير من النتائج ذات القيمة العلمية الكبيرة.

وفي الخاتمة: بيّن الدكتور أن روايات سيف في هذا الموضوع كلها مختلقة، وأن السبئيّة في المصادر المتقدمة لا تعني جماعة عقدية أو مذهبية سياسية، وأنها أطلقت على أناس مختلفين، وأن رواية الشعبي التي اعتمدها

أصحاب المقالات موضوعة لا صحة لها. وختم بحثه الرائع بقوله:

والذي نخلص إليه في بحثنا هذا أن ابن سبأ شخصية وهمية، لم يكن لها وجود. فإن وجد شخصٌ بهذا الاسم، فمن المؤكد أنه لم يقم بالدور الذي أسنده إليه سيف وأصحاب كتب الفرق، لا من الناحية السياسية ولا من ناحية العقيدة[1].

٢ـ الشيخ الدكتور حسن بن فرحان المالكي

وهو من المملكة العربية السعودية أيضاً: أشهر من أن يعرّف، فهو صاحب القلم الفذّ، واللسان المهذب، والعقل الراجح، والتثبت من المعلومة، والنفس الطويل في التعامل مع المخالف، والموسوعية الفريدة، حيث الفقه والحديث والتاريخ والتفسير والأدب، وما إلى ذلك من العلوم، أضف إلى ذلك احترامه لعقول الناس فيما يكتب، واحترامه لعقله قبل كل ذلك.

والشيخ المالكي لا يختلف كثيراً عن الدكتور الهلابي من حيث المنهجية تقريباً، إلا أنه أوسع دائرة وأكثر بياناً منه، لسبب بسيط، هو أن الشيخ المالكي صار في واجهة النقد اللاذع من قبل الخصوم، ومن الطبيعي أن يقف دون رأيه بشدة، ويحاول إيصال ما لديه للآخر الذي لا يتورع عن اتهامه، بعكس الدكتور الهلابي الذي لم يدخل في عالم المجادلات والأخذ والرد، واستغنى عن ذلك بالقلم .

وقد قرأت إحدى المرات على شبكة الانترنت تصنيفاً مضحكاً من قبل

---

(١) المصدر السابق: ٧٣.

أحد خصومه، هو أشبه بما ذكرنا من طريقة الراغب في المحاضرات، إذ كان الخصم يصفه بأوصاف لا يشبه بعضها بعضاً، ولا صلة لها ببعضها.

وللدكتور المالكي مجموعة من البحوث والمؤلفات القيمة، أبرزها قراءة في كتب العقائد ـ المذهب الحنبلي نموذجاً، ونحو إنقاذ التاريخ الإسلامي، وغيرهما. وله مطارحات ومناقشات مع الكثير من المفكرين[1].

إلا أن هذه المواجهة مع الخصوم صقلت عقل الدكتور وقلمه وجعلته حاضر البديهة متقن الجواب، متهيئاً في كل حين.

وخلاصة رأي الشيخ المالكي في سجالاته مع سليمان العودة وغيره، أن في دراسة عبد الله بن سبأ جانبين: أحدهما وجود شخصية بهذا الاسم، والثاني دورها في الفتنة. وقد جزم المالكي بأن الجانب الثاني موضوع مكذوب لا أصل له. أما الجانب الأول فهو عنده قيد الدراسة. مما يشير إلى أن الأستاذ المالكي لا يتعجّل في الحكم على قضية ما لم يتثبت منها تماماً، وهو ما يجعله يفرض احترامه على الآخر.

والطريف أن الذين جزموا بوجود ابن سبأ كالعودة والهاشمي وغيرهما، لا يملكون شيئاً مما يملكه المالكي من المادة العلمية، كمّاً ونوعاً وتنظيماً، وهذا ما يتجلى في حواراته مع العودة وغيره. إلا أنه مع ذلك لا ينطلق إلا عن تثبت.

وقد وعد القراء منذ زمن أنه أفرد بحثاً خاصاً في كتاب مستقل، أسماه (عبد الله بن سبأ، بين الحقيقة والأسطورة) نأمل أن يرى النور قريباً.

---

(١) نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي، حسن بن فرحان المالكي: ١٧٥.

ومع هذا فإننا لا يمكن أن نسلّم بكل ما يتبناه المالكي، غاية ما في الأمر أنه يحتكم للدليل، ولديه الاستعداد لقبوله أو رده، وفق المقاييس العلمية التي يعتمدها.

٣ـ العلامة السيد مرتضى العسكري:

وهو علم بارز غنيٌّ عن التعريف، له الباع الطويل في التحقيق والتأليف، وقد صنف المصنفات الفريدة التي أماطت اللثام عن الكثير من الحقائق الخفية، ومن أبرز مؤلفاته: معالم المدرستين، وخمسون ومئة صحابي مختلق، وأحاديث أم المؤمنين عائشة، وعبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، وغيرها.

وقد حظي كتابه الأخير بالعناية الفائقة من الباحثين الشرقيين والغربيين، مؤالفاً ومخالفاً، فلا تكاد اليوم تعثر على دراسةٍ في موضوع ابن سبأ، دون أن يكون كتاب العلامة العسكري في صدر المراجع المعتمدة.

ومن هنا فقد أرّق هذا الكتاب مشايخ الوهابية وأتباعهم، منذ ظهوره إلى يومنا هذا.

ومن مميزات هذا الكتاب أنه أُلف بطريقة موسوعية قديمة، مع حلية حديثة رائقة، رافقها الكثير من المنحى الأكاديمي المعاصر.

وقد أسهب العلامة العسكري، وفصّل كثيراً في بحثه هذا، وانتهى إلى النتيجة الحتمية وهي أسطورية ابن سبأ (وجوداً ودوراً).

والملاحظ على هذا الكتاب أنه توسّع كثيراً في مقدمات وشواهد، أثبت من خلالها كذب سيف بن عمر، في هذه الحادثة وغيرها من الحوادث، مما جعل القارئ يقطع شوطاً طويلاً ليصل إلى النتيجة في موضوع عبد الله بن سبأ.

ولعل الظرف الذي ألف فيه السيد العسكري (رحمه الله) كتابه هذا، كان يتطلب منه تلك الإطالة والإسهاب والتوسع، باعتبار أنه موضوع بكر لم يسبقه إليه باحث.

وقد أشار المرحوم الإمام الخوئي (قدس سره) لهذا الكتاب، وأثنى على مؤلِّفه، في معجم رجال الحديث، قائلاً:

وأما عبد الله بن سبأ فعلى فرض وجوده، فهذه الروايات[١] تدل على أنه كفر، وادعى الألوهية في علي عليه السلام لا أنه قائل بفرض إمامته عليه السلام. مضافاً إلى أن أسطورة عبد الله بن سبأ، وقصص مشاغباته الهائلة، موضوعة مختلقة، اختلقها سيف بن عمر الوضاع الكذاب، ولا يسعنا المقام الإطالة في ذلك والتدليل عليه. وقد أغنانا العلامة الجليل، والباحث المحقق، السيد مرتضى العسكري فيما قدم من دراسات عميقة دقيقة عن هذه القصص الخرافية، وعن سيف وموضوعاته، في مجلدين ضخمين، طبعا باسم عبد الله بن سبأ، وفي كتابه الآخر خمسون ومئة صحابي مختلق[٢].

٤ـ الدكتور طه حسين:

وهو أديب وكاتب وباحث مشهور، لا سيما في مجال الأدب والتاريخ، له كتاب حول الفتنة الكبرى ومقتل عثمان، تطرق فيه لدعوى ابن سبأ قائلاً:

وهناك قصة أكبر الرواة (المتأخرون) من شأنها، وأسرفوا فيها، حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدراً لما كان من الاختلاف على

---

(١) أي: المروية في بعض كتب الشيعة.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي ١١: ٢٠٧.

عثمان، ولما أورث هذا الاختلاف من فرقة بين المسلمين لم تمحَ آثارها بعد، وهي قصة عبد الله بن سبأ الذي يعرف بابن السوداء[١].

وقال: ويخيل إليّ أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد، يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافاً شديداً، وأول ما نلاحظه أنّا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة التي قصت أمر الخلاف على عثمان. فلم يذكره ابن سعد حين قصّ ما كان من خلافة عثمان وانتقاض الناس عليه. ولم يذكره البلاذري في أنساب الأشراف، وهو ـ فيما أرى ـ أهم المصادر لهذه القصة[٢] وأكثرها تفصيلاً، وذكره الطبري عن سيف بن عمر، وعنه أخذ المؤرخون الذين جاؤوا بعده فيما يظهر[٣].

وبعد أن استبعد اتصال المزعوم بأبي ذر، وردَّ ذلك، خلص إلى القول: فالذين يزعمون أن ابن سبأ قد اتصل بأبي ذر فألقى إليه بعض مقاله، يظلمون أنفسهم، ويظلمون أبا ذر، ويرقَون بابن السوداء هذا إلى مكانة ما كان يطمع أن يرقى إليها[٤].

وأضاف الدكتور طه حسين: وأكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبد الله بن سبأ هذا، ليشككوا في بعض ما نُسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية، وليشنعوا على

---

(١) الفتنة الكبرى ـ عثمان، الدكتور طه حسين: ١٣١، طبعة دار المعارف بمصر.

(٢) أي قصة الخلاف والثورة على عثمان.

(٣) المصدر السابق: ١٣٢.

(٤) المصدر السابق.

علي وشيعته من ناحية أخرى، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودي أسلم كيداً للمسلمين(١).

وقال في كتاب علي وبنوه، بعد أن ذكر إعراض المؤرخين عن ذكر ابن سبأ والسبئيّة بعد وقعة الجمل:

والغريب أن المؤرخين الذين أكثروا من ذكر ابن السوداء، عبد الله بن سبأ وأصحابه حين رووا أمر الفتنة أيام عثمان، وأكثروا من ذكرهم بعد مقتل عثمان، قبل أن يشخص علي من المدينة للقاء طلحة والزبير وأم المؤمنين، ثم أكثروا من ذكرهم حين كان علي يسفر إلى طلحة والزبير وأم المسلمين في الصلح، ثم زعموا أنهم ائتمروا على حين غفلة من علي وأصحابه بإنشاب القتال. ثم زعموا أنهم أنشبوا القتال فجأة حين التقى الجمعان عند البصرة، وورطوا المسلمين في شر عظيم. الغريب أن هؤلاء المؤرخين قد نسوا السبئيّة نسياناً تاماً، أو أهملوها إهمالاً كاملاً حين رووا حرب صفين.

ثم قال: وأقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبئيّة وعن ابن السوداء في حرب صفين، أن أمر السبئيّة وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلَّفاً منحولاً، قد اخترع بأخرة، حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً، إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم.

---

(١) المصدر السابق: ١٣٤.

ولو قد كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحق والتاريخ الصحيح، لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيده في هذه الحرب المعقدة المعضلة التي كانت بصفين[(١)].

ثم أجاب الدكتور عن سبب إهمال ابن سبأ ونسيانه في صفين والنهروان قائلاً: أما أنا فلا أعلل الأمرين إلا بعلة واحدة، **وهي أن ابن السوداء لم يكن إلا وهماً**، وإن وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون وصوروا نشاطه أيام عثمان، وفي العام الأول من خلافة علي، وإنما هو شخص ادخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم[(٢)].

أقول: هناك سبب مهم، لم يذكره الدكتور طه حسين، وهو أن الطريق الوحيد لروايات التهويل من المزعوم عبد الله بن سبأ وخطره، إنما هو سيف بن عمر الكذاب، الذي لم يؤرخ لما بعد معركة الجمل، فلما توقَّف قلمُه عن الأكاذيب، لم يعد لابن سبأ أو السبئيّة عين ولا أثر.

ومن أجمل العبارات التي وردت في كتابه هذا وهي تنطبق تماماً على سيف بن عمر، قوله: والذين استباحوا لأنفسهم أن يضعوا الأحاديث على النبي وأصحابه لا يتحرجون من أن يستبيحوا لأنفسهم وضع الأخبار على أهل الشام والعراق[(٣)].

---

(١) الفتنة الكبرى ـ علي وبنوه، طه حسين: ٩٠، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة عشرة.

(٢) المصدر السابق: ٩١.

(٣) المصدر السابق: ٩٢.

٥ـ الدكتور علي سامي النشار:

وهو مؤرخ وباحث مصري معاصر، له كتاب تحت عنوان: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، تناول فيه نشأة التشيع، والنص الإلهي والإمام، وما إلى ذلك.

وقبل أن نستعرض رأيه في ابن سبأ، نورد بعض المقاطع المثيرة التي ذكرها في مقدمات التشيع، والتي تدحض مقالة السبئيّة بشكل واضح، حيث ذكر طرفاً من حياة الزهراء عليها السلام ومنزلتها، فقال: وحين تولى أبو بكر خلافة المسلمين غضبت فاطمة، ورأت أن لعلي الحق الأكبر في الخلافة، واجتمع جماعة من المهاجرين والأنصار مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة، وعلم أبو بكر وعمر بالأمر، فذهبا مع جماعة من المهاجرين، وهجموا على الدار[(١)].

وحضرت نساء من قريش في مرضها، وقلن لها: كيف أنت يا ابنة رسول الله ؟ قالت: **أجدني كارهة لدنياكنَّ، مسرورة لفراقكنَّ، فما حفظ لي الحق، ولا رعيت مني الذمة، ولا قُبلت الوصية، ولا عرفت الحرمة**[(٢)].

ثم ينتهي في حياة الزهراء إلى القول: وقد كان أبو بكر يتذكر فاطمة ويبكي، بل أعلن حين موته ندمه أن اقتحم منزلها بالرجال. وكانت فاطمة الزهراء تؤمن بلا شك بحق علي في الخلافة[(٣)].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار ٢: ٢٥، الطبعة التاسعة، دار المعارف بمصر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وبذا يقرر الدكتور النشار أن عقيدة الوصية لم تكن من وضع ابن سبأ وابتداعه، إنما كانت قضية مطروحة على أعلى المستويات، وكانت الزهراء عليها السلام تؤمن بالوصية، وتصرح لنساء قريش بامتعاضها من نكران القوم لها بقولها: **ولا قُبلت الوصية.**

وبعد أن استعرض الدكتور النشار آراء الدكتور علي الوردي، والدكتور كامل مصطفى الشيبي في أن شخصية ابن سبأ ما هي إلا شخصية عمار بن ياسر، قال:

ومن المحتمل أن تكون شخصية عبد الله بن سبأ شخصية موضوعة، أو أنها رمزت إلى شخصية ابن ياسر، كما فعل الأمويون بكلمة أبي تراب إحدى كنى علي، وخدع معاوية الطليق، والأمويون معه، أهل الشام بدعواهم أنهم يحاربون أبا تراب والترابيين.

ومن المحتمل أن يكون عبد الله بن سبأ هو مجرد تغليف لاسم عمار بن ياسر، وبخاصة أننا نرى زياد بن أبيه يصم حجر بن عدي وأصحابه بالسبئيين، في رسالته إلى معاوية. وليس من المعقول قطعاً، أن يكون حجر بن عدي الصحابي الكبير من أتباع يهودي يفسد على المسلمين دينهم. أرى أن كل هذا محتمل، وأن الأمويين أخفوا اسم عمار بن ياسر الصحابي الكبير تحت اسم ابن سبأ حتى لا تثور ثائرة أهل الشام، حين يعلمون أن ابن ياسر والملتفين حوله هم أتباع علي[1].

أقول: إن لم يكن معقولاً لدى الأستاذ النشار أن يكون الصحابي حجر بن

---

(١) المصدر السابق: ٣٩.

عدي تبع رجلاً يهودياً يفسد على المسلمين دينهم، فإنه معقول عند الأمويين وأتباعهم، أمثال ابن تيميّة ومن قلّده، بل المعقول عندهم أن عمار بن ياسر وأبا ذر وعشرات الصحابة تبعوا هذا اليهودي المزعوم، ممن يصفونهم اليوم برؤوس الفتنة.

والملفت للنظر أن الدكتور النشار في الوقت الذي يبرم أمراً من جهة، ينقضه من جهة أخرى. فقد قرر في أول البحث أن الزهراء كانت تعتقد بالوصية، وترى أحقية علي بالخلافة، كما أنه يذكر حديث الغدير والمنزلة وأمثاله في الاستدلال على الوصية، إلا أنه بعد قليل يجعل الوصية من عقائد السبئيّة، ثم يخلط بين الوصية والألوهية، ثم يجعل من عقائدهم الألوهية، ثم يرى أن بذور المهدية والغيبة والرجعة والتوقف بذرت في السبئيّة، وهكذا يخوض في الآراء وكأنه حاطب ليل لا يفرق بين صحيحها وسقيمها.

ومع ذلك كله، فإنه لا يتعدى كون السبئيّة فرقة صغيرة مستقلة، وليست هي الشيعة كما يرى ابن تيميّة وأتباعه.

٦ـ الدكتور علي الوردي:

وهو باحث عراقي معروف في مجال علم الاجتماع، درس موضوع ابن سبأ وفقاً لمناهج علم الاجتماع التي يعتمدها هو وغيره من الباحثين، فلا يمكن تصنيفه على الشيعة أو السنة. ومن هنا تدرك الخطأ الكبير الذي يرتكبه كتّاب الوهابية في تصنيفه على الشيعة، أو تصنيف طه حسين على السنة، فهؤلاء درسوا الموضوع من زوايا أخرى، وإن اشتركوا مع غيرهم فوافقوهم في النتائج.

وهو ممن ذهب إلى أن المزعوم عبد الله بن سبأ ما هو إلا عمار بن ياسر، وما كان ذلك إلا قصة منحولة مختلقة.

قال في كتابه الشهير وعاظ السلاطين: إن شخصية ابن سبأ هذا ـ كما يظهر ـ شخصية عجيبة جداً، فلا بد أنه كان يملك قوةً نفسية خارقة، استطاع أن يؤثر بها في جميع جماهير المسلمين آنذاك هذا التأثير البليغ، فيثير الثورات ويمنع الصلح، ويبث في الإسلام أفكاراً غريبة تبقى بعده بقاءً لا نهاية له[1].

وأضاف الوردي في موضع آخر قائلاً: يخيل إليّ أن ابن سبأ الذي ينسب إليه تحريك الثورة كان وهماً من الأوهام، كما قال الدكتور طه حسين. ويبدو أن هذه الشخصية العجيبة اخترعت اختراعاً، وقد اخترعها أولئك الأغنياء الذين كانت الثورة موجهة ضدهم. وهذا هو شأن الطبقات المترفة في كل مرحلة من مراحل التاريخ إزاء من يثور عليهم. فكل انتفاضة اجتماعية يعزوها أعداؤها إلى تأثير أجنبي، وقد أشار إلى ذلك البروفسور سمل، الباحث الاجتماعي المعروف، في بحثه عن الغريب (stranger)[2].

ويضيف الوردي: مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن (النبي) محمداً نفسه اتهمته قريش في بدء دعوته أنه يأخذ تعاليمه من غلام نصراني اسمه جبر، واتهمه بعضهم بعد ذلك بأنه كان يتلقى أفكاره من بحيرا الراهب وسلمان الفارسي وغيرهما[3].

---

(١) وعاظ السلاطين، الدكتور علي الوردي: ٩٦، الطبعة الثانية، دار كوفان، لندن، ١٩٩٥م.

(٢) المصدر السابق: ٩٩.

(٣) المصدر السابق.

وقد أشار الوردي من طرف خفي إلى آثار تبني الفكرة السبئيّة قائلاً: سمعتُ ذات يوم أحد القساوسة وهو يسخر من الإسلام قائلاً: انظروا إلى هذا الدين، فهو في إبان عزه وانتصاره يقع فريسةً هينة لرجل غريب لا يعرف التاريخ عنه شيئاً كثيراً. ففي الوقت الذي كان صحابة محمد يسيطرون على المجتمع الإسلامي، ويبثون فيه تعاليم نبيهم، نرى طارئاً يهودياً يدخل ذلك المجتمع فيمزقه تمزيقاً مريعاً، من غير أن يرفع أحد يده لطرده أو للبطش به[1].

وقال أيضاً: الظاهر أن أصحاب المِلْكيات الكبيرة التي نشأت في أيام عثمان هالهم ذلك التذمر الذي انتشر بين الجمهور إزاء ثرواتهم المفرطة، فنسبوا هذا التذمر إلى شخصٍ يهودي طارئ جاء يريد المكيدة بالإسلام وأهله[2].

وأضاف قائلاً: إن الأعمال العظيمة التي تنسب إلى عبد الله بن سبأ لا يمكن أن يقوم بها إلا عبقري أو ساحر أو منوم مغناطيسي من طراز فذ. فهو لا بد أن يكون ذا عيون مغناطيسية تكسر الصخور، أو ذا قوة نفسية خارقة، تجعل الناس أمامه كالغنم، يتأثرون بأقواله من حيث لا يشعرون[3].

ومن طريف ما قاله في كتابه هذا: ولست أجد في التاريخ حكاية وهمية تروج وتبقى على توالي الدهور مثل هذه الحكاية السخيفة. ولعل هذه الحكاية قد لاءمت أغراض جميع المذاهب، فتمسكوا بها

---

(١) المصدر السابق: ٩٧.

(٢) المصدر السابق: ١١١.

(٣) المصدر السابق: ١١١.

وأخذوا يستندون عليها في كل وجه[١].

وخلاصة رأي الدكتور الوردي في هذه المسألة التي درسها وفق ما أسماه المنطق العلمي الحديث، أن هناك ظروفاً موضوعية حدثت وأدت إلى الثورة على عثمان، وهي تحصل في كل مجتمع، فطبيعة المجتمع أن يتحرك، وليس الغريب عند علماء الاجتماع أن يتحرك، إنما الغريب أن يبقى ساكناً.

والنتيجة عنده أن هذه الحكاية اختلقها أصحاب الأغراض من الطبقات الإرستقراطية وغيرها، لتمرير نظرية المؤامرة وتفسير الأحداث وفقاً لها. فعبد الله بن سبأ فكرة، وليس شخصاً بعينه.

يقول الوردي: إن عبد الله بن سبأ موجود في كل زمان ومكان. فكل حركة جديدة يكمن وراءها ابن سبأ، فإن هي نجحت اختفى اسم ابن سبأ من تاريخها، وأصبحت حركة فضلى، أما إذا فشلت فالبلاء نازل على رأس ابن سبأ، وانهالت الصفعات عليه من كل جانب[٢].

وفي حديثه المسهب عن شخصية عمار بن ياسر رأى الدكتور الوردي أنه الشخص الوحيد الذي تنطبق عليه مواصفات عبد الله بن سبأ، فهو ابن سبأ، وهو ابن السوداء ليس غير.

ففي حديثه عن صفين ومقتل عمار، قال الوردي: وهنا قد يعترض سائل فيقول: أين ذهب ابن سبأ في هذه المعمعة الكبرى؟ إن من أغرب الأمور أن

---

(١) المصدر السابق: ١١٢.

(٢) المصدر السابق: ١١٥.

نجد ابن سبأ حاضراً في كل حادثة من حوادث الثورة على عثمان، والحوادث التي جرت بعدها، ثم نراه غائباً في معركة صفين يوم قتل عمار بن ياسر. فلماذا اختفى هذا الداهية الدهماء في تلك المعركة الطاحنة، وأين اختفى؟

لا ريب أنه كان حياً أثناء معركة صفين، ذلك لأن المؤرخين يرجعون إلى ذكره بعد تلك المعركة وينسبون إليه أعمالاً أخرى غير التي قام بها في أيام عثمان وفي واقعة البصرة. فلماذا لم يظهر له أثر في صفين؟ أكان مريضاً؟ أم كان على سفر ضروري؟ أم ذهبت به الجن إلى جزائر واق واق؟[1].

ثم أجاب عن تلك التساؤلات، بأنه لم يكن له وجود حقيقي حتى يختفي، بل إنه كان وهماً، والوهم يأتي ويذهب تبعاً لمقصد أصحابه والمخترعين له.

وأضاف قائلاً: أرجح الظن عندي أن قريشاً كانت تقصد بابن سبأ حين اخترعته أن ترمز به إلى عمار بن ياسر[2].

وبعد أن أورد مجموعة من القرائن المساعدة على تبني هذا الرأي قال: نستخلص من هذا أن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر[3].

وهكذا يؤكد الدكتور الوردي أن حكاية ابن سبأ من أولها إلى آخرها

---

(١) وعاظ السلاطين: ١٧٦.

(٢) المصدر السابق: ١٧٧.

(٣) المصدر السابق: ١٨٠.

كانت حكاية متقنة الحبك رائعة التصوير، وأن القرشيين لم يكونوا دهاةً في ميدان السياسة فحسب، بل كانوا ماهرين في فن القصص أيضاً[١].

ورأي الدكتور الوردي هذا وجيه جداً وله ما يؤيده، إلا أن الملاحظ عليه أنه يفترض أن الحكاية كانت موجودة في تلك الأحداث، لكن الوثائق والشواهد التاريخية تؤكد أنها لم تكن موجودة أساساً قبل سيف بن عمر، فليس بين أيدينا أي مصدر يشير إليها من قريب أو بعيد قبل سيف. ولكن مع ذلك، لا يبعد أن تكون هناك إشارات خفية لعمار بن ياسر تحت عنوان ابن السوداء أو ابن سبأ، فأخذها سيف وأنصاره النواصب، فطوروها في مصانعهم الخاصة، حتى وصلت إلينا بهذا الشكل.

٧ـ الدكتور كامل مصطفى الشيبي:

وهو أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة بغداد، حاصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبردج، له كتاب تحت عنوان: الصلة بين التصوف والتشيع، كتبه في ستينات القرن الماضي.

وبين الشيبي وسامي النشار علاقة حميمة، تظهر بجلاء في إهدائه الكتاب المذكور لشيخه العقلاني وأخيه الروحاني ـ كما وصفه ـ وفاءً وبراً وحباً.

قال الدكتور الشيبي وهو يستعرض حياة عمار بن ياسر باعتباره أبرز الشخصيات الشيعية تاريخياً، ومن أشد المدافعين عن الإسلام بوجه الانحراف الأموي: وكان هوى عمار مع علي، أقرب الناس إلى مثل الإسلام الصحيحة، وكان القرشيون خصومه. وكان معاوية قد شرع في سب علي وجعله سنة،

---

(١) المصدر السابق.

فقابله عمار وأصحابه بأن جعلوا يرفعون من شأن علي ويحطون من شأن القرشيين، فكان أن أحس أعداء علي بأن أثر عمار أبقى في نفوس المسلمين.

ولم يستطيعوا أن يعادوه صراحةً، ولا أن ينقضوا أقواله مواجهةً، فالتجأوا إلى حيلة قديمة، وحرب خفية هي الإشاعات والدس، فنعتوا علياً بأبي تراب، وجعلوا يسبونه في الشام، دون أن يعلم كثير من الناس من هو أبو تراب هذا، وظنوه مبتدعاً خارجاً على الإسلام، وسبوا عمار بن ياسر تحت اسم «ابن سبأ» يعنون به اليماني[١].

واعتمد الأستاذ الشيبي قرائن وشواهد الدكتور الوردي على كون ابن سبأ هو عمار بن ياسر، وأضاف إليها شاهداً آخراً، هو أن الطبري في تطرقه إلى حرب الجمل (في روايته عن سيف) قد عرض لأنصار علي فيها، فكان إذا عدهم وذكر اسم عمار في جملتهم، أغفل ذكر ابن السوداء، وإذا ذكر ابن السوداء تحامى ذكر اسم عمار، مما يرجح أن الرجلين شخص واحد[٢].

٨ـ الدكتور محمد كامل حسين:

وهو أستاذ في كلية الآداب في جامعة الملك فؤاد، له كتاب تحت عنوان: في أدب مصر الفاطمية، (طباعة ونشر دار الفكر العربي).

وللدكتور حسين وقفة أخرى مختلفة تماماً عمن سبقه من الباحثين، وهي جديرة بالتأمل أيضاً، ملخصها أن مؤرخي مصر لم يذكروا في

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع، د. كامل مصطفى الشيبي: ٤٤، الطبعة الثالثة، دار الأندلس، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٢ م .

(٢) المصدر السابق: ٤٨ .

تواريخهم أن رجلاً بهذا الاسم دخل بلدهم بالمرة.

قال الدكتور حسين بعد أن ذكر طرفاً من رواية الطبري (وهي الثالثة من الصنف الأول):

ونحن نعجب لهذه الرواية، إذ لم أجد في كتب التاريخ التي وضعها المصريون عن بلدهم، وعن تراجم رجال مصر، مثل كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم، وكتب الكندي، وابن الداية، وابن زولاق، وفي كتب المتأخرين، الذين نقلوا عن هؤلاء المؤرخين القدماء، ما يشير إلى وفود شخصية عبد الله بن سبأ على مصر، أو أن أحداً من المصريين قال بمثل هذه المقالة التي زعم الطبري أن ابن سبأ علمها للمصريين.

فلو صحت رواية الطبري لرأينا شيئاً من إنكار الصحابة الذين كانوا في مصر إذ ذاك، لهذه الدعوة السبئيّة ومعارضتهم لها، ولا سيما أن ابن عبد الحكم وغيره رووا بعض الأحاديث عن صحابة مصر وترجموا لهم، ولم يرد ذكر ابن سبأ ولا آراؤه، ولم يذكروا شيئاً عن إنكار هذه الآراء أو معارضتها.

فقصة ابن سبأ في مصر، وأنه بث آراء التشيع بين المصريين، هي أقرب إلى الخرافات منها إلى شيء آخر[1].

ثم استدل الدكتور حسين على أسطورية ابن سبأ بدليل آخر، هو أن المصريين لم يكن لهم دور يذكر في نصرة علي عليه السلام لا في حروبه ولا ما تعرض له أبناؤه من بعده من قتل ومطاردة، بل إنهم لم يحركوا ساكناً وهم يرون محمد بن أبي بكر يقتل بينهم، وتدسّ جثته في إهاب حمار وتحرق،

---

(١) في أدب مصر الفاطمية، د. محمد كامل حسين: ٩. طباعة ونشر دار الفكر العربي.

كما ذهب منهم جيش لمناصرة ابن الزبير في حركته المعروفة ضد الأمويين، ولم يقفوا مع المختار في قتله قتلة الحسين، بل لم نشهد لهم شأناً يذكر في نصرة الحسين عليه السلام[1].

وهناك أدلة أخرى ضمنية، ساقها الكاتب وهو يسترسل في بيان تاريخ الدولة الفاطمية في مصر.

وما طرحه الأستاذ الفاضل، وما التفت إليه، من عدم وجود ابن سبأ، بدليل عدم وفود شخصية إلى مصر بهذا الاسم، استناداً لما كتبه المصريون من تاريخهم، يعدّ التفاتة رائعة، من أفضل المداخل العلمية للتحقيق في هذه المسألة الجدلية، فصاحب البيت أدرى بما فيه، وأهل (مصر) أدرى بشعابها.

٩ـ الدكتور عبد الله سلوم السامرائي:

وهو باحث أكاديمي عراقي، له كتاب تحت عنوان: الغلو والغالية في الحضارة الإسلامية، (دار واسط للنشر ـ لندن ـ بغداد ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م).

وبما أن بحثه ذو صلة بدعوى السبئيّة من جهة الغلو، فلا بد أن يمر بعبد الله بن سبأ.

وأبرز ما يثير في بحث الدكتور السامرائي أنه ينسب تأسيس التشيع إلى صدر الإسلام، بُعيد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ويرى أن هناك الكثير من الصحابة كانوا يتشيعون لعلي عليه السلام وأن الاختلاف حول الإمامة بدأ مباشرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. إلا أنه في الوقت نفسه يؤمن بنظرية (المؤامرة) ويرى أن الغلو

---

(١) المصدر السابق: ١٠.

كان عملاً هادفاً منظماً وفق (خطة مرسومة لهدم مبدأ التوحيد) ولم يتطرق هنا إلى التجسيم والتشبيه اليهودي، الذي اكتسب شرعية واسعة لدى التيارات الإسلامية المختلفة، وإن كان ذكره فيما بعد كمظهر من مظاهر الغلو. كما أنه لم يشر إلى خطر المنافقين الأوائل ممن لم يفتروا ولم يتوانوا في الكيد للإسلام.

ومع الكثير من الملاحظات والتحفظات على بحثه، إلا أنه لم يتجاوز في عبد الله بن سبأ أكثر من قوله المزعوم بإلهية علي، كما أنه لم يستبعد كونه مصطنعاً، ولم يرَ أن مسألة وجوده أو عدم وجوده ذات قيمة وأهمية تذكر. كما أنه لم يحصر الغلو في دائرة معينة، أو طائفة خاصة، بل اعتبره ظاهرة موجودة في جميع الفرق والمذاهب الإسلامية.

قال السامرائي في تعريفه السبئيّة: أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبياً، ثم زعم أنه إله[(١)].

وقال أيضاً: ويذهب ابن حزم إلى أن ظهور السبئيّة كان في أيام علي[(٢)].

ثم يشير إلى رأي القائلين بعدم وجوده فيقول: وسواء صح وجود ابن سبأ بشخصه في أيام علي رضي الله عنه، أو في زمن عثمان رضي الله عنه، أو لم يصح، فهذه المسألة، بالرغم من أهميتها، إلا أن الأهم منها صحة وجود الآراء الغالية[(٣)].

---

(١) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، د. عبد الله سلوم السامرائي: ٨٥.

(٢) المصدر السابق: ٨٦.

(٣) المصدر السابق.

فالدكتور السامرائي هنا لا يجزم بوجوده، كما لا يجزم بعدمه. ولم ينسب له القول بالوصية، إنما اعتبرها أمراً مطروحاً بعد وفاة النبي ﷺ. كما اعتبر القول بالبداء والعصمة والتقية، من الأمور المعقولة المقبولة، التي لا غلو فيها. كما أنه ذكر الشيعة الإمامية كفرقة إسلامية أصيلة، وهي الأصل في التشيع، ولم يصنفها ضمن فرق الغلاة.

فهو ينأى في كتابه هذا بالشيعة الإمامية خصوصاً، عن كل ما نسبه إليهم ابن تيميّة وأتباعه من انتسابهم لابن سبأ. ومن هنا نجد أن الوهابيين صنفوه ضمن قائمة (السنّة) المنكرين لعبد الله بن سبأ، لأنه ينكر أن يكون مؤسساً للشيعة.

ويؤخذ على الدكتور أنه جمع من كتب المقالات غثها وسمينها، دون تحقيق، كما أنه لم يكن واضح المنهج في دراسته.

١٠ـ الدكتور محمد عمارة:

وهو باحث مصري معروف، لا زال يكتب ويحاضر في الشأن الإسلامي، وله مجموعة من المؤلفات، منها الإسلام وفلسفة الحكم (دار الشروق، ١٩٨٩ م)، تعرض في القسم الأول منه إلى الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، ومنها الشيعة.

قال الدكتور عمارة في الشيعة والإمامة: والحق أننا إذا قصدنا بالتشيع والشيعة معنى الميل إلى إمارة علي، والطموح إلى تقديمه، وتفضيله على غيره من الصحابة، فإننا سنجد جماعة غير منظمة تجمعها هذه الآراء والأماني منذ أن طرحت قضية الإمارة عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام[1].

---

(١) الإسلام وفلسفة الحكم، د. محمد عمارة: ١٣٤، طبعة دار الشروق، ١٩٨٩ م.

ثم يذهب الدكتور عمارة إلى أن التشيع بالمعنى الفني للمصطلح ظهر أيام الإمام الصادق عليه السلام وأن هشام بن الحكم، أحد أصحاب الإمام الصادق، هو واضع قواعد التشيع ومهندس بنائه الفكري، وأن القول بالوصية لم يعرف قبل هشام. ونقل عن القاضي عبد الجبار المعتزلي(١) قوله عن التشيع: أنه حدث قريباً، وإنما كان من قبل يذكر الكلام في التفضيل، ومن هو أولى بالإمامة وما يجري مجراه(٢).

ونحن في غنىً عن مناقشة الدكتور عمارة أو القاضي عبد الجبار في آرائهم هذه، فإن لها محلاً آخر، إلا أن هذه الآراء بدورها ترد كلام ابن تيميّة والوهابيين في كون القول بالوصية كان في زمن عثمان.

يقول الدكتور عمارة: ومن هنا كان صواب ما ذهب إليه المعتزلة عندما قالوا: إن فترة إمامة جعفر الصادق، وهي التي نهض فيها هشام بن الحكم بدور واضع قواعد التشيع، ومهندس بنائه الفكري، هي الفترة التي يؤرَّخ بها لهذه النشأة، فالقول بالوصية لم يعرف قبل هشام(٣).

أما عن دعوى القول بالوصية أيام عثمان، وأن مبتدعها ابن سبأ فقال

---

(١) وهو من أشد الناس تعنتاً وتصلباً في مواجهة الشيعة والتشيع، وقد ألف السيد المرتضى علم الهدى كتابه الشافي في الإمامة لبيان الخلل في نظرياته حول الإمامة.

(٢) الإسلام وفلسفة الحكم: ١٣٥.

(٣) بقي على الدكتور أن يحل اللغز في شهرة علي عليه السلام بالوصي منذ الصدر الأول للإسلام، وكيف امتلأت كتب الأدب والتاريخ والحديث أيضاً بهذا اللقب، وكيف شاع في الشعر وكتب اللغة. كما بقي عليه أن يحل الإشكال في أحاديث الوصية المتكاثرة عن النبي صلى الله عليه وآله والمتناثرة في كتب الحديث السنية، وهل أنها وجدت قبل هشام بن الحكم أو بعده.

الدكتور عمارة: **وتنسب أغلب مصادر التاريخ والفكر الإسلامي**[١] إلى ابن السوداء هذا نشاطاً عظيماً وجهداً خرافياً[٢].

ثم استعرض رواية سيف بن عمر بحذافيرها، وأشار إلى إنكار هذه الشخصية من قبل الكثير من الباحثين، أو أن قسماً منهم سلّم بوجوده ورفض المبالغة في الدور الذي لعبه في تلك الأحداث.

وأخيراً خلص إلى القول: أما فيما يختص بموضوعنا، موضوع التأريخ لنشأة التشيع، فإن وجود ابن سبأ ـ على فرض التسليم بوجوده ـ وظهور آرائه، سواء على عهد عثمان أو عهد علي، لا يصلح دليلاً على أن التشيع قد ظهر في ذلك التاريخ، **فلم تنسب المصادر المعتمدة في التاريخ والفكر الإسلامي إلى ابن سبأ القول بالنص والوصية، بل نسبت إليه فقط القول بتفضيل علي على الصحابة، وتقديمه على أبي بكر وعمر وعثمان، وحتى الشيعة أنفسهم لا يروون عنه شيئاً من ذلك**[٣].

ويبدو من عبارة الدكتور عمارة أنه يرى أن المصادر التي نقلت خرافة ابن سبأ مصادر غير معتمدة، فقد فرّق بينها بصفة المعتمدة.

---

(١) أما مصادر التاريخ بعد سيف، فقد عرفت أنها أخذت عن الطبري، وهو بدوره أخذ عن سيف بن عمر الكذاب، أو روت عن سيف، والنتيجة واحدة. أما المصادر التي سبقت سيفاً فلم تذكر شيئاً من ذلك، اللهم إلا ما ذكرته من تفضيل علي أو سب الشيخين، ولم تذكر الوصية وهي محل النزاع. وأما كتب الفكر، فهي على شاكلة منهاج السنة ومن حذا حذوه، وقد عرفت ما فيها من الأغراض والأمراض.

(٢) الإسلام وفلسفة الحكم: ١٣٦.

(٣) المصدر السابق: ١٣٧.

ومع هذه النتيجة التي توصل إليها الدكتور عمارة، إلا أنه نقضها في موضع آخر من كتابه، واعتمد معلومة خاطئة نقلها عن ابن النديم في الفهرست.

قال: وابن النديم، وهو يؤرخ لنشأة التأليف، يذكر أن «أول من تكلم» في مذهب الإمامة علي بن إسماعيل بن هيثم الطيار[1]. صحيح أنه يذكر أن هذا الرجل قد كان «من جلة أصحاب علي رضي الله عنه» ولكن لم يقل أحدٌ أن عهد علي قد شهد التأليف في الإمامة أو غيرها من الفنون. أما بعد ذلك فقد كتب علي بن إسماعيل بن ميثم الطيار ـ كطليعة للقائلين بالإمامة والمتكلمين فيها ـ (كتاب الإمامة) و (كتاب الاستحقاق) ثم جاء بعد ابن هيثم هشام بن الحكم[2].

وهذه المعلومة خاطئة تماماً، ولم يكن ينبغي للدكتور الاعتماد عليها دون تحقيق.

فالرجل المذكور إنما هو علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار، ويدعى أبا الحسن الميثمي، وكان جده ميثم من جلة أصحاب علي، وليس هو. فهذا من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وليس من أصحاب علي عليه السلام وقد عاش في البصرة، وكانت له مناظرات مع أبي الهذيل والنظام[3].

---

(١) الصحيح ميثم التمار كما سيأتي.

(٢) المصدر السابق: ١٣٩.

(٣) راجع: معجم رجال الحديث، السيد الخوئي١٢: ٢٩٩، رقم: ٧٩٤٣. والفهرست لابن النديم: ٢٢٣.

وعبارة ابن النديم التي نقلها الدكتور عمارة خطأً، واعتمد عليها هي كما يلي: أول من تكلم في مذهب الإمامة علي بن إسماعيل بن ميثم التمار، وميثم من جلّة أصحاب علي[(١)].

والموضوع الذي يبحث فيه الدكتور، وهو تأريخ نشوء الشيعة، لا علاقة له بالأدلة والشواهد التي يوردها، والتي قادته إلى النتيجة، فهذه المعلومات ناظرة إلى تاريخ تطور علم الكلام عموماً، وعند الشيعة على وجه الخصوص، لا أنها تتعلق بأصل التشيع ونشوئه تاريخياً، فهناك فرق كبير بين قولنا: أول من تكلم في مذهب الإمامة، وقولنا: أول من قال بالإمامة، فالقول بالإمامة رأي وعقيدة، أما التكلم فيها فهو التماس الأدلة الدالة على ذلك الاعتقاد، وتنظيمها وعرضها ومناقشتها، وهذا لم يعرف إلا متأخراً عند جميع الفرق الإسلامية، لا عند الشيعة فقط.

ومهما يكن، فإن الدكتور ينكر دور ابن سبأ، ويرفض أثره المزعوم في تأسيس الشيعة، كما أنه يشكك في أصل وجوده كما رأيت.

خلاصة الفصل السادس:

بعد هذا الاستعراض لجملة من آراء الباحثين في هذا الموضوع، لا بد أن نشير إلى النقاط التالية:

١ ـ أن المتشبثين باليهودي المزعوم ابن سبأ، يمثلون طيفاً واحداً، وتياراً خاصاً، وهو التيار السلفي الوهابي، من أتباع ابن تيميّة، أما المنكرون له أو

---

(١) فهرست ابن النديم: ٢٢٣.

لدوره، فلا يجمعهم جامع مذهبي ولا اتجاه ديني، فمنهم الشيعي والسني والمستشرق، ومنهم المتدين وغيره. .

٢ ـ إن الفئة الأولى المتشبثة بوجوده ودوره، سلكت منهجاً واحداً في البحث لم يتغير من كاتب لآخر، بحيث جعلت القارئ يشعر بالتكرار والرتابة المُملة، إذ لا جديد لباحث يختلف عن باحث آخر، أما الفئة الثانية فقد سلكت مناهج عديدة، منها المنطق الحديث، والجرح والتعديل، والاستقراء والمقارنة، وغيرها من المناهج.

٣ ـ لا تكاد تجد لدى الفئة الأولى أي مؤشر على إمكانية إعادة النظر في نتائجها، فهي تخشى من سقوط (عرش السلف) أما الفئة الأخرى فهي على استعداد دائم للمناقشة والتنقيح والتحقيق والتدقيق. وهذا هو السر في بعض عباراتهم التي يطلقونها أحياناً وهي توحي بالميل إلى الرأي وليس الجزم به، كقول بعضهم: يخيل إلي، أو قوله: وأغلب الظن. أو أن هذه الفكرة أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع. فهذا يدل على أنهم مستعدون دائماً للمناقشة وتغيير آرائهم في حال ثبوت العكس بالأدلة المقنعة.

٤ ـ الفئة الأولى توفر عليك الوقت والجهد، لأنك بمجرد أن تتصفح ما كتبوا، تدرك مسبقاً ما هي النتيجة، أما الفئة الثانية فتحتاج إلى وقت كافٍ للمطالعة، ومسايرة الأدلة، وقد لا تعثر على النتيجة إلا بعد أن تأتي على المكتوب كله.

إلا أن الفئة الأخيرة تمتاز كتاباتها بالإثارة والتجدد الدائم، مما يجعلها تشد القارئ أكثر، وتثير في نفسه حب الاستطلاع.

٥ ـ السلبية المفرطة للفئة الأولى تجاه الفكر المخالف، فهي تسارع في الاتهام والتخوين والبحث عن نوايا الآخر، كما هو الحال في اتهام الدكتور طه حسين بالخلفيات اليهودية والتبعية للغرب والمستشرقين، وكذا بوصفها الفكرة المخالفة بأنها (شبهات) فتجد في كتابات هؤلاء عنواناً مكرراً هو: شبهات المنكرين لعبد الله بن سبأ. أما الفئة الثانية فلا تجد فيها مثل ذلك، اللهم إلا باتهام بعضهم لخصوم الشيعة بصناعة واختلاق عبد الله بن سبأ، وهو ما ثبت لديهم ولدينا بالدليل.

٦ ـ أن المنكرين لهذه الشخصية، أو لدورها، أو المشككين فيها، هم الأغلب من الباحثين، لا لأننا ذكرنا منهم أكثر مما ذكرنا من غيرهم، إنما الواقع هكذا، بل إنني لم أجد من خلال البحث من اهتم بإثباتها إلا نفرٌ من الوهابية، أو من تأثروا بها.

والملاحظ أيضاً أن هذه الفئة القليلة المندفعة بدوافع التعصب وتحصين السلف والدفاع عنهم، أصبحت في العصور المتأخرة تخجل من التصريح بآرائها هذه علناً عبر وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة، على كثرتها وتشددها في التعرض لعقائد الشيعة، واكتفت بالكتابة عبر الانترنت، لأنها تدرك في قرارة نفسها أن هذا الطرح سوف يكلفها الكثير في الواقع الإسلامي، بعد أن تبين خطأ وسذاجة هذه الرؤية السقيمة، لا سيما في تعرضها العلني للصحابة الكرام، وإظهارهم بمظهر المرتد عن الإسلام التابع لليهود، والعياذ بالله.

خاتمة البحث:

في ختام هذا البحث، تبين لك ـ عزيزي القارئ ـ أن من يُدعى بشيخ الإسلام ابن تيميّة، جنى على أتباعه وعلى التاريخ والأمانة العلمية جناية لا تغتفر، وكذب كذبة صلعاء عريضة لا يمكن سترها أو تمريرها، وذلك باعتماده على أكاذيب مفتعلة لسيف بن عمر وأشباهه، وشخصية مصطنعة، واسم وهمي رُكِّب من عدة أسماء.

كما تبين لك أن وجود الاسم لا يعني وجود المسمى، وأن اسم عبد الله بن سبأ هو أشبه بقولنا فلان بن فلان، أو الكناية عن شخص ما، أو أشخاص، باستخدام اسمٍ معيَّن، كما تستخدم الشعوب عادة أسماء مستعارة للحاكم وأتباعه، لتمرير بعض الطرائف والحكايات أو الأخبار تحت هذا الستار. وعبد الله بن سبأ من هذا النوع، فهو أشبه بعلم الجنس في علم النحو، الذي يطلق على فرد ويراد به كل فرد من هذا الجنس، على سبيل الاشتراك اللفظي. وحكم علم الجنس في المعنى كحكم النكرة، من جهة أنه لا يخص واحداً بعينه، فكل أسد يطلق عليه أسامة، وكل ثعلب ثعالة، وكل ذئب ذؤالة، كما نص على ذلك علماء النحو.

قال ابن هشام الأنصاري: وهذا العلم يشبه علم الشخص من جهة الأحكام اللفظية... ويشبه النكرة من جهة المعنى، لأنه شائع في أمته، لا يختص به واحد دون آخر[1].

---

(١) أوضح المسالك، إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري: ٢٨.

قال الرازي في تفسيره: إذا قال الواضع: وضعت لفظ «أسامة» لإفادة ذات كل واحد من أشخاص الأسد بعينها من حيث هي هي، على سبيل الاشتراك اللفظي كان ذلك علم الجنس[١].

فكل فرد من الناس هو عبد الله، وكل الناس عبيده سبحانه وتعالى، فمنهم المطيع ومنهم العاصي، وكثيراً ما استخدم الخلفاء والأمراء هذا الاسم في مراسلاتهم.

ففي رسائل الخليفة الأول أبي بكر يرد التعبير التالي: من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد، أو إلى أبي عبيدة بن الجراح، أو إلى أسامة بن زيد، أو لأهل نجران. فهو عبد الله.

وفي رسائل عمر بن الخطاب يرد كثيراً التعبير التالي: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن قيس، أو إلى عمرو بن العاص، أو إلى نيل مصر، أو ما أشبه ذلك. مع أن اسمه الحقيقي هو عمر بن الخطاب. وكذا الحال في رسائل عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية وغيرهم.

أما ابن سبأ، فهو نسبة إلى الجد الأعلى أو الموطن، كما نقول: ابن النيل أو ابن الفرات، أو لمن هو من قبيلة معينة إنه ابن فلان، الجد الأعلى.

فعبد الله بن سبأ، يعني رجلاً ما من أهل اليمن، وهذا ينطبق على عمار بن ياسر، وعبد الله بن وهب الراسبي، وغيره من أهل اليمن، وليس رجلاً بعينه دون غيره.

وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد أنه عمار بن ياسر وليس غيره،

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي١: ٤١.

ولا شك أنه ينطبق عليه بهذا اللحاظ.

فالرأي الذي نميل إليه من خلال هذا البحث أن ابن سبأ كان علماً على مجموعة من الأشخاص، بعضهم موجود فعلاً، كعبد الله بن وهب الراسبي الخارجي، وعبد الله بن عمرو بن حرب المتهم بالغلو، وعبد الله بن الكواء الزنديق المنافق، وغيرهم، وبعضهم غير موجود أصلاً، ممن نُسب إليه ما نُسب، من قلب الدنيا رأساً على عقب إبان الثورة على عثمان، كابن السوداء، وعبد الله بن سبأ مطلقاً، دون تحديد المصداق.

ومن ثَمَّ نستطيع تفسير الأخبار المختلفة والمتناقضة الواردة بهذا الشأن، إذ نجد أن بعضها ينسب إليه الغلو، وبعضها سب الشيخين، وبعضها الكذب على الله ورسوله، وبعضها القول بالتوحيد الخالص، كما في سؤاله أمير المؤمنين عليه السلام عن رفع الأيدي بالدعاء إلى السماء مع أن الله تعالى لا يحده مكان. مما يعني أن هناك مجموعة من الأفراد لا يجمعهم جامع واحد، اللهم إلا كونهم من أهل اليمن، اندرجوا جميعاً تحت هذا الاسم، منهم الصالح ومنهم غير ذلك، ومنهم غير الموجود من الأساس.

والنتيجة أن إطلاق هذا اللفظ (عبد الله بن سبأ) أو غيره (ابن السوداء) يكون اسماً بلا مسمىً معين.

هذا من جهة وجوده أو عدم وجوده.

أما عن دوره في أحداث الثورة على عثمان، فإذا انتفى وجوده انتفى دوره بلا شك، بل حتى الذين تشبثوا بوجوده جزافاً، لا يمكنهم إثبات دوره في ذلك، لاختلاف أخباره وتعارضها تعارضاً شديداً، وعدم معقولية بعضها،

وتصادمها بالثوابت الإسلامية حتى عند أتباع ابن تيميّة، كعدالة الصحابة، وصدق النبي ﷺ وما أشبه ذلك، وقد رأيت أن الشيخ سليمان العودة رد بقوة ما نسب إليه من إغواء أبي ذر، وهكذا توقف الكثير من الباحثين من أتباع ابن تيميّة وغيرهم، في الكثير مما نسب إليه، وصرحوا بأن دوره كان مضخّماً، مما يعني أنهم لا يرضون بكل ما نسب إليه من دور وتأثير، وأن الكثير مما نسب إليه كان مكذوباً منحولاً، ومن ثم لا بد من نفي دوره بالكامل استناداً إلى ذات الأدلة المستخدمة في نفي جزء منه.

أما أن نأخذ منها ما يوافق الهوى والأغراض المذهبية والعصبيات المختلفة، فليس من العلم في شيء.

وأما عن تبني (النظرية السبئيّة) فلا يمكن أن يكون انتقائياً، فمن يؤمن بها لا يسعه أن ينتقي منها ما يشاء ويذر ما يشاء، فإما أن يسلّم بها بالكامل، ويلتزم بلوازمها السلبية كلها، ما ذكرنا منه وما لم نذكر، ومنها: تكذيب النبي ﷺ والطعن في شخص علي عليه السلام وخلافته، وكذلك الطعن في الكثير من الصحابة الأجلاء الأخيار، كعمار وأبي ذر وأمثالهما، باعتبار أن رجلاً يهودياً مغموراً، أخذ بلحاهم، فرمى بهم في أتون فتنة عمياء، ما زالت آثارها تتفاقم عبر التاريخ، وحاشا لهم ذلك.

وإما أن يرفضها بالكامل، كرامة لدين الله، وحفظاً لرموزه المقدسة، وعلى رأسها نبي الرحمة محمد ﷺ.

والنصيحة التي ينبغي أن نقدمها لمن يتبنى هذه النظرية، أن يعيد النظر فيها، ويتأمل ملياً، ويتحلى بالشجاعة والجرأة والمسؤولية، لأن كرامة

النبي ﷺ والصحابة وشرف الأمة، أولى من ابن تيميّة وأمثاله.

لقد لمست ـ عزيزي القارئ ـ من خلال هذا البحث أيضاً، أن ابن تيميّة، مع شدة اهتمامه بهذا الشأن، إلا أنه لم يستطع أن يخرج من دائرة المتناقضات، ولم يقدم نظرية واضحة المعالم في نشوء مذهب الشيعة، لأنه لم يجد في جعبة التاريخ سوى مجموعة من الكذابين والنواصب، وعلى رأسهم سيف، فلجأ في نهاية المطاف إلى القفز على موازين الجرح والتعديل، وضرب الموازين العلمية عرض الجدار، وصرح بشكل فاضح أن مثل هذا الأمر لا يحتاج إلى دليل إو إسناد. وهذه قمة الإفلاس العلمي.

كما أنك أدركت الفرق الشاسع في البحث عن الحقيقة، بين تيار ابن تيميّة الأسير لفكره ونظرياته، والذي يرى فيه نبياً مرسلاً ـ والعياذ بالله ـ وبين من يقرأ الأحداث والأفكار قراءة موضوعية، يحاول من خلالها أن يصيب الحق والحقيقة.

ثم إنك أدركت أيضاً الخوف الشديد لدى أتباع ابن تيميّة من الاقتراب لهذه النظرية السقيمة، لأن إسقاط عبد الله بن سبأ عندهم إسقاط لابن تيميّة وكتبه ومؤلفاته التي بناها على على هذا الباطل. أما النقاد الموضوعيون فلا يخشون شيئاً من ذلك، إنما يخشون على الحقيقة، وليس منها. وفرق كبير بين من يخاف على الحقيقة ومن يخاف منها.

وهذا لا يعني أننا نلتزم بكل ما ذهب إليه هؤلاء، فلا شك أن الآراء تختلف هنا وتتفق هناك، إلا أننا نتفق معهم في أمر واحد، هو المنهج العلمي، والقراءة الناقدة الموضوعية المتحررة من سلطة المفكِّر وسلطة النص.

ومما يميز هؤلاء أيضاً أنهم على استعداد دائم لمناقشة الأفكار وإعادة النظر في الأدلة، إذا لا نتائج ولا ذهنيات مسبقة لديهم قبل البحث.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

حرف الألف

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن الأشعث، محمد بن محمد:

الجعفريات، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، الطبعة الأولى.

٣ ـ ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو:

ـ السنة، تحقيق الأستاذ باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

٤ ـ ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي:

ـ كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٥ ـ ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم الحراني:

ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

ـ مجموع فتاوى ابن تيميّة، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مطبوع بأمر الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، مطبعة الحكومة في مكة المكرمة، ١٣٨٩هـ

ـ النبوات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥ م.

ـ دقائق التفسير، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، جمع وتقديم وتحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ

٦ ـ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي:

ـ كتاب الثقات، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م .

ـ كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

٧ ـ آراء وأصداء حول عبد الله بن سبأ، مجموع مقالات في الصحف السعودية (كتاب إلكتروني).

٨ ـ ابن خلدون المغربي:

ـ تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧١ م .

٩ ـ ابن عبد البر، الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي:

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ

ـ التمهيد، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ .

١٠ ـ ابن سعد، محمد:

ـ الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، لبنان.

١١ ـ ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد المعتزلي:

ـ شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

١٢ ـ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني:

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

ـ الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥ م.

ـ اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٣ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي:

ـ الموضوعات، ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م.

١٤ ـ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب:

ـ الفهرست، تحقيق رضا المازندراني، طهران، ١٩٧٢ م.

١٥ ـ ابن حجر، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

ـ مقدمة فتح الباري، الأستاذ حسن عباس زكي، رئيس لجنة إحياء التراث الإسلامي بمؤسسة الأهرام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.

ـ الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،

الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م .

ـ لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧١ م .

ـ تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

ـ تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٦ ـ ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي:

ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر، والدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت،

١٧ ـ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري:

ـ فتوح مصر وأخبارها، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد الحجيري، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.

١٨ ـ ابن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد:

ـ العقد الفريد، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م.

١٩ ـ ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني:

ـ الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٨ م .

٢٠ ـ ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم، علي بن الحسن الشافعي:

ـ تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.

٢١ ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري:

ـ تأويل مختلف الحديث، تحقيق وتصحيح الشيخ إسماعيل الأسعردي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ المعارف، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

ـ الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، مصر ١٩٦٧م.

٢٢ ـ ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الحنبلي:

ـ المغني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٣ ـ ابن كثير الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي:

ـ البداية والنهاية، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

٢٤ ـ ابن ماكولا، الأمير الحافظ أبو نصر، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر:

ـ الإكمال، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م .

٢٥ ـ ابن هشام الأنصاري:

ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تعليق عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٦.

٢٦ ـ أبو الشيخ الأنصاري، أبو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان:

ـ طبقات المحدثين بإصبهان والواردين عليها، دراسة وتحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢ م.

٢٧ ـ أبو نعيم الإصبهاني:

ـ كتاب الضعفاء، تحقيق وتقديم الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء ـ المغرب.

٢٨ ـ أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي:

ـ مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق.

٢٩ ـ إحسان إلهي ظهير:

ـ الشيعة والسنة، الطبعة الثالثة، لاهور، باكستان، ١٩٧٩م .

٣٠ ـ الآجري، أبو عبيد:

ـ سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود، دراسة وتحقيق الدكتورعبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة دار الاستقامة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٩٧٩ م.

٣١ ـ الأميني، العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد النجفي:

ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م.

٣٢ ـ الأشعري القمي، سعد بن عبد الله:

ـ المقالات والفرق، تصحيح محمد جواد مشكور، مطبعة الحيدري، طهران، ١٩٦٣ م.

٣٣ ـ الإسحاقي، محمد عبد المعطي بن أبي الفتح الإسحاقي المصري:

ـ تاريخ الإسحاقي (أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول) مطبعة أحمد البابي الحلبي، مصر ١٣١٠ هـ.

٣٤ ـ الإمام أحمد بن حنبل:

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت،

ـ العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وتخريج الدكتور وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي ـ بيروت، دار الخاني ـ الرياض، ١٩٨٨م.

٣٥ ـ الإيجي، القاضي عبد الرحمن بن أحمد:

ـ المواقف في علم الكلام، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

٣٦ ـ الاسفراييني، أبو المظفر طاهر بن محمد الشافعي:

ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٣م.

حرف الباء

٣٧ ـ الباجي، الحافظ سليمان بن خلف الباجي المالكي:

ـ التعديل والتجريح لمن خرج عن البخاري في الجامع الصحيح، دراسة وتحقيق أحمد البزار، طباعة ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مراكش.

٣٨ ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم:

ـ الجامع الصحيح، المعروف بصحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١ ، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بأسطنبول سنة ١٣١٥هـ.

ـ التاريخ الكبير، تحقيق السيد هاشم الندوي، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا.

ـ الضعفاء الصغير، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت،

الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٣٩ ـ البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن بن طاهر بن محمد:

ـ الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة ١٩٨٨ م.

٤٠ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر:

ـ أنساب الأشراف، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤.

٤١ ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي:

ـ السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت.

حرف الثاء

٤٢ ـ الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكوفي:

ـ الغارات، تحقيق السيد جمال الدين المحدث، طبعة بالأوفست في مطبعة بهمن، إيران.

حرف الجيم

٤٣ ـ جريدة المسلمون، المملكة العربية السعودية، العدد ٦٥٤، الجمعة ١٢ ربيع الآخر ١٤١٦ﻫ

٤٤ ـ جريدة الرياض، ٤ ربيع الأول ١٤١٨ﻫ

٤٥ ـ الجاحظ، عمرو بن بحر:

ـ البيان والتبيين، دار صعب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م.

حرف الحاء

٤٦ ـ الحلبي، علي بن برهان الدين:

ـ السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، دار المعرفة،

بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠ م.

٤٧ ـ الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي:

ـ معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩ م.

حرف الخاء

٤٨ ـ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي:

ـ تاريخ بغداد، تحقيق دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العليمة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

ـ الكفاية في علم الرواية، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م.

٤٩ ـ الخوئي، الإمام السيد أبو القاسم الموسوي:

ـ معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢م.

٥٠ ـ خيثمة بن سليمان القرشي الإطرابلسي:

ـ من حديث خيثمة، دراسة وتحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠ م.

حرف الدال

٥١ ـ الدارمي، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام:

ـ سنن الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩ هـ.

٥٢ ـ الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود:

ـ الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

حرف الذال

٥٣ ـ الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان:

ـ سير أعلام النبلاء، إشراف وتخريج شعيب الأرنؤوط، تحقيق حسين الأسد، تقديم بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣.

ـ تاريخ الإسلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٣ م.

حرف الراء

٥٤ ـ الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم:

ـ الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى ١٩٥٢م، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حرف الزاي

٥٥ ـ الزركلي، خير الدين:

ـ الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م .

٥٦ ـ الزرندي الحنفي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن المدني:

ـ نظم درر السمطين، في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، تحقيق محمد هادي الأميني، الطبعة الأولى ١٩٥٨ م.

٥٧ ـ الزيلعي، جمال الدين، أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي:

ـ تخريج الأحاديث والآثار، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، مطبعة الرياض، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

حرف السين

٥٨ ـ السامرائي، الدكتور عبد الله سلوم:

ـ الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط للنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨ م.

٥٩ ـ د . سامي عطا حسن:

ـ عبد الله بن سبأ اليهودي اليماني بين الحقيقة والخيال، جامعة آل البيت، الأردن ـ المفرق (نسخة إلكترونية).

٦٠ ـ السلمان، علي عبد الرحمن:

ـ عبد الله بن سبأ وإمامة علي، نسخة إلكترونية.

٦١ ـ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بم منصور التميمي:

ـ الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية. دار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

حرف الشين

٦٢ ـ الشيبي، الدكتور كامل مصطفى:

ـ الصلة بين التصوف والتشيع، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.

حرف الصاد

٦٣ ـ الصفدي، صلاح الدين، أبو الصفاء خليل بن أيبك الدمشقي الشافعي:

ـ الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠ م.

حرف الطاء

٦٤ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

ـ تاريخ الأمم والملوك، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣، نسخة مقابلة على النسخة المطبوعة بمطبعة بريل بمدينة لندن سنة ١٨٧٩.

٦٥ ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد:

ـ كتاب الدعاء، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

٦٦ ـ الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة:

ـ شرح مشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.

٦٧ ـ الدكتور طه حسين:

ـ الفتنة الكبرى، عثمان، دار المعارف، مصر.

ـ الفتنة الكبرى علي وبنوه، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة عشرة.

حرف العين

٦٨ ـ العاملي، السيد محسن الأمين:

ـ أعيان الشيعة، تحقيق وإخراج السيد حسن الأمين، دار التعارف

للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣ م .

٦٩ ــ العدني، محمد بن يحيى:

ـ كتاب الإيمان، تحقيق حمد بن حمد الجابري الحربي، الطبعة الأولى، الدار السلفية ـ الكويت، ١٤٠٧هـ.

٧٠ ــ العسكري، العلامة السيد مرتضى:

ـ معالم المدرستين، مؤسسة النعمان، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٠ م.

ـ عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى،

٧١ ــ العقيلي، الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المكي:

ـ كتاب الضعفاء الكبير، تحقيق وتوثيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م.

٧٢ ــ علال، خالد كبير:

ـ رؤوس الفتنة في الثورة على عثمان، دار المحتسب، ٢٠٠٨.

٧٣ ــ العودة، سليمان بن حمد:

ـ عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ .

٧٤ ــ العيني، بدر الدين أبو محمد، محمود بن أحمد الحنفي:

ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، إدارة الطباعة المنيرية، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حرف القاف

٧٥ ـ القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي:

ـ ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

حرف الكاف

٧٦ ـ كحالة، عمر رضا:

ـ معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حرف الميم

٧٧ ـ المالكي، الشيخ حسن بن فرحان:

ـ نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي، مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤١٨هـ.

٧٨ ـ المباركفوري، أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم:

ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.

٧٩ ـ المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهانفوري:

ـ كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق وضبط الشيخ بكري حياني، والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

٨٠ ـ الدكتور محمد عمارة:

الإسلام وفلسفة الحكم، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.

٨١ ـ محمد بن طلحة الشافعي:

ـ مطالب السؤول مناقب آل الرسول، تحقيق ماجد أحمد العطية.

٨٢ ـ الدكتور محمد كامل حسين:

ـ في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي.

٨٣ ـ المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف:

ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، أستاذ ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م.

٨٤ ـ مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري:

ـ الجامع الصحيح، المعروف بصحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٨٥ ـ المناوي، محمد عبد الرؤوف:

ـ فيض القدير، شرح الجامع الصغير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.

٨٦ ـ المنقري، نصر بن مزاحم:

ـ وقعة صفين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ .

حرف النون

٨٧ ـ النَّسائي، أحمد بن علي بن شعيب:

ـ السنن الكبرى، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.

ـ خصائص أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، تحقيق محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

ـ كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة،

بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.

٨٨ ـ النشار، الدكتور علي سامي:

ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، مصر، الطبعة التاسعة.

حرف الهاء

٨٩ ـ الهاشمي، سعدي:

ـ ابن سبأ حقيقة لا خيال، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٩٠ ـ الهلابي، الدكتور عبد العزيز صالح:

ـ عبد الله بن سبأ، دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة، حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت، الحولية الثامنة، الرسالة الخامسة والأربعون، ١٩٨٦م / ١٩٨٧م.

حرف الواو

٩١ ـ الوردي، الدكتور علي:

ـ وعاظ السلاطين، دار كوفان، لندن، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

حرف الياء

٩٢ ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي:

ـ تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

الفهرس

الإهداء ٥
مقدمة المؤلف ٧
الجديد القديم في المواجهة ١٣
الهدف العام للبحث ١٥
تقسيم البحث ١٧

الفصل الأوّل

ابن تيميّة ودعوى السبئيّة

ابن تيميّة وأصل الشيعة ٢٤
ابن تيميّة وعقائد الشيعة ٣٢
ابن تيميّة والسبئيّة ٣٦
ابن تيميّة والتشيع لعلي ٤٢
خلاصة رأي ابن تيميّة ٤٦
محنة ابن تيميّة ٥٠
الوهابية والسبئيّة ٥٤
خاتمة الفصل الأول ٥٩

الفصل الثاني

جذور الدعوى السبئيّة

دعوى ابن سبأ والسبئيّة ٦٣
الأصل التاريخي لدعوى السبئيّة ٦٥
تصنيف مرويات سيف ٦٦
الصنف الأول: السبئيّة المزعومة في مراحلها الأولى ٦٦
الصنف الثاني: دور السبئيّة المزعوم في قتل عثمان ٨٧
كعب الأحبار السبئي ٩٦
الصنف الثالث: دورهم المزعوم في استخلاف علي عليه السلام ١٢١
الصنف الرابع: دورهم في وقعة الجمل ١٣٣

الفصل الثالث

دراسة نقدية لمرويات سيف بن عمر

أسناد روايات سيف ١٦٣
ـ السَّري ١٦٣
ـ شعيب ١٦٧
ـ سيف بن عمر ١٦٧
سيف في ميزان الجرح والتعديل ١٦٨
محاولة الدفاع عن سيف ١٧١
مراتب الجرح والتعديل ١٧٢
ـ عند ابن حجر ١٧٢
ـ عند أبي حاتم الرازي ١٧٣
ـ عند ابن حبان ١٧٥
ـ عند الذهبي ١٨٠
موقع سيف من مراتب الجرح ١٨١
مرويات سيف في ميزان النقد ١٨٤
ـ الحكم بوضعها من جهة السند ١٨٤
ـ الحكم عليها من جهة المتن ١٨٨
الجهة الأولى ـ وجود القرائن الخارجية على الوضع ١٨٨
الجهة الثانية ـ التناقضات الفاحشة ١٩٥
الجهة الثالثة ـ تناقضات موضوعية منطقية ١٩٩
ـ روايات الصنف الأول ١٩٩
ـ روايات الصنف الثاني ٢٠٠
ـ روايات الصنف الثالث ٢١٧
ـ روايات الصنف الرابع ٢٣٢
خلاصة البحث في تناقضات سيف ٢٥١
السبئيّة كما هي ٢٦٥

الفصل الرابع

ابن سبأ بين الواقع والاختلاق

هل كان ابن سبأ موجوداً حيقيقياً؟.. ٢٧١
الاختلاق الفني لشخصية (ابن سبأ) ٢٧٥
ابن سبأ في صحائف التاريخ... ٢٧٧
النسبة إلى سبأ... ٣٠١
من هو ابن سبأ؟ ٣٠٥
خلاصة البحث ٣٠٨
إيهام وتلبيس... ٣١٠

الفصل الخامس

الآثار السلبية للنظرية السبئيّة

ماذا يترتب على تبني السبئيّة؟.. ٣١٥
- تعظيم شأن اليهود ٣١٧
- تكذيب القرآن الكريم ٣١٨
- تكذيب النبي صلى الله عليه وآله والطعن فيه ٣١٩
- إسقاط نظرية عدالة الصحابة ٣٢٢
- الطعن في علي عليه السلام وخلافته ٣٢٣
- زعزعة الثقة بصلاحية الإسلام للحياة ٣٢٦
- اتهام الرواة من الكتابيين وغيرهم.. ٣٢٧
- اعتماد الكذابين مصدراً للتشريع ٣٣١
- تسويغ الطعن في الصحابة والتابعين ٣٣٢
- ردّ الموازين العلمية في الجرح والتعديل وغيرها.. ٣٣٢

الفصل السادس

دراسات سبئيّة معاصرة

كتابات تقليدية وقراءة موجهة... ٣٣٩
- وقفة مع الدكتور سامي عطا ٣٣٩
من هم المناوئون للإسلام؟ ٣٣٩
النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام ٣٤٥

ابن سبأ من جديد ٣٤٨
نـادرة ٣٥٠
جهل أم تدليس؟ ٣٥٤
ـ مع الشيخ سليمان بن حمد العودة ٣٦٣
أبو ذر ومعاوية ٣٧٦
سيف بن عمر: الكذاب الثقة ٣٨٢
ـ وقفة مع سعدي الهاشمي ٣٨٧
ـ الدكتور خالد علال الجزائري ٣٩٥
ـ علي عبد الرحمن السلمان ٣٩٧
نقد وتقويم ٣٩٧
دراسات موضوعية ٣٩٩
ـ الدكتور عبد العزيز الهلابي ٣٩٩
ـ الشيخ الدكتور حسن بن فرحان المالكي ٤٠٤
ـ العلامة السيد مرتضى العسكري ٤٠٦
ـ الدكتور طه حسين ٤٠٧
ـ الدكتور علي سامي النشار ٤١١
ـ الدكتور علي الوردي ٤١٣
ـ الدكتور كامل مصطفى الشيبي ٤١٨
ـ الدكتور محمد كامل حسين ٤١٩
ـ الدكتور عبد الله سلوم السامرائي ٤٢١
ـ الدكتور محمد عمارة ٤٢٣
خلاصة الفصل السادس ٤٢٧
خاتمة البحث ٤٣٠
المصادر والمراجع ٤٣٧
الفهرس ٤٥٣